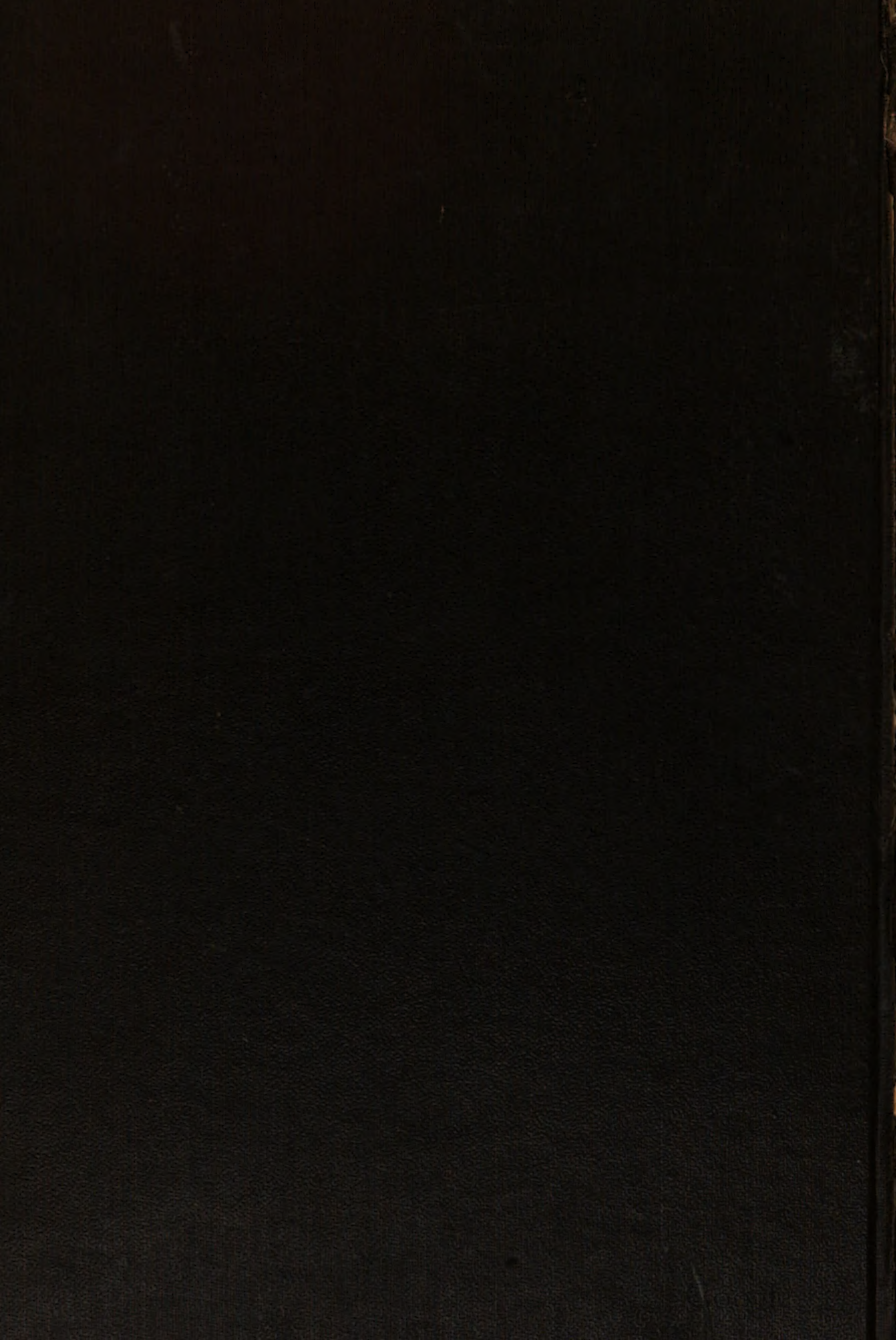
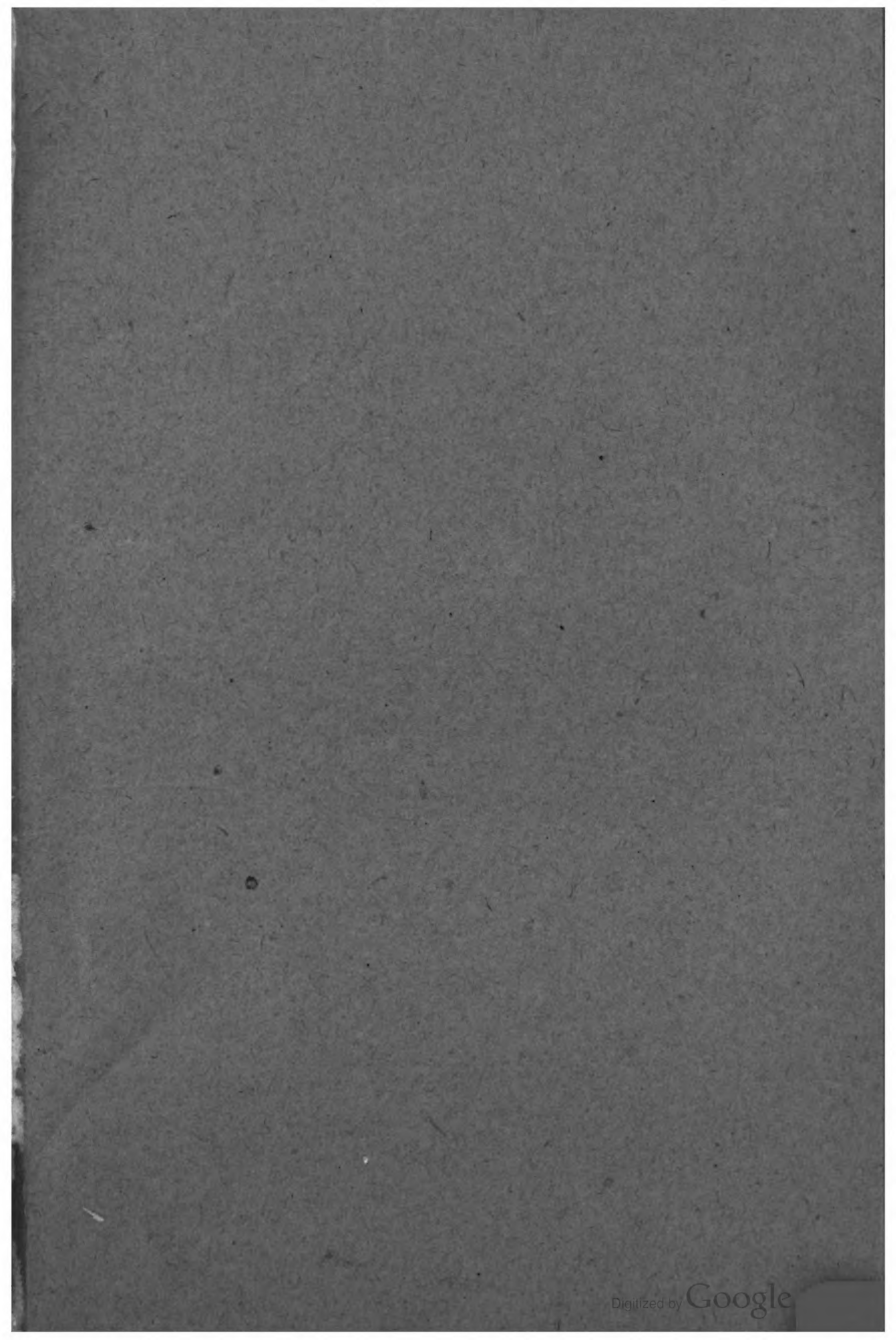




Ṣābūnjī, Luwīs

ديوان

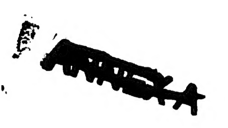
Dīwān

شعر النحلة

المنظوم

في خلال الرحلة

(طبع في المطبعة التجارية بالاسكندرية سنة ١٩٠١)



ديوان

شعر النحلة

المنظوم

✻ في خلال الرحلة ✻

وهو اول ديوان التهى بنظمه وترتيبه على اسلوب الشعر العصري العالم العامل والاستاذ الفاضل المنضم في سلك رجال الجمعيتين العلميتين المعروفة احداهما باسم (اكاديمية الاركادي) برومه · وثانيتهما باسم (الجمعية الاسيوية الملكية) بلندرة · والمنتخب سابقاً من ولي عهد ملكة انكلترا البرنس اُف ولس ✻ اليوم الملك البر ادوارد السابع ✻ معلماً لتعليم اللغات الشرقية بدار الفنون المعروفة باسم (ايمبريال انستيتيوت) بلندرة · والمشرّف بارادة سنية من حضرة صاحب الشوكة والاجلال مولانا المعظم السلطان ابن السلطان السلطان الغازي ✻ عبد الحميد ✻ خان الثاني بتعليم انجاله الامرآء النجبآء العظام علم التاريخ · والمترجم الخاص لجلالته الملوكية من الانكليزي والعربي والفرنسوي والايتلياني الى التركي لويس البري الصابنجي المشهور

﴿ بصاحب نشرة النحلة ﴾

ولما كان الاستاذ المشار اليهِ قد نظم القسم الاعظم من قصائد هذا الديوان في خلال سياحتهِ حول الكرة الارضية قال فيهِ :

خرجتُ اطوفُ الارض اجني زهورها
واذخرُ شهدًا في خلالِ الخليةِ
فشعريَ شهدٌ والقوافي قفيرهُ
وجهديَ نحلٌ في رياض البرية



طبع هذا الديوان بالاسكندرية بعناية حضرة السيدة الفاضلة والكاتبة البارعة الكسندرا افيرينوه صاحبة مجلتي (انيس الجليس) العربية و (لوتوس) الفرنسوية سنة ١٩٠١

الفاتحة

قال ناظمه : فتحتُ بعد الحمد باسمك ديوان تخلقي في رحلتي وسلوتي في غربتي يا فاتح باب البيان · وبحتُ لك بسرّ قريحتي في نجوتي يا غارس سليقة القريض في الانسان · واطلقتُ عنان يراعي في مضمار ذكرك السامي يا واضع الفصاحة في اللسان · ولذتُ بكَ في شدتي يوم الكريهة والهوان · واخلصتُ اليكَ يوم طوّحتني طوائحُ الزمان · وابعدتني التقادير عن الاهل والاوطان · وحرمني الدهر رؤية الوالدين والاخوان · وفرّق عني شمل الاحباب والخلان · فصرتُ اذا اسودّت الدنيا في عيني وانا اسير الغربة · واشتدّت عليَّ ازمةُ المحنة وانا رهين الكربة · خلوتُ الى دار وحدتي · وهجرتُ اخواني واهل مودتي · واتخذتُ الدواة كاسي وطاسي · وجعلت نديمي يراعي وسميري قرطاسي · لاطفئ برحيق المداد سعير ظمإي وابرّدُ بالتغزل حرَّ انفاسي · والتهي بالقريض عما كنت اقاسي · فكنتُ تارةً الهو بالخلاعة والمجون · وطورًا استطرق طريقة ابي نواس والمجنون · واخرى اتصابى بالغزل وانا كهلٌ مغبون · ومذهبي في كل ذلك مذهبُ ما جاء في الكتاب المكنون :

والشعرآء يتبعهم الغاوون · ألم ترَ انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون : فاتخذتُ الشعر ملهى وملعباً · لا فناً ومشرباً · لا جرمَ ان القريض بستان اهل الاداب · وفاكهة ذلك البستانِ لذة الالباب ·

فجلُّ مرامي منكَ يا اخا السداد · ان تقصر عني عنان الانتقاد · وتستر هفوتي · وتغفر لي قليل زلتي · وتسدل ذيال الصفح عن الهزل والخلاعة · وتطوي كشح الملامة عن فلتات اليراعة · وقد استعهدت من نفسي ان اتحاشى ما استطعت تنميق القريض بكلامٍ لغوي غير مأنوس · لئلا يحتاج مطالعه الى القاموس والجاسوس · فان قضى القارىء منه وطرًا كان ذلك مأمولاً · والا قضي الله امرًا كان مفعولاً



رجاء

لا تبرمنَّ الحكم فيهِ قبل ما * تتلو من الديوانِ آخرَ شعرهِ
لا يحكم القاضي بامرٍ قبل ان * يتلو عليهِ الخصمُ آخر عذرهِ



تقدمة الديوان

بالخضوع والشكران

الى

اعتاب حضرة صاحب الشوكة والاقبال . رب
المكارم والافضال . الخليفة الاعظم
والمولى الافخم . والملاذ الامين
امير المومنين

خادم الحرمين الشريفين . سلطان البرين . وخاقان البحرين . مولانا السلطان ابن السلطان . السلطان الغازي

﴿ عبد الحميد ﴾

خان الثاني . خلد الله ملكه . وجعل الدنيا باسرها سلكه . وادام سعادة ايامه . وصير البسيطة كلها قبضة يديه وطوع احكامه . وجعل لواء عدله المنشور . منصوراً الى يوم النشور . ودول الايام على يديه دائرة . ووجوه السعادة الى مساعيه مسافرةً سافرة . واجنحة النعم بابوابهِ مفتوحةً وبانبائهِ طائرة . وعزائم التوفيق لارائهِ مسخرةً وباعدائهِ ساخرة . سليل ملوكٍ كريم جواد . من قال في مثله الشاعر واجاد :

قومٌ اذا عبثَ الزمان باهلهِ * كان المفرُّ من الزمان اليهمِ
واذا اتيتهمُ لدفعِ ملمةٍ * جادوا عليكَ بما يكون لديهمِ

فلا زالت سلسلة سلطنتهِ متصلةً بحلقات الزمان . واعلام دولتهِ مصونةً من طوارق الدهر في وقاية الرحمان .

اما بعد فيا امير المؤمنين . وحامي بيضة المسلمين . لما ملأ الارض بالطول والعرض . صيت صفاتك الحميدية . ومناقبك العسجديـة . زففتُ اليك عرائس افكار تزين جيدها بعقدٍ من جمان الشعر جاءت مصاريعه اجمل من غدائر الشعر . فجدْ يا مولاي المنان . بمديد الاحسان . على غادة هذا الديوان . وانظر اليها بعين الرضوان . فان حازت لديك حسن القبول . حسب المأمول . صارت بجاهك السامي فريدةً في تاج الدهر . وواسطة العقد في قلائد الشعر . وانت متئد بالعز والنصر . ليوم النشر والحشر .

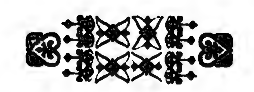
باب المديح

قد فتحت باب المديح تيمناً بمدح سلطان سلاطين الزمان
ونخبة سلاطين بني عثمان . مولانا السلطان ابن
السلطان . السلطان الغازي ﴿عبد الحميد﴾
خان الثاني . ورفعتُ القصيدة الآتية
الى اعتاب حضرته الملوكية يوم
دخولي في خدمته السنية
بصفة مترجم خاص لجلالته
المعظمـة . وذلك
سنة ١٨٩٠
م

القصيدة

أبسيفكَ الملك السعيدُ مؤيدُ ... ام بالامانِ تسوسهُ يا سيدُ
قد قمتَ في تخت الخلافة بالتقى ... تحمي حمى دينٍ بملكك يخلدُ
بالحزم والعزم السديدِ تصونهُ ... والسيف والاقلامُ رأيك تعضدُ
والملك اضحى في زمانكَ مزهراً ... ولواؤهُ بالمجد فوقكَ يعقدُ

في ارض دولتك العلية قد جرى ... نهر العلوم وطاب منه المورد
قلدت سيف الملك ارثاً عن اب ... والشرع يثبت والخلافة تشهد
سيف اذا انقضت صواعقه على ... جيش العدى فالجو منه يرعد
واذا سللت السيف من غمد فرى ... واذا اشرت الى العداة تبددوا
فلأنت سيف النصر يوم كريهة ... ولأنت ركن الدين يوم يشيد
يا قابض السيف الصقيل وحائز الـ ... ـمجد الاثيل بشوكة لا تجحد
يا صاحب البطش الشديد ومالك الـ ... ـحزم الـحديد بفكرة تتوقد
بك دارت الهالات من اهل النهى ... فهم النجوم وانت فيهم فرقد
ظل المليك على العباد مخيم ... رب الخلافة بالجنود مؤيد
حمد الملائك ربهم يوماً على الـ ... ـتخت استوى عبد الحميد الامجد
والناس من فرط المسرة كبروا ... وتوشحوا ثوب الحبور وعيدوا
فاهنأ ودم ملكاً على كل الورى ... في سعدك الدنيا تدوم وتسعد



تهنئة

بولادة خير السلاطين الغازي عبد الحميد خان الثاني
اطال الله عمره وخلد ملكه

لما اراد الله محو غياهبٍ خلق الغزالة في السماء تجملا
وكذاك حين اراد نشر معارفٍ في ملك عثمانٍ ليرقى للعلى
اخذت يداه من رياض جنانه مسكاً وكوّن ما اراد مكملا
فبدا لنا من صنعه وفعاله عبد الحميد المجتبى خير الملا

تهنئة ثانية

رفعت الابيات الآتية الى اعتاب حضرة مولانا الاعظم
السلطان الغازي * عبد الحميد * خان
الثاني تبريكاً بعيد ولادته السعيدة
وذلك في ١٠ شباط الرومي
لعام ١٣٠٩

لقد سُرَّ في يوم الولادة اربعُ « مجيدٌ » وامٌّ والملائكُ اجمعُ
وملك بني عثمان ايضاً لانهُ « بعبد الحميد » المجتبى لاحَ يسطعُ
ونادى لدى العرش الملائك سجداً لك المجدُ في ما اليوم للناس تصنعُ

وجئتُ بصوت الابتهال منادياً ليحيَ طويلاً بالسعادةِ اربعُ
« حميدٌ » ودينٌ ثم ملكٌ وامةٌ تدومُ دوام الكونِ والشمس تطلعُ
فيا عصر مجدٍ وانتشارٍ وغبطةٍ ويا عيدُ الفٌ مثل يومك يرجعُ

تبريك اخر

رفعت الابيات الاتية الى اعتاب حضرة مولانا الاعظم
امير المؤمنين السلطان الغازي ❊ عبد الحميد ❊
خان الثاني تبريكاً بعيد جلوسهِ
المأنوس وذلك في ١٩
اغسطوس الرومي
لعام ١٣٠٦

يباركُ مَنْ في البرِ والبحر والسما ❊ لعبد الحميدِ ❊ المجتبى بجلوسهِ
لقد ضاءَ عرش الملك يوم جلوسهِ بنورٍ تجلى من علو شموسهِ
لنورٌ اذا البدر المنير اصابهُ خسوفٌ انارَ البدرَ وقتَ عبوسهِ
سلايل ملوكٍ قد اقام عمادهم على اسِّ ملكٍ ساسهُ بدروسهِ

التبريك

رفعت القصيدة الآتية الى اعتاب الحضرة السلطانية
تبريكاً بعيد الجلوس المأنوس وذلك
بالاستانة العلية سنة ١٣٠٧ هجرية

جلست على تخت الخلافة بالنصرِ ... وريث جدود في الرئاسة والامرِ
هنيئاً ليومٍ سُرَّ كلٌّ بعودهِ ... وكبر من في الجوّ والبحر والبرِ
ولما تقلدتَ الحسامَ ببيعةٍ ... اتاك من العرشِ الملائكُ بالبشرِ
وقالوا لقد سُرَّ الحميدُ بعبده ... ومدَّ لهُ بالملكِ والسعدِ والعمرِ
تسوسُ شموسٌ في البروج كواكباً ... وملكك اسمى من شموسٍ ومن بدرِ
ففي عهدكَ المسعودِ زادت معارفٌ ... وزاد نعيمُ الناس قدراً على قدرِ
وفاضت على الدنيا بحارُ مكارمٍ ... كما فاض في الطوفانِ بحرٌ على بحرِ
اميرٌ حوى حلماً وبأساً وهيبةً ... وفيضاً ومداً لا يعابانِ بالجزرِ
اميرٌ ملوك الارضِ تعرفِ قدرهُ ... وتهدي اليهِ من نفيسٍ ومن درِ
اميرٌ يسوس المؤمنينَ بحلمهِ ... ويحمي ذمارَ المسلمينَ من الضرِ
اميرٌ لهُ في الارضِ ظلٌّ عدالةٍ ... تفيأ فيها العالمونَ من الغدرِ
اميرٌ حذا حذوَ النبي بفضلهِ ... واُوتيَ وحيَ الدين والشرع والبرِ
اميرٌ يحجُّ المؤمنون ببابهِ ... الى كعبة الوجه المنوّر كالفجرِ
سألتُ الهي ان يُعيدَ جلوسهُ ... علينا باعيادٍ تعودُ بلا حصرِ

تهنئة

بعيد المولد النبوي الشريف

رفعتها الى اعتاب العرش الحميدي وذلك في ١٠ ايلول الرومي
لعام ١٣٠٨

الى العرب وافى بالرسالة احمدُ ... وجاء بآيات الكتاب يوحدُ
واوحى الى « عبد الحميد » بامرهِ ... اليكَ من الربّ الخلافة تسندُ
تنعم بملكٍ واغتبط بخلافـةٍ ... وصلِّ وسلمْ كلما عادَ مولدُ

تبريك

بحلول ليلة المعراج

رفعتهُ الى اعتاب الخليفة المعظم حضرة السلطان الغازي
« عبد الحميد » خان الثاني
سنة ١٢٠٩ رومية

في الليلة الغرآء عرّجَ احمـدُ ... وصفوف جند العرشِ اجمع تنشدُ
يا جنة الخلد افتحي بابـاً لهُ ... وافى محمـدُ في السماء يمجدُ
وافى شفيعاً للخليفـة داعياً ... بدوامِ ملكٍ بالسعادةِ يخلدُ
طوبى لها من ليلةٍ فيها غدا ... «عبد الحميدِ» مع الملائكِ يعبدُ

التبريك

بعيد الجلوس المأنوس في ١٩ اغسطوس الرومي
لعام ١٣٠٩

تباركَ يومٌ قمتَ فيهِ مقلداً ببيعة هل الملكِ سيفَ الخلافةِ
تسلمْ زمامَ الملكِ بالحزم واعتصم بدينٍ وعدل تنجُ من كل آفةِ

﴿ تبريك ﴾

بصوم رمضان المبارك

رفعته الى اعتاب حضرة امير المؤمنين مولانا الخليفة
المعظم السلطان الغازي عبد الحميد خان
الثاني وذلك في ٢٤ شباط الرومي

تباركَ صومٌ يا خليفةُ صمتهُ يخرُّ لهُ جوق الملائكِ سجدا
لقد سُرَّ بالصوم المبارك ربنا وسُرَّ بهِ من صام حقاً ووحدا
تصلي وتطوى في تقىً وعبادةٍ وتحيي الليالي في الدعاء تهجدا
رعى اللهُ ديناً قد رعيتَ حقوقهُ فكنتَ اماماً للفرائض مرشدا

تبريك

بعيد الفطر السعيد

رفعته الى اعتاب الخليفة المعظم حضرة السلطان الغازي
عبد الحميد خان الثاني وذلك
في ٣٠ رمضان لعام ١٣١١

قد صمتَ بالتقوى صياماً لائقاً بخليفةٍ حسناته لا تنكر
لما وفيتَ فروضَ دينِ محمدٍ وافاكَ من لَدُن الرحيمِ مُبشرَ
اصبحتَ في الاسلام قدوة صائمٍ فأثابكَ الرحمانُ اجراً يُذخرُ
كملتَ بِركَ بالصيامِ وبالتقى واليومَ مسروراً بعيدك تُفطرُ
فانعم بيوم الفطر ان نهارهُ عيدٌ على كل البرية اكبرُ

تبريك آخر لشوكتهِ

اكملتَ صوماً بالدعاء وبالتقى واليومَ بالعيد المبارك تفطرُ
بوركتَ من عيد سعيدٍ سعدهُ من سعدِ سلطانِ البرية اصغرُ
يفديكَ بالارواح كل موحدٍ يا من بهِ الدين المبين موقرُ
حظ البرايا من معاد مواسمٍ شيبٌ وهمٌ وانحلالٌ يظهرُ
لكن حظك من تكرر عودها حظ الازاهر في الربيعِ تُنوّرُ
والصومُ والافطار والعيدُ الذي عيدتهُ عيدٌ علينا اكبرُ
في مثلها لا تنتهي لكَ نعمةٌ وسنوكَ فيها بالسعادة تزهرُ

تبريك آخر بعيد الجلوس

سلطاننا « عبد الحميد » المجتبى   في مثل هذا اليوم سيفاً قلدا
وعلى سرير الملكِ قامَ مؤيداً   بخلافةٍ نبويةٍ لن تجحدا
فاعاد للاقطار سابق مجدها   بجلوسهِ والعز فيها جدَّدا

تبريك بعيد الاضحى

رفعت الابيات الآتية الى اعتاب حضرة مولانا السلطان
الغازي عبد الحميد خان الثاني وذلك سنة ١٣١٥
هجرية بالاستانة العلية

عيد الضحية كل عامٍ مرةً   ولنا بملكك كل يومٍ يظهرُ
بكَ يفخر الملكُ العزيز وملةٌ   في ظل عدلكَ بالمراحم تسترُ
فلقد ثنيت الظلم عن مهج الورى   والخلق طرّاً بالعدالةِ بشروا
ثقفتَ بالتعليم شعبك فارتوى   بمياههِ ان المعارف كوثرُ

بوركتَ من عيدٍ سعيدٍ يومهُ   فيهِ تكبرُ للرحيم وتحرُ
دم واغتبط واملك قلوب رعيةٍ   بالحبِ لا بالسيفِ انتَ مظفرُ

تبريك آخر

رفعت هذين البيتين الى اعتاب الحضرة السلطانية تبريكاً
بدخول سنة ١٣١٢ هجرية

تباركَ عامٌ بالسعودِ مجدَّدُ   اذا مرَّ سعدٌ قامَ سعدٌ مكانهُ
يعيش «حميدٌ» كل عامٍ منعماً   ويقضي دواماً بالسعودِ زمانهُ

تبريك آخر

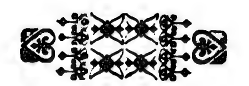
نظمت هذين البيتين بثماني لغات وهي الكلدانية والسريانية
والعربية والتركية واللاتينية والايتالية والفرنسوية والانكليزية
وطبعتها بكل هذه اللغات على مرآة ذات اطار
(برواز) فضي مرصع بحجارة الماس والياقوت
والعقيق والفيروز ورفعتها الى اعتاب حضرة
مولانا السلطان الغازي عبد الحميد
خان الثاني يوم عيد جلوسه الفضي
وذلك سنة ١٩٠٠ للميلاد

تبارك عيدٌ قد تكرر خمسةً   وعشرين عاماً بالسعودِ مُجملا
سألتُ الهي ان يديم بغبطةٍ   مليكاً على العرشِ استوى وتكللا

الاستغفار

سنة ١٣٠٧ هجرية

النقصُ من صفةِ الخليقةِ فطرةً ... والصفحُ من صفةِ العلي الاعظمِ
فاذا عفا عبد الحميد بحلمهِ ... عن ذنب عبدٍ تائبٍ متندمِ
فاقَ الخلائقَ بالسماحةِ قلبهُ ... واقتصَّ عفواً من جناية مجرمِ



شدة الحزم وثبات الجنان في السلطان عبد الحميد خان ساعة الزلزلة العظمى يوم عيد الاضحى

يأمر مولانا امير المؤمنين اعزهُ الله في الدنيا واسفر وجههُ يوم الدين بالاستعداد الى عيد الاضحى السعيد قبل حلولهِ باشهر وبانتخاب عدد مفروض من الاكباش العظيمة وبعلفها وتسمينها وبالاعتناء بنظافتها وغسل صوفها وتمشيطه وهلمَّ جرًّا لتكون اهلاً لتضحيتها قربانًا لله · وقد قال لي الموكَّل بهذه الاكباش ان بعضًا منها اي الاكباش المعدَّة لقرابين الحضرة السلطانية نفسها يبلغ ثمن كل كبش منها نحو ثلاثين ليرة · والمعدَّة لقرابين الامراء انجال مولانا السلطان يبلغ ثمن كل كبش منها نحو ٢٥ ليرة · والاكباش المعدة لقرابين الحرم السلطاني يبلغ ثمن كل كبش منها من ١٥ الى ٢٠ ليرة · ويبلغ عدد تلك الاكباش اكثر من مائة كبش · ولا يقتصر كرم امير المؤمنين على هذا فقط بل يتكرم على كلٍّ من المتوظفين في المابين الملوكي بشاةٍ او اكثر حسب مقامهِ وعدد اعضاء عائلته ليضحيها قربانًا يوم عيد الاضحى

ومتى حلَّ يوم العيد السعيد صدرت الارادة السنية الى جميع رجال الدولة ورؤساء الجيوش والقواد والصدور العظام بان يقبلوا الى

قصر « طوله باغجه » بملابسهم الرسمية ليرفعوا الى اعتابه الملوكية التبريك والتهنئة بحلول العيد

فكان حلول عيد الاضحى هذه السنة يوم الاحد المصادف ٣١ من شهر آذار لعام ١٩٠١ ونهض مولانا السلطان مبكرًا جدًا وصلى صلاة العيد بموكبٍ حافل في جامع « بشكطاش » ثم ركب في موكب حافل وسار الى قصر « طوله باغجه » تتقدمه كتائب الجيوش ويتلوها رجال المابين الملوكي بملابسهم الرسمية المطرزة بالقصب وعلى صدورهم وسامات الدولة العثمانية فقط . (لانهُ لا يسوغ لاحدٍ على الاطلاق ان يحمل وساماً اجنبياً في حضرة امير المؤمنين) ولما وصل الى القصر الموكب الملوكي نزل امير المؤمنين عن المركبة ورقي بوقارٍ واجلال درج الرخام المغطى بالطنافس ثم اخذ السكين من احد الموظفين في المابين الملوكي . وكان رعيان القصر قد اعدّوا الاكباش المعلوفة التي اسلفنا ذكرها ومشطوا صوفها الابيض الطويل وزينوا قرونها الكبيرة وجباهها وصوف ظهرها بورق الذهب وشرائط من الحرير الاحمر والازرق والابيض وجعلوا على رؤوسها تيجاناً من الورق المذهب المزّين بزهور مصنوعة وريش وقطع مرآة ووضعوها صفين بين ايدي مولانا السلطان . وقبض كل جزّار بيده اليمنى على قرن كبش من الاكباش ولبث منتظرًا الاشارة من حضرة امير المؤمنين لينحر الكبش . ويلبس كل جزارٍ منهم في مثل هذا الوقت جبةً من الجوخ الاخضر تصل اذيالها الى تحت ركبتيه : وحواشيها مطرزة باسلاك الذهب . ويضع على رأسه

قبعاً مخروط الشكل مصنوعاً من الجوخ الاخضر وعليهِ تطريز باسلاك القصب ولهُ شرابة طولها نحو نصف ذراع مصنوعة من الحرير الاخضر واسلاك الذهب وهو يرخيها من امام على كتفه

ولما حان وقت ذبح القرابين سلمت الحضرة السلطانية السكين الى رئيس اولئك الجزارين وامرتهُ بذبح القرابين نيابةً عنها · ثم صعدت درج القصر بالعز والاجلال ودخلت قاعة الاستراحة ولبثت هناك مدة قصيرة تأهباً للدخول الى قاعة العرش

وصف قاعة العرش

ان قاعة العرش في وسط قصر «طولمه باغجه» المشيد على ساحل البوسفور من جهة اوروبا · وهي اكبر قاعة قام بناؤها على وجه الارض كلها في الطول والعرض والارتفاع · وعليها قبة عظيمة جميلة الشكل قامت على اثنين واربعين عموداً · ومما زاد هذه القاعة حسناً وغرابةً في السعة ان قبتها العظيمة مسندة الى اعمدة ليست مركوزة في صحن القاعة بل مصطفة صفاً ظريفاً في لصق جدرانها وقد بقي الصحن كلهُ خالياً منبسطاً يسهل الجولان فيهِ وينشرح الصدر بهِ · وقد رأيت قصور ملوك فرنسا بباريس وفرسايل وقصور ملوك الانكليز بقرية وندزر ومدينة لوندرة وقصور ملوك ايتاليا بمدينة تورين وروما وقصر الباباوات والواتيكان بروما فما شاهدت فيها قاعةً جمعت بين السعة والعلو وحسن هندسة البناء مثل قاعة «طولمه باغجه»

وقد وضعوا في صدر القاعة على نحو خمس او ست اذرع عن الجدار عرش امير المؤمنين متجهاً نحو البحر · وهذا العرش كرسي مستطيل الشكل كالسرير يبلغ طوله نحو ذراعين ونصف ذراع · وارتفاعه من امام نحو ذراع وعرضه نحو ذراع ونصف ذراع وارتفاعه من وراء نحو ثلاث اذرع · وكله قطعة واحدة من الذهب الابريز المسبوك سبيكة واحدةً في قالب المندام وحسن الصنعة · وعلى ظاهره نقوش محفورة في صلب الذهب · وسمك جدار العرش نحو ثلاث عقد · وعلى مقعده فرش محشو بريش النعام وغطاؤه قماش من الحرير الاحمر المنقوش بقصب الذهب

وكان هذا العرش سابقاً لماليك مصر من عائلة «الغوري» غنمهُ منهم السلطان سليم الغازي لما فتح الديار المصرية عام ١٥١٢ للميلاد · ومفروش امام هذا العرش مكان موطىء قدمي امير المؤمنين سجادة من الحرير المطرز باسلاك قصب الذهب تطريزاً بديع الصنعة · وفي اربع زوايا قاعة العرش اربعة شمعدانات من الفضة الخالصة يبلغ ارتفاع كل منها نحو ثماني اذرع · ولهُ قاعدة مسدسة الجهات يبلغ سمكها نحو شبر ومحيطها نحو ست اذرع · وعلى رأس كل شمعدان عشرون مشعلاً لايقاد نور الغاز الهيدروجيني وعلى كل مشعل قبع من البلور المنقوش ليمنع نفوذ الغاز من المشعل بعد انطفائهِ · ويوجد كذلك في كل زاويةٍ من اربع زوايا القاعة شمعدان من البلور النقي في شكل ثريا جمعت بين حسن الصنعة وجمال الهيئة · ثم يوجد ثريا اخرى عظيمة جداً في غايةٍ

من الحسن واتقان الصنعة وكلها من البلور النقي المثمن معلقة في سقف قبة قاعة العرش بسلسلة نصفها الاعلى من الفضة ونصفها الاسفل من جنس بلور الثريا · ويبلغ طول هذه الثريا البديعة الصنعة نحو ٤٠ ذراعاً ومحيط دائرتها الوسطى نحو ثلاثين ذراعاً · وهي مركبة من دوائر عديدة مختلفة القطر في الكبر قد تركب بعضها على بعض بترتيب يناسب كبرها وصغرها فانك ترى قطر دائرتها السفلى اكثر من ذراع · وما فوقها من الدائرة يزيد قطرها درجة عما تحته · وكلما ارتفعت الدوائر زاد قطرها بنسبة بعدها وارتفاعها وتكبر بالتدريج حتى يبلغ قطر الدائرة الوسطى منها نحو ثلاثين ذراعاً · ثم تأخذ الدوائر بان تصغر بالتدريج حتى يصير قطر اعلى دائرة منها نحو ذراع · وفي هذه الثريا ما ينيف عن ٢٠٠٠ مشعل لايقاد نور الغاز الهيدروجيني وعلى كل مشعل بلورة منقوشة في شكل قبع جعلت منعاً لنفوذ الغاز من انابيبه قبل الاشتعال (١) وارض القاعة مرصوفة بتقاطيع خشب السنديان المصقول والمصبوغ بصباغ يقلد لون خشب الجوز · ويفرش خدام القصر يوم المعايدة في صحن القاعة سيوراً من الطنافس الثمينة المنسوجة في المعمل السلطاني بالاستانة يبلغ عرض كل منها نحو ذراع ونصف ذراع ليمشي الزوار عليها وقايةً من الزلق على خشب ارض القاعة المجلو جلواً

---

(١) ثقل هذه الثريا ٨٥٠٠ اقة · واشتغل في تركيبها بالقاعة رجل اوروباوي نحو سنتين وكان ياخذ معاشاً ٣٠ ليرة في الشهر · وكانت الثريا قد صنعت باوروبا وأتي بها قطعاً ثم تركبت في سقف القاعة

صقيلاً · اما سقف القبة وجميع جدران القاعة فمنقوش بالقلم والالوان نقوشاً جميلة بديعة الصنعة · ولقاعة العرش ثماني عشرة نافذة على طبقتين· ست منها من جهة حديقة القصر ورآء العرش · منها ثلاث نوافذ كبار في الطبقة السفلى وثلاث في الطبقة العليا فوق الرواق · ومثلها ست نوافذ في الجهة التي عن شمال العرش · ونافذتان وباب يُفضي الى ساحل البحر من الجهة التي حذآء العرش · وفوقها كذلك ثلاث نوافذ وكلها مصونة بالواحٍ من الباور · وفي الشقة العليا من القاعة اربع شرفات فالشرفة التي تجاه العرش يشغلها الذين يعزفون بالموسيقى السلطانية · والشرفة التي عن يمين العرش يشغلها سفرآء الدول الاجنبية ومن لاذ بهم من الاصحاب الذين يتشرفون بمشاهدة رسم المعايدة من ذلك العلو الشاهق وقد أُعدّ في هذه الشرفة من كرم امير المؤمنين للسفرآء المشار اليهم مائدة عظيمة عليها من المأكول والمشروب والاقراص الحلوة افانين افانين ·

﴿ وصف المعايدة الملوكية ﴾

لما يفرغ امير المؤمنين من ايفآء فريضة ذبح القرابين يسير الى حجرة الاستراحة ويلبث فيها مدة قصيرة حتى تتهيأ مراسم المعايدة · ثم ينهض الى قاعة العرش ويدخلها من بابٍ بينها وبين حجرة الاستراحة وينتصب واقفاً امام العرش ووجهه الى جهة البحر ولفيف الحرس السلطاني الخاص ورجال الموسيقى يكررون تهاليل الدعآء الملوكي ثلاث مرات « بادشاهم

جوق يشا » . ثم تصدح الموسيقى السلطانية بانغام مطربة تنتشر في قبة القاعة وتنزل على الحاضرين بارض القاعة كانغامٍ نازلة من السماء تسحر الالباب وتهتز لها طرباً الياف القلوب ما دامت ذرات الهواء مهتزة بها في قلب الاثير . وقد سمعت انغاماً موسيقية كثيرة في اوروبا وامريكا ولم اسمع فيها انغاماً تشابه هذه في الطرب سوى في رومه وذلك في المعبد المشهور باسم « كابلا سستينا » في الفاتيكان يوم جمعة الالام ويوم عيد الفصح لما يصلي البابا صلاة العيد في كنيسة القديس بطرس رئيس الحواريين والموسيقى تعزف في رواقٍ من اروقة تلك القبة الشاهقة من داخل . وكان الطرب قد اخذ بمجامع قلبي الى درجة كنت اشعر بان صوت تسبيح الملائكة آتٍ من السماء ومنتشر في هواء القبة

ثم اصدر امير المؤمنين الى ابرهيم بك رئيس التشريف امرهُ الملوكي بالمبادرة الى المعايدة . وفي الحال اصطف رجال المابين الملوكي وراء العرش صفاً واحداً في مقدمتهم رئيس الحجاب (سرقرنا حاج علي بك) ورئيس الكتاب (تحسين بك) وثاني كاتب (عزت بك) مع لفيف الحجاب واغاوات الحرم السلطاني . ثم اقبل اولاً نقيب الاشراف وهو لابس جبة خضراء وطاطأ راسه ثلاثاً وسلم بسلام الخلافة ووقف تجاه العرش على بعد نحو عشر اذرع ثم بسط ذراعيه وتلا الفاتحة وفعل امير المؤمنين فعله وتبعه كل من كان في قاعة العرش من المسلمين . وفي ختام الفاتحة تقرب نقيب الاشراف الى العرش وقبل ذيل امير المؤمنين ثم رجع القهقرى ووجههُ نحو العرش وطاطأ راسه ثلاثاً وسلم بيده ثلاثاً

سلام الخلافة وانصرف

اما سلام الخلافة فهو ان ينحني الانسان الى الارض بنصف جسمه ويمد يده اليمنى الى ان تلمس الارض ثم يرفعها الى جبينه باحترام ويكرّر ذلك ثلاث مرات على فترات اشارةً الى ان « تراب اقدام الخليفة على الرأس والعين » . ورأيت في القوم من كرر ذلك السلام اكثر من ثلاث مرات ومشى القهقرى مسافةً طويلة ووجهه يحاذي وجه امير المؤمنين ولا يلفت اليه ظهره حتى يغيب عن منظر شوكته

ثم اقبل بعد نقيب الاشرف الصدر الاعظم الحالي وتبعه الصدر السابق ثم بقية الوزراء الملكية كل واحد منهم في صف رتبته وساروا نحو العرش من جهته اليمنى . وكان امير المؤمنين منتصباً على قدميه في الطرف الشمالي من العرش وكفاه المجللتان بالقفاز الابيض مستندتان الى قبضة سيف الخلافة ووجهه متجه نحو الوزراء المقبلين الى المعايدة . وكان فؤاد باشا واقفاً عن الطرف الايمن من العرش وعلى كفيه سير من الحرير الاحمر المقصب باسلاك الذهب عرضه نحو شبر وطوله نحو ذراع وفي طرفه شراريب من اسلاك القصب المفتول فذا اقبل الوزير وصار بينه و بين العرش مسافة نحو عشر خطوات سلم اول مرة بسلام الخلافة ثم مشى بضع خطوات وسلم ثانيةً بسلام الخلافة . ثم دنا من العرش وسلم ثالثةً بسلام الخلافة ولثم طرف السير المذكور الذي على راحتي فؤاد باشا ورجع القهقرى مسلماً بسلام الخلافة ثلاث مرات كما فعل سابقاً من دون ان يدنو من شخص الخليفة او يلمس ثوبه . ثم تنحى

الى الجهة اليمنى من العرش ووقف هناك على بعد نحو عشرين خطوة منه · ثم تبعه باقي الوزراء ورجال الدولة من اصحاب رتبة « بالا » واصحاب الرتبة الاولى وفعلوا فعله

ولما فرغ هولاء من المعايدة جلس امير المؤمنين على الطرف الايمن من العرش ووجه شوكته متجه نحو الشمال من العرش · ثم انتقل فوءاد باشا ايضاً من يمين العرش الى شماله والسير المذكور على راحتيه · فاقبل حينئذٍ وزراء الجهادية والضباط صفاً كل منهم في صف رتبته ومقامه وساروا الواحد بعد الاخر للمعايدة وسلموا بسلام الجندية على بعد خطوات ثلاث مرات من دون ان يحنوا ظهورهم عند السلام كما فعل الوزراء · ولثموا طرف السير الذي في يد فوءاد باشا ثم رجعوا القهقرى وسلموا بسلام الجندية وتنحوا الى جهة الشمال من العرش ووقفوا هناك صفاً تجاه صف الوزراء ورجال الدولة

فلما فرغ من المعايدة صف اصحاب رتبة « الفريق » وابتدأ بالمعايدة اصحاب رتبة اللواء وكانت الساعة الثالثة الا ربعاً من شروق الشمس سمع صوت رجةٍ خفيفة حصلت من اضطراب واصطكاكٍ وقعا في قطع بلور الثريا الكبيرة المعلقة في وسط القبة من قاعة العرش وكنت وقتئذٍ على بعد نحو عشرين خطوة من امير المؤمنين · و بينا انا ابصر بالثريا متفقداً احوالها اذا بصوت الرجة قد اشتدَّ وما زال يزداد تدريجاً حتى صار اهتزازاً عنيفاً تناثرت من عزمه قطع بلور الثريا وسقطت على فرش القاعة وتكسرت ارباً اربا · فعندما رأى الناس ذلك الحال شملهم الخوف

ولكن كانت الموسيقى السلطانية تصدح باعذب الانغام واطربها كل ذلك الوقت. وكما كانت قلوب بعض الناس تهتز بانغامها طرباً كانت اقدام بعضهم مع قلوبهم تهتز بالزلزال رعباً . غير ان امير المؤمنين السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني كان جالساً على عرش الخلافة بجنان ثابت ومتأهباً لقبول المعايدة غير مبالٍ بالاهتزاز والزلزال . ولكن لما دام اشتداد الاهتزاز مدةً وخشي الناس من خطر عواقبه وسقوط سقف القبة حاولوا الخروج من قاعة العرش الى القاعات المجاورة ولبث بعضهم فيها يدعون الى الله بصوت جهير ويطلبون النجاة . ولما رأى امير المؤمنين خروج الناس مع قواد الجيش من القاعة وانقطاع المعايدة نهض عن العرش بوقارٍ عظيم وهدوء تام ومشى الهوينى بعض خطوات نحو قاعة الاستراحة التي كانت في اهتزازٍ وارتقاص مثل قاعة العرش . اما انا فلبثت في قاعة العرش مع فرقة قليلة من الناس . وقلت لنفسي : الى اين الفرار من هذه القاعة السلطانية قاعة العرش والاجلال التي لا مثيل لها بين قاعات ملوك الدنيا كلها : فاذا كانت الزلزلة تهدم هذه القاعة (لا سمح الله) فتهدم معها القصر بتمامه . واذا فررت من القاعة ربما ادركني الموت تحت رواقٍ من اروقة القصر او دهاليزه الطويلة ومخادعه الكثيرة قبلما اتمكن من الخروج الى الفضاء . فان كان الاجل قد عجل فالموت في قاعة العرش الفسيحة وتحت قبتها العظيمة لامرٍ جلل لا يحصل كل يوم لاي من كان ولا استطيع ان اختار لهُ مكاناً احسن من هذا المحل . ولا سيما انني القائل الابيات الآتية من قصيدة الفخر

وغيريَ يخشى الموتَ فوقَ سريرهِ
وانيَ لا اخشى الحمامَ بوقعةِ
اذا دُكتِ الافلاك والكونُ قدهوى
تراني ثبتاً ساخراً دون لفتةِ
فان قدَّ قلب الخلق من رطب طينةٍ
فقد قدَّ قلبي من صلابةِ صخرةِ

اما اذا كان اجلي ما حلَّ بعدُ فان الله تعالى ينقذني حتى من تحت الانقاض كما انقذني سنة ١٨٥٦ للميلاد حينما خسفت بي الحجرة في حضرة البابا بيوس التاسع مع كثيرين من الكرادلة والاساقفة وسفراء الدول في كنيسة الولية انيسة برومة حيث لبثتُ مدفوناً تحت الانقاض مدة من الزمان

وبينما اردد هذه الافكار في عقلي شعرت بان الهزّة قد خفت وايقنت بزوال الاخطار فأسفتُ على حرماني من موت مجيد اثيل · وسررتُ بعودة امير المؤمنين الجليل · متجالاً بالهيبة والوقار · بوجه يتلالأ بالانوار · وتكحلت بانيس طلعته الابصار · وقرّت بها الانظار

فلما عاد النظام وجلس امير المؤمنين على العرش بكمال الاحترام عاد صف اللوآء الى اكمال المعايدة · ولما فرغ قواد الجيش كلهم وخرجوا من القاعة تبعهم في المعايدة رجال الملكية من اصحاب الرتبة الاولى من الصنف الاول وسلموا بسلام الخلافة وفعلوا ما فعل غيرهم قبلهم ولثموا طرف السير ورجعوا القهقرى ولحقوا برجال العسكرية والموسيقي السلطانية

تصدح بانغام مطربة · ولما فرغ هوءلاء ايضاً من المايدة نهض مولانا امير المؤمنين عن العرش وكررت الجيوش تهاليل الدعاء السلطاني ثلاث مرات علي انغام الموسيقى «الحميدية» وسار الى قاعة الاستراحة · ولبثت انا في قاعة العرش مع رجال المابين الملوكي ننتظر رجوع شوكته ثانيةً الى قاعة العرش· وخرج منها الوزراء واصحاب رتبة « البالا » واصحاب الرتبة الاولى من الصنف الاول (١)

وبعدما استراح امير المؤمنين نحو ربع ساعة عاد بالعز والاجلال الى قاعة العرش بين تهاليل الدعآء والانغام الموسيقية ولبث واقفاً امام العرش وامر بدخول الصدور العظام والمشايخ لاجل المعايدة

فدخل اولاً اخو شريف مكة المكرمة وعلى شماله شيخ الاسلام ووقفا في وسط القاعة تحت الثريا تجاه امير المومنين وبسطا ايديهما وقرأا الفاتحة بصوت منخفض وقرأ معهما امير المومنين وتبعهم في ذلك جميع الموحدين الحاضرين ثم صلوا وسلموا

ولما فرغوا من الدعآء تقدم اخو شريف مكة وشيخ الاسلام نحو العرش وسلما ثلاث مرات بسلام الخلافة كالعادة ثم ارتقى الواحد بعد الآخر على قدمي امير المومنين يريد تقبيلها فامسكه شوكته بيده

(١) يبلغ عدد الوزراء من الملكية والعسكرية نحو مائة ·وعدد رجال «البالا» نحو ٢٢٠ وعدد اصحاب الرتبة الاولى نحو ٣٨٠ وعدد الصدور العظام من رتبة «روم ايلى باياسى» نحو ١٧ ومن رتبة «انا طولى باياسى» نحو ١٠ - ومن رتبة «استانبول باياسى» نحو ٢٧ - وعدد المشايخ من اصحاب رتبة «الحرمين الشريفين» نحو ٦٦

تلطفاً فنهض ولثم يده ثم ذيله ورجع القهقرى مسلماً بسلام الخلافة ثلاث مرات . ثم تبعهما باقي الصدور كل في صفه حسب رتبته وفعلوا ما فعل شيخ الاسلام من الانحناء والسلام وقبل امير المؤمنين معايدتهم وهو منتصب على قدميه . ولما فرغ الصدور من المعايدة جلس شوكته على العرش واقتبل معايدة باقي المشايخ حسب العادة

وبعدما خرجت الصدور والمشايخ من قاعة العرش امر امير المؤمنين رجال المابين الملوكي بايفاء مراسم المعايدة وانتصب فؤاد باشا عن يمين العرش وعلى راحتيه سير الملك وصدحت الموسيقى السلطانية بالانغام المطربة وقدم قبل الكل صاحب الدولة والعناية حرم اغاسي ثم تبعه باقي الاغاوات ورئيس الحجاب والكاتب الاول والثاني ثم المترجمون وفعلنا جميعنا ما فعله قبلنا الوزراء ورجال الدولة وسلمنا بسلام الخلافة ثلاث مرات وقبلنا سجف السير ثم رجعنا القهقرى ونحن نسلم بسلام الخلافة بين خطوة وخطوة وامير المؤمنين جالس على العرش ينظر الى معايدتنا بعين الرضى والقبول . وهكذا ختمت المعايدة بسلام . ثم نهض امير المؤمنين عن العرش بهيبة ووقار وعز واجلال بين تكرار التهاليل بدعاء « بادشاهم جوق يشا » والموسيقى السلطانية تصدح بانغام مطربة وعاد الى قصر « اليلدز » بالعز والاجلال محفوفاً بكتائب الجنود المظفرة والخدم ينثرون الدنانير في الطريق على الفقراء الذين كانوا يدعون لشوكته بطول العمر والاقبال . وفي اثناء ذلك عرض القريض على البال فانشدت في ارتجال

﴿ النظم ﴾

انعم صباحاً « يا حميدُ » وبكرِ — واقبض على السكينِ كبرِ وانحرِ
قد حلّ عيدٌ والضحيةُ تفتدي — نفس الفتى من كل ضيرٍ مخطرِ
رفع الملائكُ ما ذبحتَ الى السما — وتقبل الرحمانُ نذركَ فابشرِ
لا تخشَ بأساً ان شعرتَ بهزةٍ — وارتجَّ ركنُ العرش لا تتحذّرِ
رَجفتْ عمادُ العرش حين تزلزلت — ارضٌ ومادت كالقنا المتخطرِ
ومن الثريا قد تناثر عقدُها — في قاعةِ العرش الجليلِ الانورِ
وتناثرت منها النجومُ على الثرى — في منتدى « عبد الحميد » الاكبرِ
لما اعترتْ قوادَ جيشكَ رعبةٌ — وتوهموا قربَ الحمامِ الاحمرِ
فرّوا الى الدهليزِ خوفَ ملمةٍ — فبقيت وحدكَ في السريرِ كعنترِ
اظهرتَ هذا اليومَ عزماً للورى — بالفعلِ اذ كذّبتَ قولَ المفتري

ولما كانت الزلازل من اعظم المصائب التي نكبت بها الكرة الارضية مع سكانها رأيت ان اذكر في هذا الباب شيئاً من احوالها واسبابها تتمةً للفائدة فاقول

اولاً — تحدث الزلازل في الليل اكثر من النهار · وقد احصى المدققون نحو خمسمائة زلزلة وزلزلتين حدث وقوعها في بلاد اسفيزرة فوجدوا عدد الزلازل التي حدثت في الليل ثلثمائة وعشرين زلزلة· وهذه كلها حدثت بين الساعة السادسة بعد الظهر و بين الساعة السادسة قبل

الظهر · ووجدوا ايضاً ان الزلازل التي تحدث قبل نصف الليل تكون دائماً اشد من الزلازل التي تقع بعد نصف الليل · وقد عينوا لذلك اسباباً طبيعية

ثانياً ــ تحدث الزلازل في الاراضي الجبلية الحديثة التكوّن بالتأثيرات البركانية اكثر من حدوثها في السهول

ثالثاً ــ تحدث الزلازل في فصل الشتآء اكثر من فصل الصيف والتي تحدث في شهري كانون الاول وكانون الثاني تكون اكثر شدةً من غيرها · وسبب ذلك كثرة سقوط الامطار التي تسوق المياه الى شقوق الارض · فان هذه المياه متى تطرقت الى قلب الارض ووصلت الى الصخور المسخنة بحرارة المواد النفطية المشتعلة تحدث في الصخور انفجاراً وتفلقاً · والانفجار يحدث هزّةً في قشرة الارض

رابعاً ــ ان الهزّة التي تحدث في قشرة الارض تنتشر في خلالها بسرعة غريبة · فقد لاحظ العلمآء ان الهزّة التي حصلت من زلزلةٍ ببلاد اليابان انتشرت بسرعة ٩٨٠٠ قدم في الثانية · وقال الجنرال «ابوت» انهُ حسب سرعة انتشار الهزة التي حصلت من الزلزلة العظيمة التي مزّقت بامركا الشمالية صخوراً عظيمةً يقال لها «فلود روك» *(Flood Rock)* فوجدها انتشرت بسرعة ٢٠٥٢٦ قدماً في الثانية · وتختلف سرعة هذا الانتشار حسب اختلاف طبيعة قشرة الارض وتكوينها · فان الهزة تنتشر في الاراضي الرملة الرطبة باقل سرعة من انتشارها في الاراضي الصخرية · وقد دقق في ذلك المعلم «ميلن» *(Milne)* وقال انهُ وجد

الهزَّة تنتشر في الاراضي الرملية الرطبة بسرعة ٨٢٥ قدماً في الثانية حال كونها تنتشر في الاراضي الصخرية بسرعة نحو ١٦٦٥ قدماً في الثانية · وبناءً على ذلك اذا تيسر للانسان ان يسبق ويعرف وقوع الزلزلة قبل حدوثها وان يركب اسرع قطار على السكة الحديدية لينجو من اخطارها لما تمكن من الهرب من وجهها لان سرعة انتشار هزة الزلزلة هي اكثر من سرعة سير القطار بنحو ٣١٦ مرة

خامساً — ان الزلازل التي كانت عواقبها وخيمةً على الارض وعلى سكانها لكثيرة · منها زلزلة حدثت في مدينة لزبون سنة ١٧٥٥ للميلاد · فهذه الزلزلة دفنت تحت انقاض تلك المدينة نحو عشرة الاف من النفوس · والذين بقوا احياء بعد الهزة الاولى التجأوا الى رصيف الميناء لينجوا من خطر الانقاض · فباغتتهم الهزة الثانية ورفعت مياه البحر الى علو ٥٠ قدماً ثم جرفت الى اعماق البحر كل الرصيف وكل من كان عليهِ ثم انشقت الارض تحت البحر وابتلعت كل السفن التي كانت في الميناء ثم طبقت عليها ولم يظهر منها فيما بعد اثرٌ على وجه الماء

اما اسباب الزلازل فكثيرة منها معروف عند المدققين ومنها مجهول الى عصرنا هذا · فجلّ الاسباب المعروفة لدينا هي كما يأتي

اولاً — تأثير جاذبية القمر في قشرة الارض

ثانياً — تأثير المد والجزر في البحار

ثالثاً — ضغط الهواء على قشرة الارض وسطح البحار

رابعاً — الانفجار الذي يحدث في الجبال البركانية

خامساً ـ الانفجار الذي يحدث احياناً في معامل البارود

سادساً ـ الانفجار الذي يحصل في قلب طبقات الارض من جراء تطرق المياه الى الصخور المسخنة باشتعال المواد النفطيه · فمتى لامس الماء هذه الصخور الشديدة الحرارة تفرقعت من ساعتها واحدثت اهتزازاً عنيفاً في قشرة الارض

سابعاً ـ تموّج المادة النارية المائعة التي في مركز الارض · فهذه الكتلة من المادة المائعة اذا لامست جدران قشرة الارض من داخل فعلت بها فعل امواج البحر بصخور السواحل اي انها تجرف من جدران قشرة الارض بعض الصخور العظيمة بقوة تفوق ادراك البشر · ومتى سقطت تلك الصخور في بحر تلك المادة النارية المائعة فرغ مكانها فيتدحرج اليهِ ما جاوره من الصخور و يشغله · وعلى هذا الاسلوب صخر يعقب صخراً في التدحرج فيحصل من جراء ذلك ارتجاج وهزة هائلة في قشرة الارض ثم ينتشر الى سطحها· وقد يكون مركز الهزة على عمق ثلاثين ميلاً من سطح الارض وربما كان اقل من ذلك الى نحو ميل ونصف ميل وهلمَّ جرا

ثامناً ـ ان السبب الاكبر لحدوث الزلازل في الكرة الارضية وفي جميع الشموس والنجوم والكواكب هو الله جلَّ جلاله الذي وضع للمادة على الاطلاق نواميس ثابتة لا تتغير تستسنُّ بها · ثم ساسها بحكمته الازلية وسخرها متى شاء لاجراء مقاصده الالهية في خلائقه · فهو حكيم على كل شيء قدير

كتاب

الى صاحب السمو والاقبال رب المكارم والافضال الامير الخطير والخديوي الكبير صاحب الرأي والتدبير سيد الاراضي والبلدان مالك مصر والسودان ملاذ الادباء حامي الشعراء رب الدولة المعظم

عباس حلمي

باشا المفخم اعزهُ الرحمان ورفع شأنه في كل مكان ما تلالأ الفرقدان وتعاقب الملوان

سلامٌ طيبٌ على طيب الوصف والذكر سلامٌ ارقُّ من نسيم الصبا في مطلع الفجر سلامٌ شريفٌ على مؤيد العلم الشريف بالنظم والنثر سلامٌ شذاهُ اذكى من المسك الاذفر والعطر سلامٌ لطيف على صاحب السيف والقلم من كان فضلهُ اشهر من نارٍ على علم ادام الله ايامه بالسعادة وجدد عليهِ حالل المجد والسيادة ولا اخلى عينه من قرّة ولا حرم نفسه من مسرة

اما بعدُ فان بطاقتي الى سموكم عذراء خريدةٌ ودرة فريدة زفت اليك يومَ استنشقتْ طيب ذكرك الاذكى من الند وعشقت بالاذن لا بالعين محاسنك عن بعد وقد قال في المعنى بشار واجاد في ما اليهِ اشار

يا ناس اذني لبعضِ الحي عاشقةٌ والاذن تعشقُ قبلَ العين احيانا

فلو نهضتْ بي القدمان واسعدني الزمان لقدمتُ الى الباب العالي واسرعت اليهِ اسراع محبٍ الى حبيبهِ الغالي لأَفيكَ مـا لكَ عليَّ من حقوق الشكران واتلو آيات الثناء باللسان لكن لما قصرت خطوة العبد وحُرمَ حظوة القصد ولزمه مع وضوح العذر ان يُفصح عن وجوب الشكر خدمَ بما ينبي عن فكره المريض من نظم قوافي هذا القريض

فتفضل غير مأمور بقبول ما حوته ألوكتي وانظر بعين الاستحسان الى نسيج بردتي فمثلكَ ممدوحٌ ومثليَ مادح ومثلك روضٌ ومثليَ فيهِ صادح

هذا وختام الخطابِ في هذا الكتاب رفع الدعاء بطول بقائك وغاية الفوز بلقائك



الاخلاص

رفعت هذه القصيدة الى اعتاب حضرة صاحب الدولة والفخامة
عباس حلمي باشا خديوي مصر
المعظم

بكَ القطرُ معتزٌّ أيا واحد العصرِ ومُلكك مهتزٌّ من المجدِ والفخرِ
بكَ الزُّورُ مُرتجٌّ وشعبكَ مُرتجٍ يبيتُ على الآمالِ في معرض الصبرِ
أُسابقُ من يثني عليكَ بشعرهِ فيعبطُ في مضمار مدحٍ دماً فكري
يقولونَ لي قرّظْ اميرًا مبجلاً فقلتُ قريضُ المدح بحرٌ بلا حصرِ
فان قلتُ شمساً فالشموس معيبةٌ بليلٍ وانْ بحرًا فلم ينجُ من جزرِ
لقد حارَ حال العقل فيكَ معددًا فلا عجبٌ ان حارَ من غارَ في البحرِ
نقول المعالي انتَ نقطة مركزي ودائرةُ الامجادِ فيكَ استوى قطري
وقطرُ ندى الاحسان غيث مكارم يفيض على الظمآنِ نهرًا من القطرِ
لقد حزتَ ملءَ الفخر مذ جزت بحرهُ اليكَ نسبتُ الفخرَ يا صاحب الفخرِ
لديكَ من الاوصاف ما لا تحدهُ براعة ارباب البراعــة والنثرِ
ذخرت من الافضال كنزًا مخلدًا مكافاتها تلقاكَ في النشرِ والحشرِ

فلا زلت للاوطان انسان عينها كما جئتَ في علياكَ انسانَ ذا العصرِ
بمدحك تسجيعي ونظمي مرادفٌ لجارٍ بجودٍ مدحَ خلٍّ بلا عذرِ
وان كان شخصي اليومَ عندكَ نكرةً فلا بدَّ من ذكرى يمرّ على الفكرِ
غريبُ بلادٍ في اراضٍ بعيدةٍ قريبُ ودادٍ عند خلٍّ بلا غدرِ
يقولون ان الاذن تعشقُ تارةً فقد عشقت اذني وعقلي لم يدرِ
يقولون وادي النيل ارض سعيدةٌ وفيها اميرٌ ذو اياد بلا حصرِ
لقد صدق الراوونَ فيما تحدَّثوا ويشهدُ نيلٌ حدّه الجودُ كالغمرِ
على عرش مصرٍ قام عباس ناهضاً بمجدٍ بلا حدٍّ كبحرٍ بلا جزرِ
وشيدَ اركانَ الديانةِ والتقى وهدَّمَ ابراج الضلالةِ والكفرِ
وقال لليل الجهلِ ولِّ ولا تعدْ لقد لاحَ نور العلمِ في مصر كالفجرِ
وازهر وادي النيلِ والنيلُ مبشرٌ بوالٍ تولى القطرَ بالعدلِ والامرِ
وجاد عليه بالمكارم والندى ووشى رباهُ بالرياحين والزهرِ
زهورُ ربيع الجود طرَّزها الندى بابيض فعل المجد والفتح والنصرِ
وشادَ بروج الامنِ فوق حصونه وصان بنيه من عدوٍ ومن ضرّ
ولولا هلالُ العدلِ هلَّ بافقهِ لما سَلمتْ تلك الاراضي من الذعرِ
فيا سعدَ وادي النيلِ قدتمَّ حظهُ بوالٍ رقى طود الفضائل كالخضرِ
ارى الجدَّ في الاقبالِ والعمَّ شاكراً ايادي اميرٍ جوده جلَّ عن بحرِ
لقد فاح روْحُ الفضل منهُ تضوُّعاً بروضٍ ذكيّ الندّ والرندِ بالنشرِ
اميرٌ حوى من كل فضلٍ نفسهُ وضاهى جدوداً بالبسالةِ والقدرِ
عرائسُ افكارٍ نفائسُ حكمةٍ تجلتْ بانوارٍ على دارةِ البدرِ

هشاشةُ اخلاقٍ بشاشة طلعةٍ شهامة نفسٍ حالة العسر واليسرِ
لامدحها ما دمتُ حياً وان أَمتْ فتتلو عظامي مدحها في ثرى القبرِ

تهنئة

رفعت القصيدة الآتية الى صاحب الدولة نصري افرنقو
باشا الحلبي يوم صار واليًا على جبل لبنان وذلك
في بيروت سنة ١٨٦٩ ميلادية

الشرق يبسمُ والجبالُ تُبشرُ والخلق في ثوب السرورِ تكبرُ
لاحت علامات الحبور على الربى لما أَتى لبنانَ منك مُبشرُ
خفقت على قللِ الجبال بيارقٌ وبثغر بيروت المسرةُ تكثرُ
اهلاً وسهلاً بالوزير المجتبى راياتهُ فوق الروابي تُنشرُ
ولقد حباكَ الحكمَ من حكمَ الورى لبنانُ دانَ لشوكةٍ لا تكسرُ
فاقبض زمام الحكم واحكم في الملا فالعدل في صحف الصدور مسطرُ
ته وافتخر بالامنِ واحمِ ذمارهُ في ظل رايتكَ السلامُ مقرَّرُ
فشمائلٌ قد زُينت بمحاسنٍ وفضائلٌ تثنى عليكَ وتنشرُ

ومواهبٌ مثل البحور زواخرٌ ومناقبٌ اعدادها لا تحصرُ
ان تغرسِ المعروفَ تجنِ ثماره ويدوم بين الناسِ فضلك يُشكرُ
لم يقضِ هذا النظمُ حق مناقبٍ قد قمتَ فيها فرد فضلٍ يُذكرُ
قد انطقت اوصافك الحسنى فمي ولئن بها قصرتُ حلمك يعذرُ

تبريك

رفعت الابيات الآتية الى صاحب الدولة افرنقو باشا تبريكاً
لهُ بالنشان المجيدي من الرتبة الاولى
وذلك في « بيت الدين » عام ١٨٦٩ م

أبدرٌ « ببيت الدين » في ليلةِ القدرِ ام اعتاض وسمُ الملك فيك عن البدرِ
وسامٌ اتاكم من مليكٍ اقامكم اميراً على لبنانَ بالحكم والامرِ
ونادى بانغام السرورِ مهللاً عليكم بني الاوطانِ مُدَّ لوا النصرِ
بعثتُ بني لبنان نصري اليكمو وكيلاً فكونوا طائعين لما يجري
نشاني عليه وسم شأني وسلطتي وَسمتُ بهِ عبدي النزيه عن الغدرِ
تنعم بما اولاك مولاك انهُ وسامٌ كبدرٍ قد تلألأ في الصدرِ
تبارك يومٌ قد اتيتكَ واصفاً وساماً مجيدياً بصدرك يا نصري

الخطبة الرمضانية

ارسلتها من «لندن» مشفوعةً بنظمٍ الى صاحب السيادة
والسعادة السيد برغش بن سعيد حاكم زنجبار تبريكاً
لهُ بصوم رمضان وعيد الفطر
وذلك سنة ١٨٨٢ للميلاد

اما بعدُ فقد احلكَ الله ايها الامير الهمام والسيد القمقام محلاً رفيعاً شامخاً واعطاكَ ملكاً سعيداً راسخاً وحذَّر عليك الافات ووقاك شر العاهات وجعل ايامك الغراء بالاقبال مشمولة واصوامك بالثواب مقبولة واعاد عليك رمضان بعد رمضان وافرغ عليك حلل الحبور في كل عيدٍ ما تعاقب الملوان واسبغ على آلك الكرام سوابغ الاحسان وخصَّ بلادك السعيدة بالخصب والامان

النظم

تباركَ عيدٌ قد بدا في المشارقِ ... على ابن سعيدٍ من خيار الخلائقِ
اميرٌ نجيبٌ من سلالة سيدٍ ... هدى قومَ اعرابٍ لخير الطرائقِ
اميرٌ تولى زنجبار بعدلهِ ... وصانَ حماها من جميع الطوارقِ
وسهل درباً اعثرت كل طارقٍ ... ونظمَ في البلدان كلَّ المفارقِ

اميرٌ يقود الجيش تحتَ عجاجةٍ　　وجندًا عليهِ هان فتح المغالقِ
تولى بلادًا رقَّ منها نسيمها　　وطابت تمورٌ من نخيلٍ بواسقِ
لها سيدٌ ما قاد في الحرب مثله　　جيوشًا اتاها النصر تحت السرادقِ
اميرٌ اذا اشتد الوغى سلَّ سيفهُ　　وكسر في الهيجآء كل البوارقِ
حسامٌ خبا الرحمان للعرب نصلهُ　　جلاه اميرٌ في الخيول السوابقِ
سقى الله ارضًا انتَ خير امامها　　وعرشك اعلى من جبالٍ شواهقِ

الرُؤيا

مدحت بهذه القصيدة السيد برغش سلطان زنجبار في صورة حلمٍ وذلك « بلندن » لخمسٍ خلون من كانون الثاني لسنة ١٨٨٦

(القصة)

اما الباعث على هذا الخطاب وسرد الحديث في هذا الباب فهو اني بتُّ ذات ليلةٍ وقد خيم فيها سواد العثان والضباب وتنضدَ الثلج على الروابي والهضاب فلزمتُ فيها من شدة البردِ الوحدةَ في الدار ولذتُ بالكانون كعابد النار فأرختِ الحرارة اعصابي وذبلتْ اجفاني

واهدابي وغلب عليَّ النعاس فحلمت كأني قد غبت عن الحواس وامتثلتُ بين يدي مولاي برغش سيد الناس فنظمت فيه رؤياي بحضرة الجلاس

﴿ النظم ﴾

رأيتكَ والاجفانُ غمضى براحةٍ حلمتُ وحلمي صادقٌ دون خيبةٍ
حلمتُ باني قد رأيتكَ جالساً محاطًا بنورٍ ساطعٍ فوقَ سدّةٍ
رأيتُ جبالاً من حجارٍ كريمةٍ تقطعُ منها ثمَّ تعطي بكثرةٍ
رأيتُ حواليكَ الجواهر جمةً وفيها من الياقوت اكبرُ قطعةٍ
تنضدُ منها للنحورِ قلائداً تزين اعناق العذارى الجميلةِ
حلمتُ باني قد سريتُ بلحظةٍ وصرتُ لديكم في نعيمٍ وغبطةٍ
حلمتُ بان الغيث ابطأ وفدهُ وعمَّ الديارَ الجدبُ في كل بقعةٍ
رأيتكَ في شبهِ الغمامة مقبلاً تصبُّ على الارضِ السيول برحمةٍ
رأيت بحورًا من يديك تدفقت وسالت على كل الوهادِ الوسيعةِ
حلمتُ باني اذ لمستُ بحشمةٍ يديك بكفي صرتُ اسخى البريةِ
حلمتُ بان القحط فاشٍ بقطرنا ويوسف هذا العصر آتٍ بيسرةٍ
حلمتُ بان البعث حان اوانه ونودي بمن فاق الانامَ بمنحةٍ
رأيتك تسعى قبل طيٍّ وبرمكٍ الى عرش رب الكائناتِ بحفلةٍ
ولما بدا منك امتثالٌ لامرهِ اثابك خيرًا في بحابح جنةٍ
لانتَ اعمُّ العربِ جودًا ومنحةً فقلت وقولي صادقٌ دون ريبةٍ

التعزية
ثم التهنئة

هذه صورة الكتاب الذي انفذته من مدينة « لندن » الى حضرة السيد خليفة امير زنجبار المعظم تعزيةً له بفقد شقيقه المرحوم السيد برغش رحمه الله رحمةً واسعة . وتهنئةً له بجلوسه على تخت مملكة زنجبار وذلك سنة ١٨٨٨ ميلادية

ارفع هذا الكتاب الى معالي الاعتاب واخص به المولى المعظم والسيد المفخم صاحب مملكة زنجبار المجيد وامامها الفريد

السيد خليفة بن سعيد

خلد الله ملكه وابقاه وجعل الجنة بعد عمر طويل مثواه

اما بعد فقد انقضت على ديار زنجبار ذات الخيرات واليسار صاعقةٌ دهياء في ليلةٍ ليلاء وساقت على سلكِ البرقِ خبرين ذوي وجهين هذا ساء وهذا سرّ هذا قرّح الجفون وهذا اقرّ

اما الاول فبما قضاه الله تعالى وقدّره من وفاة مولانا المجيد وامامنا الصنديد السيد برغش ابن السيد سعيد الشهيد سقى الله بغيث الرضوان عهدهما وترابهما وجعل فسيح الجنان مقرهما ولاجرم ان من رجع

حزمه واشتدَّ عزمه لم يحزن على من بدل الدنيا بالاخرة واعتاض عن الغبطة الفانية بالسعادة الباقية · فكم فارق الناس الاحبة قبله وسوف يفارق الاباء الابناء بعده · ومنذ اعيا دواء الموت كل طبيب نعق غراب البين في نادي البعيد والقريب · وقد قلت ارثيه رحمة الله عليه

مضى من قضى خيرَ الحياةِ سبيلهُ عليهِ من الاماقِ ينسكب الدمُ
وخلف للاهلينَ بعد انصرافهِ نموذج فضلٍ نقتفيه فننعمُ
اقام اساس الملكِ فوق دعائمٍ رصينة ركنٍ لا تُدكُّ وتهدمُ
انار بنبراس المعارف قومهُ وارغم انفَ الجهلِ والجهلُ يرغمُ
وابطلَ سوقًا للرقيقِ بملكهِ وقال ارتعوا في الامنِ يا قومُ واغنموا
اعدَّ لهُ المولى بجنةِ خلدهِ سريرًا عليهِ يستوي ثم يُنعمُ

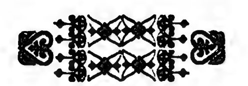
هذا ما كان من الخبر الاول

واما الثاني فبما حباك الله من الجلوس على تخت الامارة المأنوس وخولك ملكًا جليلاً وقلدك سيفًا صقيلاً وتوّج هامتك بعمامة المجد والافتخار وعقد على ملكك كلمة الاجماع والاقرار ولا ريبَ في ان البؤس يخلفه السعد السريع كما يخلف كروب الشتاء صفاء الربيع فلقد سُرَّتْ بالجلوس المأنوس السرائر وضَربتْ زنجبار طبول البشائر واخذت الارض زخرفها من كل زاهٍ وزاهر وسجعت الخطباء باسمك الشريف حتى اورقت بذكره طربًا اعواد المنابر وبدت من طلعتك المنيرة على وجوه الدنانير والدراهم سمةُ البشائر وانتشرت في ارجاء

البلاد حتى مُلئتْ بها ايدي العباد وتسابقت الالسن بحمد العليّ المنان على جعل هذا البيت الراسخ البنيان سماء زينها بالدراري الغراء كلما غاب عنها كوكب أُوت اليها كواكب زهرآء فلقد استويت على تخت ملكٍ انشأته دولة أُزديَّة وساسه رجالٌ من اهل الحزم بشوكةٍ قويـة وورثت الحزم منهم واخذت العزم عنهم حتى حق لك ان تقول

قبضتُ قضيب الملك ارثًا وبيعـةً
اسوسُ بهِ قومي وارشدُ امتي
جعلت رفيقي الرفقَ والعدل سنتي
تطأ من اهلُ الارضِ طرًّا لشوكتي

فتفضل عليّ ايها الامير صاحب الاصالة والتدبير بقبول مـا اودعته من التهاني بطونَ رقعتي وما نسجتهُ من مدحك في بردتي وشرفني بخدمتك العالية كما شرفني اخوك السيد برغش مدة السنين الخالية وطوّق عنقي بطوق الامتنان ما توالى الفرقدان



الطواف

نظمت هذه القصيدة مدحاً في منيف باشا حينما كان ناظر
المعارف الجليلة وانا يومئذٍ بدار السعادة . ووسمت
القصيدة « بالطواف حول كعبة العلم المنيف »
وذلك سنة ١٨٩١ ميلادية

الى « كعبةِ » العلمِ المنيفِ وركنهِ أتى يستضي من نور افكارهِ الفكرُ
وكبرَ لما عاين « البيتَ » بهجةً وطاف مقامَ العلمِ ينجده الذكرُ
ومن « زمزمٍ » ماءَ المعارف يستقي ويشفي الذي بالجهلِ قد مسهُ الضرُّ
ويستلمُ « الركنَ » الذي قامَ فوقه اساسُ فنونٍ لا يقومُ لها حصرُ
ويرمل في الاشواطِ عدواً ثلاثةً ويلثم « صخر » العلم من شوقهِ الثغرُ
ويرقى « صفا » بيت المعارف جهده وينحطُّ منه نحو « مروة » مفترُ
ويرمي جمارَ الجهلِ في « عرفاتهِ » فيكملُ في وادي « منى » الحجُّ والنحرُ
فانتَ « منى » حجي وقصدي وحاجتي يجود لديكَ المدح والنظمُ والنثرُ
ثواب طوافٍ عندَ صاحبِ « كعبةٍ » ونيلُ علومٍ من لدنكَ هو الاجرُ
لديكَ من العلم المنيفِ مناهلٌ رويت بها عقلي فضاء بها الفكرُ
غدَتْ كل اعضائي بمدحكَ ألسناً تعدّدُ اوصافاً اذا اشرقَ الفجرُ
فيغبطُ نطقي مسمعي عند لفظهِ وفي كل اوقاتي يردده الذكرُ

شير خورشيد

نظمت هذه القصيدة وارسلتها الى حضرة صاحب السعادة خليل افندي الخوري ناظم ديوان « العصر الجديد » تهنئةً له بوسام « شير خورشيد » وذلك حينما كنت في بيروت سنة ١٨٦٥ ميلادية

« الشمس والاسد »

عجباً لشمسٍ في السما تتغرَّبُ ... عن برجها في الارضِ برجاً تطلبُ
ومن الغرابة انها لما رأت ... صدر الخليلِ على المجرةِ يغلبُ
هجرت بروجاً في نطاق سمائها ... وَهوتْ اليهِ بالصبابـةِ تعربُ
فتبرَّجتْ في صدرهِ بشعاعها ... وبَدَت على أَسدٍ تتيهُ وتعجبُ
شمسُ القريضِ بنورها وشهابها ... عن صدر خلي لا تغيبُ وتغربُ
هو كوكبُ الشرق الذي بهر النهى ... بضياءِ علمٍ لا يزولُ ويحجبُ
اوصافهُ الغرّاءُ عند نديمهِ ... اصفى من الخمر السلافِ واعذبُ
نفقتْ لديهِ سوق كل فضيلةٍ ... والفضلُ بحر لا يجفُّ وينضبُ
وافى من الاقطار يطلب علمه ... ربُّ النهى وبعلمهِ يتهذَّبُ
ما جاءهُ ذو مشكل الاَّ غدا ... مستبشرًا من حلهِ يتعجبُ
سحر العقول بقولهِ وبديعهِ ... لما رقى متن المنابر يخطبُ

رقت معانيه وطاب قريضهُ وجناسه وبديعه يستعذبُ
نعماً لدرِ قصائدٍ منظومةٍ كالعقدِ «في العصر الجديدِ» ترتبُ

الوالدة

نظمت هذه القصيدة مدحاً في والدتي العزيزة وانا يومئذٍ بمدينة لندن وذلك في بدء عام ١٨٨٧ للميلاد

رعى اللهُ اماً افتديها بمهجتي تردَّتْ من الافضال اجملَ حلةِ
لقد زينتها من صباها فضائلٌ وفاقت نساءَ الارض طراً بعفةِ
حلاها ذكاءٌ والكمال جمالها ومنحةُ عقلٍ زينتها بحكمةِ
كساها مليكُ العرشِ ثوبَ طهارةٍ تميس بهِ بين النساءِ الزهية
فتاةٌ احبت والديها وآلها وصارت مثالاً صالحاً لخليفةِ
عروسٌ احبت زوجها حبَّ زوجةٍ فعلق قلباً في فتاةٍ امينةِ
وحلت لديهِ في مقامٍ مكرَّمٍ كريمة اصلٍ عن جدودٍ كريمةِ
ولما ابتلاها الدهرُ غدراً بفقدهِ وصرنا يتامى قاصرينَ بغربةِ

تولت غذانا والقيامَ بامرنـا ... وصحت نفيس العمر منهـا لفتيةٍ
وكم من ليالٍ قد قضتها تسهدًا ... تلازمُ مهدي في منامي ويقظتي
يُثقل نومٌ جفنَ امٍّ حنونةٍ ... فيظفر حبُّ الوالداتِ برقدةٍ
تهزُّ سريري اذ يهزُّ فوءادهـا ... سرورٌ بنومي واضطجاعي وغبطتي
تحسُّ باوجاعي وتمرض كلما ... دهتني من الامراض اسهل شدَّةٍ
يحنُّ على كل الانامِ فوءادها ... وتشفي ضناهم في حنانٍ ورحمةٍ
اتاها من الاقطار صاحبُ آفةٍ ... فداوت كلومَ الجسم منهُ بحكمةٍ
تحلُّ عقاقيرًا تركبُ باسمًا ... وتجبرُ كسرَ العظمِ جبرًا بصنعةٍ
شديدة تقوى والتعبد دأبهـا ... تصلي وتدعو كل يومٍ وليلةٍ
تصوم وتطوى ثم تسهرُ ليلهـا ... وتقفو من النساكِ خيرَ طريقةٍ
غذاها طفيفٌ والتقشف الفهـا ... وتزهد في لهوٍ وكل ملذةٍ
تداري فقيرًا ثم تطعم جائعـاً ... وتكسو عراة الناسِ احسن كسوةٍ
تسلي حزينًا او تعزّي ثواكلاً ... وتبذل نفسًا والنفيسَ بطيبةٍ
عسى ان يطيل الرب مدة عمرها ... ويجعل طول العمر مقرون صحةٍ
ويجعل عمري ان يكونَ علاوةً ... على عمر امٍّ من خيارِ الخليقةِ
أُزّين نظمي بامتداح صفاتها ... واكسو به المعنى وشاح الحقيقةِ
سلامٌ على الوجهِ الصبوح اذا بدا ... مُضيئًا كشمسٍ في اوانِ الظهيرةِ
سلامي على من كان قلبي رهينها ... وعقلي وفكري عندها كل لمحـةٍ
سلامي على امٍّ اراها بهجتي ... سلامي على امٍّ ولية نعمتي
فدامتْ ودامَ المدحُ فيها مكررًا ... وعطر ثناها فائحٌ في البريـةِ

نظمتُ قريضي في نظام قلادةٍ وطوّقتُ جيداً طوّقته بعفةِ
لعمري عقود الدرّ يُنثر نظمها وعقد قريضي دائمٌ طول حقبةِ
يدوم دوامَ الكونِ فيكِ مخلداً وذكركِ باقٍ في نسيج قصيدتي
خذيها من ابنٍ صاغها عقدجوهرٍ يزينُ نحور الوالداتِ الكريمةِ

نينو

« نينو » « نينو » وما ادراكَ مَنْ « نينو » ؟ « نينو » هو اليوم قمقام القوم وحبر الاحبار ومستودع الاسرار هو البابا ليون الثالث عشر المجتبى من بين ابناء البشر فان رمتَ ايها الخل الحميم والقارئ الحكيم استماع حديث هذا الحبر العظيم والشيخ الكريم الجالس على عرش الفاتيكان بالعز والمجد والشان من كان عرشه المحتف بالله ارفع من عرش كسرى انوشروان يشارُ اليه بالبنان اصغَ الى قولي بامعان فاسرده عليك بافصح بيان والله تعالى المستعان

القصة

روى القس « سلفاني » الذي كان « لنينو » في حداثته القرين

الثاني قال : أترى الآن هذا الحبر الهرم الطاعن في السن والقدم من اضحى جلداً على عظم وصار الى حالٍ من السقم تكاد نسمةٌ من الريح تنسفهُ الى العدم؟ فهو ذلك «نينو» الهمام والفتى المقدام الذي كان في عنفوان الشباب قناصاً جسوراً وصياداً في بأسه نخوراً لا يخشى وحوش الغاب بل يرتعد الوحش منه و يهاب واينما شمَّ اثرَ صيدٍ وثب وحيثما صادف قنصاً عنكب شباكاً ونصب وكان يجمع صبيةَ القرية ويتولى قيادتهم بسلطةٍ وامرة ويزحف بهم الى احرج المسالك واصعب المهالك وهو لهم في الاخطار مشارك وفي طليعتهم كقيصر في الجحافل و كسرى في المعارك واينما رأى صبية في غوغاء اغراهم بالهيجاء فكان في كل فتنةٍ مقداماً يرفع لكل ثورةٍ اعلاماً واذا دخل في جدال مع الاقران والامثال كان اكثر الصبية قساوة واشدّ من حمل فيهم هراوة وكان يتسلق ذرى الجبال و يثبُ من صخر عال الى كثيبٍ منهال وثوبُ الوعال في طلب النهال حتى كان يدهش الاقران باقتحامه غرائب الحدثان فاينَ «نينو» ذلك الزمان من «نينو» اليوم صاحب الفاتيكان اللابس الطيلسان والمتحلي بالارجوان والقابض على الصولجان سبحان من بحكمته يقدّر ويغير الخلقَ كما يشاء ويدبر

❋ الترجمة ❋

ولد «نينو» في قرية كربينيتو (Carpineto) وسُمي باسم «فنجنسو

فراري » (Vincenzo Ferreri) الشهير واستحلت امه اسم « نينو بصيغة التصغير وكان ابوه « لودوفيك بجي » (LodovicoPecci) امير كتيبةٍ من كتائب الجنود الايتالية وامه ابنة « كولادي ريانزي » (Cola di Rienzi) القاضي في المحاكم العالية فورث « نينو » من امه جودة العقل والحزم واخذ عن ابيه الجرأة والعزم وكانت امه وهو في المهد تفتخر به افتخاراً بلا حد ولما كانت تراقصه على الذراعين وتلثمه بين العينين كانت تغني لهُ بصوتٍ جهير انتَ هو « البابا الصغير » انت هو « الحبر الكبير » ومن النكت الغريبة في طفولية « نينو » العجيبة ان امرأةً من انيف المجنة تبيع اقراصاً من الجبنة اقبلت يوماً بمقتطف حقير الى دار « نينو » الصغير فهرول الطفل اليها لاعباً وللجبن الطري جاذباً فقالت لهُ المرأة بابتسام أتبتغي جبناً ياغلام فسمعت امه ذلك الكلام وبادرت الى المرأة باحتدام وقالت لها . ليس ابني بغلامٍ من غلمان الجبال فالتمست المرأة عذرًا في الحال وقالت لها : اقول اذًا يا كردينال فقاطعتها امه وقالت لها بصوت جهير كلا بل هو « البابا الصغير » فلما شبَّ « نينو » عن الطوق وادرك ما كان في قلب امه من الشوق الى احرازه مقام الباباوية والاستواء على السدة البطرسية زاده ذلك طمعاً في طلب المعالي وزهد بما كانت تطمحُ اليهِ انظاره في الجندية من التعالي وصار في طلب الفضائل والعلوم يُغالي ويحيي بالدروس الليالي ويسعى جهده في طلب الرئاسة حتى ادرك لقب القداسة .

وقد جمعتُ في بعض ابيات ما لهذا الحبر الكبير من حميد

الصفات تهنئةً لقداستهِ باكماله خمسين عاماً من رئاسته وهو يخدم الرب الصباأوت بدرجة الكهنوت وذلك ايامَ كنتُ بلندرة في بدء سنة ١٨٨٨ ميلادية

النظم

اروضُ جوادَ الفكر في حلبةِ الثنا ... عليكَ أيا من في الانام تفرَّدا
لقد كنتَ في سنِ الشباب بغابةٍ ... تصيد وحوشاً او طيوراً تعمدا
فقد صرتَ صياداً تصيد كبطرسٍ ... وقمتَ رئيساً في الكنيسةِ مرشدا
وكيلاً لسمعانَ بن يونا ونائباً ... اقامكَ عيسى في البرية اوحدا
فاكملتَ في الكهنوتِ خدمة مذبحٍ ... بخمسين عاماً كنتَ فيهِ ممجدا
وصرتَ لنا في الفضل خيرَ نموذجٍ ... ونلتَ من الرحمانِ قدراً وسؤددا
فيا لكَ من حبرٍ تجلُّ مقامهُ ... ملوكٌ تحتٌ ناديك طوعاً وسجدا
واهدت اهالي الشرقِ والغربِ جملةً ... لباناً ومراً مستطاباً وعسجدا

دار الندوة

مررت ذات يومٍ بدار الندوة البريتانية «*Parliament*» المشهورة بمدينة لندرة المحمية فبصرتُ ببنائها الشامخ وعلوها المباذخ وهي قائمة على خفة نهر «التمس» المحجوب عن اشعة الشمس فملأت عيني هندستها

الغوثية ونقوش جدرانها البهية فانثال وحيُ القريض على البال وانشدت في ارتجال وذلك في سنة ١٨٨٧ ميلادية

تيهي افتخارًا في بنائكِ واعجبي يـا دارُ فيها العزُّ قامَ بندوةِ
يا دارُ فيكِ الانكليزُ تعزَّزت وسطت بامجادٍ على المسكونةِ
دارٌ بنتها الانكليز لحقها فيها يفي النوابُ حقَّ الامـةِ
دارٌ على « تمسٍ » تشيد ركنها بهيا كلٍ منحوتـةٍ من صخرةِ
دارٌ بناها الاقدمون وشيدوا ركن البناء على اساس الحكمةِ
نقشَ المهندسُ سقفهـا وجدارها بنقوشِ اهل « الغوث » احسن نقشة
فرضت رجال الملك فيهـا سنةً للدين والدنيا وكل مهمة
واذا أُصيبوا بالبلاءِ تجمعوا وتداركوا بالحزم كلَّ ملمـةِ



﴿ الاسقفية ﴾

بعثت هذا النظم والكتاب من لندرة الى بعض الاصحاب
تهنئةً لهُ بارتقائهِ الى درجة الاسقفية وذلك
في ١٨ ايار امام ١٨٨٧ ميلادية

الكتاب

كتابي اليك ايها السيد المفضال كتاب مستفسرٍ عن الاحوال بلغك الله غاية الآمال وقرن مساعيك بالتوفيق والاقبال ٠ اما بعدُ

فقد بُلغتُ والبلاغ خير وفيتَ كل ضير انك تقلدتَ مقاليد الاسقفية وتوليت مهام الطائفة السريانية متعك الله بهذه الرتبة العالية وجعل اقدامك في مراقي المعالي راقية ولعلي بما تستغرقه هذه الرتبة المنيفة من انشغال البال وكثرة البلبال والانهماك في خيار الاعمال فقداوجزت التهنئة في المقال وقلت فيك هذه الابيات في ارتجال فخذها ممن لم يخطر لك ودهُ القديم على بال

﴿ النظم ﴾

تذكرتُ عهدًا قد مضى بمعاهدي ومِلتُ لخلٍ في الصباءِ معاهدي

ذكرتُ ودادًا قد تقادمَ عهدهُ فحنَّ فؤادي للحبيب المباعدِ

سررتُ بما بُلغتُ من خير ناقلٍ بانك قد قلدتَ خيرَ المقالدِ

سعيتَ فأعطيتَ الجزاءَ مضاعفًا ونلتَ مقامًا فيه جلُّ المقاصدِ

وعظتَ وبشرتَ الانام بنعمةٍ وذُدتَ بجدٍّ عن حياض العقائدِ

تجرتَ بفضلٍ ثم فزتَ بربحهِ فأنعم لك البشرى بنيلِ المحامدِ

عرضتُ على خلي القديم مدائحي وقلتُ ولا نقصٌ يُعيبُ قصائدي

فخذها على بُعدٍ هديةَ قائلٍ تذكرتُ عهدًا قد مضى بمعاهدي

الكرم

مدحت بالقصيدة الاتية السير روبين داود ساسون المشهور
بالثروة والكرم وانا يومئذٍ بمدينة لندن
وذلك سنة ١٨٨٦ للميلاد

صيتُ المكارم لابن طيٍّ يسندُ ... والجودُ في الفضل بن يحيى يُعهدُ
اينَ البرامكة الذين تفاخروا ... اين ابن طيٍّ بالغنائم يسعدُ
احيى ابن ساسونَ المكارم بعدهم ... هم انجمٌ « روبين » فيهم فرقدُ
بذلَ البرامكة العطايا للورى ... من مالِ ملكٍ بالجباية يحشدُ
بذل الهدايا حاتمٌ من نوقهِ ... نوقًا غزاها ثم قامَ يبددُ
« روبينُ » اعطى الناس من امواله ... والمال بالعقلِ السديد يُنضدُ
هذا ابن ساسون الذي شاع اسمه ... في الغربِ حتى الهند قامت تشهدُ
لو رمتُ تعدادَ المكارم في الورى ... « روبينُ » فيه الجود اجمع يوجدُ
نجلٌ كريمٌ والكرامة امهُ ... والجودُ والدهُ الاصيل الامجدُ
يجري الى القصادِ بحر هباتهِ ... بحرٌ بلا جزرٍ يفيضُ ويُزبدُ
بحرٌ طفوحٌ مدهُ متزايدٌ ... مدٌّ سفوحٌ فيضهُ لا ينفدُ
الكف بحرٌ والاصابعُ انهرٌ ... والبذل غيثٌ قطره يتجددُ

وعلى التكرم قد تعوَّد كفهُ | والمرءُ يفعل كل مـا يتعودُ
لو شاء قبضَ الكف يوماً لاعتفت | منهُ الانامل واشمأزَّتـهُ اليدُ
اعطى العطايا ثم زاد مضاعفاً | فوق الذي اعطى اذا جاء الغدُ
اغنى البرايا بالهباتِ تبرعاً | وفرا فوءاداً من عدوٍ يحسدُ
يسخو اذا بخلَ الزمانُ على الورى | ويمينه من فيض بحرٍ اجودُ
وتزاحمَ الزوار عند مقامهِ | نار القرى بديارهِ تتوقدُ
دارٌ له الاضياف حلوا صحنهـا | وسماطه لبني السبيل ممدَّدُ
فبنى لهُ برج المعالي جودهُ | وعلى اساس المجدِ قامَ يشيدُ
ان عُدَّ اهل الجود كان امامهم | «روبين» ذو الفضل العميم الامجدُ
يفنى البخيلُ وذكرهُ وحطامه | اما الكريم فذكرهُ لا يخمدُ

البلبل المصداح

القصة

اعترى جسمي النحول وشمل قواي الخمول ثم دهاني مرضٌ امتد مداهُ وعرقتهُ مداهُ حتى كاد يسابني ثوبَ المحيا ويسلمني الى ابي

يحيي فاستشرتُ في حالي طبيباً كان لي حبيباً فاشار عليَّ بالاستحمام بماء «ويشي» الشافي الاجسام من جميع الاسقام فاستصوبتُ ما دلَّ عليهِ واشار اليه وبرحتُ الدار وفارقت الاهل والجار وخضت البحار وركبت القطار وسرتُ تلفظني ارضٌ الى ارض ويجذبني رفعٌ من خفض وقصدت مدينة «ويشي» في استعجال ونزلت فندقاً الى جانب نبع «اوبيتال» وهو النبع الذي كان الاستحمام بمائهِ مطلوباً والشفاء منه مرغوباً وبينا انا اتنزه ذات ليلةٍ بين اشجار الحديقة سمعت صوتاً رخيماً من مرسح المدينة والناس يوقعون بالبنان على البنان ويجتذبون ذلك الغناء الرنان فقلت لصاحبي الذي كان بجانبي يا هل ترى من المغنية ؟ فقال لي هي السيدة آديلينا كلوراندا باتي اليهودية فخففتُ الى المرسح بشوقٍ شديد لاسمع صوتاً تمنيتُ استماعه من زمن مديد · فرأيت وما ادراك ما رأيتُ ؟ وسمعت وما ادراك ما سمعت ؟ سمعت هزاراً يصدح على العيدان ويمامةً مطوقة تغرّد على الاغصان وورقاء تسجع في الارائك وحورية هيفاء تسبح بين الملائك وبلبلاً يصدح في الافنان وعندليباً يشدو في روض الجنان · فاذا رمتَ ايها القارىء اللبيب ان تحيط علماً باحوال هذا العندليب فهاك قصة هذه الدرة اليتيمة وترجمة حالها العجيبة

ولدت هذه القينة الشهيرة بمدينة مدريد الكبيرة من عائلةٍ اسرائيلية فقيرة ولما بلغت الحول الخامس من عمرها طلبت فن الموسيقى من امها فاتتها بمعلم ماهر حسب المرغوب وصار يلقي عليها

الدرس المطلوب · وما مرَّ على ذلك حولٌ تام حتى فتق الزهر من الاكمام فوجد المعلم فيها للغناء استعداداً عظيماً وصوتاً جهيراً رخيماً واعتنى بتعليمها غاية الاعتناء حتى اتقنت فن الغناء ثم عزمت على الترحال فشدَّت الرحال وخرجت في اهلها من ارض منبتها الى نيويورك الشهيرة بكبرها والغنية بمالها وغنت اول مرة فيها وهي لم تتجاوز السابعة من عمرها · ونالت الفي ليرة انكليزية على غناء ليلةٍ في القاعة الموسيقية ثم عولت على سفر طويل وغنت في « بوينوس ايرس » عاصمة البرازيل واخذت من صاحب قاعة الانغام كل ليلة الفين وخمسمائة ليرة بالتمام · ودامت على ذلك تتجوَّل في الممالك وهي تحشد ريالات امريكا وليرات الانكليز وتعوم في بحرٍ من الذهب الابريز · ثم رحلت الى مدينة شيكاغو بامريكا الشمالية وغنت فيها احدى وعشرين ليلةً متوالية واخذت من صاحب قاعة الانغام ستة واربعين الف ليرة بالتمام · ثم استدعاها اسكندر الثالث قيصر الروسية لتغني في قاعاته الملوكية فأَنفت وشمخت وأَبت الذهاب اليه وشقَّ ذلك عليه ولكنه كظم غيظه عليها حتى خيل لها انهُ غير ملتفتٍ اليها · فلما استدعاها بعد ذلك صاحب مرسحٍ هنالك · لتذهب اليه وتغني لديه درى القيصر بذلك وحرَّم دخولها الى الروسية وانتقم منها بذلك على تلك السيئة · وما زالت هذه القينة البديعة تشخص من بلدةٍ الى بلدةٍ قريبة وبعيدة وتجوب الاقطار وتلج مقاحم الاخطار حتى غنت في اعظم مدن اوروبا وامريكا والاوسترال من الشرق الى الغرب ومن

الجنوب الى الشمال وهي تسحر العقول برخيم صوتها الجهير وتخلب بغنائها قلب الكبير والصغير وتجمع الاصفر البرّاق من جميع الافاق. وقد قيل ان المال الذي ربحته بغنائها في البلاد قد جعلها اغنى العباد وقد صارت اليوم صاحبة الكرات والربوات يُضرب المثل بغنائها بين لفيف المغنيات · وقد شادت لها قصوراً شامخة ومنازل باذخة في بقع من الارض بهية وفي جنائن بازهارها زهية تختلف اليها حسب اختلاف الفصول والمواسم وتحيي فيها ليالي السرور بالولائم والمراسم وكانت الملكة فكتوريا المرحومة تجل مقام هذه القينة المشهورة وتدعوها كثيراً الى تناول الطعام على مائدتها الملوكية وتسامرها كثيراً في الفنون الموسيقية وقد جاوزت سن الخمسين وصوتها الرخيم على اصله المتين وتظهر في المراسح صبية بنت عشرين · وهي لا تشرب شيئاً من الكحول والخمور ولا تنهمك في المآكل والمشارب اتباعاً للجمهور وهذا لمن اقوى البواعث على حفظ صوتها وجمالها ودوام نشاطها وقواها على حالها ثم انها تفرك بشرة وجهها كل صباح بضربٍ من الدهان تستخرجه من عظام بعض الحيوان وتخمره بضعة ايام بعقاقير عديدة ولم تطلع احداً على سرها سوى ملكة انكلترا الجديدة · وذلك لما بينهما من المودة القديمة

وقد كنت شنفت سمعي بغناء هذه القينة البديعة في المراسح مراراً عديدة · ولكن لما سمعتها آخر مرة تغني في مرسح عظيم بلندرة كان ثوبها الابيض من ديباج الحرير الرقيق وعلى رأسها وصدرها

واذيال ثوبها زهر انيق · وكان غناوءها في مرسح عظيم ضمن بناء مستدير جسيم يقال له اليوم «ألبرتْ هلْ» بلسان القوم واسم هذا البناء الكبير والمرسح المستدير على اسم البرنس ألبرت الشهير زوج فكتوريا المرحومة واثارها الجليلة بلندرة معلومة · وكان في المرسح وقتئذٍ نحو ١٥ الفًا من السامعين وكلهم بغناء تلك الورقاء الصدَّاحة مسحورين وكنت فيهم من جملة المفتونين · ولما انفضَّ محفل الغناء وانصرف الناس بالهناء انصرفت في القوم الى منزلي وعقلي في غنائها كالمبتلي · ولما صحوت من سكرة سحرها الفتان وزال الهوس عن عقلي الولهان زينت كمألوف عادتي باصناف الزهور حجرتي وصففتُ امامي على خوان الكتابة من كل زهرٍ وورد باقة في زجاجة وانشدت شعر الشاعر البديع في ازهار الربيع

مرحبًا بالربيع في اذار وباشراق بهجة الانوارِ
من شقيقٍ واقحوانٍ وردِ وخزامى ونرجسٍ وبهارِ
زهرةٌ عند زهرةٍ عند اخرى كاقتران الدينارِ بالدينارِ
او كاوراق مصحفٍ من لجينٍ مذهبات الاخماس والاعشارِ

ثم تخمست القناة واستحضرت الدواة وجددت باعتناء ليقتي وحبري وزحزحت اللثام عن وجه عروس شعري واستنزلت الوحي في النظم المقبول فاتاني صوت من السبع الطباق يقول · انشد ياصاح في البلبل المصداح ما اوحيه اليك فقلت لبيك لبيك وانشدت

﴿ النظم ﴾

أصوتك في القاعات ام صوتُ بلبل ... يغرّدُ في الافنان كالمتغزلِ ؟
ملاكٌ لدى عرش الاله مسبحٌ ... سمعت له صوتاً كصوتِ مبجلِ ؟
فانتِ ملاك الارض انتِ هزرها ... وصوتكِ احلى من ملاكٍ وبلبلِ
اراكِ بثوبٍ ابيضٍ وزهورهُ ... زنابقُ روضٍ فوق رأس مكللِ
دهشت لعمري بينَ صوتٍ مغرّد ... ووجهٍ صبوحٍ بالجمال مكملِ
لها الله من حوريةٍ قد تجسمت ... وجاءت الى ارضٍ بثوبٍ مزملِ
تركب انغاماً على دقِ آلةٍ ... وتطربُ روحاً بالغناء المعللِ
اذا رفعت صوتاً رخيماً بنغمةٍ ... رأيت لفيفَ الطير قد حط من علِ
ارى السقف والجدران ترقص جملةً ... على وقع نغماتٍ تموج وتنجلي
ارى الناس افواجاً سكارى بنغمةٍ ... تموج كامواجٍ وتهوي كجندل.
يصفقُ تحبيذاً لصوت غنائها ... لفيف النشاوى عن يمينٍ وشمأل.
متى الصوت والانفاس مادت حسبتها ... « نسيم الصبا جاءت بريّا القرنفلِ »
فيا ابنت عمرانٍ ويا اختَ مريمٍ ... سحرت بانغامٍ وصوتٍ كجلجلِ
لك الله من صوتٍ جهيرٍ برقةٍ ... يحل من الارواح في كل منزلِ
يدومُ صدى صوتٍ ولحنٍ ونغمةٍ ... كما دام منكِ الجيدُ غير معطلِ

باب الفخر

يقوم الفخر في العلمآء والشعرآء مقام الفخر في الملوك والامراء اذا افتخر هوءلاء تمجدوا بالسيف والقنا وتباهوا بالفتك بالعدى · اما العلمآء فيفتخرون ببراعة اليراعة وافانين الصناعة وترقي الحضارة وتوسيع نطاق التجارة ويتباهون بحذاقة عقولهم الثاقبة واختراعاتهم التي تأبى المراقبة وقد استطرق هذه الطريقة كثير من الادبآء واجاد في التفاخر طائفة من الشعراء · اشتهر فيهم الامام علي ابن ابي طالب (رضه) وابو بكر الارجاني والقاضي الرشيد ابو الحسين الأُسواني وعنترة بن شداد وعمرو بن معدي كرب ومُطرس بن ربعي وعبدالله بن رواحة الانصاري والقريط بن أُنيف وشهاب الدين بن فضل الله وابن سناء الملك وحسان بن ثابت الانصاري وكعب بن مامة الحبر اليهودي والسموأل بن عاديآء اليهودي وابو تمام وابو الطيب احمد بن الحسين الملقب بالمتنبي وابو العلاء المعري وغيرهم كثيرون يضيق المجال عن ذكرهم · وقد حذوت حذو الاوائل والاواخر ولا بأس ان وقع الخاطر

على الخاطر وقعَ الحافر على الحافر · واخذت عنهم هذه المثآئل وما اكترثت بقول القائل :

هل غادرَ الشعرآء من متردمِ ؟ بل قلت : لا بأس في التقليد للمتقدم · ثم انشدت القصائد الاتية بمدينة لندرة وذلك في ٢٣ آب لعام ١٨٨٦

ألفخر بالعلم

خلقتُ لعلمٍ لا ليوم كريهةٍ ... فقي العلم لا في الحرب احقاق شهرةِ

ولستَ بقوّالٍ اذا الخيل اقبلتْ ... حصاني دلالٌ بسوق المنيةِ

كذاك جوادي ليس من نسل ابجر ... ولا صارمي صمصامةٌ في كريهةِ

ولكنْ رماحي والسيوف واسهمي ... مدامع الاقلامِ على خدِّ رقعةِ

وليس فخار المرء ابيض صيقلٍ ... ولكن فخارُ الحرِّ اسودُ صفحةِ

يراعٌ على القرطاس كادَ صريرها ... يفوق على وقع القنا في الوقيعة

رأيتُ الورى بالعلم تدرك رفعةً ... فجزت مراميه بكل عزيمتي

لهوت بعلمٍ عن ملاهٍ ولذةٍ ... وطرفيَ طماحٌ الى اوج رفعةِ

عدلتُ بحزمٍ عن اغانٍ وقينةٍ ... وملتُ الى كسبِ العلوم الصحيحةِ

ابيض بالقرطاس اسود ليلتي ... أُنير بنبراسِ المعارف فكرتي

فطبلي ومزماري وكاسي وغادتي ... كتابي واقلامي وحبري ورقعتي

وكنتُ اذا مدَّ السماط عشيةً ... وجيء بافنان الطعام الشهيةِ
اطالع اخبار الصحائف كلها ... واقطفُ منها صرفَ زهر الحقيقةِ
كما ان جسمي بالمآكل يغتذي ... كذلك عقلي يستضيء بحكمةِ
وحين جفا جنبي عن الفرش ليلتي ... جعلت قراطيسي سميري وسلوتي
وما عادني قطُّ السهاد ولم اقمْ ... له من كراريسي نديماً بوحدتي
وعن لغبٍ ان كنت اغفوفساعدي ... يضمُّ طروسي ضمَّ زوجٍ لزوجةِ
ولما دعاني ديك صبحٍ منبهاً ... أعدتُ دروساً قلتها في العشيةِ
اذا سرت ألهو في الرياض فدفتري ... رفيقي وانسي في مسيري وجلستي
وكم من برودٍ في السياسة حكتها ... وكم قلتُ شعراً في شوارع بلدةِ
وكم من قوافٍ قد نحتُّ بفكرتي ... وما خمدت في الليل قطّ قريحتي
وفي البر والبحر العظيم قصائدي ... يرددها الحادي وربُّ السفينةِ
وليلٍ اتاني فكر نظمٍ بداهةً ... ولا حبرَ عندي في دواتي وليقتي
فاشعلت شيئاً من قضيبٍ برأسهِ ... كتبت بفحمٍ فكر تلك البديهةِ
حذوتُ بفعلي حذوَ آدمَ عندما ... اتاه من الرحمان إلهامُ كتبةِ
وقلتُ قريضاً في صبائي تصبباً ... واعذب شعري كان شعرُ الشبيبةِ
وعهدُ شبابي كانَ عهد تشببٍ ... بهيفاءَ نجدٍ افتديها بمهجتي
ولا لومَ ان كان الفؤاد بطيشهِ ... يشببَ شوقاً في محاسنِ ظبيةِ
وما قلتُ في عهد الشباب وبعده ... حريٌّ بعفوٍ من كرام عشيرتي
اذا قلتُ قال الناس قولي تفاخراً ... ودانَ لمرايي كل صاحب فطنةِ
وان قلتُ شعراً كررتهُ عشائرٌ ... وردَّ الصدى رجع الصدى بقصيدتي

ولولا كتابٌ جاء للخلق رحمةً لصار قريضي عندهم اس سنةِ
تقرُّ ليَ الاقلامُ بالفضل والحجى ونثري ونظمي يشهدان بحجةِ
فاين جميلٌ والسموأل قبلة واين الرجال الناظمون بنسبتي
يجبذني سحبانُ ان قمتُ خاطباً وقسٌّ ينادي قد ظفرتَ بشهرتي
وان قمت من فوق المنابر زاجراً قرعتُ سماع السامعين بزجرةِ
وخرَّ لدى العرش الملائك سجداً واجهر اهل الارض طراً بتوبةِ
وان قمت بين الصم والبكم خاطباً انفذُ سمع الصم جوهر خطبتي
ولي منطق ان مسَّ اذان اطرشٍ اعاد اليهِ السمع مثل عجيبةِ
ولو رحت اشدو في الرياض مفرداً لاوقفَ شدوي الطيرَ عن كل نغمةِ
ملكتُ وملكي ملك علمٍ وحكمةٍ وسدتُ رقاب الجاهلين بفطنتي
ملوكٌ بلا علمٍ عبيدٌ اذلةٌ عبيدٌ بعلمٍ هم ملوكُ البسيطةِ

الفخر بعلو الهمة

خُلقتُ لعلياء ونخرٍ ورفعةٍ الى الفخر والعلياء اسعى بهمتي
هو الفخرُ ان يرقى الفتى طودَ شهرةٍ بثابتِ عزمٍ لا بقدم عشيرةِ
وان يمتطي اقتابَ كل ملمةٍ وان يرتدي ديباج كل فضيلةِ
واني من القوم الذين بفضلهم مشوا فوق هامات البيوت القديمةِ
ولي همةٌ شماءُ حيث بعثتها يذلُّ لها الصنديدُ في كل بعثة

قرعتُ بها دهري على رغم انفهِ ... وفزتُ ولم ارجع بدون الغنيمةِ

الى ارفع الامجادِ اسعى بهمتي ... ويرشد حزمي في التصاعدخطوتي

وغير سبيل الفضل لستُ بسالكٍ ... وتهدي سبيلي للفضائل همتي

نخورٌ بفضلي بين قومي وفاخرٌ ... بسبقي اهل الفخر في كل حلبةٍ

واني لطلاع الثنايا وليس لي ... قرينٌ يباري خطوهُ بعض خطوتي

ومن اصل قومٍ قد تعالت فروعهم ... ودلت على حسن الاصول بحجةٍ

وقدطفتُ اقصى الارض شرقاً ومغرباً ... وصيتي سرا قبلي الى كل بقعةٍ

وما طاف قبلي من بني سام طائفٌ ... ولا دارَ حول الارض غيري كدورتي

ونقبَ دهري في خزانةِ خلدهِ ... زماناً فلم يظفر باشباهِ دعوتي

فقالَ : جعلت المجدَ عرشاً تحوزهُ ... لكَ الحق فيه صفقةٌ بعد صفقةِ

فعارض قومٌ قولهُ دون فكرةٍ ... وقالوا له : ناقضتَ كل حقيقةِ

فقد قال عيسى : في التواضع رفعةٌ ... ومجدٌ مع الابرارِ في دار جنةِ

اذا اتضع الانسانُ نالَ كرامةً ... ومن يطلب الامجادَ يبلَ بخيبةِ

فقلت : وهل يأبى الكرامة في الورى ... سوى غير حيٍّ مرتضٍ بالحظيرةِ

فانَّ اتضاعَ النفسِ في حب ربها ... لاعظم فضل عند رب البريةِ

سوايَ يحابي باتضاعٍ مصنعٍ ... واني اباهي بالمبادي القويمةِ

وغيريَ يخشى الموتَ فوقَ سريرهِ ... واني لا اخشى حرابَ المنيةِ

اذا دكت الافلاك والكون قدهوى ... تراني ثبتاً ساخراً غير ملفتِ

فان قدّ قلبَ الخلق من رطبِ طينةٍ ... فقد قدّ قلبي من جلاميد صخرةِ

علوت ذرى الافلاك حتى رايتها ... تسير امامي سير فضلي وشهرتي

وشدت بابراج المجرة منزلاً وفي قلب نجم القطب عينت قبتي
وفي قلة الجوزاء تخفق راية باسمي واهل النجم تخطب سلطتي
تراني الثريا مع كثير نجومها فتحسد نجمي وانتشار اشعتي
أحب حياةٍ لي حياةُ عزيمةٍ واحسن عُمرٍ عمرُ فضل وحكمةِ

الفخر بمراعاة الذمام

ورثت مراعاة الذمام سلالةً رعيت ذمام الناس منذ فتوتي
فما ولدت حواء من صلب ادمٍ ابرّ واوفى ذمةً من قبيلتي
ولا رزق الخلاق امًا ووالدًا وليدًا شبيهي ذا وفاء وذمةِ
ولو صوّر النقاش شبه مروءة لصدّر شبهي في مثال الحقيقةِ
تقرُّ ليَ الاعداء رغمًا بانني اراعي ذمام الخلّ حتى المنيةِ
واجزي بخير من دهاني بشره واصفح عن قومٍ ارادوا مضرتي

الفخر بالكرم

اذا ضافني من ضلّ ليلاً سبيلهُ عقرت فؤادي لا فؤاد مطيتي
ولا ترحلُ الاضياف حتى عيونهم تقرُّ واسديهم مزادة رحلةِ
تفيأ ظلّي كل سارٍ وشاردٍ ونال صلاتي من شكا داء ضيقةِ

بذلت حطامي دون منٍّ لسائلي   واعطيت من مالي بقايا البقيةِ
فلو زار داري ليلةً طيف حاتمٍ   لاكبر جودي واستمدّ عطيتي
وصيت سخائي لو تجلى لبرمكٍ   لقال لويسٌ قد محى اليوم شهرتي
فمن لم يكن من طبعه الجود فليقم   على الحرص ابقى من سخاء بكلفةِ

الفخر بالحرص على الزمان

حرصت على وقتي كحرص مقترٍ   على ماله والوقت اثمن قنيةِ
يقولون لي ساعات عمرك عسجدٌ   فقلت صدقتم والثواني بفضةِ
كثيرًا يضيع المرء فرصة مغنمٍ   ويفقد ربح الدهر بعض بطرفة
وقال حكيم ربَّ وقت تضيعه   يكون ضياع العمر فيه بحسرةِ
وكان مليك الروم قيصر احرص الـ   انام على وقت يضيع بسلوةِ
فاذ رام وصف الحرب ضمن موجزًا   «اتيت» «شهدت» الحرب «فزت» بنصرةِ
تفرد بين الروم والعرب دهره   بذين يراع ثم سيفٍ وحملةِ
حذوت بحرصي حذو كسرى وقيصر   ومن يحذُ حذوي يحظ يومًا برفعةِ

الفخر بالصبر

شجاع هو الانسان يقطع دهرهُ   صبورًا على الاحوال من كل وجهةِ

وليس شجاعاً من يخوض عجاجةً   اذا لم يخض مضمار كل ملمةِ
فلو ادركت ابناء قومي مصائبي   وما نابني من فرط ضنكٍ وشدةِ
لكان لهم ان يطرقوا عند ذكرهم   صفاتي ويجثوا عند اقدام صورتي
ولو طرق الابطالَ طيفُ تجلدي   لقالوا الفتى نعم الفتى في الحقيقةِ
فكم ليلةٍ باتت حشاي على الطوى   ونفسي ملأى من فخارٍ وعزةِ
اذا ما عراني اليأس من حل مشكل   طرقتُ بحزمٍ باب كل وسيلةِ
وكنت اذا ما العين بالدمع اشرقت   كتمت عن الاغيار تسكاب دمعتي
وان سرت بين القوم سرت مفاخراً   كأَني من دنيايَ في الف نعمةِ
ابش بوجه المرء ان زار او جفا   واجزي بخيرٍ من رماني بخيبةِ
كذا فليكن صبر الكريم اذا نبا   زمان به عند اشتداد المصيبةِ

الفخر بالمروءة

القصة ـ حدث اليأس بن النحس قال : اشتدت عليَّ ذات يوم وطأة الافلاس واثقلت منكبيَّ احمال الديون للناس واحرج صدري الفقر حتى سالت له من منافسها النفس وانا امنيها بسوف ولعل وبقايا ادوات الحدس واظهر من الضعف قوة وابش في وجه الصديق والعدو من باب المروة واكبس الملح على الجرح واسبر بميل الصبر اعماق القرح وارفل بين الناس في حلل النعمة وبطني خميص يطوي الليالي

بلا لقمة وروحي تتجرع غصص الفاقة والافلاس والناس يضربون الامثال بثروتي في حضور الجلاس الى ان شقّ ثوب الاصطبار عن نحول حالي · وفقه صديقي معنى شقائي ونفاد اخر درهم من مالي · فانبرى عليّ بالتعنيف والتقريع · وحملي على رفع واقعة امري الى الامير على انهُ المجيب السميع · فقلت لهُ : خل عنك هذا التقريع فانهُ من اشد ادوات العذاب وان اسنة التعنيف اشد من مخالب العقاب · واحر من نار العقاب · فان كان قولك يقارب الصواب · فعندي عليه مائة جواب وجواب · اجل ان من حملت اسمه اليّ · واشرت بهِ عليّ · لسيد كريم جواد ذو فضل وبيض ايادٍ ولكن قد سارت الامثال · بمثل هذه الاحوال « ان من اكثر التسآل بلي بالحرمان · وان الزيادة شقيقة النقصان · » واني لا اكرهُ تكدير بال ذلك الهمام لعلمي بان كثرة الطرق تفك اللحام · فاجابني ذلك الصديق الصدوق · وقد تنفس الصعداء من فؤادٍ شفوقٍ وقال « : بارك الله فيك وفي مروءتك وزاد في علو همتك فهل قلت في ذلك شعرا · تخلد بهِ للمروءة ذكرا » فانشدته ما اوحاه اليّ الخاطر وانا لديه حاضر · وذلك في ١ شباط لعام ١٨٨٦

﴿ الفخر بالمروءة ﴾

دعيني من الروض البهيج المعطرِ ومن راحةِ صهباءَ في كف جؤذرِ

ومن نغم الاوتار في مجلس الصفا   ومن غانيات في برود ومئزرِ
فان فؤادي لم يعد قطُّ شاعراً   يدور ولا يدري على اي محورِ
فلا تعذلي المشتاق ان لم يكن له   على زورة المحبوب وسع فاعذري
فرب فتى يرجو سعادة جاره   ولا يفتديه في قلامة اظفرِ
وما ذاك عن بخلٍ ولكن خاله   غدت من فراغ الدهر فضلة مفقرِ
خليليَّ خلِ اليوم عنك ملامتي   فاني ضحوك والعنا في تسترِ
اذا سرت في وجهٍ يبش ففي الحشا   وفي القلبِ جمرٌ ناره في تسعرِ
يراني عدوي ضاحكاً فيسوءُهُ   سروري ولا يدري مغيبي ومحضري
ويلقاني الخل الابي ببهجةٍ   فيحسب ان الدهر من بعض عسكري
لعمريَ اضحى الضحك مني تصنعاً   كما صنع الراوي روايةَ عنترِ
فيكذب باكٍ تارةً ببكائهِ   كما يكذب المكروب ضحكاً و يفتري
وحق دموعٍ اذرفتها مدامعي   لماليَ همٌّ نجنبها غير مفجرِ
قضيت زماناً في الهوان ولم اقل   سوى يافؤادي احلم و يا مهجتي اصبري
يشيب ما قاسيته من نوائب   رضيعاً له في المهد شيبة مثغرِ
واخفيت ضنكي عن عدوي صيانةً   لنفسي وصيتي من شماتة مزورِ
وكتمت حزني عن صديقي مروءةً   لكي لا يدق العظم منهُ تحسري
فلو ادرك الخل الحميم خصاصتي   عناه عنائي واعتراه تمرمري
فان كان ميسور الحياة فليس من   شروط الولا تنغيص عيشة موسرِ
كفى المرء داءً ان يقيم بحمله   ولا كل حمل مثل حمل التضجرِ
محضتك نصحاً فاتخذه فريضةً   ودارِ الورى عند الشدائد تظفرِ

وعش عند اقدام المروءة صابرًا على الدهر صبر الفاضل المتحذرِ

النخر بالثبات

اسير الى نيل المعالي مثابرًا فادرك سؤلي بالثبات واظفرُ
ولا اختشي مما يقدَّر في غدٍ ولو جاءني من عالم الغيبِ مخبرُ
وكم من نذيرٍ قد اتاني محذرًا فكان رسولاً في السرورِ يبشرُ
عركت زماني بالتجارب فانجلى عليَّ صديقي والعدو المعيرُ
وذلَّ لقرني الدهر لما نطحته وخرَّ كثورٍ تحت قرني يشخرُ
وقرَّ بفضلي النذل حين صرعته وما زال باع الندِّ عني يقصرُ
لقد هان عندي الموتُ لما عرفته وصرتُ باهوال الملماتِ اسخرُ
ولولا تصاريف الزمان وغدره لكنت ارى اني من الدهر اقدرُ

باب الحماسة

دفعتني يد المقادير الربانية الى ارجاء الاقطار النيلية سنة الاثنتين والثمانين بعد الثمانمئة والالف ميلادية فتوغلت في الامصار المصرية وتحرَّشت بالمسائل السياسية وشاهدت غوائل الحرب القائمة على قدم وساق بين الشرق والغرب فثارت في فؤادي الحمية الوطنية وقلت الابيات الآتية تشويقاً للجيوش المصرية

الدفاع

الى الحرب يا ابطال قومي تأَهبوا وهبوا سريعاً واسرجوا الخيل واركبوا

وسيروا ودرع الجد يغشي صدوركم وذودوا عن الاوطانِ والعرضِ واغلبوا

وقوموا الى حمل السلاح تأَهباً لحربٍ عوانٍ برقها اليوم خلبُ

هلموا فاني في طليعة جيشكم وصدري مجنٌّ عنكمُ اليوم يحجبُ

اسير ورمحي في الفوارس عاملٌ ... وسيفي دراكاً في المفارق يضربُ
ولي فرسٌ لا يرهبُ الموت ان دنا ... ويعجبهُ خوض العجاج فيطربُ
يشقُّ صفوف الجيش ان صار مقحماً ... ويرتدُّ عنهُ بالجماجم يلعبُ
لكل امرءٍ عرضٌ ودينٌ مقدسٌ ... وحقٌّ مبين لا يهان ويسلبُ
جدودٌ لنا كانوا الضراغمَ في الوغى ... اليهم بنودُ النصرِ والفخر تنسبُ
بنوا كلَّ حصنٍ في البلاد ممنعٍ ... وقادوا جيوشاً لا تعدُّ وتحسبُ
وساسوا رعايا كل حدبٍ بعدلهم ... وسادوا بلاداً نيلها ليس ينضبُ
بلادٌ جبلنا من اديم ترابها ... أتؤخذُ منا دونَ عدلٍ وتغصبُ
بلادٌ تروت من دماءِ جدودنا ... وضمت رفات الفاتحين تنكبُ
قصورٌ بناها العم والخال قد غدت ... تدكُّ مبانيها البغاةُ وتخربُ
وغيدٌ تعوَّدنَ الدلال بهجرنا ... أتسبى ولا تلقى سوى الام تندبُ
ألا فانظروا الاهرام كيفَ بمجدهم ... تتيهُ وعن آثارهم كيفَ تخطبُ
سلوا عنهمو اثار طيبة فهي من ... خلال سطور الدهر تملي فنكتبُ
ألا شمروا يا قوم عن ساعد الحجى ... فشمسُ معالي الشرق في الغد تغربُ
أليسَ حياةُ المرء ذلٌّ وحسرةٌ ... اذا عاش في اسر العدى يتقلبُ
فانَّ جباناً في الوقيعة مفسدٌ ... سواه وسيفٌ في الوغى ليس يسحبُ
وان شجاعاً واحداً بين جحفلٍ ... يعززُ جيشاً في الطعان ويرهبُ
فكم من كميٍّ عدَّ في الف فارس ... الى الموت يمشي او الى الحتف يركبُ
اذا دارتِ الحربُ العوانُ تجلدوا ... وجدُّوا فانَّ النصرَ بالجدِّ يكسبُ
وحثوا الجياد الصافناتِ وقوموا ... رؤوس العوالي في الصدور وصوبوا

اذا اختلط الجيشان كَفّاً ومعصماً هناك يعدُّ الشهم شهماً ويحسبُ
ألاَ قاتل الله الطغام وجيشهم وقاتل وغداً ليس في الطعن يرغبُ
ألم تعلموا انَّ الاجانبَ امةٌ لحكمهمو من احمر الموتِ اصعبُ
فمن خاض هيجاءَ المنايا فان يفز ففتحٌ وان يفقدْ فللهِ يذهبُ
ومن فرَّ ولى النصر عنهُ مشمرًا وليس لهُ من ساعدِ الموتِ مهربُ
يموتُ جباناً خاملاً ولئن يعش ففي نارِ تبكيت الضمير يعذَّبُ

الوطن

قلت الابيات الآتية في شارع اكسفرد بلندرة وذلك عند باب حديقة « هيد بارك» المسمى باسم « مربل ارج » في ٨ اب سنة ١٨٨٨

ارواحنا مبذولةٌ لبلادنا ودماؤنا مهراقةٌ تحت القنا
نحمي الحمى يوماً اذا طمع العدا فينا ونبسمُ للحِمام اذا دنا
وعلى المجرَّةِ قد أُقيم بناؤنا فمن الذي يجني على ذاك البنا
فالفخر مكتسبٌ على قدر الحجى والمرءُ في هذي الدنى ما احسنا

بطل كسروان

« تحارب الرياح امواج البحار فيعقد الصلح على كسر سفن الشراع والبخار »

هذا ما سارت به الامثال من غابر القرون ومتخلف الاجيال وتناقلته المحافل والكتائب واثبتت صدقه عجائز الايام وبنيات التجارب فاصغ ايها القارئ اللبيب · واعتبر بهذه العبر ايها الفاضل الاديب واتلُ محزوناً غرائب هذه القصة· التي اورثت عموم الشرقيين الف حسرة وغصة ·

﴿ القصة ﴾

نافس داود باشا متصرف لبنان قوماً من الموارنة في كسروان ثم دخلت المنافسة الشخصية في ادوار عمومية فنفخ بعضٌ من رجال البلاد في ايقاد نار الاحقاد حتى ارتفع منها اللهيب واندلع لسانه المهيب · ولفح الطائفة المارونية في كسروان · وقامت وقعدت لهذه المسألة القرى والبلدان وعظم بين القوم الشقاق وقامت الحرب العوان على قدم وساق فقام عندئذٍ رجلٌ من اعيان البلدان وابطال الفرسان

يقال له « يوسف كرم » وكان اذ ذاك اشهر من نار على علم واراد اصلاح ذات البين وازالة الاحقاد من الطرفين · فلما ادركت الدولة العلية صانها رب البرية عاقبة الاحوال الوخيمة بادرت الى اخراج يوسف كرم من سورية · فرضي يوسف كرم ونزح عن الاوطان وفارق الاهل والخلان وسار الى رومة عاصمة البلاد الايطالية حيث تغير المكان وفراق الاهل والخلان اضرّا بصحته فمات شهيد خيبة الآمال مأسوفاً عليه من الاصحاب والآل · وكنت في اثناء ذلك بثغر بيروت المحمية سنة ١٨٦٩ ميلادية فنظمت في مديح هذا البطل قصيدة حماسية اقرارًا بفضله وبسالته في المعامع الحربية · وان لم اكن من ابناء الطائفة المارونية · وقد حدا بي الى ذلك حبي لكبار الرجال وتقديري مكانة رجل الفضل والاعمال لاني ممن يكرمون الفضل في حد ذاته ويخدمونه ويجلون مقامه ويمدحونه فالفضل لا ينحصر في مذهب وملة ولا تحتكره وتستبدُّ بهِ امة ولا يعرف الفضل الاذووه ولا يقدره حق قدره الا بنوه فما اتيته في هذا الباب من نثر ونظم وخطاب برهان جلي قاطع ودليل راهن ساطع على نزاهة نفسي من الاغراض الدنية · وتجرد قلبي من الاحقاد والحزازات الردية حتى في حق الطائفة المارونية البهية وذلك خلافاً لما يتوهمهُ في البعض من الافراد من اصحاب الاغراض والفساد ولله در عنترة بن شداد الذي قال في المعنى واجاد

لا يحملُ الحقدَ من تعلو بهِ الرتبُ ولا ينال العلى من طبعهُ الغضبُ

﴿ النظم ﴾

ما كلُّ لفظٍ في خطابك يفصحُ ... ما كلُّ معنىً في مديحك يصلحُ
ما كلُّ من نثر الكلام بمادحٍ ... ما كل من نحت القوافي يفصحُ
قد يحسنُ الناس الكلام وانما ... نظمي بوصفك كالجمانِ منقحُ
وقعَ الجدال على حروبك في الورى ... فاخو النهى يُثني وغرٌّ يقدحُ
انتَ الامير ابن البسالة في الوغى ... فرسانُ جيشكَ في المعامعِ ترمحُ
والطودُ يشهد انك البطل الذي ... في نصرهِ كل البرايا تفرحُ
ياضرغماً يحمي حمى وطنٍ غدا ... يسديكَ شكرًا لا يُحدُّ ويشرحُ
جرَّدت سيفاً من نصالِ صواعقٍ ... افرندهُ بدمِ الاعادي ينضحُ
ورويت ارضك من دماء كماتهم ... ولحومهم للطيرِ ظلت تطرحُ
كم هامةٍ يوم القتال فلقتها ... فتخضبت تلك الوجوه الكلحُ
خضت الوغى بصوارمٍ فتاكةٍ ... ونصالها زند المنيةِ تقدحُ
فلذُ القنابلِ في العجاجةِ نارها ... تكوي وتحرق والجماجمَ تُلفحُ
افنيتَ جيشاً في الجبالِ مشتتاً ... ووهادها بدم الاعادي تطفحُ
غلبتْ جنودك جيشهم في حملةٍ ... من موثقٍ او من صريعٍ يذبحُ
واستبشرت اهل الجبالِ بنصرةٍ ... والطودُ يرقص والروابي تمرحُ
لا زهرَ الاَّ في الكمائم ضاحكٌ ... لا دوحَ الاَّ مائسٌ يترنحُ

لا غصنَ الاَّ مائلٌ متراقص لا طيرَ الا في الحدائق يصدحُ
يا نصرةَ الاوطانِ يا مجدَ الربى لبنانُ فيكَ مظفرٌ يتمدحُ
يا نخبة الابطال يا ليث الوغى تمسي الخلائق في ثناك وتصبحُ

﴿ الاغرآء ﴾

نظمت هذه الابيات وانا راجع من المدينة الى منزلي في قطار السكة الحديدية التي تسير تحت اقبية مدينة لوندرة وذلك في ١ تشرين الاول لعام ١٧٨٧ م

يا راكباً متنَ الجواد الادهمِ اقبض على صمصامةٍ ثم اهجمِ
اضرب رقاب الجائرين بحدهـا واصبغ بما أجريتَ من ذاك الدمِ
خُض حلبة الاهوال واقدم لا تقل « هل غادرَ الابطال من متردَّمِ »
سرْ في سبيل الفضلِ وارقَ سماكه كي لا يقال « الفضلُ للمتقدمِ »
وذا جَبنتَ فانتَ اكبر خاسرٍ وقرعتَ سناً كالفتى المتندمِ

باب الافانين

عجائب النحلة العسلية

القصة ـ النحلة من اعجب الهوام المفصلي الطيار . واليها تنتسب الطائفة العسلية . قيل : سميت «نحلاً» لان الله تعالى نحلَ الناس العسل الذي يجنى من لعابها . وهي ذبابةٌ ذات بنيةٍ لطيفة . وسط بدنها مكعب . ومؤخرها مخروط ومسلح بحمةٍ تحمي بها نفسها من عدوها . ورأسها مدور مبسوط . وركب في وسط بدنها اربع ارجل ويدان متناسبة المقادير . وهي وبيوتها المسدسة الزوايا وجناها ونشاطها من اعجب الاشياء . ولها امير يسوسها بشرائع جمهورية . ولها على قدر فطرتها نصيب من التعقل والادراك . ومن خصائصها الخلقية التي تفوق بها مطلق الحيوان هي انها اذا ماتت بُعثت من رمادها فتية . وقد اسهب الشاعر فرجيل اللاتيني في الكتاب الرابع من اشعاره الموسوم باسم «جورجيكا» بالطريقة الفنية المستعملة لاحياء النحل بعد موتها . وقد ضربنا صفحاً عن ذكرها هنا لضيق المجال

اما طائفة النحل فعلى اربعة انواع . منها ما كان ابًا وتقتصر وظيفته على التوليد . ومنها ما كانت اماً وتقتصر وظيفتها على وضع البيض . ومنها ما كان للخدمة والعمل ووظيفته جني الزهور و بناء اقراص الشهد واستحضار العسل . ومنها ما كان اميرًا يقال لهُ «اليعسوب» وشأنه السهر على حفظ رعيته وسياستها . وللجميع عيشة واحدة مشتركة

وتسكن النحل في عشٍ تتخذهُ اما في الكهوف واما في الجبال . وفي بلاد « كنتوكي » من اميركا الشمالية كهف كبير جدًا يسكنه ملايين في ملايين من النحل من قرون عديدة . ولا يستطيع احد الدخول الى الكهف ما لم يكن مدرعًا وقايةً من لسع النحل . وفي هذا الكهف قناطير مقنطرة من العسل الذي يجري كغدران في ارض الكهف . اما النحل الداجن فيتخذ الناس لهُ عشًا اصطناعيًا يقال لهُ «القفير» او «الخلية» او « الكوارة » او « العميرة » . ويأوي الى كل قفير من خمسة عشر الف الى نحو ثلاثين الف نحلة من التي تجني الزهور وتستحضر اقراص الشهد والعسل

ويتفق لبعضٍ من النحل ان يهجر قفيره و يوغل في الغاب ويجتمع الى غصون الاشجار . ويقال لهُ « الشلح » او « الطرد » او « الثول » . ويتألف غالبًا من نحو ٦٠٠ الى ٨٠٠ ذكر بلا حمة وانثى واحدة بحمة . ولها عند النحل مقام عظيم جدًا حتى اذا مست الحاجة الى مرور نحلةٍ من النحل بالملكة فتتحاشا تلك النحلة من لفت ظهرها الى جلالتها

ومتى دنا الشتاء ماتت كل ذكور النحل و بقي اليعسوب والملكة

مع النحلات العاملات مختفيات في القفير وانقطعن عن الاكل مدة الشتاء كله . ومتى دنا الربيع هببن من خمولهنَّ واقتتنَ بالعسل الباقي من السنة الخالية

اما لسع النحلة فموءلمٌ . فاذا لُسع الانسان من نحلةٍ اقتضى لهُ ان يخرج اولاً الحمة المقروفة من جسمه ثم يغسل الجرح بماءٍ وخل او بماء ممزوج بروح العرق او ان يهرس بين اصبعيه قليلاً من ورق المعدنوس المعروف ويفرك بهِ محل اللسعة فيزول الالم بسرعة (١)

ومن طبائع هذا الهوام العجيب انهُ يمتصُّ خلاصة الزهور ويحولها الى عسل بقوة حيوية لا توجد في معدة سواه من الحيوان . وقال «السير جون لوبوك» *(Sir Jhon Lubbock)* انهُ اشتغل كثيرًا في ملاحظة احوال النحل فوجد بعد كثرة التجارب ان النحل في افتقادها الزهور تفرق بين الالوان وتفضل اللونين الازرق والوردي من الزهور على بقية الالوان .

وقد وجد المدققون في احوال النحل ان كل نحلة تمتص خلاصة

---

(١) للمعدنوس خصائص اخرى طبية مجربة . منها ان اكله يسهل البول ويفتح المعدة المنقبضة ويزيل ضعفها . فمن اراد استعمال المعدنوس لهذه الامراض فليأخذ نحو مائتي درهم من الماء القراح ويضع فيهِ نحو عشرة دراهم من هذا النبات البستاني ويشرب من ذلك الماء ما شاء . واذا اصاب الانسان الم في ضرسه واخذ قليلاً من ورق المعدنوس وهرسه بين اصابعه ثم جعله حبةً صغيرة ووضعها في ثقب الاذن التي من جهة الضرس المولم زال الالم عن ضرسه في برهة وجيزة

ثلاثة ملايين زهرة من زهور الحقل حتى تستطيع ان تصنع من تلك الخلاصة ١٢ درهماً من العسل · اما العناصر التي تتركب منها المادتان السكرية والشمعية فهي «الاكسيجين» (مولد الحموضة) «والهدروجين» (مولد الماء) و «الكربون» (الفحم) · وكلها توجد في عصارة العسل بمقادير معلومة · ولذلك كان للعسل خصائص علاجية لا تنكر · منها التلطيف والتصريف والتطهير · هذا ما عدا الحلاوة اللذيذة · وهو اشرف طعام للانسان وانفع من السكر · لان هذا محصول نباتي صرف والعسل نباتي وحيواني معاً

ولما رأى الاقدمون ما في النحلة اللطيفة من شرف الصناعة وحسن الخدمة للانسان جعلوها رمزاً للاعمال العظيمة · ثم لما عاينوا فيها اجتماع الهيئة وانتظام الانضمام والحكمة في تدبير احوالها اتخذوها اشارةً الى الاتحاد والتعاضد · وكان اليونانيون يزعمون ان النحل خاقَ ليقيت بعسله معبودهم «زوس» في طفوليته · وان اول من عني باجتناء العسل من النحل كان ابن معبود الجمال «افلون» فينتج مما تقدم ان النحلة هي اشرف الهوام وانفعها خلقةً · لانها مع صغرها ولطفها تعمل ما لا يستطيع غيرها عمله · ولها من الجد ما لا يوجد في سواها · وهي تخدم الانسان بطبعها لا بتطبيعها · وتنفعه اكثر مما ينفعها وتغذيه وهو لا يهتم بطعامها · ولا ذبابَ اعفُّ من النحلة ولا هوامَ انشط منها في العمل · ولا حيوان سواها يربي خلفه احسن تربية منها ولا طيار يغرم بالعمل اكثر من غرامها به · ولا يفتر نشاطها ولا تكل عن العمل وان شاخت ·

ومن حسن دأبها القيام بمعاش اولادها وملكها وحشمه خير قيام فان اميرها « اليعسوب » لا يكلف نفسه مشقة استحضار العسل . فعلى النحلة وحدها ان تتجشم الاعمال المبرحة في اجتناء الزهور واملاء اقراص الشهد عسلاً شهياً . فان اتفق للانسان ان يقف الى قرب قفير النحل ساعةً لرأى بعضاً من النحل يسهر على حفظ المؤونة ضمن الخلية صيانةً لها من اقتحام الزنابير . وبعضاً منها يخرج الى الرياض لاجتناء خلاصة الزهور وحملها الى المخازن المشاعة . وبعضاً منها ينقي القفير من الاقذار . وبعضاً يحضن البيض ويعتني بتربية الصغار منها. فكأن الناظر يرى هنالك امةً منتظمة الحال يتعاون افرادها بنشاط عظيم على القيام بمصالح الجمهور وتوسيع دائرة المعاش وسد عوز الحياة بائتلاف هو ركن العمران. ولله در من قال

يا نحلة طوفي رياضاً وارتعي
وارعي زهور حدائقٍ وتمتعي
طوفي الرياض وفي الرياض فعرشي
ثم اقطفي ازكى الزهور الينعِ

ولا جرمَ ان عيشة النحل بين الطف الازهار وازكاها رائحة واغتذاؤها باحلى المآكل من العسل يجعلها من اسعد المخلوقات لكن لا تدوم هذه السعادة عليها طويلاً . لان الطبيعة قد سخرت طائفة اخرى من النحل لمحاربتها وتنغيص عيشها الرغيد عليها . ولا يخفى على من لهُ المام باحوال النحل انه طائفتان . ولكل طائفة امير من جنسها .

فالامير الاول ظريف الشكل لطيف البنية · مذهب الاجنحة · خفيف الحركة على ظهره نقوش لامعة ونقط ذهبية اللون · وهو يسود طائفة من النحل تشابهه في البنية والخلال لا في اللون والنقوش · وقد سماها الطبيعيون بالطائفة «الهلالية» · والامير الثاني هو قبيح الخلقة ضخم الرأس كبير البطن اغبر اللون لا جمال لهُ · وهو يسود طائفة من النحل تشابهه في نوعية التركيب واللون · وقد عرّفها العلماء بالطائفة «السيفانية»

ومن صفاتها الذميمة شن الغارات · وهي قليلة الشغل والتعسيل كثيرة الشغب والفتن مدار معاشها على الغزو · ولهذا كانت هذه الطائفة المتوحشة من النحل وبالاً على الطائفة الهلالية وعلى اميرها ولا تنفك من منازلته في حرب عوان · وللحرب عند النحل نظام واصول · وذلك:

يصطف الجيشان المتقاتلان في الهواء · ثم يبرز الاميران الى المبارزة والكفاح · وريثما الاميران يتبارزان تحوط كل طائفة باميرها وتنتظر بفروغ صبر نتيجة المبارزة وهي تشحذ حماتها على مسن خراطيمها تأهباً للنزال والكفاح · ومتى ادرك التعب الاميرين المتبارزين نزل الجيشان الى الميدان واختلط الجحفلان وقامت على الساق الحرب العوان · فيسمع لها في كبد السماء ضجيج ودوي يشبهان جلبة الفرسان · فتتساقط اجنحة الجرحى فيحملها الحرس المحافظ على الصفوف بكل اعتناء واهتمام الى خارج الموقعة · ويحوط القواد بالجيش ويستفزون الجبان على البسالة ويردون المنهزم الى ميدان الكفاح · ولم يزل الجيشان في قتال

وصدام حتى يغلب احدهما او يقتل احد الاميرين · وفي الغالب تدور الدائرة على الطائفة «السيفانية» وهكذا تختم تلك الحرب الهوائيــة . هذا ما كان من امر النحلة العسلية واما ما كان من امر النحلة المعنوية فقد ابدع بوصفها واجاد ابن غانم المقدسي وافاد :

﴿ غرائب النحلة المعنويــة ﴾

قال : فنادت النحلة : يا لها من نحلة · ما صحَّ في روايتها رحلة · فالعارف من ظهر معناه قبل دعواه وعلم صفاءَ سرهِ من نجواه ومن محا حقيقة دعواه ثبتت حقيقة معناه · فلا تقل قولاً يبطله فعلك ولا تُربِّ فرعًا ينقضهُ اصلك · تراني لما طاب مطعمي وصفا مشربي كيف رُفعت رتبتي وعلا منصبي وكمل ادبي لولا اني اكلت الحلال ولزمت اشرف الخلال حتى صرت كالخلال اسلك سُبل ربي ذُللا واشكر من نعمهِ فصولاً وجملا ابتغي المباح الذي ليس على اكله من جناح فاجعل في الجبال بيوتي ومن مباح الاشجار قوتي ابتني بيوتًا يعجز كل صانعٍ عن تأسيسها ويتحير اُقليدس في حلّ شكل تسديسها · ثم اسقط على الزهر والثمر فلا اكل ثمرة ولا اهشمُ زهرة بل اتناول منها شيئًا على هيئة الطل فاتغذى بهِ قانعةً وان قلَّ · ثم اعود الى عشي وقد صفا كدر عيشي فاشتغل في وكري بفكري وذكري واخلص لمولاي شكري ولا افتر عن الذكر ولا

اغفل عن الشكر وقد انتج علمي وعملي شمعي وعسلي فالشمع ثمرة العمل المقبول والعسل ثمرة العلم المنقول فالشمع للضياء والعسل للشفاء . فاذا اتاني قاصدٌ يستضيء بضيائي وان اتاني عليلٌ يستشفي بشفائي فلا اذيقه حلاوة نفعي حتى اجرعه مرارة لسعي ولا أُنيله شهدي الاَّ بعد مكابدة جهدي . فان اقتنصه مني قهرًا احامي عنهُ جهرًا وادافع عنه بروحي واقول يا روح روحي . ثم اقول لمن جناني واستخرجني من جناني انتَ يا جاني عليَّ جاني . فان كنت للرموز تعاني فقد رمزت لك فيَّ معاني انك لا تصل الى وصالي حتى تصبر على حرّ نصالي :

اصبر على مرّ هجري ان رمتَ مني وصالا
واترك لاجل غرامي من صدَّ جهلاً وصالا
ومُت اذا شئت تحيي واستعجل الاجالا
ان كنتَ معنىً تمعنا فقد ضربتُ مثالا
فان فهمت رموزي اقدمْ والاَّ فلالا

مقابلة بين النحلة العسلية والنحلة الغزلية

لا يخفى على اولي الالباب ما بين نحلة العسل ونحلة الاداب من النسبة في المعاني والاسباب . فان في النحلة العسلية سريرة تميز بها خصائصَ الازهار وفي النحلة الغزلية مندوحة تتحرى بها اعذب الاشعار فطرت النحلة العسلية على طاعة الامير وطبعت النحلة الغزلية على اطراب الامير والكبير والصغير . تبني الاولى بيوتًا لذخر العسل بالعناء والصبر

وتنشد الثانية اعذب ابياتٍ من الشعر . صُوّرت النحلة العسلية في هيئةٍ نحيفة وطبعت النحلة الغزلية بتصاوير لطيفة . تجني طائفة النحل العسلية زهور الحدائق وتقطف النحلة الادبية ازهار الحقائق . تتنقل النحلة العسلية في رياض الازهار وتنتقل النحلة الغزلية بديوان اشعارها الى اقصى الامصار . يخرج من لعاب النحلة العسلية عسلٌ فيهِ شفاءٌ للناس ويجري من اشعار النحلة الادبية انهار حقائق تُطيبُ الانفاس . فسبحان من خلق النحلتين وزينهما بحلتين احداهما عسلية وثانيتهما غزلية . ولذلك انشدت الابيات الاتية في نحلتي الادبية . وذلك سنة ١٨٦٩ للميلاد

يا نحلتي اهلاً فما عهد الوفا	ما بيننا ان يستحيل الى الجفا
طال الفراق وظن بعض ذوي الحجى	درست معالمنا ومعهدنا عفى
لله كم ارقت جفوني ليلةً	تأبى الرقاد ودمعها ان تكففا
لا طيف منكِ يزورني لابثهُ	شوقًا اذا عاف القلوب تلطفا
أَترى يدوم لنا اللقاء بلا قليً	يخشى وهل فعل العداء تصرّفا
قالت الا اعذر ان بعدي لم يكن	عمدًا ولا مني بحقك مجحفا
لما رأيت عواذلي نبذوا الحيا	وحسام السنة الحواسد ارهفا
ما ان سكت مهابةً لكنني	لازمت اخدار القفير تعففا
فالانَ اذ حرب الضغائن اشهرت	فلابنين مساكني فوق الصفا
ولاجعلن من القريض كتائبًا	ولاصنعنّ من الصوارم احرفا

يا ويل من سمحت بهِ ايدي القضا　　ان يستخفّ بما اقول معنفا
يا ويله يوماً ازجّ بابرتي　　منهُ الفؤاد فهل يصادف مسعفا
فمن الضلالة دحض امرٍ ثابتٍ　　وعلى المخاصم ان يكون المنصفا

...

حتى اذا جآء الشتآء ببردهِ　　وذرا الثلوج على البقاع وكثفا
والبرق اومض والرعود قواصفٌ　　والغيث من مقل السحائب أُذرفا
وعلى الغصون من الخريف بقيةٌ　　والروض قد عرّي واسقمه الحفا
والارض اصبح ثوبها خلقاً ومن　　طلب المحال وجوهها ان تعرفا
فهلمّ نذهب للقنبير فانهُ　　يحوي المآكل والمشارب والدفا

...

ومتى اتى فصل الربيع بوردهِ　　وكسى العراء من الازاهر زخرفا
والارض قد لبست كساءً اخضراً　　والغصن من ورق الربيع تغوفا
ابغي الرياض وقد تضوّع نشرها　　فتطيب لي فيها الجنا والموقفا
واصيغُ من تلك الازاهر عسجداً　　للناس ترياقاً ولي فوق الكفا
عسلي علاجٌ فاشربوا من خمرهِ　　من دون اثم واطلبوا منه الشفا
وبقيتي شمعٌ يضيء لكم ومن　　فضل الحياة لاجلكم كم أُسرفا
قد شرّف القرآن ذكري في الورى　　وأتى بتزكيتي النبيُّ المصطفى

صدرت بالابيات الاتية مجلة النحلة لما اعدت نشرها بمصر عام ١٨٩٥

اتحفتكم احبابنا ببشارةٍ عادت اليكم بالمسرة نحلتي
قد طال ما لزمت قفير سكوتها واليومَ في فصل الخطاب تجلتِ
لا ريبَ فيها نحلةٌ وطنيةٌ في كفها جاءت بشهدٍ حقيقةِ
حييوا محياها البشوش بلطفكم واستقبلوها في مقام حبيبةِ

رنَّ في الاكوانِ صوتٌ هاتفٌ انتبه يا غافلاً فالفجرُ عادْ
والمليك المجتبى من عرشهِ قال قولاً ينتخي منهُ الجمادْ
يا بني الاوطان هبوا ما لكم عن علومٍ في خمولٍ وابتعادْ
قد غرسنا جنة العلم لكم وانتخبنا نحلةً تجني المواد
بادروا واستقطفوا من شهدها من جناني تجتنى زهر السدادْ

تربية النحل

اما تربية النحل فتحتاج الى عناية شديدة · ولذلك يجب على مربيها ان يختار محلاً مصونًا عن الارياح · لان الريح تصدها عن نقل المؤونة الى القفير · وان يجعل القفير في وقاية من اذى الطيور والهوام التي تلحق اضرارًا بالزهور التي ترعاها النحل وتنفض قطرات الندى عنها · لان في قطر الندى نفسه خواص عسلية تمتصها النحل بشراهة · ثم ان ينتبه مربي النحل الى صيانة القفير عن تعدي الحرباء والسنونو والزنابير فان هذه الحيوانات تبدد شمل النحل وتفسد مؤونته المذخورة في خبايا القفير · وان لا يغفل عن ابعاد محل القفير عن مرابط البهائم حيث رائحة السرجين المتخمر تبلي النحل بالصداع · وليكن مقام القفير قريبًا من الرياض المزهرة والحدائق النضرة ومجاري المياه العذبة ولا سيما الاحواض النابت في مياهها زهر النوفر الزكى الرائحة ويجب على من يعتني بتربية النحل ان يضع في مجاري المياه القريبة قليلاً من الحصباء او الحجارة الصغيرة حتى يحل عليها طرد النحل ويستقي من الماء متى عطش او ليسهل عليه الالتجاء اليها بعد الاستحمام · وان يزرع كذلك الى جوار تلك المجاري ما استطاع من الزهور الزكية الرائحة

اما بناء القفير فيصح ان يكون مضفورًا من سائغ لحاء الشجر او من

اغصانها المرنة · وان يكون ذا منفذٍ حرج وذلك لغايتين · الاولى لمنع دخول البرد الى القفير في فصل الشتاء لان البرد يجمد العسل فيعسر على النحل ان تقتات بهِ · والثانية لدفع اذى الحر الشديد عن اقراص العسل لان شدة الحر تذوب الشمع فيسيل العسل ويطفح من مخازنه الشمعية ويهرق على جدران القفير ويتلف · ولذلك نرى النحل بسريرتها تطلي جدران القفير من داخل بمادة دسمة من الشمع الغليظ صيانةً من نفوذ البرد الى العسل من مسام القفير · وزيادة في الوقاية ينبغي لمربي النحل ان يطلي بالصلصال او الطين اللزج خارج القفير وان يظلله بسعف النخل او اصناف الزيتون المورقة متى اشتد البرد في الشتاء والحر في الصيف · وحذارِ من وضع القفير الى قرب شجر السنديان · فانَّ في ذلك خواص كيماوية تضر بمزاج النحل · ويجب على مربي النحل ان لا يسمح لاحد ان يشوي بقرب القفير حيوان السرطان فان رائحته مضرة بالنحل · وليحذر ايضاً من وضع القفير في اماكن قريبة من المستنقعات والاوحال · فان رائحة النتانة والعفونة المنتشرتين من المستنقعات لسم زعاف للنحل · وكذلك فليكن محل القفير بعيداً عن الكهوف والصخور الشاهقة لان صوت الصدى يصدع النحل · ومتى انقضى فصل الشتاء ودخل الربيع يجب فتح منفذ القفير لتخرج النحل الى الرياض وتجني الزهور وتباشر في التعسيل والتخليف

ثم يتفق في فصل الربيع ان يشرد طردٌ من النحل ويخرج تارةً الى الاشجار واخرى الى الكهوف ويعسل بكر عسله خارج القفير · واذا

ترك هناك ربما لحق بهِ كل النحل واخلى القفير . بناءً على ذلك يجب ان يصير السعي في استرجاع الطرد الى القفير. وطريقة اعادته الى القفير كما يأتي : متى شردت طائفة من النحل وخرجت الى الاشجار اوالكهوف وجب في الحال قص اجنحة ملوك النحل فيعجزون عن الطيران ويلازمون القفير . ومتى انتبه طرد النحل الى اغياب اليعسوب لا يتأخر عن الخروج في طلبه . ولما كان اليعسوب مقصوص الجناحين يلبث اما داخل القفير او يبقى حائمًا على منفذه غير مقتدر على مفارقته . فيراه طرد النحل ويسرع اليهِ ويلحق بهِ ويعود بكله الى القفير

وحدة الحال بين النحل

تعيش طوائف النحل بعيشة مشتركة في منزل واحد يعرف بالقفير وفيهِ يذخر مؤونته بالاشتراك . ولكل نحلة حق شرعي في تلك الذخيرة العسلية . فتقتات بها وتقيت اولادها بدون كلفة او اختلاف . فلا يقع نزاع في هذا المنزل المشاع . ولا يرى خصام على قوت ولا مشاجرة على متاع او مأوى . بل كل ما يوجد في القفير مشاع للجميع . ولهـذا لا يكدر صفو عيشها فقر ولا جوع ولا ظماء . بل وحدة الحال في المعاش تكون سعادتها في مراتع وحدة الوطن . ومن سريرة طوائف النحل انهـا تذكر فصل الشتاء وقساوة برده وقحط غلته وضنك ايامه فتجهد نفسها في فصل الصيف في جمع المؤونة واملاء اقراص الشمع بالعسل ذخيرة للربيع . ثم تتقاسم الشغل على السواء فمنها طائفة تسهر على حفظ المؤونة

ضمن القفير وتصونها من الهوام المعادية ٠ ومنها طائفة تخرج افواجاً الى الحدائق والرياض لتجني خواص الازهار وتحملها الى المخازن العمومية في القفير٠ ومنها طائفة تعتني في تنقية القفير من الاقذار بالتناوب ٠ وعلى هذا النمط تتعاون طائفة النحل على الشغل وتوسيع نطاق العمل لاجل رفاهية المعاش وكل ذلك بنشاط وائتلاف دون اختلاف

زمان تعسيل النحل

متى قدم الربيع حان اوان التعسيل وحينئذٍ تتقاسم طوائف النحل اقسام الاشغال بالتبادل فمنها من يضمخ ارض القفير بلعاب لزج ٫ومنها من يبني على ذلك اقراص شمع ذات حجرات مسدسة الزوايا ومنها من يملأ تلك الحجرات بقطر العسل وعلى هذا الاسلوب تتناوب النحل في الشغل كما تتناوب امر المعيشة وهذا من دواعي النشاط والحرص على الزمان لانه اذ كانت المادة التي يتكون منها اللعاب اللزج دون التي يتكوّن منها الشمع والتي يتكون منها الشمع دون التي تصلح لقطر العسل اقتضى التناوب في الشغل لان النحلة التي تكون قد وضعت اساس قرص الشمع بلعابها اللزج لا تتمكن في الوقت نفسه من بناء قرص الشمع ولذلك عندما تنتهي النحلة الاولى من وضع اساس القرص ترحل في الحال الى اجتناء مادة جديدة وتليها حالاً نحلة اخرى وتأخذ ببناء قرص الشمع ومتى فرغت هذه من بناء قرص الشمع

اقبلت الاخرى في العسل واخذت تملأ حجرات الشهد بقطر العسل وهذا النشاط في التعاون على الشغل لمن اغرب الغرائب حتى ان تربية الخلف ايضاً تكون عند النحل بالتناوب ومثل ذلك حراسة القفير يتناوبها الخفير ونقل المؤونة يتم بتبادل المعونة وطردٌ منها يطرد الذباب الغريب عن القفير ومنها ما يجني عصير الصعتر ومنها ما يلقط لب الزنبق الاصفر وطائفة تحوم على تويج القرنفل واخرى تمتص خواص الورد والفل وكلها في تعاضد وتعاون على الشغل بدون تكاسل في العمل ولا تفتر عن هذا الاجتهاد حتى يبسط الدجى جناحيه في الافق فتغتنم راحة الرقاد حتى الشفق ومتى انبلج الفجر المنير قامت النحل في نَعش وازدحام الى منفذ القفير وخرجت الى اجتناء الياسمين والفل وامتصاص زلال الندى والطل

الانتقاد

« الانتقاد » في اصطلاح اللغة مصدر «انتقد» الدراهم اي ميزها ونظر فيها ليفرق بين المقبولة وبين المردودة منها لزيف وغش فيها وفي اصطلاح الادباء والكتاب يراد به « التعقيب » على ما باثار الكتبة

من العيوب وسقط المتاع وتقدير ما بها من جيد الكلام وكل ذلك على الاصول والقوانين المرعية بين الكتاب ويقابل هذا ما اصطلح عليه ادباء الافرنج بلفظة « كريتيك » *(La Critique)* وهي كلمة مشتقة من لفظ يوناني الاصل « كريتاريون » *«Criterion»* وجملته اللاتين « كريتاريوم » *(Criterium)* ويقابله بالعربية « القسطاس » وهو اقوم الموازين الذي يوخذ دستوراً للعمل او هو « ميزان العدل » فاشتقت الافرنج كلمة « كريتيك » ووضعتها اسماً لفن النظر في الكلام ولانتقاء صحيحه من فاسده وخبيثه من جيده طبق العدل والانصاف

اما بعضٌ من كتاب عصرنا وشعراء زماننا واصحاب النشرات في ايامنا فقد سهوا عن معنى « الانتقاد العادل » وعن غاياته الحميدة والادبية واتخذوه واسطةً لتشفي الصدور وبثّ ما فيها من الحزازات والاحقاد في حق الرقباء ومالوا عن اصلاح ما يعثرون عليه من الهفوات الى الطعن والقدح في الاشخاص والاكثار من الشتائم بكلام غليظ يتردد تارةً في لفظه حتى الرعاع في الازقة والشوارع · وهذا دليلٌ على بعد الكتاب بالمشرق بمراحل عن الكتاب بالمغرب . فالجدير بكتابنا وشعرائنا ان يقتدوا بخيار ادباء الافرنج ويقربوا منهم في علو جنابهم وظرافتهم ويبتعدوا عن دناءة رعاع الازقة وفظاظتهم ·

« فالانتقاد العادل » فن من الفنون العالية بل هو فن طبٍ ادبي وحكمه حكم الادوية والعقاقير فمن المرضى مَن لا يوءثر فيهِ الدواء ومنهم من يهلك بهِ ومنهم من ينال الشفاء بهِ · كذلك الانتقاد فمن

العلماء من يسعى اليه بنفسه تعمداً ويستجلب التنديد على تصنيفه ليتخذه دستوراً لاصلاح هفواته · ومنهم من يعتصم بسمو عقله واصالة رأيه وسعة معارفه فيرى مصاف المنتقدين دونه ويستخف بلسع عقارب اقلامهم

ومن العلماء من قضى عمره بطوله في قلق وكدر لا مزيد عليهما من جرآء المنتقدين على هفواته · ومنهم من قتله الانتقاد رأساً · ولقد ثبت بالامتحان ان الشعراء اشد الناس شعوراً بالم الانتقاد · ومنهم من كبا ومات كمداً من جرائه · ومن جملتهم الشاعر «كاسانيس» [Cassagnes] الفرنسي · فانه جُنَّ ثم مات من تأثير انتقاد نده «بوالو» [Boileau] على قريضه · كذلك بلغ الكدر كل مبلغ من «توركواتو طاسو» الشاعر الايتلياني (Torquato Tasso) صاحب الديوان المشهور «باورشليم المعتوقة» (Jerusalemme Liberata) لما رأى الناس بادئ بدء لم يقدروا ديوانه حق قدره · ولذلك اعمل الفكرة في اعادة نظم كل بيت من ديوانه مرتين اتقاء من انتقاد انداده على هفواته ومع ذلك لم يفلح فقطع اليأس به ومات مختل الشعور · ولو اعتصم بالصبر لعاش ورأى اقبال الادباء على ديوانه ولكن شدة حساسته وحدة نزاقته ساقتاه الى الموت ريثما كانت رجال دار الفنون على اهبة الاقرار بفضله وجودة قريضه · ولكن لما قبض قبل اوانه وضعوا على جثته اكليلاً من اغصان الغار اعترافاً بكونه من ملوك الشعراء الاربعة · ولكن ما الفائدة من ذلك وقد حال الجريض دون القريض وكذلك العلامة «هوكورث» (Hawkworth) الانكليزي الذي كان نابغة القرن الثامن عشر مات كمداً من جراء

انتقاد حساده على تاليفه · ومثله ايضاً الشاعر « بنيامين استلنكفليت » (Stillingfleet) الانكليزي المعاصر لهُ مات كمداً من انتقاد « جيفورد » (Gifford) الشاعر الانكليزي المعدود من فحول الشعراء الذي انتقد على ديوان شعره المسمى باسم « اندنيميون » [Endimion] · ولمن اغرب الغرائب ان لورد « بايرون » (Lord Byron) صاحب ديوان « دون جوان » (Don Joan) المشهور كان شديد الحساسة والتأثر من الانتقاد · فهذا البطل الذي خاض عجاجات الحروب وما بالى باهوالها كان اذا قرأ انتقاد رقبائـه على قريضه ارتعد قلقاً واضطرب حانقاً · وكذلك الفيلسوف اسحاق نيوتن (Newton) الراجح العقل والمعدود من كبار حكماء الانكليز والمشهور بحزمه وثبات جنانه كان يجفل من انتقاد خصومـه على مؤلفاته · وساقه هذا الخوف الشديد من التنديد الى اخفاء قسم من موءلفاته في التاريخ حتى مات

اما العلامة جونسن [Jonson] فكان بعكس ذلك يسعى بنفسه في اغراء انداده بالتعقب على تآليفه · وكلما ازداد الناس انتقاداً لمصنفاته ازداد بذلك فرحاً وسروراً لانه كان يهتدي بالتنديد الى خطائه فيصلحه · واذ غفل المنتقدون عن التنديد بأليفه حسب ذلك استخفافاً منهم بمصنفاته · وعلى هذا النمط كان النحات « كانوفا » [Antonio Canova] الايتالي الذائع الصيت في سائر الاقطار يعرض على الناس الهياكل والتماثيل التي كان ينحتها ليسمع انتقادهم على ما فيها من النقائص بقصد اصلاحها ولما انشأ على قبر البابا اكليمنضوس الثالث عشر بهذا الاسم «Clemente XIII»

تماثيل من الرخام في جملتها هيكلي اسذين تنكر واختلط بالشعب الذي اجتمع في كنيسة بطرس السليح بروسة لمشاهدة ذلك الضريح ليتمكن من استماع اقوال المتقدين على تلك التماثيل . ولما تفرق الشعب كان « كانوفا » المشار اليه قد سمع وعرف ما كان من النقائص في تماثيله فانكبّ على اصلاحها . وكان ابو حيان الشاعر العربي من جملة هؤلاء الفحول حتى اجاد في ما افاد بقوله

عداي لهم فضل عليّ ومنةٌ فلا اذهب الرحمان عني الاعاديا
همُ بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

فحبذا الرجال . وعلى كل راجح العقل ان يقتدي بنموذج هؤلاء الابطال . ومن المؤلفين البارعين من اعتصم بالدهاء والذكاء وسبق المنتقدين الى الطعان وكسر حمة اقلامهم قبل النزال وما ترك لهم سبيلاً الى الهجوم عليه . من جملتهم المعلم اسحق « ديزرائلي » «*Isaac disraeli*» ابو اللورد بيقنسفلد . فانه كتب في فاتحة اول كتاب من مؤلفاته هجواً قطع بهِ جرأة المنتقدين وقال من جملة ما قال : من الناس من قطع اليأس بهم من الاقدام على التأليف والتصنيف والانشاء من جراء قصر باعهم وخمول عقولهم . ولما كسدت سوق سلعتهم وحبطت اعمالهم وخابت امالهم من الفلاح في فن التأليف اقتصروا على جعلهم التنديد بتأليف اساتيذهم حرفةً خسيسةً يستعينون بها على تحصيل اسباب معاشهم .

وكذلك المصورون لا ينجون من نكبة التنديد . ولكن منهم من تمكن من الخام نده الخاماً لا ردّ عليهِ . من جملتهم ميكائل انجلو

بوناروتي «Michael-Angelo Buonarotti» المعدود من المصورين والنحاتين والمهندسين والشعراء الايتليانيين والذي اشتهر ببناء قبة كنيسة القديس بطرس السليح برومة وبتصوير سقف معبدٍ في الفاتيكان يقال لهُ «كابلاسيستينا» «Capella Sistina» فكان كردينالاً من جملة الكرادلة قد انتقد على المصور المار ذكره · فلمار صور في صدر جدار «كابلاسيستينا» صورة النشر والحشر المشهورة صوّر شبيه الكردينال المشار اليه في صورة رجل محكوم عليه يتدهور في جملة الاشقياء الى نار جهنم وله اذنان كاذني حمار · وما زالت صورته الى هذا اليوم في المعبد المذكور يقصد مشاهدتها الناس الذين يتواردون كل سنة من خمسة اقطار الارض الى رومة · اما المصور «روبين» (Reubens) البارع فانهُ افحم خصمه وسد فاهُ عن التنديد باتخاذ طريقة حسنة دلت على دهائه وعلو جنابه · وذلك انه زار ذات يوم رقيبه المصور في دارهِ وطفق يثني على تصاويره ويحبذه على براعته في فن التصوير · ثم ابتاع منهُ كل ما كان عنده من التصاوير باثمان جيدة · ثم وعده بالمساعدة وقال لهُ: متى كسدت سوق اشغالك هلمَّ اليَّ فاعطيك ما تشتغل بهِ · ومن ذلك اليوم انقلب عدوه الالد الى صديق حميم

فلما اخذت بعين الاعتبار هذه الاقوال انشدت في ارتجال

ولكن قبل ذكر القصيدة رايت ان اختم هذا الباب بذكر انتقاد غريب شديد الوطأة وقع من صاحب نشرة علمية كانت تنشر في جزيرة «شيو» (صاقس) قبل التاريخ المسيحي بستة قرون في حق الشاعر الشهير «هوميرس» اليوناني الذي يحسبه ادباء اوروبا امير شعراء الغرب قاطبةً وقد اقتفى اثره الشعراء اللاتينيون والايتليان والفرنسيس والالمان والانكليز وغيرهم · وتفصيل ذلك :

نبش الحافرون قرطاساً من «البردى» (*Papirus*) في مدينة «فاو بكتوس» القديمة بمصر في مكان من الردم نضرب صفحاً عن ذكر اسمه احتشاماً · وقد احتوى ذلك القرطاس على جزء كامل من نشرة علمية يقال لها «طياطس» او «ثياتس» كانت تصدر مرةً في الاسبوع بجزيرة «شيو» (صاقس) قبل الميلاد بستمائة سنة · وقد استدل علماء الاثار القديمة من حروف هذه النشرة على انها اكثر قدماً من كل الكتب اليونانية العتيقة العهد المعروفة الى الآن ·

وذلك انهم وجدوا هذه النشرة مسطرةً بستة عشر حرفاً فقط من الحروف اليونانية كما كانت عليه في عهد «هوميرس» الشاعر الموما اليه · ونستدل من مقالات تلك النشرة على ان العلوم كانت قد بلغت درجةً عالية بجزيرة «صاقس» في ذلك العهد · والامر الذي يزيد هذه النشرة اعتباراً ويجعلها مهمةً هو كونها النشرة العلمية الوحيدة المعاصرة للشاعر «هوميرس» · وقد عثرت علماء الاثار في هذه النشرة على مقالة يظنون انها من قلم رجل اديب يقال له «مرجيتيس»

كان « هوميرس» قد هجاه بابيات فقابله « مرجيتيس » بالمثل وتعقب عثراته في ديوانيه « الايلياد » و « الاوديسي » وهاك ما كتبه « مرجيتيس » مترجماً عن الاصل اليوناني :

لم يكتف صاحب ديوان « الايلياد » بما تمخض به وهمه الفاسد وطرحه في هيئة مسخ قبيح ووضعه في شكل ديوان وسمه باسم « ايلياد » بل زاد وقاحة ونظم ديواناً اخر وسمه باسم «اوديسي» فلا حاجة لنا الآن بان نعيد قيام الحجة على خزعبلات ديوان « الايلياد » الذي ذاع نشره بين جم غفير من الناس آفة مهلكة على الاداب . وانما نقول : لما اقتصر « هوميرس » في ديوان « الايلياد » على وصف حروب الضفادع مع الفار والتهكم على السيد « مرجيتيس » اكتفينا بالتبسم . ولكن لما تعرض الى وصف حروب الالهة مع الجبابرة ساقتنا حمية الدين والاداب الى قيام الحجة علي هذا الكفر الوهمي . فديوان « الايلياد » عبارة عن مجموع تصورات وهميه لا تنطبق على العقل الصحيح . منها ما كتبه في بعض ابيات من ديوانه في حق رجل قتل اميراً جليلاً ثم احياه ليشهد مأتم ابنه المفقود .

ثم اذا تعقبنا اشعار « هوميرس » بيتاً فبيتاً استدللنا منها على شراسة اخلاق ناظمها وتوحشه المفرط وولعه بالقتل وسفك الدماء . فقد اخترع رجلاً وهمياً سماه باسم « اشيليس » *(Achilles)* وادعى ان امه الهة بحرية واقامه مقام فارس صنديد وخصه بخصال ذميمة وحشية تحط بمقام الابطال وقال في وصفه انه شق عصا الطاعة وعق مولاه وابق . ثم خرج الى قتل كل من ابى ان

يلحق به · ثم قتل ظلماً كثيرين من الذين استأسرهم · ولم يكتف بذلك بل انه فضح بنفسٍ لئيمةٍ جثة فارس صنديد سقط قتيلاً في حرب عادلة دفاعاً عن الوطن · فمن انعم النظر في اوهام هذا الشاعر وجد كل بيتٍ من اشعاره مكتوباً بدم البشر · ثم انه لم يقتصر على ذكر قتل الرجال الذين يعنيه امر قتلهم بل قد قدح زناد الفكرة في وصف كل عضو من اعضاء القتيل بتفاصيل تخل بالاداب الحميدة وتقشعر الابدان عند ذكرها · فتارةً يصف العضو الذي زجّ بالرمح الذي دق عظمه وبدد نخاعه · وطوراً يصف ضربة سيف خرق الصدر ونفذ من الظهر وفي راسه قلب القتيل مضطرباً يقطر دماً · وهذا لا شك مشهد قبيح لا تطيقه النفوس الابية في هذا القرن (اراد بذلك القرن السادس قبل التاريخ المسيحي) · ولما كانت سليقة «هوميرس» فاسدة تجاوزت حدود القباحات البشرية والاوهام الصبيانية وتعرضت ايضاً الى التلاعب بالالهيات لئلا ينقص ديوانه شيء من الكفر ايضاً · فنحن لا نعتب عليه من جراء خلو نفسه من الاحترام الواجب لاله الكون لعلمنا ان ذلك امر لا يعنيه لكن نقول ان الادباء الذين طالعوا اشعاره اقشعرت ابدانهم من الكفر الفظيع الذي ساقه الى اختراع آلهة فاجرة عاهرة والى جعله لها الله جل جلاله زوجاً خوافاً مطيعاً لاهوائها الفاسدة · هذا ما عدا اوهامه الغريبة واختراعاته الركيكة التي لا تنطبق على العقل السليم من مثل خيل ناطقة والهة متقمصة اجسام طيور جوارح ومن مثل جروح ثخينة تشفى بلحظة عين الى غير ذلك من السفاسف التي تضحك حتى اطفال هذا العصر المستنير بنور المعارف

وقد كنا نعلل انفسنا بآمال فارغة ونزعم ان « هو ميرس » قد استفرغ في تسويد ديوان « الالياد » جعبة اوهامه الضعيفة و بلغ الحد الاقصى من تصوراته التي يخجل من الاتيان بمثلها اولئك الاجلاف الذين يقصون القصص والخرافات في الازقة . ولكن ازددنا اسفاً على اسف لما رأيناه قد تجاوز حدود نفسه ايضاً في تلفيق ديوان « الاوديسي » ولم يبقَ لنا سوى ان نعزي انفسنا بتسلية وحيدة وهي ان « هوميرس » قد التزم حقن دماء البشر في تلفيق ديوان « الالياد » . فقد اقتصر في ديوان الاوديسى على وصف مناوشات قليلة تصور وقوعها بين بطله الموهوم « اوليس » *(Ulysses)* و بين جيل من الناس سماهم باسم « شيكونيين » ثم اكتفى بذكر فعل وحشي تصور وقوعه من « اوليس » في حق اله بحري وهمي سماه باسم « بيوفير » وهو المعروف في الاساطير باسم « شيلاً » . لكن لما بلغ خاتمة الجزء الثالث من ديوانه استبسل وجعل بطله المشهور « اوليس » ان يرتكب فظائع تشمئزُ من ذكرها نفوس السفلاء فضلاً عن الادباء . منها انه ساقه الى قتل ١١٧ شخصاً على سفرة الطعام . واستعان على ذلك الفعل الشنيع بجزار خنازير و بابنه و براعي بقر وبجنية وهمية . ولم يكتف بذكر هذه الفظائع وما يتبعهامن ارتكاب الجنايات التي يعجز العقل السليم عن تصديقها بل جعل بطل اوهامه ان يرتكب جناية القتل بقساوة قلب لا تعهد في اشد الناس توحشاً وذلك انه شنق بنات كثيرات صبايا لا جنحة لهن سوى انهن كنَّ قد خدمنَ سيداتهن كما كانت تقتضيه فروضهن . وقد زاد في الطنبور نغمـةً بكلام (نحتشم من ذكره لقبحه) وصف به صراعاً وقع بين « او ليس » و بين رجل شحاذ . اما وصف العذاب الشنيع الذي عذب به او ليس رجلاً

من الفعلة في اعضائه وعورته فتشمئز نفس كل اديب من سماعه · فهذا القبيح التي ينسبها « هوميرس » الى اوليس ورفقائه كانهم قد ارتكبوها في حق الفعلة وربما يسرّ باستماعها اهل النعمة واليسار · ولكن حذار حذار من التمادي في ذلك مخافة ان يجرح ذكرها شعائر الفعلة ويسوقهم الى الفتك به وبرفقائه انتقاماً مما ارتكبوه من القبائح في حق زملائهم الفعلة · غير انه لمن العجب العجاب ان نرى باسف شديد اشعار « هوميرس » مع ما تحتويه من احتقار العملة والفعلة منتشرة بينهم وهم يطالعونها بولع شديد اكثر من العلماء والادباء ونستشهد على صحة قولنا هذا « المكتبة الحرة » الكائنة في جزيرة « شيو » التي يتردد اليها الفعلة ليطالعوا فيها اشعار « هوميرس »

ثم قياماً بحقوق الانتقاد نتعقب الاوهام الغريبة التي سوّد بها « هوميرس » صحائف ديوانه الاخير المسمى « اوديسى » فقد وضع ذلك الديوان على الحوادث الموهومة التي نكب بها « اوليس » بعد خروجه من « ترواد » بعشر سنين فقال ما ترجمته : شرد « اوليس » زماناً وضرب في الارض تائهاً وطاف الفيافي وخاض في البحار حتى قذفته يد الاهوال الى كهفٍ كانت فيه جنية خالدة يقال لها « كالبسو » (*Calypso*) · فالتجأ اليها وعاش معها ثماني سنين ·

فليعلم « هوميرس » ان ولعه باحاديث جن وجنيات خالدات لمن الاوهام التي تسخر بها حتى الصبيان · فما باله يخدش بذكرها سماع الادباء ؟

اما الطريق التي سلكها « اوليس » حتى اهتدى الى غار الجنية « كالبسو » فلم يصفها لنا « هوميرس » وصفاً شافياً · ولكن نستدل من القرائن على انها طريق طويلة كثيرة التعويج والتعريج يعجز العقل عن تصورها · وزاد في

الطنبور نغمةً بنصبه حبائل ودسائس اوقع فيها الملك «علشينوس» الاول بهذا الاسم وهو من جدود الملك القورشيري الحالي المطاع · وهكذا جعل مصيبة ذلك الرجل البريء فائدة «لاوليس» الجاني · ثم عاد هوميرس الى ما كان في صدده وقال :

خرج «اوليس» من تروادة وحمل بشراسة وحشية على قبيلةٍ من قبائل «اتراشيا» ولكن مما يسرّ به كل عاقل ان الدائرة دارت في هذه الغزوة على «اوليس» الباغي ورفقائه ؟ ولما فرّ هارباً من هناك قذفته الارياح الى حيث لا يعلم احد الاّ الله · فوقع في ارض سبسبٍ من صحارى افريقية وصفها هوميرس بارض «اكالي عشب البردي» وهي ارض لا وجود لها الا في مخيلة هوميرس · ثم رحل عنها «اوليس» ولم يقتل واحداً من سكانها · وذلك امرٌ لا يعهد في طباعه · وهوميرس لم يذكر الباعث الذي منع «اوليس» عن سفك دماء اولئك القوم · مع ان حقن دماء المحسنين ليس من عوائده · ثم اقلع سفينته في بحار لا يعرفها وشرد فيها زماناً طويلاً حتى قذفته الارياح والامواج بطريقة مضحكة الى ارض كل سكانها رعاة لهم عين واحدة في جباههم يقال لهم «سكابس» (Cyclops) · فلما استقرت قدمه في تلك الارض وجد كهفاً (وهوميرس مغرم بالكهوف) فدخله وقتل ما كان فيه من الغنم واكل زوادة الراعي مع زملائه · فلما رجع الراعي الى كهفه وجد غنمه هالكة وزوادته مفقودة فوقع في رفقاء اوديسي واكلهم جميعاً · وفي هذه الرواية ايضاً وقع هوميرس في المحال · لان الراعي الذي يقتات بلبان المواشي عمره

بطوله كيف انقلب فوراً بين ايدي « اوليس » الى اكال لحم بني آدم ؟
ثم ساق هوميرس بطله « اوليس » الى الغدر بذلك الراعي · فانه اسكره اولا بخمر مجهول تاثيره عنده · ولا نعلم كيف ومن اين استحصل «اوليس» خمراً في كهف راع والراعي يجهل تاثير الخمر في الراس · وفي خلدي ان هوميرس نفسه لم يعلم ما قال · لانه لو عرف من اين جاءت الخمر الى كهف الراعي غفلة لكان المع اليه · ثم قال هوميرس : ان « اوليس » اغتنم الفرصة من سكر الراعي وضعفه الوقتي وفقأ عينه بعارضة وفرَّ هارباً من الكهف · ولم ينتبه هوميرس الى ما في هذا القول من الانحطاط بمقام بطله الموهوم · فان البطل الحقيقي لا يتصرف تصرف نذل لئيم ويغتنم الفرصة من سكر خصمه ويفتك به ·

ثم ساق « هوميرس » بطله « اوليس » الى جزيرة عائمة على وجه البحر حيث رأى فيها « ملك الرياح » واخذ منه مجموع الرياح وملأها في جراب ليستعين بها على اسفاره البحرية اي انه اذا انقطعت الريح عنه في البحر اخرج من ذلك الجراب الريح التي تعين سفينته على السفر · ولكن من سوء حظه فتح رفقاؤه الغشماء فم الجراب على حين غفلة منه فخرجت الارياح كلها وبقي صفر اليدين · فاضطر الى الرجوع الى الجزيرة العائمة ولم يحصل على فائدة · وهنا عجز هوميرس عن اختراع حيل ودسائس اخرى لمساعدة بطله « اوليس » وجل ما اتصل اليه وهمه انه جعل « اوليس » ان يفقد كل سفنه الاّ واحدة منها · وبهذه خاض تيار البحار حتى بلغ جزيرة جنية ثانية · وهذه مسخت رفقاءه خنازير واتخذته عشيقاً لها · وقد خرج هوميرس عن حدود الادب في

وصفه سلوك بطله « اوليس » مع الجنية . ونحن نحشم من اعادة كلامه مخافةً
من تخديش اسماع الادباء . ثم قال هوميرس : لما قضت الجنية وطرها من
« اوليس » طردته ذليلاً الى « هادس » . ولما قطع اليأس به عاد الكرة الى
الجنية فطردته ثانيةً . فاقلع سفينته في البحار وسار حتى وقع في حبائل
« السيرين » (Sirenes) وهنَّ بنات البحر تمخض بهنَّ وهم هوميرس وزعم
ان نصف جسمهنَّ الاعلى جسم بنات بني آدم ونصفه الاسفل جسم سمك .
لهنَّ اصوات رخيمة اذا غنين وسمع المسافر بحرًا صوت غنائهنَّ افتتن بهنَّ
ووقع في حبائلهن . ثم قذفته الرياح الى غوار في البحر وحاول
التنين اكله . ثم هلكت رجاله المرة الثالثة وهو لم يهلك بعد ولكنه بلغ
وحده كهف جنية ثالثة . ثم هجرها وركب طوفاً وسار الى جزيرة « كوسيرا »
وعشق فيها ابنة اميرها ثم فضحها . فطرده امير الجزيرة ونتعجب من كونه لم
يقتله . ثم عاد « اوليس » الى « ايطاكا » مسقط رأسه . فلما وصلها واتى
منزله وجد مئة وعشرين شاباً من شباب المدينة يختلفون الى زوجته فصمم
على قتلهم جميعهم . وهنا لا يسعنا المجال ان نصف الطرق المتباينة والمكائد
الكثيرة والاوهام السحرية التي تشبث بها « اوليس » فانه مسخ نفسه مرةً
ثعباناً واخرى حيواناً هائلاً وهلمَّ جرًّا لكي يتمكن بذلك من اهلاك عشاق
زوجته . ومما يسوءنا ويسوء كل ذي عقل راجح استماعه هو ان « هوميرس »
ريثما يتزيى بزي زنديق شقي نراه يستعين دائماً بالله وباصفيائه في
ترتيب دسائسه ومكائده بقصد ابلاغ « اوليس » الى مرامه . فالحمد لله
الذي اولانا نعمة الرسوخ في دينه الصحيح حتى لا نبالي بما يظهره هوميرس

في اشعاره من قلة الدين وانتهاك حرمة اله يجل مقامه السامي عن خدمة الاشقياء واعانتهم على بلوغ اوطارهم الفاسدة · فلجلاء مبين ان ديوان « هوميرس » الجديد قد استغرق كل الفواحش · وكل بيت من ابيات نشيده يقطر دماً وكل عبارة من عباراته ملوثة باقذار تبعث نتانة اشد من نتانة ديوان « الالياد » · ولذلك امسكنا عن الاسهاب في ذم عيوبه في صحيفة تداولها ايدي الادباء · واقتصرنا على القول ان هوميرس قد اتخذ الازدواج ديدنه وذلك انه جعل « جنيئين » ان تعلقا بطله « اوليس » المكار · وتصور له « كهفين » لقضاء اوطاره · واخترع « صنفين » من اكلي لحم بني آدم · وفي هذا كله لا فضل له · بل الفضل لمن سبقه الى هذه الخزعبلات · وقد انتحلها لنفسه من قصائد قديمة العهد ثم لفقها كما نرى قصة حديثة ابتغاء جذب الفتيات الغشماء في هذا العصر الى تلفيقه · وما زاد ديوانه الاخير سقماً كانت الاعمال الفاحشة البربرية والاوهام السحرية التي تستغربها اليونان وتأباها النفوس الابية · اما الذي يسوءنا فهو خوفنا من ان تتخذ اليونان القاطنون بمصر و بغيرها من المستعمرات اشعار هوميرس حجةً في اداب اليونان · غير اننا قد وفينا ما علينا من فروض الادب وافرغنا وسعنا في ابعاد هذا الوهم عن عقول الادباء وانذرنا هوميرس بالكف عن تقليد السيد « هيتوتس هياركس » وعن نظم قريض من هذا الطرز وان راجت سوقه عند السفهاء · انتهى كلام المنتقد

اما نحن فنقول : ان من طالع هذا الانتقاد المار ذكره الذي قد كتب قبل المسيح بستمائة سنة وهوميرس في قيد الحياة و بقي مدفوناً في اطلال مدينة من مدن مصر القديمة نحو ٢٥١٢ سنة ومخفياً عن عيون المؤرخين والمنتقدين

كل هذه المدة يتحقق ما ذهبت اليه طائفة من علماء التاريخ والانتقاد المدققين الى ان الاشعار المنسوبة الى الشاعر « هوميرس » ليست كلها من بنات افكاره وتصورات قريحته بل هي مجموع نشائد كانت موجودة عند اليونان حتى قبل وجود علم الكتابة عندهم . وان شعراءهم الاقدمين كانوا نظموها وانشدوها ثم علموها غيرهم شفاهاً وكانت اليونان تنشدها شفاهاً الى عهد « هوميرس » الذي انتحل لنفسه ما حوته من الحوادث التاريخية والافكار السامية . ثم اضاف اليها اوهامه السخيفة التي لامه عليها المنتقد المصيب المعلم « مرجيتس » المار ذكره . وان الاشعار التي نظمها « هوميرس » وانشدها الناس ليرتزق بها بعد فقدان بصره في سن الشيخوخة لم تكن على الشكل المنقح الذي هي عليه الان وقد اثبت التاريخ هذه الحقيقة . فقد جاء فيه: ان هيبارخوص (Hipparchus) « ابن بيسستراتوس » ملك اثينه الذي ملك مع اخيه « هيبياس » (Hippias) قبل الميلاد بنحو ٥٢٧ سنة كان اول من جمع النشائد المنسوبة الى «هوميرس» ورتبها بعض الترتيب . ثم جاءت بعده طائفة من الادباء في عهد البطالسة بمصر تعرف باسم «الغراماطقيين» ونقحوا اشعار «هوميرس» وحذفوا منها ما استهجنوه واثبتوا منها ما استصوبوه ثم رتبوا الجميع على اربعة وعشرين كتاباً على نفس الاسلوب الذي هي عليه الآن . وقال بعض المنتقدين ان « هوميرس » اسم بلا جسم وانه لم يخلق انسان بهذا الاسم . وان لفظة « هوميرس » معناها باليونان «الجامع» اي ان طائفة من الادباء جمعوا النشائد الحماسية القديمة التي كان يتفاخر في انشادها اليونانيون ثم نقحوها ورتبوها على اسلوب ديوانين وسموها نشائد « هوميرس » اي اشعار « الجامع » . ولكن هؤلاء المنتقدين

قد ذهبوا هذا المذهب الباطل من كونهم لم يقفوا على انتقاد المعلم « مرجيتس »
الذي كان معاصراً « لهوميرس » لان هذا الانتقاد التاريخي الذي هو حجة دامغة
على وجود رجل شاعر يقال له « هوميرس » كان مدفوناً في اطلال مدينة
« ناوبكتوس » القديمة وبقي مخفياً على المتقدين والمؤرخين الى سنة ١٨٩٢
للميلاد . ومن اللغويين اليونانيين من ترجم لفظة « هوميرس » بمعنى « الاعمى »
وقالوا : قد سمى الناس ديواني « الالياد » « والاوديسى » باشعار « هوميرس »
اي انهم ارادوا بقولهم « اشعار الاعمى »

هذا ما كان من انتقاد « مرجيتس » ومن تبعه في تعقيب خطاء
« هوميرس » . اما نحن فنقول قولاً لا يثقل على تراب هذا الشاعر : اولاً اذا
كان تصور حربٍ بين الضفادع والفيران هو حقيقة محصول قريحة « هوميرس »
فيكون قد اخطأ في انتخابه الضفادع والفار موضوعاً لنشائده في ديوان « الالياد »
فانه ليس من المعقول انتشاب حرب بين حيوانات مائية كالضفدع و بين
حيوانات برية كالفار . فالعقل البشري لا يقدر يتصوّر بمقتضى الطبيعة وجود
اسباب طبيعية توجب وقوع الاختلاف على وسائط المعيشة وغيرها بين الفيران
البرية والضفادع المائية حتى يسوقها الى قيام الحرب لاجل ذلك . فلو تصوّر
الحرب بين الفار والصنانير لكان اصاب عين الصواب حيث ان العداوة
الطبيعية الكائنة بين الفار والصنانير مشهورة

ثانياً لقد اخطأ « هوميرس » خطاء فظيعاً في تغزله برجل مثل « اوليس »
مجبول على السفاهة والرذالة والمكر واللوم وكل القبائح وقد ضاعف خطاءه
بجعله هذا اللئيم بطلاً بنى عليه نشائده الحماسية في ديوان « الاوديسى » . فان

تصور « البطل » (*Héros*) يتضمن مجموع البسالة والغيرة والحمية الوطنية والاستقامة وعلو الجناب وعزة النفس وخوف الله و باقي الفضائل · فاذا طالع الانسان نشيداً حماسياً بطله متصف بهذه الصفات الحميدة تشوّق الى الاقتداء به و باعماله الممدوحة · اما « هوميرس » فقد اعطى الناس بطلاً حوى في نفسه الخبيثة كل القبائح والرذائل · و بهذا اسقط ديوانه من عيون جميع الادباء والفضلاء وان كانت لغته فصيحة واشعاره منسجمة · لان الحسن بالفضل اكتمل · وان جمال المرأة العاهر لا يستر قبائحها وفجورها ·

لو كان الشاعر « هوميرس » رجلاً مجبولاً على الصلاح والفضل وسلامة القلب والتقوى يخاف الله و يهاب الناس لما حط بمقام نفسه الابية الى هذه الدركات باختراعه قصصاً تخالف التقوى وتناقض اصول الاداب وتسوق الناس الى الفساد · وقد اصاب من قال : ان الاناء ينضح بما فيه وصدق من قال : ان كانت عينك صالحة فجسدك كله صالح · وان كانت عينك شريرة فجسدك كله شرير

﴿ النظم ﴾

تجنب بحزمٍ ما استطعت وفطنةٍ بذيءَ كلامٍ وانتقادٍ مبرّح
ولا تغمسنْ في حبر ذمٍ يراعةً لقصد انتقامٍ او بدعوى مصححِ
فمن رام تنقيح الكلام منزهاً عن الزيغ فيها كان خير منقحِ
ومن شط في التقريع كان مداوياً بسم زعافٍ شر جرح مقرحِ
ورب صديقٍ تارةً شرُ ناصحٍ وربَّ عدوٍ تارةً خيرُ مصالحِ
رايتُ رجال العلم تقنط خيفةً وتجفلُ من قَدْحٍ اثيمٍ مجنحِ
فكم احرقَ التعنيف فلذةَ شاعرٍ فماتَ بقلبٍ بالسهام مجرّحِ
وكم رجلٍ لم يخشَ خوض عجاجةٍ ويفرق عند النقدِ من شر مفضحِ
وكم عاقل غاظ المندد واشتفى وعاش سكوتاً في نعيمٍ مُفرّحِ
احبُ اليَّ الانتقادُ وانني لاسعى اليه باجتهادي واجنحي
ولكن اذا نبلُ الضغينة فُوّقتْ جعلت لها مرمى عيونَ المقبحِ

﴿ البدر الغيور ﴾

القصة — قعدت ذات ليلة على شرفةٍ من غرفةٍ غرآء . ارقبُ بدر السماء في ليلة قمراء . « وهيلدة » بدري . وعروس شعري . تارةً تطربني بانغامها الحسناء . وطوراً تنشدني نشائد الخنساء . فحدث اذ ذاك خسوف تام . في البدر عند التمام . في ٢٨ من كانون الثاني الغابر . لعام الف وثمانمائة وثمانين الحاضر . وكان ابتداؤه بعد غياب الشمس . وتحول وجه السماء من البشاشة الى العبس . وذلك نحو الساعة التاسعة . وثلاثين دقيقة تابعة . ودام الى بعد نصف الليل . زهاء ساعةٍ وعشرين دقيقة في اغبرارٍ وويلٍ . وقد قال الاستاذ الكبير . والفلكي الانكليزي الشهير . فحل فحول علماء الهيئة العظام والرياضي « ج . ب ديمبليبي » العلام . *(J. B. Dimbleby)* القابض من ركائب النجوم على اللجام . ومن ظعائن الشموس والكواكب على الزمام . والضابط عنان سيرها باحكام . والراصد حركاتها بتدقيقٍ تام . انهُ يحدث هذا الخسوف . على طرز مألوف . كل ثمانية عشر عاماً . واحد عشر يوماً . ويعرف هذا دوره القصير . وله دور اخر كبير . يتم في كل ستمائة وواحد وخمسين عاماً مرة . في مثل الشهر والاسبوع والليلة والساعة والفترة . وقد حدث ايضاً

هذا الخسوف التام · لما زحف شلمانصر الرابع القمقام · بجيشه الاثوري الجرار · وغزا بهِ فلسطين وما حولها من الديار · وفتح بلاد السامرة بالحزم والعزم · واجرى في بطاحها سيول الدم · وذلك بعد خلقة آدم ابي الانام · عليهِ التحية والسلام · بثلاثة آلاف ومائتين واثنين وثمانين عاماً بالتمام · اتباعاً لتاريخ التوراة · ومن اعتمد عليها في ايراد الروايات · وقد حسب المنجمون · ودقق المدققون · ان هذا الخسوف قد حدث على طرزه المألوف · في نفس الشهر والاسبوع · والليلة والساعة وقت الهجوع · لما كان عمر آدم عشرة اعوام · وذلك بعد خروجه من جنة عدن بسلام · فعلى هذا الحساب المزبور · المسنود الى كتابي التوراة والزبور · يكون مرَّ على خلقة آدم عليهِ السلام · خمسة آلاف وثمنمائة وستة وثمانين عاماً بالتمام · وبناء على هذا الحساب · نقول في هذا الباب · كان بدء السنة التي خُلق فيها ادم وحواء · وسكنا الجنة الفيحاء · اول يوم بعد اعتدال الخريف المقابل الثالث والعشرين من شهر ايلول اللطيف من سنة الف وثمنمائة وسبع وثمانين ميلادية على حساب التوراة اليهودية واحصى الاستاذ « دولسن » الفلكي الفيلسوف ثلثمئة نجمة اختفى نورها في اثناء ذلك الخسوف

وحيث كانت « هيلدة » عروس شعري ونور بدري جالسة لدي وقت الخسوف على اسلوبها المألوف حسبت ان بدر السماء قد غار من وجهها ذي الجمال والسناء ففطى محياه بكفيه خجلاً واختفى في كبد السماء وجلاً فانشدتُ مخاطباً البدر الغيور اسائله عن بدري

السافر الى جانبي اسفرار المحور في الديجور وذلك بمدينة لوندرة في ٢٧ من كانون الثاني لعام ١٨٨٨

النظم

أبدر الدجى ما بالُ وجهك اغبرا وربع سناك اليوم قد بات مقفرا

اسائل عنكَ النجم وهو يزيدني بخطبك فيما أستزيدُ تحيرا

فهل وجه من اهوى رأيت ضياءهُ يفوقك حسناً فاستخرت التسترا

ولذتَ بظلِ الارض تطلب مفزعاً تفرُّ اليهِ او تصادف مئزرا

فبتَّ عميداً في الخسوف مكبلاً وبتَّ صريعاً في السديمِ معفرا

فقال وقد شقت مرائر صبرهِ عياءً وقد ابدى الخضوع واظهرا

ساهجر عرشي في الكواكب تاركاً لبدرك فيه الحق ان يتأمرا

واخفي بكفي حسن وجهي وطلعتي واخلي سمائي للدخيل تحسرا

ففي الارض بدرٌ فاق نوري ضياؤهُ وجمل وجه الكائناتِ ونوّرا

سألت الهي ان يحول منزلي الى عالمٍ غيري به ما تصدرا

الى عالمٍ لا ندَّ لي في جواره ولا وجه بدرٍ في السماء تصوّرا

اغارُ اذا شاهدتُ شبهي كوكباً سواءٌ تجلى في الثريا او الثرى

وان يخلق الرحمان غيري نيراً فغاية جهدي ان اموت فاقبرا

فلا بعد شمسي في البرية كوكبٌ ولا بعد بدري لن ترى ثمَّ اقمرا

تفزل اصحاب القريض بطلعتي ... وبي شبهوا الوجه الجميل المنورا
فكيف اطيق الند من نسل آدمٍ ... ومن ضلعه الخلاق حواء صورا
انا قمر الديجور والشمس مصدري ... اذا ضاء نوري كل نجم تسترا
انا قبل حواء وآدم مشرقٌ ... انا قبل وردٍ في الكمائم ازهرا
انا قبل اشجارٍ واثمارِ جنةٍ ... انا قبلما التفاح جنٍّ واثمرا
شهدتُ على حواء ساعة غرها ... رجيمٌ فناحت حظها المتعذرا
فضمت عراها في الغياهب عندما ... تردَّتْ بقشر التين خوفاً من العرى
وطلعةِ انثى قد غدت ندَّ طلعتي ... وصارَ سناها يخسف البدر مسفرا
وكم من نجوم في السماء ثوابت ... بنورٍ جلي لا تخاف التغيرا
فيا ليت حظي كان من شبه حظها ... وخسفي ببدرِ الارض لن يتكررا

دعاء عانس

القصة — قل اخيراً في بلاد الانكليز . بعد بلوغ سن الرشد والتمييز . عقد كتب الزواج . وكثرت فيها العوانس بلا ازواج . وبلغ صدى اصواتهنَّ ابواب السماء . بين ترديد بكاء ونحيبٍ ودعاء . فاتفق لي ذات يوم . اني زرت فتاةً من عيون القوم . فرأيتها قد تردَّتْ من الاكتئاب . اقبحَ جلباب . فقلت لها يا ربة الدلال والبهاء . ويا اليفة الوجاهة ونزيلة العلياء . ماذا الذي دعاكِ الى هذه الاكدار . وانتِ من نعم المولى في خيرٍ ويسار . ناعمة البال . خلية من البلبال . مستريحة

الافكار ودارك قد حفت بالازهار والحشم بين يديك في انتظار وانتِ حليفة الملاهي في الليل والنهار قالت وقد لاحت على وجهها سمات الكآبة وبدت على محياها امارات التعاسة · ما النفع من المال والزهو والملابس · وانا بلا زوج مهملة عانس · وقد اوشكت وردة حسني على الذبول · وخارت قواي واعتراني الخمول · فجلّ ما ابغيه من الدنيا زوج ولو من عود فذلك عندي خير من القعود فرثيتُ لحالها المنكود وانشدت في المعنى المقصود وذلك في مدينة لوندرة سنة ١٨٨٩ ميلادية

النظم

اراها تصلي ثم تقرع صدرها
وتشكو الى رب السماء بحرقةِ
تقولُ ودمع العين جارٍ بخدها
الهي كفاني ما اقاسي بوحدتي
شبابي انقضى والحسن زال وعمني
اصفرار ذبولٍ واختفى ورد وجنتي
فلا مال ابغي من سخائك بتةً
ولكن دعائي ان تمنَّ بزيجتي

﴿ الانتحار ﴾

القصة ـ انتحر طبيب من اطباء الانكليز وكتب قبل انتحاره كتاباً الى صديق لهُ عزيز ادعى به في بعض الادلة الشاردة والحجج الباردة بان الانتحار في ارض الشقاء والدمار عين السعادة والسداد لمن لا يرجو المعاد فانشدت مفنداً دعواه الباطلة وانا في البحر على ظهر باخرة ماخرة بين الاستانة وجزيرة الامراء الزاهرة وذلك في ١٣ اب لعام ١٨٩٣

﴿ النظم ﴾

من الناس من يشنو الحياة ويشتكي — من الدهر عيشاً لا يطيب نعيمهُ
اذا ضاق عقل المرء ضاقت حياته — واقعده ما كان ليس يقيمهُ
يرى الشوك في ارضٍ ويخفاه وردها — ويزعم ان الكون طراً غريمهُ
فلو كان يدري ما الحياة وقدرها — لطاب لهُ العمر الرقيق نسيمهُ
ولكن تولى قلبهُ الحزن سائداً — فكاد لذيذ العيش ايضاً يضيمهُ
فخال انتحار النفس باب سعادةٍ — يمر بهِ والجهل حقاً حميمهُ
يفر من الضيم القصير زمانهُ — الى عالمٍ ينحل فيهِ سديمهُ
فبئس نعيماً لا يفوز بـهِ الفتى — سوى بانتحارٍ والفناء قسيمهُ

﴿ سوق عكاظ او معرض باريس ﴾

دخلت مع من دخل معرض باريس اسرح الطرف بما حواه من دقيق ونفيس وقد واظبت خمسة اشهر مديدة اطوف كل يوم منها سوق عكاظ الجديدة وافتقد ما فيها من الصنائع العديدة والاختراعات المفيدة واعمل الفكرة في نتائج ما وصلت اليهِ العقول البشرية وفي ما ابدعتهُ من الفنون الحديثة بواسطة الدواليب البخارية والاجهزة الكهربائية وكان معرض باريس الاخير المعرض العاشر الكبير من التي رايتها في البلدان وتفقدتها تفقد الدهقان بالعيان

قرأت فصولاً عديدة وسمعت احاديث كثيرة عن معرض باريس ولكن صدق من قال: «ليس القول كالنظر ولا السمع كالبصر»: فما ادراك ما معرض باريس؟ هو عبارة عن عالم كبير اكتنز في نقطةٍ ودار على محوره في فلك صغير فحدث عنه ما شئت ولا حرج فلا كلام يستغرق شرحه ولا قلم يستوفي مدحه فهو لعمري عجيبة في عجيبة بل مجموع كل العجائب هو معرضٌ قد نهكت العقول قواها في تزيينه باختراعاتها الغريبة واستنباطاتها العجيبة وفوائدها العميمة وصنائعها النفيسة معرضٌ حوى من كل فنٍ املحهُ ومن كل علمٍ احسنه

فدخلته اريد افتقاده عهدي به نزهةً للخاطر وحديقة تنجلي بنضارتها النواظر وترتاح الى رؤيتها النفوس وتنتعش بشذاها القلوب فخاب فيه ظني وبلغت الدهشة مبلغها مني فاني وجدته مدرسة عظيمة الشان قد حوت من كل فن خبرًا ومن كل صنعةٍ اثرًا وحيث كنت من جملة الذين يميلون فطرةً الى الصنائع وتركيب الآلات كان ولعي بها يسوقني الى البحث في بدائع تركيبها فلذلك دخلت بادئ بدء دائرة الآلات والدواليب التي تحركها قوة البخار والكهربائية وصرت ادقق في تركيبها وحركاتها بشوق لا مزيد عليه وحيث كان ضيق المجال يحول دون القيام بوصفها تمامًا فقد اقتصرت في هذا الباب على ايراد اهم ما رايته من الاختراعات الجديدة التي تفردت في صنعها بالاتقان والفوائد وضربت صفحًا عن كثير من الاختراعات القديمة التي تعجز عن وصفها الاقلام فاخذت اجول اولاً بين الالات البخارية المعدة لحراثة الاراضي وزراعتها لعلمي بانها من اول اسباب المعاش ومصدر الخيرات واس الثروة ونجاح البلاد فاحسن آلةٍ رأيتها كانت آلة لحراثة الارض من اختراع الامريكان ثم آلة تبذر القمح وتخزنه في محل وتقذف التبن الى محل آخر وتفصل الزوان الى مكان آخر والحصى والتراب الى جانب آخر وما خالطهُ من حبوب الشعير الى مخزنٍ آخر ثم آلة لدق الغلال وعزلها عن التبن بطريقة مذهلة ثم آلة جديدة الاختراع لطحن الدقيق ونخله وفصل النخالة عن الطحين النقي ثم آلة اخرى لعجن الطحين وتقريصه ارغفةً وكنت قد قرأت في بعض الجرائد الشرقية ان قومًا

من الشرقيين الذين دخلوا معرض باريس رووا انهم شاهدوا فيه الة اذا وضع فيها قمح من جهةٍ طحن ونخل وعجنَ وخبزَ في قلبها ثم خرج من الجهة الثانية ارغفة مخبوزةً وهذا سهوٌ من ناقل الرواية والذي اوجب ادخال هذا السهو على عقول الرواة هو مشاهدتهم الات الطحن والنخل والخبز في دائرة بعضها الى جانب بعض فزعموا ان مجموع تلك الالات الة واحدة تشترك في وحدة الشغل بوقت واحد ثم رأيت الة بخارية لتطهير الماء مستجدة الانقان ثم الة اخرى بخارية لاستقاء الماء بحركة دائمة ثم نواعير بخارية ثم الة لولبية بطول شبر اذا قبض الانسان عليها بيده نزلت بهِ من طبقات دار عالية بسرعة غريبة فراراً من الحريق ثم الة بخارية لنشر الخشب ونقشه والحفر فيه من جملتها منشار برفع الخيط ينشر الواحاً من الخشب برق ورق الكتابة بسرعة غريبة ثم الة بخارية لعمل الحلوى وكل اصناف الملبس ولطحن الشوكولاتة وافراغها في قوالب ثم الة نارية تجمد الماء في خمس دقائق بسمك شبر واكثر فاذا ملأ الانسان جرةً من الماء ووضعها في ملامسة الالة جمد الماء في الجرة كما يجمد في الشتاء ثم الة بخارية لتجديد الهواء داخل المنازل ومستشفى المرضى من دون احتياج الى فتح النوافذ صيانةً من البرد · ثم آلة بخارية تجبل الطين من تلقاء ذاتها وتقطعه وتصنع منهُ اواني خزفية مختلفة الاشكال من دون ان تلمسها يد الفاخوري · ثم الة بخارية لجبل الطين وتقطيعه واصطناعه قرميداً لتغطية الاسطحة · وهي الة مستجدة الانقان في سرعة الشغل · ثم الة بخارية لغسل الثياب

وعصرها وتيبيسها من تلقاء نفسها · ثم آلة اخرى لها دولاب كبير كدولاب الساعة وفي باطنها اناء · فاذا وضع شيء من روح النفط في ذلك الاناء ونصبت الالة بمفتاح كما تنصب الساعة دارت الالة وولدت غازًا هوائيًا منيرًا من دون نار ولا سواها · ويكون النور الصادر عنها مثل نور الغاز الذي يستصبح به اهل اوروبا في منازلهم وشوارعهم · وقد ضُربَ معدل نفقة النور فكان مقدار عشر بارات في الساعة اي نحو مليمين · وثمن الالة الف فرنك وتبعث من قلبها ثلاثين مصباحًا · ثم آلة بخارية لتفصيل الجلد واصطناعه احذيةً كاملة الخياطـة · ثم آلات اخرى بخارية لدبغ الجلود وتلوينها · ثم الات بخارية لعمل السكر وتطهيره وتبلوره وتقطيعه قوالب مربعة الشكل · ثم الات بخارية لعمل الاقمشة المخرمة وغيرها · ثم الات بخارية تقطع حجارة الماس وغيرها من الحجارة الكريمة وتجلوها ثم رأيت آلة صغيرة تحركها رجل انسان فتصيغ سلاسل من ذهب وفضة بديعة الصنعة كسلاسل الساعات · ثم رأيت الات بخارية لعصر زيت الزيتون وغير زيوت نباتية · ثم الات بخارية لاستخراج الزيت المعدني (غاز البترول) · ثم الات بخارية لحلج القطن وفتله غزلاً ونسجه اقمشةً · ثم الات بخارية تنسج الاقمشة الملونة وتنقشها بتصاوير بديعـة · وكنت ارى نحو مئة مكوك ونيف تتناوب الشغل من تلقاء نفسها باوقاتهـا حسب لون اللحمة المطلوبة للنقش من دون ان تلمسها يد صانع · ثم الات بخارية لنسج القيطان والجوارب والقمصان الصوفية وما جرى مجراها · ثم الات بخارية لطبع التصاوير الملونة بالوان عديدة ولطبع

صحف الاخبار منها ما تطبع اربعين الف نسخة في ساعة زمانية ثم تقصها وتطويها من تلقاء ذاتها . ثم رأيت الة بخارية صغيرة جدًا طولها نحو شبر ونصف شبر تذيب الرصاص وتصبه احرفًا وتقصها وتقذفها من القالب كاملةً . ولا يقوم بادارة هذه الالة سوى ولدين حديثي السن ثم رأيت آلتين من اختراع جديد متقن غاية الاتقان لرص احرف الطبع وجمعها الى قوالب حاضرة للطبع . ولا يقوم بادارتها سوى ولدين صغيرين . وكل من الالتين على شكل الة الموسيقة المعروفة باسم « بيانو فورتي » . وقد رسمت الحروف بالترتيب على مفاتيح الآلة . فيجلس ولد على كرسي كما يجلس الضارب بالارغن ويكبس باصبعه على المفتاح المرسوم عليه الحرف المطلوب للرص فيخرج في الحال ذلك الحرف من صندوقه من تلقاء نفسه ويتركب في جدول الصف . وهكذا الى ان يكمل السطر . ومتى كمل السطر ساقته الالة من تلقاء نفسها الى قالب الصحيفة . ويدوم العمل على هذا النسق حتى تكمل الصحيفة . ثم ياخذ الولد الثاني في تصحيح ما فرط من السهو من الولد الاول عند كبسه على المفاتيح . وتصف هذه الالة ستة الاف حرف في ساعة زمانية . واذا تعوَّد الولد على كبس المفاتيح بسرعة تيسر للالة ان تصف ثمانية الاف حرف في الساعة . وكذلك قد اخترع صاحب تلك الآلة آلةً اخرى لتوزيع الاحرف فاذا اريد توزيع الحروف وضع الوجه المصفوف بتمامه على سطح هذه الالة ثم ياخذ الولد بكبس المفتاح المرسوم عليه اول حرف من حروف الصحيفة فيخرج الحرف من السطر من تلقاء ذاته

الى بيته وعلى هذا النمط تتوزع الاحرف كلها الى مخازنها الخصوصية ولبثت اتفحص هذه الالة زماناً طويلاً فوجدتها الة متقنة جميلة المنظر نظيفة لا يلوث الانسان يديه في صف الاحرف بها او توزيعها عليها لانه لا يلمسها بيده بتةً وثمن الالة ستة الاف فرنك ويتبع الالة في هذا الثمن مئة كيلو من الاحرف والالة الاخرى هي اصغر حجماً من الاولى وارخص ثمناً منها ثم شاهدت الة لاستحضار النور الكهربائي مخترعة من رجل اميركي وقد اعتنى مخترعها اعتناءً شديداً ليتمكن من استحضار النور الكهربائي بواسطتها بثمن بخس يكاد يوازي ثمن مصباح من مصابيح الزيت ثم رأيت الةً بخارية لضغط الهواء واستخدامه بمنزلة البخار لتحريك الالات ورفع الاثقال ثم شاهدت امتحان الات التليفون والميكروفون والفونغراف ثم رأيت الة تلغراف تنقل رسم خط الانسان وامضائه من بلد الى بلد واذا رسم الانسان بها صورته بيده في بلدة ارتسمت من تلقاء ذاتها في بلدة اخرى وكانت سيدة يقال لها «شنلي» رسمت صورة ابيها بهذه الالة في مدينة ليون فارتسمت في الوقت نفسه بباريس من تلقاء ذاتها وقد اخترع هذه الالة رجل يقال له المعلم «آلنكورت» . ثم رأيت باباً وخزانة تفتحان بواسطة الة كهربائية . وذلك اذا كبس الانسان كبساً خفيفاً على كرة من مطاط فارغة القلب معلقة في طرف خيط بجانب الباب انفتح الباب حالاً بسرعة البرق فتحاً كاملاً . ثم رأيت اجراساً معلقة على جدران غرفة ومناط بها سلك كهربائي فاذا نفخ الانسان بفمه على طرف السلك

نفخاً خفيفاً صوتت تلك الاجراس كلها في وقت واحد وان كانت على مسافة اميال من النافخ · ثم رايت آلات تحركها قوة كهربائية وهي تفصل من الجلود احذيةً وتخيطها ثم تسمرها · وآلة اخرى تصنع احذية من الخشب يلبسها صيادو الاسماك وقايةً من الرطوبة · ثم شاهدت آلةً اخرى عجيبة لصنع الكراسي والموائد من الخشب · قيل انها تصنع عشرة كراسي في خمس دقائق · ثم رأيت سريرًا مطلياً بالذهب وعليهِ فراش من المخمل الثمين وكان عليه رقعة مكتوب فيها ما ترجمته :

« ثمن هذا السرير ستة الاف ليرة » · ثم رأيت آلةً تنطق بجميع لغات العالم وتلفظ حتى الحروف الحنجرية لفظاً صريحاً فنقدت صاحب الالة فرنكاً من نقود الفرنسيس واستنطقها اشعارًا · ثم انشدت شعراً بالعربي والفرنسي والايتالي والانكليزي والتركي فاعادتها الالة بفصاحة عجيبة · وقام رجل من اهل اسبانيا وانشد شعراً بلغته فاعادته الآلة بكمال الاتقان · وهذه الالة ليست بالة الفونوغراف او الغرافوفون بل هي الة صغيرة طولها نحو شبر وعرضها نصف شبر لها فم مثل فم الانسان مصنوع من الصمغ المطاط (لاستيك) وفيه لسان اسود واسنان وله حنجرة تنتهي الى منفاخ صغير · وعلى جانب الفم خمسة قضبان من المعدن طولها نحو شبرين مركبة على صف متحاذ تتحرك ارتفاعاً وانخفاضاً · فاذا نطق الانسان كلاماً على اي بعد كان حرك صاحبها تلك القضبان الواحد بعد الاخر فخرج الكلام نفسه من فم الالة كأنه خارج من فم الانسان عينه · فلبثت اعالج تلك الالة مدةً واستنطقها

ما شئت · ثم برحتها وانا متعجب من ذكاء مخترعها · ثم رأيت قلماً كهربائياً يكتب بلا مداد وبلا ماء · فاذا كتب الانسان به على قرطاس ابيض لم يرَ فيهِ اثرًا للكتابة من خلال القرطاس · واذا وضع الانسان قرطاساً ابيض تحت ذلك القرطاس المكتوب بالكهربائية ومرَّ عليه بمحبرة صغيرة شبيهة بمحبرة المطابع ظهرت الكتابة على القرطاس الابيض التحتي · واذا رسم الانسان بذلك القلم صورة او رسماً تيسر لهُ ان ينقل بالطريقة المذكورة الوفاً من النسخ · ثم رأيت آلة لاطفاء الحريق في المنازل من احسن الالات واكثرها اتقاناً · وكانت من اختراع رجل امريكي · ثم شاهدت الات غريبة عجيبة اخترعها الايتاليون لصيد الاسماك والاسفنج والمرجان والحيوانات الصدفية والمفصلية التي تلصق بالصخور في قعر البحار · فتغوص الالة من تلقاء نفسها الى قرار اللجة على عمق نحو اربعين ذراعاً ونيفاً وتصطاد كلما تصادفه من الحيتان وتقتلع كلما تعثر عليهِ لاصقاً بالصخور · ثم رأيت نموذج مدفع مصنوع في « تورينو » ثقل رصاصته مئة وعشرون طناً ولهُ قوة تقذف رصاصته الى مسافة خمسين مليون « تار » و« التار » مقياس ايتالي وكان وصف المدفع محفوراً بالقلم الايتالي في ظهر المدفع نفسه

ثم رأيت ثلث نسخ من القرآن الكريم على قطع كبير يزيد عن الذراع طوله وكانت النسخ مكتوبة بالقلم العربي الجميل على رق الغزال ومنقوشة بنقوش ذهبية بديعة الرسوم فالنسخة الاولى قد كان امر بنسخها السلطان شعبان بين سنة ٧٦٤ و بين سنة ٧٨٧ للهجرة ثم وقفها

ابن اخيه على مدرسة درب التبنة في ١٥ شعبان سنة ٨٧٠ للهجرة . والنسخة الثانية امر بكتابتها السلطان «خدا بركت» ابن اخي السلطان شعبان المشار اليهِ اعلاه وذلك بين سنة ٧٦٤ وبين سنة ٧٧٨ للهجرة ثم وهبها الى مدرسة درب التبنة وكان قد امر ببناء هذه المدرسة السلطان شعبان المشار اليه وحضرة والدته لثلث خلون من ذي القعدة لسنة ٧٦٩ من الهجرة والنسخة مكتوبة بالقلم الكوفي الجليل وفي خلال سطورها نقوش جميلة بماء الذهب

ثم كنت قرأت في بعض الكتب ان ابا علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة الكاتب المشهور قد كتب تلك المصاحف العربية بخط يده . وهذا سهو لان ابن مقلة توفي يوم الاحد لعشر خلون من شوال سنة ٣٢٨ للهجرة ونسخت تلك المصاحف بعد وفاته باربعمئة وست وثلاثين سنة ثم رأيت الى جانب تلك المصاحف كتباً عديدة بخط فارسي وعربي مذهب وكان مكتوباً على صدر احدها ما يأتي — قال النبي صلوات الله عليهِ وسلامه : ثلاثة لا تجاوز صلاتهم اذانهم العبد الآبق حتى يرجع والمرأة باتت وزوجها عليها ساخط وامام قومٍ وهم له كارهون

خلاصة الكلام هذا ما تمكنت من مشاهدته في معرض باريس واقرُّ باني طفته نحو خمسة اشهر وما قدرت ان اشاهد الا شيئاً قليلاً منهُ وكيف يقدر الانسان ان يحوط علماً بعالمٍ صغير قد ركب على دواليب البخار وتحرك بهزات الكهربائية واستنار بوميض البرق ؟ لعمري

لم يبقَ شيء في هذه الكرة الارضية من عظائم الامور لم تعالجه قوة البخار وتتلاعب به ايدي الكهربائية

ولما كلَّ بصري من النظر ومل عقلي من كثرة الفكر رأيت ان انظم بعض ابيات اذكر فيها جانباً مما رأيته في هذا المعرض الغريب العجيب تفكهة لكل فاضل اديب فقلت اذ ذاك في باريس في اليوم العاشر من اب لعام ١٨٨٩

النظم

اقصُّ عليكم فاسمعوا بعض قصتي ... واتلو باشعارٍ تفاصيل رحلتي

رأيت عروس الكون باريس قدزهت ... بكل صنوفٍ من نفيسٍ وزينةِ

أتتها من الاقطار اجمل تحفةٍ ... فاضحت جناناً بالمحاسنِ حفتِ

ومعرضها الباهي تزيَّنَ سوقهُ ... بانواع ديباجٍ توشى بصنعةِ

وحجت اليهِ الناسُ من كل بقعةٍ ... فبعض لاتجارٍ وبعض لحرفةِ

اتاه من الامصار الف مصانعٍ ... يباهي بايجاد الفنون الحديثةِ

فكم افرغت فيهِ العقول اجتهادها ... واتخذَ اهلُ العلمِ من نصل فكرةِ

فسوق عكاظ قل اذا رمتَ وصفهُ ... لدى العرب يكفي عن اقامة حجةِ

بهِ «ايفيلُ» المشهور قام بصرحهِ ... على شاهق الاقواس في خير بقعةِ

معادن ارضٍ من حديدٍ وعسجدٍ ... وصفرٍ وقصديرٍ وناصع فضةِ

وفيهِ قناطيرٌ من العسجد الذي ... تولد في احشاء ارضٍ عميقةِ

وصياغ هذا العصر صاغوا بقدرة ... بناءً حكى مخروط اهرام جيزةِ

ودرٌّ يتيمٌ حجمهُ حجم جوزةٍ — واحجار ماسٍ احكموها بصنعةِ
وفصٌّ من الماس (١) النقي مشعشعٌ — يدور كنجمٍ فوق نقطة قطبةِ
واصحاب فنٍ قدَّروهُ بقيمةٍ — تزيد عن الكراتِ من الف بدرةِ
وفيه «التليفون» الذي عمَّ نفعهُ — وفيهِ «الفرافو ُفونُ» اغربُ بدعةِ
وقد قام «ايديسونُ» يعلن قائلاً — قسمتُ ضياء الكهرباء بفطنتي
حفرت مقالي في شموعٍ دقيقةٍ — فردّت صدى نطقي وصوتي ونغمتي
وفيهِ من الالات انفع سلعةٍ — لزرعٍ ودرسٍ من شعيرٍ وحنطةِ
وآلاتُ قرطاسٍ وطبعٍ واحرفٍ — ونشرِ تصاويرٍ والف صحيفةِ
دواليبُ ندفِ العهن والقطن جملةً — وانوال نسجٍ بالبخارِ ترقتِ
وانشأ قومٌ من دمقس سفينةً — عن الريح تجري دون قاعٍ ودفةِ
ولون زجاج كالعقيق رأيته — لقد صاغَ منهُ الفن اكواب خمرةِ
اذا مسَّ منها واحدٌ ثغرَ ظبيةٍ — تلبس باللونين حكم القضيةِ
والآتُ عزفٍ يطرب السمع ضربها — كعودٍ ومزمارٍ وقانون قينةِ
وقد مثلوا فيهِ بكل مهارةٍ — حضارةَ اجدادٍ ومبداء صنعةِ
واعجب من هذا طيور شهدتها — تغني بلا روحٍ على غصن دوحةِ
فيا ُمعرضاً عني اذا جئتَ معرضاً — بباريس سل عني وعن قدر شهرتي
اتيتُ اليهِ استمد افادةً — واتلو عليهِ سورةً من قصيدتي
فانيَ قسٌّ ان اردتُ فصاحةً — خبيرٌ بوصفِ الشيء من غير كلفةِ
سابقي لهُ في الشرق ذكراً معطراً — ترددهُ الاجيال في كل ندوةِ

(١) تاريخ هذا الحجر العجيب مذكور في خاتمة القصيدة

﴿ تاريخ حجر الماس المذكور في القصيدة ﴾

لهذا الحجر الكريم قصة غريبة · قيل : اول من وجده كان عبداً من الزنوج يقال لهُ « جمشوند » · هذا بينما كان يحفر في معدن سيده بالبرازيل وجد الحجر فاستعظمه وطمع في اقتنائه وعقد النية على سرقته ولكن احتار في امر سرقته لان الفعلة لدى خروجهم من المعدن كانت الحراس تتفقد ملابسهم فاحتال العبد حيلةً خدع بها الحراس وذلك انه شق عضل ساقه واخفى ذلك الحجر في طي الجرح · ثم ربط ساقه وتمارض وادعى ان صخراً سقط عليهِ وجرحه · وبهذه الحيلة خرج من المعدن · ثم فر هارباً الى الهند ودخل مدينة « مدراس » وصادف فيها رجلاً انكليزياً يقال لهُ « بيت » · وكان هذا الرجل رئيس سفينة شراعية تساوم مع الزنجي على مشترى الحجر بالف ليرة · وكان ذلك سنة ١٧٠١ للميلاد · ولما اراد الزنجي استقضاء حقه من الانكليزي بطش الانكليزي به وقتله وسلب الحجر منه · ثم عكف على شرب المسكرات حتى اختل عقله وانتحر · وكان « بيت » المذكور قد حفظ الحجر عنده ستة عشر عاماً · وعاش كل تلك المدة في خوفٍ عظيم من جراء قتله الزنجي · وقد اشتد عليه الخوف حتى انه ما كان يستطيع ان ينام ليلتين في بيت واحد · وكان يغير اسمه كل يوم عندما ينزل الى المدينة وكان اذا رأى احداً يطيل النظر اليه ارتعش واضطرب اضطراباً شديداً

من خوفه . ثم وقع الحجر في يد ورثة « بيت » فباعوه واشتراه دوق دورليان بمائة وخمسة وثلاثين الف ليرة وذلك سنة ١٧١٧

وكان الدوق وقتئذٍ نائباً عن الملك لويس الخامس عشر بلقب « رجان (Regent) فسمي الحجر بهذا الاسم وعرف به الى الان . ولما انتقل الملك الى لويس السادس عشر وحاز هذا الحجر وضعه في تاج الملك وتزين به .

ولما قامت رجال الثورة عليه قطعوا رأسه ونزعوا تلك الجوهرة الكريمة من تاجه وجعلوها من مال الامة . وصار لكل من رجال الامة ان يستعيرها ويتزين بها نحو ثمانية ايام ثم يعيدها الى بيت المال ودام الحال على هذا المنوال الى سنة ١٧٩٢ حيث قرّ قرار الهيئة الحاكمة على حفظ هذه الجوهرة في خزينة الدولة (غاردموبيل (Gardemeuble)) وما لبثت الجوهرة هناك مدةً حتى سُرقت . فهاج الشعب من جراء ذلك . فقام مسيو « رولند » [Roland] الذي كان وقتئذٍ وزير الداخلية وخطب في الشعب واتهم الشرفاء من احزاب البوربون بسرقة الجوهرة ثم قام غيره من الشعب وقال ان سارق الجوهرة هو « رولند » نفسه خائن الوطن . فعلى كل حال بقي امر سرقة الجوهرة سرًّا مكنونًا . اما الذي سرق الجوهرة فوجدها نقمةً يعسر هضمها . ولذلك اخفاها في مكان حقير الى جوار « شنزيليزه » (Champs Elysées) ثم اشعر رجال الحكم سرًّا برسالة بان الجوهرة مخفية في المكان الفلاني . فارسل رجال الحكم اناساً ينقبون في المكان المذكور ولدى الحفر وجدوها مع اناء كان قد سرق ايضاً مع الجوهرة المذكورة

وكان الاناء من حجر الجزع [Onyx] من الانية المشهورة باسم كاس القس سيجر » (Le calice de l'Abbé Seiger)

ولما قام نابوليون الى محاربة اوستريا احتاج الى دراهم فرهن هذه الجوهرة عند صراف الماني ببرلين واستقرض منه النقود اللازمة وحارب اوستريا وانتصر في وقعة « مارنغو » (Marengo) وحدا به هذا الانتصار العظيم الشان الى تخت الامبراطورية · ثم مضى على ذلك مدة من الزمان واسم سارق تلك الجوهرة مجهول عند الناس · ولما كانت سنة ١٨٠٥ قبضت رجال الحكم على رجل بدعوى انهُ مزور · ولدى التحقيق اقرَّ بانهُ هو الرجل الذي كان قد اخبر حاكم باريس بالمكان الذي كانت الجوهرة المسروقة مدفونةً فيه · ثم احتج بقوله : لولا هذه الجوهرة لما استطاع نابوليون استقراض دراهم لمحاربة اوستريا ولما سنحت لهُ الفرصة بنيل الانتصار في « مارنغو » ولما تيسر له الجلوس على تخت امبراطورية فرنسا . ولذلك طلب من نابوليون ان يعفو عن جريرته مكافأةً لذلك فعفى نابوليون عنهُ . وصار الرجل يلقب من ذلك اليوم « بسارق الجوهرة » ثم اعطى نابوليون الصراف الالماني ثلثة ملايين ليرة وفك رهن الحجر ثم رصع به قبضة سيفه وبقي فيها الى حين زواجه « بماري لويزا » · وحينئذٍ رفع نابوليون ذلك الحجر من قبضة سيفه ووضعه في قبع مصنوع من المخمل وحوله ثمانية صفوف من حجارة الماس ·

فلما دارت الدوائر على نابوليون ورجع بعسكره مخذولاً من « سواسون » (Soisson) وفرَّت الامبراطورة « ماري لويزا » هاربةً من باريس اخذت

معها كل جواهر المملكة وفي جملتها هذه الماسة الكريمة . وعندماوصلت الى «اورليان» قام الاسقف «دودون» (*Mons. Dudon*) بالنيابة عن الملك لويس الثامن عشر وقبض على الامبراطورة واجبرها على تسليمه تلك الجواهر مع قلادةٍ من اللوءلوء الثمين كان نابوليون اعطاها اياها يوم ولدت ابنها البكر . وكانت الامبراطورة وقتئذٍ لابسة تلك القلادة فانقادت الى امر الاسقف وسلمته بطيبة خاطر كل ما طلبه منها . وكان مع الامبراطورة وقتئذٍ امرأةٌ من شريفات فرنسا . وهذه لما رأت شدة الجفاء الذي وقع من الاسقف المشار اليه في حق الامبراطورة اغتاظت منه غيظًا شديدًا . ثم قيدت هذه القصة بقلمها واودعتها التاريخ

ولما جلس لويس الثامن عشر على تخت الملك وضع تلك الماسة الثمينة في قبع من المخمل الازرق كان يلبسهُ في ايام المواسم . واقتدا به شارلس العاشر بهذا الاسم . ولما فرَّ هذا الملك من باريس فعل ما فعل سلفاوءه وحاول اختلاس تلك الجوهرة في جملة جواهر الدولة : ولكن عند وصوله الى مدينة «رامبويل» (*Rambouillet*) ادركتهُ رسل الملك لويس فيليب وطلبوا منهُ تلك الجواهر فابى تسليمها . ولما بلغ ذلك الملك لويس اغتاظ وارسل في اثره ستة الاف جندي فحاربوه وكسروه واخذوا منه الجواهر كلها . ومن غرائب هذه الجوهرة العجيبة انها منذ خروجها من معدنها ودخولها في فخذ الزنجي «جمشوند» سارقها الاول وتقلبها مع صروف الزمان وقيام وسقوط ملوك فرنسا الى الآن ما صارت زينة لامرأة

اصلاً · بل اقتصرت على تزيين الملوك ورجال الفرنسية فقط · وما زالت الى الان محفوظةً في خزينة الامة

﴿ الطوفان ﴾

القصه ــ رقَّ ذات يوم من الهواء نسيمه وطاب من الزهر شميمه فتسلقت سنام الهضاب وافترشت التراب في ظل الاشجار والقلب صافٍ من الاكدار وصنوبر «خريستو» المعطر كعطر الورد المقطر قد عبق شذاهُ بالهواء وانتشر عبيره المشهور في الارجاء وملأ جزيرة الامرآء فلما اخذت الافكار تنازعني والهواجس تزاحمني صرت افحص الارض بعصا وابعثر ما فيها من الحصى فتلألأ لي اذ ذاك بينها ضرب من الاصداف الوانها اصناف في اصناف فأُخذت من جانبي العجب والانذهال وقلت لنفسي من باب السؤال: كيف تسنى لهذه الاصداف الانتقال من قعر اليم الى رؤوس التلال؟

وبينما انا انقلب على بساط الحيرة واقدح زناد فكرتي الحقيرة اذا فكر الطوفان العام الذي احدث في الارض انقلاب النظام جال في

خاطري على ارتجال فزعمت اني ادركت المآل وقلت : قد كان هذا المكان على ما يبان قبل الطوفان بحرًا من الابحار او قفرًا من الاقفار جرفت اليه مياه الطوفان الغدّار ما كان في قعر الابحر والانهار من الاصداف والمحار : ثم نبتت على رمها هذه الاشجار ولكن ريثما تنسلت من هذه المشاكل تعرقلت بغيرها من المعاقل وقلت : الطوفان ؟ ما هذا الطوفان المهلك للحيوان والانسان والقالب نظام الكيان ؟ وفي اي زمن من الازمان حصل هذا الطوفان ؟ وفي اي دور من الادوار وفي اي عصر من الاعصار نابت الكرة الارضية هذه المصائب وعمت الدنيا هذه النوائب ؟ هل كان ذلك بعد خلقة الانسان ام قبلما يخلق في الكيان ؟ فان كان ذلك قد وقع بعد خلقة الانسان لماذا لم يقيد احدهم تاريخ وقوعه بصحة واتقان ؟ وان افترضنا حدوثه قبل ايجاد الكتابة والتاريخ والاشتغال بالنقل والتنسيخ قلنا : كيف استطاع الناقلون وتهافت من بعدهم المؤرخون او غيرهم من الرجال ان يقيدوه بتدقيق بعد عدة اجيال ؟ ففي الحقيقة التي لا يعتريها ريب دقيقة ان اختلاف اقاويلهم وما اتوا به من التباين في تواريخهم دليلٌ قاطع على عجزهم في هذا الباب وابتعادهم عن محجة الصواب

فقد قيدت التوراة العبرانية وقوع هذه المجازاة الربانية بعد خلقة آدم عليه السلام بنحو ٢٢٨٨ عامًا بالتمام

وأُرخت التوراة الانكليزية وقوع هذه الرزيـة بعد خلقة آدم

وحواء بنحو ٢٣٤٨ سنة بلا اغواء

وروت التوراة السامرية حدوث هذه النازلة الذعرية بعد دخول ادم الجنان بنحو ٢٩٩٨ سنة باتقان

وجعلت التوراة السبعينية وقوع هذه البلية بعد خلقة الحيوان والانسان بنحو ٣٢٤٦ عاماً بلا زيادة ولا نقصان

وقال المعلم « بلايفير » والمؤرخ الانكليزي الشهير كان حدوث الطوفان العام بعد خلقة ادم ابي الانام بنحو ٢٣٥٢ عاماً بالتمام

وذهب المعلم الانكليزي « كلينتون » [Clinton] المشهور بالتاريخ والفنون ان طامة الطوفان حدثت بعد دخول ادم الجنان بنحو ٢٤٨٢ سنة بلا زيادة ولا نقصان

وقال يوسيفيوس اليهودي الواصف سفينة نوح على جبل الجودي ان الطوفان العام حدث بعد خلقة ادم عليه السلام بنحوِ ٣١٤٦ سنةً بحساب تام

وروى الدكتور الانكليزي « هالس » *(Hales)* الممارس للتاريخ وفيهِ هاجس ان سيل العرم ولا جَرَم حدث بعد خلقة البشر بنحو ٣١٥٥ سنة بصحة الخبر

وجاء في تواريخ الصين ما يبعد عن اليقين انه حدث طوفان في تلك الاقطار من شدة نزول الامطار وهيجان البحار وفيض الانهار على عهد الامبراطور « يا ـ او » صاحب البلاد بنحو ٢٢٩٣ سنة قبل الميلاد

وذكرت تواريخ اليونان حدوث طوفان على عهد « كزيسوثروس» *(Xisuthrus)* المذكور في اشعار اوفيديوس اللاتيني المشهور وانه غمر البلاد بنحو ٢٢٩٧ قبل تاريخ الميلاد.

فاذا افترضنا حدوث هذه الرزية كما قيدته التوراة الانكليزية وجدنا بين تاريخ الطوفان المقيد في توراة البروتستان وبين الطوفان المقيد في تواريخ الصينيين فرقًا من السنين بنحو ٥٥ سنةً بالتخمين. ووجدنا فرقًا بين تاريخ الطوفان المذكور في تواريخ الصينيين وبين تاريخ الطوفان المذكور في اساطير اليونانيين فرقًا بنحو اربع سنين.

وقد وجد المنقبون في اطلال نينوى من الاثار ما يستحق الاعتبار فقد عثروا على نوع من الخزف المشوي بالنار وعليه قصة الطوفان باختصار ووجد ايضًا مستر هرمس رسام المبعوث من مديري دار التحف البريتانية الى نينوى قبل الان ببضعة اعوام اسطوانةً من الطين المشوي بالنار يبلغ ارتفاعها نحو قدمين او اقل من ذلك المقدار وعليها قصة الطوفان بلا زيادة او نقصان. وقد شاهدت بلندرة هذه الاسطوانة الخزفية محفوظةً في دار التحف البريتانية *[British museum]*

فلما امعنت النظر ودققت البصر في هذا الاختلاف المبين وتضارب اراء المؤرخين افانين في افانين ازداد في عقلي الوسواس ولبثت اضرب اخماسًا لاسداس حتى تخطرت اقوال العلماء المدققين وآراء كبار الطبيعيين ولا سيما تعليل المعلم «لاهون» *(Le Hon)* الفرنسي وآراءه في نظامنا الشمسي فظننتني قد ادركت المرام من

الباعث على حدوث الطوفان العام فقد ذهب هـذا العلامة المفضال وقارب الصواب في ما افترض وقال : ان حصول الطوفان في جميع الاكوان حادث من حوادث الزمان يتأتى عن توالي الحرارة والبرودة في قطبي الارض وهذا من الحقيقة وليس من باب الفرض ويتكرر حدوث الطوفان كل عشرة آلاف سنة مرة ويخرب سطح الكرة وكان طوفان نوح عليهِ السلام الطوفان العاشر العام · وهذا الطوفان الذي يحدث على الارض يقع ايضاً في اكثر الكواكب بالتدقيق لا بالفرض فقد ثبت بالرصد والالزام والحكم والابرام حدوثه في كوكب المريخ وغيره من الاجرام

اما الباعث على حدوث الطوفان فامران طبيعيان مستندان الى قاعدة «الاستقبالين» في الاعتدالين اي اعتدال الربيع ذي الزهر البديع واعتدال الخريف ذي الهواء اللطيف · وذلك ان الحرارة تكتنز في احد القطبين ثمانية ايام كل سنة في احد الاعتدالين وتكتنز البرودة بالتقابل ثمانية ايام كل سنة في القطب المقابل وذلك بمجرد قاعدة «الاستقبال» [Precession] في فصل الاعتدال (وتعرف «بحركة رجعة المدارين») في كلٍ من الاعتدالين فالقطب الذي تكتنز فيه البرودة مدة عشرة آلاف عام يكثر فيه تجمد المياه ويزداد بهِ ثقلاً على الدوام والقطب الذي تكتنز فيهِ حرارة الشمس عشرة الاف سنة يذوب ما عليه من الجليد فيزداد خفة ولما كانت الكرة الارضية سابحة في مادةٍ اثيرية بمحور مائل بلا حائل على زاوية حادة درجتها٢٣°

و٢٨ دقيقة كان احد قطبيها مرتفعاً نحو الشمس والقطب الاخر منخفضاً الى اسفل انخفاض النكس فكانت الحرارة قبل الطوفان الاخير تتجمع في القطب الشمالي بلا تأخير نحو عشرة آلاف عام وتذوب ما كان عليه من الجليد رويداً على الدوام وكانت البرودة تتجمع في القطب الجنوبي على التوالي وتزيد تجميد المياه بلا تواني · فلما اشتد ثقل قطب الجنوب بما تكاثف عليه من الجليد المصحوب وخفّ قطب الشمال عندما اخذ الجليد في لانحلال ارتفع لخفتهِ القطب الشمالي نحو الشمس وانخفض لثقله القطب الجنوبي بالنكس وحصل في محور الارض ميلان واخذت المياه في سيلان وانصبت من القطب الشمالي على سطح الارض بالتوالي

وقد اثبت هذه الفريضة او بالتالي هذه الحقيقة الصخور الكبيرة والحجارة الجسيمة التي جرفها تيار ماء الطوفان من اماكنها الاصلية الى اقطار البلدان · فقد وجد العلماء المدققون والاساتذة المحققون ان هذه الحجارة العظيمة والصخور الجسيمة الملقاة على اراضٍ غريبة لما قذفتها قوة التيار ووصلت الى تلك الديار وقفت في اذيال الجبال من جهة الشمال لحيلولة رؤوس الجبال بينها وبين العبور فاندفنت في تلك القبور فاستدلوا من احوال هذه الصخور على ان الماء قد انصب من جهة قطب الشمال على وجه الارض وغمرها في الحال·

وعلى هذا المنوال يقول المعلم لاهون المشار اليه : سوف يحدث بعد مرور نحو من ستة الاف عام طوفان اخر عام بواسطة ارتفاع القطب

الجنوبي نحو الشمس وانخفاض القطب الشمالي بالنكس · وسوف يحدث كل عشرة الاف سنة طوفان لهذا مماثل بانصباب المياه من احد القطبين بالتبادل ·

فاذا كان المعلم «لاهون» المشار اليه قد اتصل في عصرنا هذا بحساب رياضي دقيق الى معرفة اسباب الطوفان واوقات حدوثه المعينة كما يعرف اليوم علماء الهيئة اوقات كسوف الشمس وخسوف القمر وظهور النجوم ذوات الاذناب قبل حدوثها بزمان أما يسوغ لنا ان نفترض ان نوحاً عليه السلام (حتى اذا انكر الدهريون نعمة الوحي عليه) كان يستطيع ان يعرف بحساب رياضي وقت حدوث الطوفان ويبني الفلك ويستعد للنجاة به مع آله وانعامه وحطامه ؟ من يستطيع ان ينكر هذا علينا ؟ ومن هو الذي لديه ادلة قاطعة وحجج دامغة تبطل افتراضنا ؟ من يعلم ماذا كانت عليه احوال البشر في ذلك العصر ؟ من ادرك حق الادراك درجة معارفهم ومدنيتهم وحضارتهم ؟ فاذا سلمنا بحدوث الطوفان في العهد الذي ذكره المؤرخون فيكون قد مرَّ على حدوثه نحو ٤٢٠٠ سنة· والحال ان الاثار التي استخرجها الحفارون من طبقات الارض قد دلت على ما كان عند البشر قبل الطوفان الاخير بآلاف من السنين من المدنية والحضارة والعلوم العالية ·

ومن جملة هذه الاثار ما وجده الحفارون في الكهف المسمى باسم «كنتس هول» الواقع على بعد ميل من مدينة «طوركى» بناحية ديفو نشر

من جزيرة انكلترا) من عظام البشر والاسلحة المصنوعة من حجارة الصوان التي دلت على ان عهدها يتجاوز سبعة آلاف سنة . وكذلك الاثار القديمة التي استخرجها الحفارون من اطلال « كرنك » بمصر قد دلت على كون عهدها يتجاوز العشرة الاف سنة.

ومثل ذلك قد وجد الحفارون اخيراً منذ بضعة اشهر في اطلال نينوى تحت اطلال معابد الاثوريين القديمة بآلاف اذرع اطلال معبد على طرز بناء معابد المصريين القديمة الموجودة اطلالها الان في « كرنك » و « لقصور » و « ادفو » وغيرها من معابد المصريين القديمة . فاذا كان عهد اثار الاثوريين واطلال معابدهم يتجاوز عشرة الاف سنة اقتضى ان يكون المصريون قبل ذلك بالاف من السنين قد ارتقوا الى درجة التمدن العالي حتى تمكنوا من حشد الجنود والزحف بها من ارضهم الى ارض الاثوريين قبل ظهور الاثوريين انفسهم في الدنيا وتشييد معابد بديعة البناء فيها

فهذا دليل جلي على فرضية ارتقاء البشر الى درجة عالية من العلوم والفنون والرياضيات والهندسة وتعبئة الجيش قبل الطوفان الاخير بالاف من السنين . فكما اباد الطوفان الاخير تلك المعارف وطمر اثارها في اعماق طبقات الارض هكذا الطوفان المقبل بعد نحو ٦۰۰۰ سنة سوف يبيد جانباً من البشر مع مدنيتهم وحضارتهم ومعارفهم وصنائعهم ومطابعهم وكتبهم وتلغرافهم وفونوغرافهم وتلفونهم وهيليوغرافهم وفوطغرافهم واشعة رنكتنهم ومنطادهم وسكك حديدهم وسفن بخارهم وكهربائيتهم وغيرها

من علومهم · ولكن اذا اتقن البشر في خلال هذه البرهة من الزمن حركة سير المنطاد في الهواء والسفن الكهربائية في البحار امكنهم حفظ شيء من مدنيتهم ومعارفهم الى بعد الطوفان · فالطوفان الاخير غير رسم الارض وسطح الكرة وفتح مضيق جبل طارق · وساق المياه التي كانت تشغل صحراء افريقيا الى قاع الاراضي المطمئنة بين اسيا الصغرى واوروبا وشكل منها البحر المتوسط · وفتح مضيقي الدردنيل والبوسفور · وشكل البحر الاسود · وفصل جزيرة انكلترا من قارة اوروبا بخليج «المانش» وفصل جزيرة ايرلندة من انكلترا بخليج «سان جورج» · وغرّق جزيرة «اطلانتا» العظيمة في بحر الاطلانتيك · وفصل قارة امريكا الشمالية من اسيا بخليج «بيرين» · وجعل تغييراً في قطبي الارض · واحدث فيها تغييرات اخرى عظيمة · وربما اغرق مدناً عظيمة مع ما حوته من المعارف والاثار وغطاها ببحار عظيمة · هذا ما نعرفه من اعمال الطوفان الاخير · والباقي في علم الله تعالى خالق الانسان ومدبر بحكمته الازلية جميع الاكوان

ثم فليعلم القارىء اللبيب ان التفاصيل الفنية التي بسطناها في هذه المقالة اتباعاً لاصول العلوم في هذا العصر لاتناقض نصوص الكتب المقدسة في قضية الطوفان العام · فان الله جلّ جلاله متى اراد معاقبة الاشرار من خلائقه سخر دائماً عناصر الطبيعة للاقتصاص ممن يخالف نواميس الطبيعة · فحدوث الطوفان على وجه الكرة الارضية كل عشرة الاف سنة اتباعاً لنواميس الطبيعة لا ينفي قول الكتب المقدسة التي علمتنا ان الله سبحانه وتعالى ارسل الطوفان ليقتصّ من البشر عن

طغيانهم · فما من عاقل ينكر ان الله عزَّ اسمه صبورٌ وطويل البال على عباده · فصبر عليهم حتى حان الوقت الذي كان قد عينه بحكمته الازلية لاحداث التغييرات على وجه الكرة الارضية واغتنم الفرصة من ذلك واقتصَّ ممن اراد قصاصهم · وهذا لا ريب من جملة خصائص الحكمة والتدبير الالهي

فلما انبسطت بازاء عيني هذه الحقائق التي رزئت بها الخلائق انثال القريض على القريحة فانشدت هذه القصيدة وضمنتها ما وعاه عقلي من الافكار والاراء وانا على جبل «كريستو» بجزيرة الامراء · وذلك في ١٠ اذار لعام ١٩٠١ للميلاد

السوءال

أصوت خرير الماء اسمعُ عن بعدِ ... أم البحر وجه الارض قد عمَّ بالمدِّ ؟
لماذا تعدَّى البحر امر مليكهِ ... وجازَ بعصيانٍ تخوماً قفا الحدِّ ؟
لماذا اعتدى اليمُّ العرمرم فجأةً ... واردم عدواناً حصوناً بلا عدِّ ؟
لماذا اعتلى فوقَ الجبال بموجهِ ... وخرّبَ جدراناً وبعثرَ من سدِّ ؟

الجواب

عناصر هذا الكون طرًّا تحالفت ... بامرٍ من الخلاق عدلاً بلا حقدِ

فجهزَ ماءَ البحر جيشاً عرمرماً … يريد هلاك الكافرينَ على عمدِ
وقلبَ موجُ السيلِ في طيّ غيظهِ … جبالاً واجساماً من الانس والقردِ
فقامَ عويلٌ مستديم ضجيجه … وصوتُ ثجيج الماء يسمعُ عن بعدِ
ونوحٌ يرى من ثقبِ فلكٍ وكوةٍ … تموجَ مياهٍ في ارتفاعٍ وفي مدّ
يرى الشمس في كبد السماء توشحت … شعاراً كثيفاً من حدادٍ بلا قصدِ
يرى البدر فوراً قد تردى شعائراً … من المسحِ في كبد السماء بلا وعدِ
يرى الغيم ايضاً قد تلبد عهنهُ … وزخت سيولٌ من حشاهُ ومن كبدِ
يرى الريح ثارت واستثارت عواصفاً … وصارت سهام البرق تنقضُّ من رعدِ
يرى الماءَ يجري من عيونٍ تفجرت … وزادَ سيولاً قد تعالت على الجردِ
يرى الموج في الابحارِ يلطم وجههُ … ويجري من الاماق دمعاً على الخدِ
يرى الماء ثجاجاً يفور تفجراً … ويعلو جبالاً ثم ينحطُّ عن نجدِ
ويكسر ابواب المنازلِ عنوةً … ويبلع احياءً ولم يعفُ عن فردِ
ينازل قوماً في حصونٍ منيعةٍ … ويفني اميراً قد تعزَّزَ بالجندِ
ويقحمُ ابوابَ المعابدِ موجهُ … ويجرفُ عباداً بعنفٍ الى اللحدِ
يهاجم كهلاً ثم شيخاً وصبيةً … ولم يعفُ عن طفلٍ تقمطَ في المهدِ
ويخطفُ من احضان امٍ طفيلها … وسيلُ دموعٍ زاد سيلاً بلا حدّ
وكم من صبيٍّ يستغيثُ بامه … فلا الامُّ تدريه ولا العقل يستهدي
يباغتُ في الخدرِ العروس وعرسها … ويتلفُ ما كانا عليهِ من السعدِ
وكم من عروسٍ تستجير بعرسها … وصوت سيولٍ غالب صوتَ مستجدِ
تبعثرُ امواج البحار جواهراً … خفاها خسيسٌ في الخزائن بالكدِ

وكم من بخيلٍ قابضٍ باناملٍ　كنوزًا حواها من لآلٍ ومن نقدِ
يعومُ بها والموج يخطف كنزهُ　ويهلك ارواحًا تغيب عن الرشدِ
صبايا غوانٍ كنَّ زينة محفلٍ　يمسنَ باثوابٍ انتهنَّ من هند
عذارى خدورٍ مثل وردٍ وزنبقٍ　فضحن على وجه المياهِ بلا قصدِ
تنادي فتاةُ الحيّ خلاًّ وخلةً　وتطلبُ عونًا من موالٍ ومن عبدِ
فاينَ حبيبٌ اين خلٌّ وصاحبٌ　واينَ صديقٌ اينَ من كان ذا ودِ ؟
واين الظبي اين المهى وعيونها　واينَ غزالٌ كان يرنو لذي وجدِ ؟
واينَ طيورُ الجوّ اين بلابلٌ　غدت تسحرُ الالبابَ في اعذبِ القدِ ؟
واينَ زهورٌ في الحقولِ وزنبقٌ　واينَ الخزامى اين عرفٌ من الوردِ ؟
واينَ اسودُ الغابِ اين نمورهُ　واين جيادُ الخيلِ في الحربِ والطردِ ؟
تماحتْ وراحت واستباحت هلا كها　عناصرُ هذا الكون عن امرِ ذي المجدِ
ولم يبقَ غير الفلكِ والحوت سابحًا　وروحُ إلهِ الكون سارٍ على المدّ

الوطن القديم

وقلتُ اصف مسقط رأسي بجزيرة العشاق بين الدجلة والفرات وذلك في ١٧ تشرين الاول لعام ١٨٦٤

القصة ــ توصف هذه الاراضي «بجزيرة العشاق» لوقوعها بين نهري الدجلة والفرات اللذين يتعانقان تعانق العشاق باقترانهما عند بلدة «القرنة» بين البصرة وسوق الشيوخ · ولا جرمَ انها ارض مباركة . قيل : ان الله سبحانه وتعالى غرس في ارض هذه الجزيرة جنان عدن واسكن فيها ابوينا آدم وحوآء · وفيها خرج نوح من الفلك لما استقرَّت على جبل «اراراط» او جبل «الجودي» · وفيها كان مسقط رأس ابرهيم الخليل · وفيها ازهرت طائفة كبيرة من اهل العلم والشهرة · منهم بنو الاثير وهم المبارك صاحب «كتاب جامع الاصول في احاديث الرسول» · ونصر الله صاحب «كتاب الانشاء والبلاغة» · وعلي صاحب التاريخ · وصفي الدين الحلي الشاعر المجيد · وحاتم طي بن عبدالله الطائي الحجة الدامغة في اللغة العربية والمشهور بالشعر والكرم · والامام البيضاوي صاحب «تفسير القرآن» · واوس بن حبيب المعروف بابي تمام الطائي الشاعر الخنذيذ · وابن سلامة المارديني النحوي · ومالك بن طوق وكان من قواد الرشيد العباسي · وابو نواس الشاعر المشهور · وهند بنت الرَّيان المشهورة «بالزَّباء» التي احتالت على قتل جذيمة الابرش بثار ابيها . والاسقف يعقوب النصيبي علامة العصر الرابع للميلاد والعلامة صفي الله افرام السرياني ابو ملة السريان صاحب النشائد الدينية وواضع تفاسير الكتب المقدسة وغيرها من التصانيف الكثيرة · والاسقف يعقوب المشهور «بالبردعاني» الذي ابدع الطائفة اليعقوبية في الملة السريانية · والبطريرك غريغوريوس المشهور «بابن العبري» · والبطريرك انطون السمحيري

الموصلي الذي كان من كبار المصلحين · وهو اول من احيى الطائفة السريانية الكاثوليكية بماردين وديار بكر وانشأ المعابد والمدارس وتطوَّف في اوروبا وجمع نقوداً وافرة لاصلاح شؤون الطائفة فاساء التصرف بها المسرفون من بعده · ثم الحبر النبيل كوكب الشرق المنير يوسف داود رئيس اساقفة السريان بدمشق صاحب التصانيف الكثيرة المفيدة في ابوابها · وغير هؤلاء الجهابذة كثيرون ضربنا صفحاً عن ذكرهم لضيق المجال · فارض جزيرة العشاق ارض الاولياء والعلماء والمفسرين والمؤرخين والمؤلفين والطوافين والشعراء والنحاة وقواد الجيوش والخلفاء العباسيين ورؤساء الاديان والمصلحين اصلح الله شأنها الى يوم الدين

النظم

خُلقتُ بارضٍ ذات مجدٍ وبهجةٍ
سقاها الهي من فراتٍ ودجلةِ
رياضٌ بمسكٍ قد تضمخَ تربها
بها انشأَ الرحمان فردوسَ جنةِ
رياضٌ كستها بالزهور طبيعةٌ
وعقد فيها التمرُ في كل غوطةِ
بلادٌ ثواها ادمٌ بعد جنةٍ
اليها انتمى الابطالُ في كل حقبةِ

وطن اجدادي

قلت هذه القصيدة واصفاً مدينة «أُرْفا» بجزيرة العشاق يوم دخلتها بعد رجوعي من رومة وذلك سنة ١٨٦٤ للميلاد

«أُرفا» بشعري وصفها لا يحصرُ	وكذاك في النثر المسجع يقصرُ
ازهارها وثمارها بصنوفها	والماء فيها والحدائق تكثرُ
رمانها يشفي العليلَ عصيره	والحبُّ كالياقوت لوناً احمرُ
دُرّاقها يحكي العذار خميلهُ	والتين كالشهدِ المقطر اصفرُ
اللوز والجوز الكبير وبندقٌ	والخوخ ينمو في الغصونِ ويثمرُ
بلسانها يحكي الثلوج بياضه	والورد كالخدِ المليح منوَّرُ
قد فاحَ في الارجاء عطر خزامها	وعبيرُ سنبلها الملوحِ يُنشرُ
وزراق ياقوت البنفسج مهدهُ	مرجٌ انيقٌ كالزمردِ اخضرُ
وشقائق النعمانِ خدُّ مليحةٍ	وبياض زنبقها المفتح احورُ
والجلنار على الغصون مهفهفٌ	ونتاجه مثل النهودِ مدوَّرُ
عنابها يحكي انامل كاعبٍ	مخضوبةٍ منها الندى يتقطرُ
نسرينها غررٌ تروق لناظرٍ	والفلُّ راحَ الجوُّ منهُ يعطرُ
طاب النسيم بارضها ورياضها	وبساط ارضٍ بالاقاحي يسترُ
هي جنةٌ فيها البلابل في الضحى	فضلَ الالهِ على الخلائق تشكرُ

وطن الخليل المصطفى ومقامه   في حوضه سمك كبيرٌ يكثرُ
سمك البحيرة للخليل مقدسٌ   وبمائها الصيد المحرمُ يحجرُ
وصحائف التاريخ تثبتُ قدمها   ومليكها في عهد عيسى ابجرُ

الوداع

سئمتُ الاقامةَ بلندرة الغبرآء ونقتُ الى مرأى باريس الغرآء فشفَّ لاحبابي عزمي على الرحيل فتشبثوا باذيالي في نحيب وعويل وكان ركوب القطار واختيار سفن البخار والسير في البحار قد اخذت باعشار لبي وقست عن استماع تعللهم قلبي ففارقتهم بلا انيس واخترت ركوب التيار بلا جليس · وبينا انا سائر بارض الفرنسيس بين ثغر «دياب» و «باريس» انثال القريض على البال فقلت الابيات الاتية في ارتجال وذلك في ٥ اذار لعام ١٨٨٦

هجرتُ ديار الانكليز تصرُّما   وكنت مقيماً في حماها مكرَّما
اقمت بها شطراً من العمر ناعماً   ونلت نصيباً في ثراها معظما
رحلت وقد كان ارتحالي عن رضىً   اريد ديار اللهو كي اتنعما
فلما رأت عزمي الاكيد حبيبتي   ولاتَ فراق والوصال تصرَّما

اسالت دموعاً من جفونٍ قريحةٍ فصارت على الخدين بحراً عرمرما
وقالت : اذا كان الفراق مقدراً اموت وان كان المات محرَّما
صرمت حبال الوصل دون جنايةٍ وفوَّقت في قلبي المتيم اسهما
اذا غبت عني ذاب قلبي تحسراً وصار على دار الحياة مسلما
سددتُ سماعي عن شهيق بكائها واغمضت جفني ان اراها فافهما
خرجت الى باريس دار مسرةٍ وطيري رفيقي في القفيص مرنما
وارض فرنسا قد تردَّت ببردةٍ من الوردِ في بدء الربيع مقدَّما
وزهر الخزامى قد تفتق ضاحكاً واضحى كعقدٍ من جمانٍ تنظما
حططت ركابي في الديارِ عشيةً وبدر الدجى كالشمس يسطع في السما
حللتُ بدارٍ طاب عيشي باهلها وبات فؤادي بالملاحة مغرما
اقمتُ بباريس الزهية فترةً اجرّ ذيول السعدِ فيها منعما
بها الشمس تبدو في الصباح منيرةً وما احسن الشمس الزهية في الحمى
عروسٌ نراها في السماء تبرَّجت نهاراً وفي ليلٍ تنور انجما
وليس لعمري ذكر شمسٍ ونورها بشعر بني الاعراب امراً مذمما
فمن عاش في ارضٍ كثيف ضبابها اقرَّ بان الشمس خيرٌ وسلما
فلا ريب دار الانكليز شهيرةٌ بقبح دخانٍ قد تلبد في السما
فعندي شمسٌ بعدَ ذاك نفيسةٌ متى اشرقت فوقي وليلي تهزَّما

المرفع

القصة : لهجت مذ وعيت من الاخبار المنقولة عن اهل الاسفار بان لمعشر الافرنج عادة كانت في الجاهلية ضرباً من العبادة اخذتها الايتليان في صدر النصرانية وجعلتها موسماً من المواسم المدنية ووصفتها « بالكرنيفال » «Carne Vale» ومعناه في لغة الاعجام « اذهب يالحم بسلام » · فان النصارى من الافرنج تستبيح الخلاعة والاكثار من شرب المدام قبل دخول صوم الاربعين ببضعة ايام كأن ذلك عندهم ضربٌ من السحور ترتمع بعده الملاهي ومراسح السرور وينقطع البعض منهم عن أكل لحمان الضان والطيور الى عيد الفصح او الفطور وقد فسدت فيهم هذه العادة حتى افضت بجانبٍ منهم الى الخلاعة والدعارة واتفق يوم دخولي عاصمة الفرنسيس قيام ذلك الموسم النفيس ورأيت في ذلك اليوم من جملة غرائب القوم ثلاثة ثيران كبقر يوسف عليه السلام سمان يطوف بها طائفة من اصحاب المساخر في الشوارع والاسواق بالتفاخر وتبدو عليهم من فنون الخلاعة مناظر وكان اسم « نورمان » مكتوباً في لوحٍ على ظهر احد الثيران وثقله الف ومائة كيلو غرام وثمنه الف وستمائة وخمسة وعشرين فرنكاً بالتمام · وكان اسم « ليموزين » مكتوباً في لوحٍ على ظهر ثاني الثورين

وثقله الف ومائة واربعين كيلو غراماً وثمنه الف وسبعمائة وخمسة وعشرين فرنكاً . وكان اسم « نيفرنيس » منقوشاً في لوح على ظهر ثالث ثور الفرنسيس وثقله الف ومائة وستين كيلو غراماً وثمنه الف وثمنمئة وخمسة وعشرين فرنكاً تماماً . ونشرت ثاني يوم المرفع جريدة « سوار » الفرنسية في هذا الباب خبراً موجباً للاعجاب وذلك ان صبيين وجدا في خزانة والدهما رزمتين من قراطيس بنك الدولة مقدارها عشرون الف فرنك فقصاها بآلة كانت لديهما ثمانية الاف قطعة في شكل فلوس صغيرة ونثراها ذلك اليوم على اصحاب المساخر . فجاء ثمن كل قطعة منها بقيمة فرنكين ونصف فرنك . وفي اليوم التالي عينت بلدية باريس ٤٣٣٤ رجلاً لتنظيف الشوارع من قطع الورق التي نثرها المتفرجون على المساخر . وهذه نهاية الجنون. ولذلك نظمت القصيدة الاتية سنة ١٨٨٦ ميلادية .

﴿ النظم ﴾

باريس ماذا الازدحام بضجةٍ ... هل يوم عيدٍ ام جليت بزفةِ

مالي ارى علم الخلاعة خافقاً ... فوق المنازل والملا في بهجةِ

قالت انا عرسٌ وعرسي « مرفعٌ » ... رفعت به حجب الحيا والحشمةِ

جبلت من الافراح طبعاً طينتي ... وخلاعة الاخلاق كانت خلتي

هذا نهارٌ حلّ كل محرّمٍ ... فيهِ وحلت للانام جريرتي

فيهِ الذكور تأنثت وتخنثت | وتذكرت انثى تطوف ببلدةِ
لبس الرجال ثياب اقبح نسوةٍ | ونسوا وقارًا كان احسن كسوةِ
لبست نساء الحي ثوب خلاعةٍ | وخلعن ديباج الحياء بنكرةِ
يقصدن دار الرقص دون تحجب | بترائب مكشوفة لفضيحةِ
والفيل يرقص في الشوارع كالظبى | والدب في زي النساء بحلةِ
لبس السكارى جلد فيلٍ اعرجٍ | وتراقصوا مرحًا تراقص قردةِ
والقرد يقفز في خلاعة فاجرٍ | والناس تضحك من تلاعب دبةِ

جبل النار او فيسوف الغدار

فيسوف . فيسوف . وما ادراك ما هو فيسوف . هو قبر بلينيوس الفيلسوف . وقبر كثيرين من اصحاب التجسس والكشوف . وكاد يكون قبري المكشوف . يوم صعدت اليهِ بقلب ملهوف . لاتقصى في غوامض مكنوناته تحت هواطل الحتوف . وقصة هذا الجبل الغدار القاذف كتل الكبريت والحجارة والنار لمن اغرب غرائب الادهار . فاصغ ايها القارىء الحكيم . والخل الحميم الى ما اقصه عليك . والقيه اليك :

القصة ـ انفجر هذا البركان · واندلعت من قلبه النيران وارتفع منها الى السماء اللسان حتى ذعرَ من قربهِ الفرقدان · ثم قذف من احشائه قذائف نار وحجارة ورماد · سنة اثنتين وسبعين للميلاد · ايام كان الفيلسوف بلينيوس الاصغر · اخو بلينيوس الاكبر · في مدينة «بومباي» القديمة ذات الاطلال الشهيرة العظيمة · حيث ذهب فيها شهيد العلم والاختبار اذ رام البقاء فيها اكتشافاً لاسباب ذلك الجبل الغدار · القاذف من اعماق لهيبه جهنم النار · فهذا البركان · هو الثاني من براكين الايتليان · تارة يندلع منهُ اللهيب شبه اللسان · وطوراً ينقذف من قلبه بدل اللهيب عثير ودخان · وقد تتطاير من الفوهة الضخمة · حجارة من نوع حجارة «النشفة» · وتسيل على جوانب الجبل معادن ذائبة كالانهار وتنصب الى البحار وتظهر في جنح الدجى للنظار كأنها انهار من نار واذا مرّت بمكان جرفت القرى واحرقت البلدان واذا انحصرت مدة من الزمان احدثت زلازل هائلة واهلكت السكان فطمعت ذات يوم في تقليد كبار الرجال وعزمتُ على تجشم اصعب الاعمال وقلت لنفسي علامَ لا تفعلين فعل الرجل الحكيم وتصعدين ذروة هذا الجبل العظيم وتقتدين بالفيلسوف بلينيوس الحكيم المتبصر شهيد العلم المتبحر قلت هذا وانا استفخر ولم افكر بان البغاث لا يستنسر فتسلقتُ ذات يوم ذروة الجبل العالية واخذت اطوف حول فوهته الهائلة وانا اقفز من صخرٍ حار الى كتلةٍ من كبريت ونار حتى احترقت في رجليَّ النعال وضايقت ابخرة الكبريت الكثيفة صدري بالسعال والحجارة

المنقذفة في الهواء تهددني بالحتف والوبال وانا لا ابالي بتلك الحال ودليلي ورائي يحذرني من الاخطار وانا متعنت لا اكترث بذلك الانذار · فلما قطعت نحوًا من خمسمائة خطوة من محيط الفوهة وصرت منها الى الجهة القبلية هبت ريح شمالية وساقت اليَّ من كثيف دخان الزفت والكبريت ما اعمى مني البصيرة والبصائر وادمى العيون وملأَ الحناجر فغبت لساعتي عن الحواس · وفقدت بالكلية الاحساس · وسقطت على الارض لا اعي ولسان حالي يندب خيبة الاستقراء والسعي واوشكت ان اهوي في ذلك الفم المفغور وكدتُ اكون طعام ذلك اللهيب المسعور فانتشاني دليلي في الحال وهرول بي في استعجال الى حجرةٍ في تلك الجوار منقذًا اياي من انياب غول النار ولولاهُ لجاورتُ بلينيوس الفيلسوف في قعر جبل فيسوف · فلبثت في ذلك المكان مدةً من الزمان وصور ذلك القبر وما أَعدَّ لي من العذاب في احشائه وهيأَ لي ذائب الكبريت في ارجائه وانحائه ترقص نصب عيني رقص الافعوان · فترتعد مني الفرائص وتقشعر الابدان · وكنت اثناء ذلك اوقن باني لا شك هالك واردد بصوت خافض ونبض بالكاد نابض آه من الكبريت والنار نصيب المشركين والكفار ولما هدأَ روعي وزال خوفي فكرت بان النار هي علة الدمار كانت ايضًا معبود الاخيار والاشرار · فقد عبد الناس النار في القصور والاوجار وعبد النار الكهنة والاحبار وشادوا لها المعابد في السهول والجبال وعنوا في ايقادها في النهار والليال · نعم لقد عبد الفينيقيون الشمس

والنار وسجدوا لها في الليل والنهار كما قال فيلسوفهم سنقونيات · في كتاب الفلسفيات وذلك لكون النار والشمس سببين في عنصري الحرارة والنور في الاكوان· وان الحرارة والنور علتا النبات والحيوان · عبد المصريون النار في مدينة طيبة واوقدوها في عليقة وسجدوا لها اثناء الليل واطراف النهار على انها عنصر الحرارة والانوار وعلة الخصب والبذار واساس الحياة في الابدان ومصدر الخير والشر في الاكوان · عبدت الروم النار وانشأ لها «نوما» الملك والحبر في سائر الاقطار المعابد والاديار واقام لخدمتها عذارى «الفستال» «*Vestales*» يسهرنَ على ايقادها طول النهار والليال وعبد زردشت الزندي النار ونشر عقائدها بين المجوس في الامصار وعلمها من تاخم الفرس وكان في ذلك الجوار وامر بقتل الكاهن الذي بغفلته تنطفىء النار عبد النار كل من استعان بها على قضاء الحاجات والاوطار عبد النار سكان الشموس والنجوم والاقمار عبد النار حتى النبات والاشجار ولولا الحرارة لما فتحت الازهار ولا عقدت في الغصون الاثمار ففي الدنيا والاخرة سلطان النار مهيب عظيم الاقتدار ولولا التقى وخشية النار لقلت بانها هي الاله القهار لانها به تحيي وتميت وبامره النبات والحيوان تنمي وتقيت · فلما انبسطت امام بصيرتي هذه الحقائق والبينات اردت نظمها في ابياتٍ ابيات · فسفرت لي عروس الشعر عن وجهها الجميل وقد استرسلت على الكتفين غدائر فرعها الطويل الاثيل · وقالت لي اكتب ما املي عليك · واوحيه اليك · فانشدت في الحال · وانا ما

بين تلك التلال والجبال وذلك في ١٩ من شهر تموز لعام ١٨٧٩

النظم

انا النار سلطان البرية قاهرٌ … وجندي لواءَ النصر في الكون ناشرٌ

انا النار احيي الكون ثم اميته … وعني ضياءُ الشمس والبدر صادرٌ

انا كنتُ مذُ البدء في كنهِ ذرةٍ … وخالق هذا الكونِ نوري فاطرٌ

خلقت حياةً للبرايا باسرهـا … وكلٌّ دبيبٍ أُحرمَ الحرَّ غابرٌ

يراعي حياتي كل حي ونابتٍ … وان متُّ ماتَ الخلق والكل خاسرٌ

بنوري استنارت في السماء كواكبٌ … وان غبتُ جسماً بالحرارةِ حاضرٌ

خدمت الملا عبداً رقيقاً وان سطا … لهيبي على الاجسام اني لقاهرٌ

اذا اشتدَّ بردٌ حف بي اهل منزل … كما حفتِ الاقمارَ ليلاً دوائرٌ

ادفئ طفلاً ثم شيخاً وخارفـاً … اذا البرد عضَّ الارض والثلج ناثرٌ

اجهز للخلق الطعام تفنناً … وينحو مقامي في الليالي المسافرٌ

ولولاي ما عاف الكرى عبد حاتمٍ … وأُعتقَ مُذْ اقرا القرى وهو ساهرٌ

بنوري اهتدى اهل السرى في غياهب … وكل لفضلي اخر الليلِ شاكرٌ

أُعينُ بارضٍ اهل خيرٍ ورحمةٍ … وفي سقرِ ابليسُ غيظي ساعرٌ

انا النار ما بين الاثافي مكانتي … وفرشي رمادي والسرير المجامر

طعامي سواد الفحم والريح نسمتي … ومسقطُ رأسي غابةٌ لا اكابرٌ

فلا تحقروا اصلي وفصلي ومنبتي … فمن بصلٍ زهر الزنابق زاهرٌ

انا كنت معبود المجوس وربهم كأني على كل البريـةِ قادرُ
وشاد مجوس الفرس لي الف معبدٍ ودارت بعطر الند حولي المباخرُ
اذا جاش غيظي والرياح خوافقٌ فكم لهيبي مستبدٌ وجائرُ
ادك من البنيان ارفع منزلٍ وحيث مقامي لا تقوم المنابرُ
اذيب حديداً ثم اصهر عسجداً وفي كور غيظي تضمحل العناصرُ
جنود النجاشي لا تقاوم كرَّتي وبطشي لا تقوى عليهِ القياصرُ
تدور رحى الحرب العوان بجمرتي اذا اصطدم الجيشانِ والموت حاضرُ
وسوق المنايا في رواجٍ متاعها اذا قامَ دلال الحمام يجاهرُ
سنانُ لهيبي في اللهام يزجها ملاكُ منونٍ في العجاجةِ ظافرُ
واحصد هام الجندِ حصد مناجلٍ وجمٌ الضحايا في القفار يبادرُ
الد عدوي الماء والردم جملةً وغيرهما في الكون لستُ احاذرُ
مقامي حشا طودٍ «وفيسوف» بابه ليحذر بأسي واقتداري زائرُ

عصر الفساد

القصة ــ عزمتُ على الانطلاق من الشرق على الاطلاق وعقدت حبك النطاق ونهضت من ارضي في رهطٍ من الرفاق وانا صبيٌ

امرد ارفل في حلل الشباب اغيد فطفت البلاد وعاشرت العباد وانتقيت الاخيار ونبذت عني الاشرار واغتنيت عن الناس بما انتخبت لنفسي من حميد المناقب واستهجنت ما لديهم من النقائص والمعايب وتمنيت لي ولقومي ما لديهم من الفضل وتقدير اقدار العلماء وما منّ الله عليهم بهِ من مواهب العلم وسوابغ الآلاء فقلت اللهمَّ امنن عليَّ وعلى بني جنسي بمثل هذه الخصال وارفعنا من دركات الجهل والضلالة الى درجات المعرفة والكمال وجملنا باجمل الاخلاق واحسن الخلال وزين نحور نسائنا و بناتنا كنسائهم وبناتهم بقلائد الاداب واخلع على اولادنا كاولادهم حلل الشهامة وعلو الجناب فلما بلغني ذات يوم من زعيم من زعماء القوم ان الافاضل من الاجانب واصحاب المسالك والمذاهب قد فتحوا في الشرق ابواب المدارس وعقدوا لصناعة الادب المحافل والمجالس واناروا بلادنا بنبراس المعارف الصحيحة وبثوا فيها روح المبادئ القويمة فاوثقوا صلات العائلات بروابط الحب والتحالف ورفعوا من بين الافراد اسباب التنافر والتخالف وهدوا اهل الشرق صراط الفضائل ونزهوهم عن الدنايا والرذائل فهزبي سرورٌ يجلُّ عن التعريف والوصف وحبذت نفسي على نجاح بني جلدتي الفاً في الف لكن عندما رجعت من غربتي الى منبت شعبتي وتدبرت احوال الاوطان وقست ما صرنا اليه من التمدن على ما كان وملت الى دراسة اخلاق النساء والبنات وتعرفت باحوالهنَّ في الشوارع والقهوات ساءني ما رأيت في البلاد من الرذائل والفساد وانفت

على حال العباد فقلت والحسرات ملء الفؤاد ما لقومي قد ابوا تقليد اولئك الافاضل فيما هو مشتهر عنهم من عمل الخير وورود موارد الفضائل ولماذا لم تتخلق فتاة الشرق باخلاق الاميرة «بياتريز» ابنة فكتوريا ملكة الانكليز ولماذا قلدتها في لبس الديباج وتدثر المخمل وانفت عن تتبعها بمعرفة تدبير المنزل ولمَ مشت خطوها في قاعات المراقص وندوات التمثيل ولم تتبع اثر اقدامها في عمل المعروف وفعل الجميل . لماذا استنكفت بانفٍ شامخ عن تقليدها في اصلاح المنازل ودخول المطابخ فان هذه الاميرة الطائرة الشهرة قد جعلت في حي «سوث كنزنكتن» على اجد طريقة واحسن منوال مدرسةً لتعليم الجنس اللطيف علم الطبخ على سائر الانواع والاشكال وهي على علو مكانتها تدخل مطابخ ذلك المنتدى العامر لالقاء فصول ذلك العلم وابوابه على بنات الامراء والاكابر فلم فتاة بني العرب تأبى اتباع اميرات الغرب في حميد الخصال ونبيل الفعال

وقد رأيت باسفٍ عظيم وفؤادٍ كليم حتى بنات احقر الطاهيات اللواتي باطمار الجهل والفقر متدثرات يأنفن من صناعة الطبخ ودخول المطابخ بادعاء باطل وانف شامخ وهنّ بلا ريب لا يفرقن بين الفضل والعيب بل صدق بهن قول المثل السائر «انفٌ في السماء وكعب في الماء» . فيا للعار والفضيحة ويا لها من عادةٍ ذميمة قبيحة . ثم رأيت الصبي الامرد والشاب الاغيد والخريدة الهيفاء والمرأة الحسناء والرجل العاقل والكهل الكامل قد ابتلوا على السوى بالمسكرات

والتبغ والهوى يعربدون في غرور ويتباهون بالفجور والاناث مع الذكور يتسابقون في الغواية والشرور وتكر عليهم الايام والشهور والجهل مكنون في الصدور والعار في العواتق والنحور وكلهم سكارى بالخمور لا يصحون من سكرة الشرور حتى يدرجوا بالاكفان في قعر القبور يا ويلهم يوم النشور لذلك شملني حزنٌ وانذهال وانشدت واقعة الحال · وذلك بالاستانة العلية سنة ١٨٩٠ ميلادية

﴿ النظم ﴾

ساد الفجورُ على المدائن والقرى   وفشى الفسادُ بدائهِ بين الورى
كانت بلاد الشرق مهدَ فضيلةٍ   والعلم فيها كان روضاً مزهرا
لما اتى اهل الفساد بلادنا   اغروا جهولاً خاضَ فيه الابحرا
شقوا نقاب الآنساتِ ومزّقوا   ستر الحياء بجنحةٍ لن تغفرا
وأتوا كناس الطهر حيث غدا به   أَسدُ العفاف على الحضيض معفرا
فسدوا وعمّ الخلق شرُّ فسادهم   والشرقُ بعد الانس اضحى مقفرا
زرعوا قبيح عوائدٍ في مشرقٍ   فنما بهِ البزر الخبيث واثمرا
وتفاخروا بحضارةٍ مزعومة   بئس الحضارة بالدعارة تشترى
كانت نساء الشرق قبل قدومهم   بلباس بزٍّ حسنه لن يحصرا
واليوم تقليداً لاهل خلاعةٍ   يلبسنَ ديباجَ الدمقس مخصرا
قد كنَّ يلبسنَ الثيابَ قصيرةً   واليومَ يجررنَ الذيول تخطرا

كانت فتاة الشرق تحجب وجهها والیومَ ترغبُ صدرها ان یظهرا
كانت لعهد مدارسٍ قد احدثت تأوى الخدور تعففاً وتسترا
والان تقضي في الشوارع وقتها بتبرجٍ وتغنجٍ بين الورى
كانت قديماً تكتفي بتعلم آلة طريز والتدبير في امر القرى
ولدى التفقه بالمعارف اصبحت تهوى الخلاعة ثم تنظمُ ابحرا
زهد الرجال بغادة من مثلها ومن الذي يبغي فتاةً جعفرا (١)
يسعى ابوها في احتشاد دراهمٍ كي يمهر البنت التي لن تشترى
والامُّ حارت في امور بناتها ومن الذي في الكونِ لن يتحيرا
تبكي وتندب في الليالي بنتها وفؤادها المحزون ذابَ تحسرا
لم انف عن هيفاء كسب معارفٍ لو كان ساعدها لطبخٍ شمرا
و كانتِ الانثى تدبر منزلاً وتهذبُ الاطفالَ يا سعد الورى

النوء

القصة ـ جلست ذات يوم على شاطىء البحر واقتعدت من صخوره الشامخة ارفع صخر في موضعٍ من احياء رأس بيروت حيث يملك السكون والسكوت واخذت اقاب الطرف والرأي في سكون حركة

(١) «الجعفر» حية ملساء

الامواج وعهدي بالبحر وهو عجاج وبينا انا اتعجب مما حواه ذلك اليم الوسيع من الدر والجوهر البديع اذا بنوء سريع وانقلاب مريع حدثا في البحر فثار وزمجر واكفهرَّ له وجه السماء وتغير فهرولت الى الدار مخافة الاخطار وانشدتُ هذه الاشعار وذلك سنة ١٨٦٩

النظم

ويومٍ قريرٍ جوُّهُ باتَ اغبرا
وهمتْ دموع الغيمِ ان تتقطرا
تصفقُ فيه السارياتُ اكفها
وتلاطم خديها البحار تحيرا
جلستُ على صخر السواحل فاكرًا
وخدي على كفي اراقب ابحرا
وبينا عيوني ترصد الفلك قالعًا
رأيت كثيفَ النوءِ فورًا تفجرا
وارخى سحاب الجوّ اسودَ مرطهِ
وغطى من الافاق وجهًا ومنظرا
وسارت بذاك الفلكِ ارياح زعزعٍ
وشقت جيوب القلع اربًا واشطرا
ولم يكُ الاَّ لمحة بين لمحةٍ
تبطنَّ اعماق البحار وغوَّرا

وسلت يمين الرعد سيف صواعقٍ
شراراتها كادت تذوب انجرا
فقمتُ اريد الدار خوفَ ملمةٍ
تلمُّ ونورُ البرقِ عينايَ . ابهرا

﴿ العاصفة القاصفة ﴾

القصة ـ قصفت العواصف وثارت الرياح النواسف يوم السبت الواقع في ٢٨ كانون الاول لسنة ١٨٧٩ ميلادية . ثم هطلت الامطار وجرت السواقي كالانهار وتبطح السيل في البطحاء وقامت قيامة الانواء وتوالى وميض البرق ودوى صوت الرعد في جهة الشرق وارهفت نصال الصواعق كالسيوف البوارق ورجفت من هولها ارجاء تلك الاصقاع وحشرجت الانفس في الصدور وصمت من هزيم اصواتها الاسماع فهرعت الى الدار اتقاء نزول الاخطار ولزمت الحجرة في فزع ورعدة اترقب بها اما قيام الساعة او النهاية على اسلم غاية وقام في اثناء هذه الداهية الصماء والطامة الطماء قطرٌ من قطار السكة الحديدية من مدينة « ايدنبرو » قاعدة البلاد الاسكوسية في الساعة

الرابعة بعد الظهر قاصداً مدينة « دندي » المحمية · ولما مر القطار بالجسر الحديدي المنصوب على نهر « التاي » نحو الساعة السابعة وخمس عشرة دقيقة بعد الظهر خسف الجسر العظيم بالقطار كله وهبط به وبمن كان فيه من المسافرين فسقطوا جميعاً في طرفة عين من علو تسعين قدماً الى قرار النهر الغدار ولم ينجُ منهم احد · حكى من رأى حلول هذه النازلة المدهشة

قال : وصل القطار الى مدخل الجسر واراد سائقه ان يمر بالجسر فرأى الرياح القاصفة في اشتداد عظيم فتردد حارس الجسر برهةً واراد صد القطار عن المرور بالجسر في وقت قد اضطربت فيهِ عناصر الطبيعة اضطراباً شديداً · وكان الى جانب الجسر رجل آخر رأى ما رآه حارس الجسر · اما سائق القطار فزعم ان المرور بالجسر في تلك الساعة لا خطر فيه · ولذلك ضاعف قوة البخار وسار بالقطار على الجسر بسرعة ثلثة اميال في الساعة · فلما وصل القطار الى منتصف الجسر في نقطة اشتد لعب الارياح فيها خسفت به القنطرة الوسطى وخرَّ القطار بتمامه الى قرار النهر في لمحة بصر · وكان فيه نحو ثمانين نفساً · فغرقوا جميعاً ولم يقف الغواصون لهم على اثر · وكان من جملة من غرق شاب وصبية دَنَا على اهبة عقد الزواج فقرن بينهما الحمام في قرار اللجة اقتراناً لا انفكاك له · وكان رجل آخر قد عقد النية على الذهاب بذلك القطار الى مدينة « دندي » فحاولت امرأته ان تصده عن الذهاب اثناء تلك العاصفة وهو يصر على الذهاب · وما زال في جدال حتى تملص منها وهرع الى المحطة ·

فلما وصل اليها كان القطار قد سبق وقام · فغضب غضباً شديداً على زوجته ودام ليلته ساخطاً عليها · فلما بلغه في الغد ما حل بالقطار شكر الله على سلامته وصالح زوجته

هذا ما كان من القطار والذين غرقوا معه · اما ما كان من امر هذا الجسر الحديدي فنقول ان قصته من اغرب القصص وطوله اعظم من كل الجسور ومصائبه اكثر من ان تحصى · فتولى بادىء بدء امر بنائه المهندس « بوش » سنة ١٨٧١ للميلاد · واكمل بناءه في اول شهر حزيران سنة ١٨٧٨ ـ وعرض النهر عند بدء الجسر نحو ميلين وعمق مائه نحو ٤٥ قدماً · وسرعة جريانه تعادل خمسة اميال في الساعة · والجسر قائم على ٨٥ قنطرة · منها ١١ قنطرة هي اكبر القناطر وعرض كل قنطرة منها ٢٢٧ قدماً · وعرض كل من بقية القناطر ٦٧ قدماً · وعلو الجسر عن سطح الماء نحو ٨٨ قدماً · والقناطر مصنوعة من حديد مطروق ومصكوك في شكل شبكة · واكثر الدعائم المسنوذة اليها القناطر مشيدة بالقرميد وبعضها اعمدة من الحديد مجوفة ومحشوة بالرمال ويبلغ ثقل الواحد منها مائة وعشرين طناً · وقد غرس البناوون اطرافها السفلى في قرار النهر على عمق ١٥ قدماً في قلب الصخر · وبعد هذا الاحتياط كله لما فرغ البناوون من وضع الاساس وبنوا فوقه خفت الارض به وجرف النهر ما بنوا · فحاول المهندسون ايجاد طريقة تمكنهم من النجاح · ففتق لهم عقلهم ان يسندوا دعامة كل قنطرة الى اسطوانة من حديد بيضية الشكل طولها ٢٣ قدماً و٦ عقد وعرضها ١٣ قدماً و٦ عقد ·

وركزوها بواسطة آلات بخارية في قرار النهر على عمق ١٨ قدماً تحت الحصى . واسندوا دعائم القناطر الوسطى الى اسطوانات من حديد في شكل عمودي مستدير يبلغ قطر كلٍّ منها ١٣ قدماً . وبنوا عليها دعائم من الاجرّ المشوي بالنار في شكل مسدس الزوايا على ارتفاع ٢٧ قدماً وعرض ١٦ قدماً . فجاء بناء الجسر بناء محكماً متيناً . وضرب المهندسون معدل متانته فوجدوا ان كل عقدة مربعة من بنائه تقدر ان تحمل ٢١ طناً . والحالة هذه اذا امتدَّ قطار من السكة الحديدية من اول الجسر الى اخره على مسافة ميلين فلا يقع على كل عقدة مربعة سوى ثقل ٤ طنات فقط . ومع هذه المتانة كلها لم يثبت الجسر على زخم الريح القاصفة . وقد تفرد هذا الجسر بالنكبات والمصائب منذ وضع اساسه الى الان . فاول اسطوانة ركزها المهندسون في اساسه انفلقت شطرين وقتلت ستة رجال من العملة . ثم عصفت ريح قاصفة سنة ١٨٧٧ وذهبت بنطاق الجسر وكان من الحديد المطروق المتين . ثم اشتدت الارياح الزعازع سنة ١٨٧٦ وجرفت اكبر قناطره ورمت بقطار السكة الحديدية الى قعر النهار وهلك كل من كان فيه

اما طول الجسر من اوله الى اخرهِ فهو ثلاثة آلاف واربعمائة وخمسون يرداً (ذراع انكليزي طوله ثلث اقدام) . والمواد التي قام بناؤه منها كانت ثلاثة الاف وسبعمائة طن من الحديد المسبوك وثلاثة الاف وخمسمائة طن من الحديد المطروق المصكوك . وسبعة وثمانين الف قدم مربعة من الخشب وخمسة عشر الف زنبيل من الطين وعشرة ملايين

قطعة من الاجر المشوي بالنار · و بلغت نفقته نحو ثلثمائة وخمسين الف ليرة انكليزية

وفي هدنة تلك الحال اردت اشغال البال بما أُروح به القلب من البلبال · فلذت بعروس الشعر المجيدة وانشدت بعد الجهد هذه القصيدة .وذلك باندرة سنة ١٨٨٧ ميلادية

النظم

وليلٍ يشقُّ البرق جيب قتامه
وتدوي رعود الافق والارض ترجفُ
وتبكي عيون الغيم والسيل دمعها
ويجري السواقي السيلُ والريح تقصفُ
وتنقضُّ من كبد الغمامِ صواعقٌ
تدكُّ الجبال الراسيات وتنسفُ
وتلاطم امواجُ البحور خدودها
وتنعى هلاك الناس والحوتُ موجفُ
وتخرج من اوكارها الطيرُ رعبةً
وافراخها في العش بالجوع تتلفُ
تضجُّ من الخوف الخلائق في الحمى
ويجفل في الغابِ البهيمُ المقفقفُ

تلاطمت الارياح كفاً ومعصماً
وهزّت عمادَ الجسر والجسر يرجفُ
على الجسر قامت من رياحٍ قيامةٌ
وسيف ملاك الموتِ في الريح يرهفُ
فيا ويل من سارَ القطارُ باهلهِ
على جسر « نايِ » والرياح تعنفُ
تدهورَ في انهر القطار بمن بهِ
فيا ويلهم من ذا يعينُ ويسعفُ
تنوح على الاطفالِ امٌّ ووالدٌ
فيجري على الخدينِ دمعٌ مكفكفُ
تسوقُ مياه النهر حتى عظامهم
الى قعر بحرٍ عمقه ليس يعرفُ
فيا اسفي اين العروس وعرسها
فقد تمَّ في اليم الزفاف المكلفُ
ويا ويح عرسٍ طبله الرعدُ في السما
ومزمارهُ بوق القيامة يعزفُ
واسماك يمٍّ اهل عرسٍ وزفةٍ
وتنين ابحارٍ يصلي ويزففُ

الحيوان

معلم الانسان

خلق الله تعالى مطلق الحيوان · لمنفعة الانسان · وقيده في خدمته منذ خلقته · فلا عارَ على الانسان اذا استخدمَ الحيوان لقضآء حاجاته· فقد سبق الى ذلك ابونا نوح عليهِ السلامِ واستخدم الغراب اولاً ابتغاء الاكتشاف لانخفاض مياه الطوفان ثم استخدم الحمامة ثانياً للوقوف على جفاف الارض (تكوين ص ٧ عدد ٦ الى ١٢)

واستخدم طوبيا البار الكلب بمنزلة رفيق ومحامٍ واستعان بمرارة الحوت على فتح عيني ابيه (طوبيا ·ص ١١ عدد ٤ الى ١٢)

وطائفة كبيرة من الفلاسفة وعلماء الطبيعة استخدموا الحيوانات في دواعٍ مهمة واطلعوا بواسطتها على بعض الحقائق الطبيعية وخواص النبات الطبي وهلم جرًّا

وارسل سليمان الحكيم الانسان الكسلان ليتعلم النشاط من طائفة النمل · واهتدى المعلم «كلفاني» الى اول مفاعيل الكهربائية بمجرد انقباض افخاذ الضفادع وامتداد اليافها

وروى «فون باندان» معلم الفنون الطبيعية في بلاد البلجيك عن كولمبوس انهُ اهتدى الى كشف اول جزيرة من جزائر امريكا بواسطة مشاهدتهِ سرطاناً بحرياً قبل وصوله الى الارض بثمانية عشر يوماً · لان من طبيعة السرطان ان يعيش في البحار لا تبعد كثيراً عن السواحل

والاهالي القاطنون في الاقاليم الباردة يستخدمون الكلاب وغيرها من الحيوان للوقوف على سمك الجليد المغطي سطح مياه الانهار قبل العبور عليها

وقد استخدم الانسان الحيوان للاكتشاف على خاصيات النبات ومعرفة جيده من خبيثه وذلك ان الانسان في بدء امره رأى الكلب والهر والمواشي تسرح وتشم النبات وترعى ما يصلح لقوتها وتعرض عما يضرها · ولهذا قال المعلم «هنري برتود» واستشهد على ذلك قول المعلم «فونتان» ما ترجمتهُ «ليس الحيوان خالياً من تعقل وادراك كما يتوهم بعض الناس · فقد اعطاه باريه مقداراً من العقل والادراك المتناسبين لطبيعته · ولولا الحيوان يخدم الانسان بهذا العقل والادراك لكان فئة كبيرة من البشر ماتت مسمومة بانواع النباتات السامة

ثم تعلم الانسان من الحيوان بناء الجسور فوق الانهار وتشييد السدود وقايةً من طغيان البحار · لان اول حيوان مدّ الجسور على الغدران وعبر عليها واقام السدود لردع طغيان المياه كان «القندس» اي كلب الماء

ثم كيف اهتدى الانسان الى عمل الاطواف وبناء السفن؟ لا

نغلط اذا قلنا انه تعلم هذه الصناعة من الدب الابيض حينما شاهده يركب قطع الجليد الطافية على وجه المياه ليعبر بها من جهةٍ الى اخرى .

ثم من دلَّ الانسان على القنص وصيد الاسماك ؟ لا نخطىء اذا قلنا انه تلقن ذلك من السبع والضبع والصقر والنسر وطير البحر .

اما الصنائع الجليلة التي برع الانسان فيها اخيرًا فقد اخذها من البداءة من العنكبوت . فاخذ عنهُ هندسة بناء البيوت ونسج الشباك وحرفة اتخاذ الكمين على العدو المبين وطريقة النزول والتسليق على آلات المنجنيق . فان هذا الحيوان يبني مأواه بهندسة عجيبة وينسج شباكاً محكمة ليصطاد بها الهوام والذباب . ويكمن لها عند المرور ليسهل لديه الوثوب عليها فجأَةً . واذا حاولت الفرار تسلق سلك نسيجه ليدركها كما يحاول العدو عدوه بتساق المنجنيق .

ثم اهتدى الانسان الى آلةٍ لنشر الاخشاب من منقار سمك المنشار . فنرى ان الله تعالى بحكمته الصمدانية قد جهز هذا الحيوان بهذه الآلة الجزيلة المنافع له ولمن اراد نقلها عنه .

ثم اهتدى الانسان الى عمل السيوف من ذيل كلب البحر . وعمل الترس من قفص السلحفاة . وقد قال الشاعر فيها

تكبُّ على ظهرها ترسها وتظهر من جلها فاسها

ثم تعلم عمل الدروع ولبسها من منظر جلد التمساح وعمل الكلابتين من هيئة فم السرطان واصطناع الحقق من مشاهدة اصداف البحار

اما صناعة الحراثة التي هي انفع الصنائع والمهن فقد تعلمها من الخنزير الذي كان اول من ثلم الارض بسكة انيابه واكتشف اول عرق من عروق الذهب ونبه البشر لاحتفار المعادن واخراج خزائنها ·

ولما شاهد الانسان ان الكلب ينقي امعاءه من فضلات الطعام بالتقاط بعض النباتات الطبية اهتدى الى معالجة الامراض بالنباتات ثم رتب عليها صنعة الطب · ثم اهتدى الى فن الجراحة بواسطة الكركدن المعروف بوحيد القرن · فان هذا الحيوان عندما يشعر بكثرة غلبة الدم عليه يقصد ادغالاً ذات اشواك حادة فيسند اليها مفصله ويبضع بها عروقه بقصد تخفيف دمه · وقد روى هذا المعلم « بلينيوس المشهور » · وروى جالينوس الطبيب ايضاً انه رأى يوماً من الايام طيرًا على سيف البحر مجهودًا بمرض الامعاء ملقىً على الرمل · وكان هذا الطير يجهد نفسه بالدنو من مياه البحر · فلما وصل اليها اخذ منها بمنقاره ما استطاع اخذه وقذفه في عجزه على مرات متوالية الى ان اعقبه الاسهال وشفي من مرضه ثم طار · فاهتدى جالينوس من ذلك الى منافع الاحتقان ·

اما منافع « الفحم » في الطبيعة فكثيرة · واول من دل الناس على منافعه وخاصيته المطهرة من العفونة المسمة كان القط · والنملة دلت المعلم « رومور » على اختراع الترمومتر · والضفدعة كانت اول حيوان علم العلامة « كلفاني » مفاعيل الكهربائية · واول من اهتدى الى منافع القهوة واستفاد منها ثم ارشد الانسان اليها كانت العنزة

وقد شاهدنا في طائفة طير اللقاق حسن السياسة وعقد ديوان الشورى · وذلك انها قبل قيامها من بلدة الى اخرى تجتمع للمشورة كي تعين يوم السفر كما يجتمع رجال السياسة في ديوان الشورى لفصل القضايا المهمة

واول من غنى وصدح على الارض كان البلبل والحسون والكناري والهزار · ومنها تعلم الانسان تأليف الانغام · واول من اقام المراسح والملاعب كان النسناس · واول من خطب كان العندليب

اما الاسد فهو اول من ملك واستقل بقوته وتسلط على اضعف الحيوان · وما تأخر الانسان عن التشبه به وبطغيانه والاتصاف باوصافه حتى سمى البشر اقوى رجالهم واشجع ملوكهم وقواد جيوشهم « بقلب الاسد » و « بالضرغام » و « بالغضنفر » وهلمَّ جرًّا

اما طائفة النمل فبالعكس · فانها اعطتهم احسن مثال النشاط والانقياد لاوامر الحكام والتمتع بمساواة الحقوق ضمن دائرة الاعتدال والاستقلال بالاعمال · غير ان بعضاً من البشر الذين فاقوا الاسد ليس بالقوة بل بالفخفخة والعنفوان قد قصروا عن النملة في ميدان اتقان الهيئة الاجتماعية وحسن السياسة ومعرفة جمع الاغلال في الاهراء · فان هؤلاء مع كثرة معارفهم ما زالوا مقصرين عن النملة التي تخزن بحكمة عجيبة مؤنتها في احشاء الارض الرطبة من دون ان يمسها الفساد فكم اجتهد حكارو الاغلال في حفظ قمحهم داخل مخازنهم سالمًا من السوس والعفونة وما نجحوا الى يومنا هذا

ثم لنمارسنَّ التاريخ لنعرف مَن علم البشر صبغ الارجوان . فما من احد يعي التاريخ في صدره ويجهل ان اول صباغٍ برع في هذه الصناعة كانت شاة فينيقية . فانها اهتدت الى دودة القرمز بينما كانت ترعى وصبغت صوفها بها . وعلى شاته درس الراعي هذه الصناعة وعن الراعي اخذ اصحاب الصنائع تضريج المنسوجات بهذا اللون الجميل .

كيف تجرأَ الانسان على الغوص في قرار البحار لاخراج اللآلي والكنوز البحرية ؟ في خلدي انه تعلم ذلك من طير « السانجان » العائش على شطوط بحر « كوشين صين » . فان هذا الطائر يغطس الى قعر البحر ويخرج منهُ نوعاً من النبات اللذيذ الطعم ويبني به عشه . ثم يلتقط الصينيون هذه الاعشاش ويُعدّون منها اطعمةً لذيذة يتفاخر بها امراؤهم

ثم تعلم الناس عمل المطرقة من نظرهم الى رأس فرس البحر واستخدام المجاذيف لدفع الزوارق والدفة لسير السفن من اذيال الاسماك . واتقنوا عمل النوافير بواسطة تشريح مناخير سمك الدلفين . فان هذا الحيوان يقذف بماء البحر من مناخيره الى الجو بعلوٍ عظيم . ثم تعلم الانسان تقسيم ساعات النهار والليل من صياح الديك . وعمل الامشاط من ظهر سمك المشط ولبس التاج من الهدهد والطاووس ولبس القلادة من طوق اليمامة ولبس الاسوار من تحجيل الاطيار وتخضيب الانامل من اللقالق والاحجال وهلمَّ جراً

اما الديدان فانها سبقت « دومينيكو » و « رافائل » المصوّرين البارعين . لانها اول من تعاطى الرسم بزحفها على الرمال وتقدمت

«ميخائيل انجلو» الشهير في صناعة النحت بنخرها الاشجار والاخشاب ٠ والنحل سبق ارسطو في فن الكيمياء وابلينيوس في علم النبات

ولا بدّ للانسان من زمان طويل وجهدٍ جهيد للوصول الى ما يعرفه الحيوان وتحصيل تلك المعارف المغروسة في فطرته من باريء الاكوان فالهوام تفوق البشر في بعض المزايا بالنسبة الى دقة اجسامها وغرابة افعالها ٠ أليس من اغرب الغرائب ان برغوثًا واحدًا يقهر اعظم ملوك الارض سطوةً واقتدارًا ويحرمه لذة الكرى التي هي اعز لديه من خزائنه ؟ أليس مما يقضي بالعجب ان شرذمةً من الهوام الثائرة عليه تبدد شمل جنوده رغمًا عن انف بواريده ذوات الابرة ومدافعه الهائلة وسفنه المدرعة؟ كم وكم من الذباب الحقيرة تستخف بالجلالة الملوكية وتسبق السلاطين والحكام الى طعامهم وتكدر صفاء شرابهم وتفتك بوجه ترتعد من عبوسته فرائص الابطال ٠ فمن هو اعظم الملوك بالنسبة الى الديدان؟ هو لها خادم وطباخ٠ لانها تسكن في حجرات نخاعه وتعشش في احشائه وتعسكر في خلال مسامه ٠ وهو في خدمتها عبد رقيق يقوم بمعاشها اناء الليل واطراف النهار ويهيئ لها القوت والشراب فترتع على موائد جسمه وتسرح في لوى امعائه دون خوفٍ ولا حرج ٠ وكل قطرةٍ من الدم البشري هي بمقام دنّ من نبيذ ترتوي به الديدان (الميكروب) وتسكر ٠ ومن هذا الارتواء الدوري تتولد الحميات الدورية في الابدان ٠ لانه متى امتلأ الميكروب من الغذاء ونهم ثم سكر عربد واضطرب فهيج الدم وعجل دورانه وضاعف حرارته وبث في الابدان سم الحميات ٠ فما

هوذا الانسان عرضة لتلاعب الهوام بهِ . بل الميكروب نفسه هو ايضاً عرضة لتلاعب هوام آخر ادق منهُ فطرة . وقال المعلم فلاماريون المشهور مدير المرصد الفلكي بباريس ان جسم الانسان كله هو عبارة عن مجموع اعشاش تسكنها هوام لا تحصى انواعها بل هو العالم الصغير الذي خلقه الله لسكنى هوام وديدان وسوس ما يعجز العقل البشري عن ادركه فسبحان من خلق الحيوان قبل الانسان وجعله معلماً ومرشداً وخادماً له في كل زمان ومكان . وبناءً على ذلك انشدت في المعنى القصيدة الاتية :

النظم

كم علم الحيوان الفهم انسانـا ... فتمّ من علمه ما كان نقصانـا

وكم هداه لاسرارٍ وقد غمضت ... عنه فامست على العرفان تيجانـا

وكم حباه من الالبان تغذيةً ... وكم كساه من الاصواف قمصانـا

وكم كسى نعله من جلده ووقى ... لهُ من البرد ارواحاً وابدانا

وكم اراه لطبّ يستعان بـهِ ... حشائشاً صرن للتطبيب الوانا

بكل فنٍّ لنا من خطبه خبرٌ ... ينبيك ان جديد اليوم قد كانـا

وان بعض الذي في الارض من قدم ... قبل الترقي تباعاً كان حيوانا

وما لبسناه من حلي ومن حلل ... قد اشبهت منه اطواقاً وارسانا

لولا الحمامة نوحٌ ما درى ابداً ... ان المياه ابت في الارض طوفانا

فاحمل الى الكاب فرداً الا ذمام له ... اذ عنده بات حفظ العهد ايمانا

وانهض الى الاسد في قلب الجبان وسر ... للغاب وارع بعين الصب غزلانا

وسائل البلبل الغريد كم نقلت ... عنه العوالم انغاماً والحانا

وجاور الحية الرقطاء دون اذى ... بربعها فتريك العيش ريانا

وشاهدوا الكهربا في ساق ضفدعةٍ ... فاصبحت للدنا نوراً وعمرانا

والترس من سلحفاة كان مأخذه ... فصار يحمي من المران فرسانا

والجسر من قندسٍ لولا صناعته ... لم تعبر الناس وديانًا وغدرانا

والنمل من جسمه رمور عن فطنٍ ... قد صاغ للحرّ مقياسًا وميزانا

وكلما في الورى تلقاه من حكمٍ ... كانت لاجذاع ذاك الجنس اغصانا

فلاتخف ماترى بالكون حف وخف ... في الغيب رباً وفوق الارض انسانا



المطبعة

قال شيشرون الفيلسوف والخطيب الروماني المصقع الشهير

﴿ التاريخ ابو العلم ﴾

وانا اقول قولاً لا يخشى عليه من منكر

« المطبعة ام العلوم »

القصة ــ الطباعة عبارة عن صناعة تكثر بها نسخ الكتب بسرعةٍ حباً بترخيص اثمانها وتسهيلاً لانتشار المعارف واشتراك الافكار بين البشر وتوسيع نطاق التمدن والنجاح ·

واول من اهتدى الى اكتشاف هذه الصناعة الشريفة المعلم « يوحنا غوتنبرج » (*J. Gutenberg*) في اواسط القرن الخامس عشر للميلاد · وقد اخطأَ من حاول اختلاس هذا الشرف من غوتمبرج وتخصيصه بغيره احتجاجاً بان صناعة الطباعة كانت معروفة عند اهل الصين قبله · حال كون اهالي الصين وشعوب اوروبا كلهم كانوا يجهلون صناعة

الطباعة على الوجه الذي اخترعه غوتمبرج · فكن اهل الصين يتعاطون صناعة الطبع بحفر الكتابة في الواح خشبية يدهنونها بالمداد ثم ينقلون عنها كمية من النسخ · اما صناعة الطباعة بحصر المعنى فقائمة في صب حروف الابجدية اصنافاً وصفها في شكل قوالب تتداولها المكابس بطريقة سهلة سريعة العمل تثني بكل حرف من حروفها على فضل مخترعها النبيل · ولم تبدُ هذه الصناعة المنيفة من عالم القوة الى حيز الوجود الا في سنة الف واربعمائة وخمسين للتاريخ المسيحي · وذلك قبل اكتشاف قارة امريكا باربعين عاماً ·

فكان الكتاب الى ذلك الحين ينسخون خطّاً ادراج العلوم على رق الغزال او على غيره ويخزنونها في خزائن الكتب · فلما اخذ حب العلوم بمجامع قلوب اهل اوروبا في بدء سنة الف وخمسمائة للميلاد باشروا في ايجاد كل واسطة من الوسائط لتسهيل طرق اكتساب المعارف وتعميم نشرها في بلادهم · غير ان غلاء اسعار الكتب المنسوخة خطاً كان مانعاً عظيماً لتعميم المعارف ونشر العلوم · لان ثمن نسخة من الكتاب المقدس كان وقتئذٍ نحو اربعة الاف قرش · وهذا المبلغ في ذلك العصر كان بمقدار اربعين او خمسين الف قرش في هذا الزمان · لان اجرة الفاعل في بعض بلاد اوروبا الغنية كانت وقتئذٍ قرشاً واحداً في النهار · واجرة الفاعل الذي يحفر الارض في امريكا في هذا العصر هي بين خمسين وخمسة وسبعين قرشاً في النهار · بناءً على ذلك ان الفاعل الذي كان يتمنى ان يبتاع نسخة من الكتاب المقدس في القرن

الخامس عشر كان يضطر الى ان يشتغل ثلاث عشرة سنة حتى يتيسر له جمع ثمن نسخة من التوراة · ومع هذه المصاعب كلها كانت شعوب اوروبا في انصباب عظيم على درس العلوم واكتساب المعارف· وصادف هذا الانصباب نجاحاً كبيراً بهمة المعلم «يوحنا غوتنبرج» الذي توفق الى اختراع آلة الطبع · اما طريقة الوصول الى اختراع هذه الصناعة الجليلة فهي كما يأتي

ولد «يوحنا غوتنبرج» في مدينة «منتز» *(Mentz)* من عائلة شريفة قديمة بالمانيا سنة ١٤٠٩ للميلاد · وكان من نعومة اظفاره مولعاً بالصنائع الشريفة · وكان يصرف اكثر اوقات صبوته في التأمل باعمال الصناع المشهورين بالتصوير والنحت وما اشبه ذلك من الآثار النفيسة التي كان اجداده الشرفاء قد عنوا بجمعها زينةً لقصورهم · وكان في جملة تلك المنحوتات والتماثيل تمثال رأس ثور ضخم الحجم · وكان هذا التمثال موضوعاً على باب الدار ومحفورةً فيهِ هذه العبارة : «لا يعسر عليَّ شيءٌ» · وكان يوحنا يتأمل في قوة هذه العبارة دائماً ويرفع نظره اليها كل ما دخل الباب ويعمل الفكرة في ايجاد الوسائط التي تمكنه من الاستفادة من تلك العبارة الباهرة · وما لبث طويلاً حتى اتخذ تلك العبارة بمنزلة مفتاح سري يفتح به مغالق كل صعوبات الطبيعة · وكان كل ما صادف مشكلاً في مقاصده ردد مراراً هذه العبارة «لا يعسر عليَّ شيءٌ» ونازل المشاكل وحلها بجزمه وعزمه

فلما بلغ السنة الخامسة عشرة من عمره توفي والده ولم يترك لهُ

مالاً كافياً يعيش بهِ برفاهية حال · فهجر مدينة «منتز» الى مدينة «استراسبورج» · وفيها طرقه فكر اختراع آلة تكثر نسخ الكتب بطريقة سهلة · فلبى هذا الالهام ولبث عشر سنين يهدس في اقرب طريقة توصله الى غاية مرامه · ولما اهتدى الى اول طريقة استنباط هذه الصناعة الجليلة نفد ما كان عنده من الدراهم · لانه كان قد انفقها على عمل الالات وسبك الاحرف والاخشاب وهلمَّ جرًّا · ولذلك الجأته الضرورة الى الاشتراك مع ثلثة تجار من عمدة اهل المدينة وتعاهدوا لهُ باعطائهِ ما يحتاج اليهِ من الدراهم لاكمال الاختراع · فاشتغل يوحنا عشر سنين وتوفق في هذه المدة الى عمل احرف من نحاس قابلة الاستعمال للطبع · ولكن وجد ذلك لا يصلح لاتقان الشغل فاخذ يعمل الفكرة في ايجاد طريقة تمكنه من الحصول على معدن مناسب لصب الاحرف · فجرَّب اولاً الحديد فوجده قاسياً يخرق الورق تحت المكبس · ثم رأى الرصاص ليناً يلتوي ويتكسر بسهولة · ثم جرب الخشب فوجده لا يفي بالمرام لفرط هشاشته وسرعة عطبه · فارتأى ان يخلط بعض المعادن ويصب منها احرفاً

اما المصاريف الباهظة التي صرفها على اتقان هذه الصناعة الشريفة فقدافقرته وافقرت التجار شركاءه · ومع كل ذلك لم يقنطوا من اكمال العمل · فباعوا رياش بيوتهم وجواهر نسائهم واستحصلوا شيئاً من الدراهم وداوموا بها على الشغل بنشاط وهمة لا مزيد عليها · وكانوا كل تلك المدة رغماً عن خسائرهم الباهظة في ثقة واطمئنان من النجاح الذي كان عتيداً ان

يسبغ على العالم زواخر الخيرات والمعارف · وقد حفظ التاريخ لنا اسماء هؤلاء التجار ذوي النخوة والمروءة وهم «هيلمن» و«اندراوس در يزهن» و «ريف» · وفيما كانوا يبذلون مجهودهم في انجاز هذا العمل الخطير فاجأهم الموت واحزن يوحنا غوتنبرج الذي كاد اليأس ان يقطع بهِ من جراء فقدهِ شركاءه النجباء · ثم زهد في اكمال العمل وبرح مدينة استراسبورج وعاد الى «منتز» مسقط رأسه · وما لبث بها مدةً حتى هاجت بهِ الاشواق ولعبت برأسه نخوة الرجال فتشجع ورجع الى اكمال اختراعه بجدٍ وجهدٍ لا مزيد عليهما · ثم اخذ يرسم ويحفر ويصب ويجرب اختلاط المعادن ويصب منها حروفاً للطبع · فلم ينجح في مسعاه · فشمله الضجر ثانيةً · ولكنه استعان على فتح مغالق المصاعب بمفتاحه السري · وهو ما كان مكتوباً على تمثال رأس الثور «لا يعسر عليَّ شيء»

وما زال يردد ذلك كل يوم حتى تنشط وعاد الى عمله بطريقة مختلفة عن الاولى · ولكن هذا الشغل الجديد افضى بهِ الى اقصى دركات الفقر · فاضطر الى عقد شراكة جديدة مع «يوحنا فاوست» و«بطرس شفر» · فكان الاول صائغاً غنياً في «منتز» وذا حرفة غريبة في قلب فوائد دراهمه · ولذلك ما اعطى غوتنبرج الدراهم التي كان يحتاج اليها لاتمام العمل الاَّ بعد اخذه منه التعهد المتين · وكان قصد ذلك الصائغ المرابي ان يحصر لنفسه كل ارباح ذلك الاختراع ويستعمل غوتنبرج آلةً لنيل مقاصده · اما بطرس شفر فكان شاباً مستخدماً بوظيفة كاتب عند

احد التجار . وكان بارعاً في الرسم وحسن الخط . وكان يوحنا فاوست قد اتخذه صهراً له لمجرد حسن خطه وبراعته في صنعة الرسم .

قيل : ان يوحنا غوتنبرج بعدما اشتغل زماناً في التجارب تمكن من اختراع الحروف واماتها من النحاس فقط ولكنه لم يتوفق الى ايجاد مادة معدنية ملائمة لصب الاحرف . وان شريكه يوحنا فاوست الصائغ هو الذي اهتدى الى خلط ثمانين جزءًا من الرصاص مع عشرين جزءا من الانتيمون وكوّن من هذا المخلوط المادة الملائمة لصب احرف الطبع بصنعةٍ متقنة حسب المطلوب .

وهكذا بدت للوجود صناعة الطباعة الجزيلة المنافع وبدأ معها شقاء مخترعها يوحنا غوتنبرج ايضاً . لان شريكه يوحنا فاوست لما رأى الاختراع المرغوب قد كمل وزالت كل المشاكل اخذ يسعى في حصر منافع الاختراع وفوائده لنفسه . ومن ثمّ حاول فسخ الشراكة واخذ يضايق « غوتنبرج » في استرداد المال الذي كان قد اقرضه اياه . ولما كان « غوتنبرج » على جانب عظيم من الفقر والفاقة عجز عن ايفاء دينه لغريمه . فاقام « فاوست » الدعوى على « غوتنبرج » والزمه بالتنازل عما يخصه من ارباح ذلك الاختراع . وقبض على كل آلات المطبعة مع الحروف والمكبس والقى « غوتنبرج » المخترع في هوة الفقر والتعاسة . فقطع اليأس بالمسكين « غوتنبرج » وخرج ثانيةً من مدينة « منتز »

فلما فسخ « فاوست » عقد الشركة مع « غوتنبرج » شارك صهره بطرس شفر وصارا يطبعان الكتب ويبيعانها بثمن غالٍ لا يفرق كثيراً

عن سعر الكتب المنسوخة بخط اليد · ولما ادرك « فاوست » ان الصناع في المطبعة يتذمرون من تصرفه الجائر وتعديه على حقوق معلمهم يوحنا « غوتنبرج » خاف من ان ينتقموا لمعلمهم منه فاجبرهم على القسم بالله وبالكتب المقدسة على ان يكتموا اسرار تلك الصناعة ولا يبيحوا لاحدٍ بشيء من احوالها · وما اكتفى بهذا بل الزم كل صانع ان يكتب صكاً على نفسه متعهداً بهِ انهُ « اذا افشى سر هذه الصناعة فقد حق المطالبة بما كان لهُ من الاجرة الباقية عند صاحب المطبعة » · وكان صاحب المطبعة المذكور يحفظ عنده مقداراً من اجرة كل صانع لاجل هذه الغاية · وزاد على ذلك انه نقل الات المطبعة كلها الى مغارة مظلمة بعيدة عن نظر الناس ليرفع خطر افشاء اسرار تلك الصناعة · وهناك كان يجبر الصناع على الشغل على ضوء السراج وابواب المغارة موصدة بالاقفال · وبواسطة هذه الوسائط الاحتياطية تمكن من طبع الكتب وبيعها في باريس باسعار غالية جداً الى ان فتك الطاعون به وقضى نحبه ·

ثم قام صهره بطرس شفر وتولى ادارة المطبعة وطبع الكتب وباعها باغلى الاسعار الى ان حاصر العدو مدينة « منتز » وفتحها وغزا ما كان فيها · وقُتل شفر في اثنا تلك الحادثة · وجزع الصناع وتفرقوا شذر مذر وبطلت المطبعة

ثم قام بعد ذلك ابن يوحنا شفر وبعث صناعة الطباعة من لحدها واصلح ما كان افسده يوحنا فاوست بجوره على يوحنا غوتنبرج المظلوم

واعاد اليهِ الشرف الذي كان يستحقه · وطبع كتاباً في «منتز» سنة ١٥٠٥ للميلاد وزين مطلعه باسم العاهل مكسيميليان ثم ذيله بهذا الاقرار العادل: قد طبع هذا الكتاب في مدينة «منتز» بآلة الطبع العجيبة المخترعة سنة ١٤٥٠ من يوحنا غوتنبرج صاحب العقل الثاقب والمكتملة بواسطة مساعي فاوست وشفر»

اما يوحنا غوتنبرج فلم يعش حتى يرى اسمه مشرفاً علناً . لانه كان قد مات بعد انفصاله من شراكة «فاوست» بسنتين · ومنذ طرقه فكر اختراع صناعة الطباعة الى حين وفاته عاش في حال فقر مدقع· ولبث عشر سنوات هائماً على وجه الارض المسود بالظلم والكفران بالنعمة · وبقي مجهولاً من الناس ومخفياً عن انظارهم الى سنة ١٤٦٥ للميلادحيث شاهدوه يتسول ويستكدي الخبز ولم يجد من يعطيه كسرةً · ولكن قبل غروب شمس حياته التعيسة درى بهِ رئيس اساقفة مدينة «منتز» فاخذه اليهِ وجعل لهُ راتباً يستعين بهِ على معاشه · وفي هذه الفترة التي شبع فيها من الخبز انعكف ثانيةً على تكميل آلات المطبعة · وما زال يبذل وسعه في اتقانها حتى ادركه الاجل وقضى نحبه في اليوم الخامس عشر من شهر شباط لسنة ١٤٦٨ للميلاد

ولما توفي هذا الجهبذ النحرير تفرَّق صناعه في جهات مختلفة من اوروبا اشبه بمرسلي انتشار العلوم والمعارف · فمنهم من قصد مدينة كولونيا ومنهم من رحل الى «اوسبورج» . ومنهم من ذهب الى نورمبرج · فانفتحت في برهة وجيزة المطابع في المانيا وسويسرة وفرنسا · وترحب

بهذا الاختراع البديع اغلب ملوك اوروبا وشرفوا ارباب المطابع بامتيازات عديدة · منها ان فرنسيس الاول بهذا الاسم ملك فرنسا اعفى من الخدمة العسكرية كل من تعاطى صناعة الطباعة على الاطلاق · وبهذه الوسائط الحميدة ساعدوا انتشار العلوم والمعارف في بلادهم وبلاد غيرهم وبذلك بلغوا ما بلغوا اليهِ من درجات النجاح في التمدن والثروة والسطوة · ولما كانت صناعة الطباعة قد سهلت طبع الكتب الدينية والعلمية وصارت سبباً لانتشارها في جميع الامصار واستصبح بنور ما حوته من الحقائق سكان جميع الاقطار حتى طبعت اخيراً « جمعية التوراة » بلندرة كتاب التوراة والزبور والانجيل بمائتين وتسعين لغة من اللغات التي يتكلم بها النوع البشري على سطح الارض رأيت ان هذه الصناعة الشريفة جديرة بان توصف « بام العلوم » · وعلى ذلك انشدت فيها القصيدة الآتية

ام العلوم

هيوا بني الاوطانِ لبوا من سعى
ليزيحَ عن « ام العلوم » البرقعا
هيوا بني الاوطانِ حيوا امكم
واخلوا لعلمٍ في العقولِ الموضعا
وافت بمصباح العلوم تنيركم
حتى ينالَ العقل ما قد ضيعا

العلم مصباحٌ منيرٌ في الورى

والجهلُ ليلٌ فجرهُ لن يطلعا

فاسعوا لكسبِ العلم سعي مجاهدٍ

والله يُعطي كلَّ خيرٍ من سعى

واستغفروا العلم المنيفَ وكفروا

عن جهلكم والله يرعى من رعى

قولوا لهُ نحن افترينا في الورى

نبغي السماحَ فان سمحت لك الدعا

قد بان عنا السعدُ حين تركتنا

والعقلُ فقدان المعارفِ قد نعى

فارقتنا والعقل منا قد غدا

من دون علمٍ بعد ذا متصدعا

قُمْ زُرْ بلادَ الشرقِ قبل دمارها

فالجهل ولى للبلاد مودعا

ان عُدتَ نلتَ من البلادِ تشكرًا

والعقل كان لكَ المكانَ الارفعا

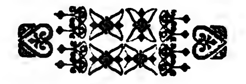
فامننْ وعد كرمًا الى الشرق الذي

فارقته ففدا مكانًا بلقعا

هيوا بني الاوطان ان العلم قد

وافى بامٍ قد ازاحت برقعا

قد اقبلت « امُّ العلوم » بنورها
وأَجادَ « غوتنبرج » فيما ابدعا



في عمر الشمس ومدة دوامها وعاقبة خرابها

(وخراب منظومة شمسنا معها)

خرجت ذات يوم اريد التنزه في ظل اشجار الصنوبر بالقرب من دير يقال لهُ « خريستو » على رأس جبل من جبال جزيرة الامراء (*Prinkipo*) فرأيت قرص الشمس الموشك على الغياب قد اصفر لونه من أَلم فراقه الافاق وقد ارسل آخر شعاع من اشعته الصفراء رسولاً الى بعض سحابات خفيفة تخفق في الافق حوله كأنه يريد وداعها وقد علا محياها الاغر اصفرار الفراق · فلما شاهدت تلك المناظر الشعرية والفلتات الفلكية خطر ببالي ذلك الوداع الاخير الذي سوف تودع به الشمس العظيمة ومنظومتها الجميلة هذا الكون العجيب بعد عشرة ملايين من السنين استناداً الى رأي المعلم الشهير « ويليام تومصون » ومتى وقع

هذا الوداع المحزن خربت الكرة الارضية واضمحلت مع ما فيها وعليها من الحيوان والانسان والنبات

ولا يخفى على ذي بصيرة ان نور الشمس وحرارتها هما السبب الوحيد لحياة كلما يوجد في الكرة الارضية · وفي الحقيقة لولا النور والحرارة لما عاش على وجه الارض انسان ودرج ولا دبَّ عليها حيوان وزحف ولا حلقَ في الجو طائر وطار · ولا سبحت في البحار اسماك وحيتان · ولا عاش في طبقات الارض هوام وحشرات · ولا ازهر في الجنائن والحدائق زهر ونوَّار · ولا نبتَ في الحقول والمروج زروع واعشاب · ولا نما وارتفع في الغابات والاحراج شيءٌ من الاشجار · واقول قولاً لا اخشى عليه منكرًا ان حركة الرياح في الجو وجريان المياه في البحار وانحدار السيول من رؤوس الجبال وجريان الانهر في الاودية الى غير ذلك متوقف جميعه على قوة نور الشمس وحرارتها والشاهد على ذلك ان البشر متى ارادوا ابراز قوة محركة استعانوا على ذلك اما بالمياه واما بالرياح واما بالحرارة · فمتى استخدموا هذه الوسائط استخدموا نور الشمس وحرارتها بعينهما · والدليل على ذلك ان البشر يحتاجون الى الحطب او الفحم لاصدار قوة بخارية لتحريك الاجسام · والحطب والفحم من محصول الاشجار · والاشجار تنبت وتنمو بقوة نور الشمس وحرارتها · فتكون اذًا الاشجار وما كان من محاصيلها كالفحم وغيره حاوية حرارة الشمس · وبناءً على ذلك متى استخدمنا الفحم نكون قد استخدمنا نفس الحرارة التي كانت الشمس قد أدخرتها في طبيعة

الحطب والفحم منذ اعصار كثيرة . فالبخار الذي يستخدمه البشر لجر قطار السكك الحديدية وتحريك الآلات الصناعية والحرارة التي يستخدمونها لتدفئة المنازل والغاز الذي يتخذونه لتنوير الشوارع والبيوت كل ذلك مخازن طبيعية لحرارة الشمس . حتى ان حركة الحيوانات بنفسها قائمة بحرارة الشمس . لان الحركة توجب الحياة والحياة تقوم بالبقولات والاثمار والنباتات . وهذه جميعها تنبت وتنمو بقوة نور الشمس وحرارتها وتحتوي على الحرارة نفسها . فبناء على ذلك كما كانت الشمس منبع الحياة لما في الهواء من الطيور ولما على سطح الارض من المخلوقات كانت كذلك واسطة لحفظ حرارة الارض ومنعها من الفقدان بواسطة الانتشار من مركزها شعاعياً الى الجو . لكن متى افتكر الانسان ان الشمس التي هي منبع حياته وحياة ما يجاوره ويخدمه من الحيوان والنبات سوف تضمحل وتزول فيشمله اليأس والقنوط . غير انه متى افتكر ايضاً ان هذا لا يتم في عهده وجد في ذلك نوعاً من التسلية وراحة البال .

ولذلك فلنأخذ الآن بالخوض في بحر هذه الحقائق الغويصة على ما ذهبت اليهِ العلماء في هذا الباب من المذاهب الغريبة . فنقول : قال بعض من الحكماء وعلماء الهيئة ومن جملتهم المعلم «وليليام تومصون» المشار اليه الذي قال بعد ما اثبت بحسابات رياضية دقيقة ان الشمس متى فقدت نورها وحرارتها فقد معها كلما كان على سطح هذه الارض من الحيوان والانسان والنبات . وصارت الارض نفسها مع بقية اخواتها من الكواكب السيارة خراباً وهباء منثوراً واسند رأيه الى النظريات

الفلكية المتفق عليها علماء الهيئة في هذا العصر

فليس بخافٍ على من يتتبع الترقيات الصائرة دواماً في علمي الهيئة والطبيعيات ان كثيرين من العلماء والحكماء قد وضعوا نظريات كثيرة في اصل تكوين الشمس ومدة دوامها · ولكن النظرية الاكثر قرباً من العقل هي النظرية التي اتخذها « سير وليام تومصون » موضوعاً لنطقه الذي القاه منذ ١٥ سنة في دار الفنون بلندرة وفي حضور كثيرين من العلماء المدققين وهذه النظرية هي التي وضعها المعلم « هيلمهولتز » (*Helmholtz*) واستصوبها كثيرون من علماء هذا العصر فعلى رأي هذا العلامة ومذهبه الجديد ان الشمس التي هي مركز عالمنا الشمسي هي كرة عظيمة مكوَّنة من مواد مشتعلة وهذه المواد المشتعلة آخذة رويداً رويداً في تناقص وكلما تناقص نور الشمس وانخفضت حرارتها زادت البرودة بنسبة ذلك في موادها وكلما زادت البرودة فيها قاصت كتلتها وانقبضت اجزاؤها وانكمشت نحو مركزها من جراء تثاقل موادها وضغط بعضها على بعض وهذا الضغط هو الباعث على امساك الحرارة في قلب المادة بقوة قانون جر الاثقال المعروف « بالديناميك » [*Dinamique*]

قال « السير وليام تومصون » اننا في حقيقة الامر لم نجد الى الآن اثراً في تاريخ العالم يدلنا على تناقص نور الشمس ولكن من حيث ان هذا التناقص في حرارة الشمس ونورها لا يتم بسرعة كان الانقباض في كتلة الشمس زهيداً لا يتجاوز نحو اربعين ذراعاً (ياردًا) في السنة وبناءً على ذلك لا يكون مانعاً لدوام اشتعال المواد التي على سطح الشمس

الى مدة مديدة لانهُ يقتضي نحو الفي سنة لتقصير قطر الشمس جزءًا واحدًا من مئة جزء من الجزء في المئة ٠٠٠١ و بالنسبة الى قطرها العظيم ومع هذا كله سيأتي يوم يصير فيه هذا التقلص والانقباض البطيء في كتلة الشمس باعثًا على خفض قوة الاشعة الشمسية وقطعها عن الارض الى درجة يمتنع معها بقاء الحياة على سطح الكرة الارضية · وقد قال العلامة المشار اليهِ في خطبته المذكورة انه حسب حسابات رياضية دقيقة في هذا الصدد فوجد ان دوام الاشعة الشمسية لا يتجاوز العشر ملايين من السنين · ومتى انقضت الاجيال المذكورة انطفأت اشعة الشمس وتلف معها كل كيان على الارض من حيوان وانسان ونبات ثم قال ايضًا وجد بالحساب الرياضي المدقق ان الشمس (منذ تكوَّنت الى الآن) لم يمر عليها اكثر من عشرين مليون من السنين اما اصل تكوُّن الشمس (بقطع النظر عن التوراة والعقائد الدينية) فهو على رأي بعض العلماء حاصل في بدء الامر من قطع كواكب طرأ عليها الانحلال في غابر الاجيال وعلى رأي غيرهم ان الشمس قد تكوَّنت بقوة التجاذب رويدًا رويدًا من ذرائر وضبابات منتشرة في مناطق الافلاك ·

اما العلماء المتخصصون لعلم طبقات الارض والباحثون في اسباب الحياة وكيفية انتشارها في ارضنا فيذهبون الى خلاف ما ذهب اليه « السير ويليام » المشار اليه ويقولون ان تكوُّن الطبقات في قشرة الارض ونشوء صور الحياة ونموها وانتشارها على وجه البسيطة وتشكل الصخور الصوانية المعروفة « بالغرانيت » الى الدرجة التي هي عليها الآن

يحتاج الى مدة اكثر جداً من عشرين مليون من السنين التي عينها «السير ويليام» المشار اليهِ لعمر الشمس اما العلامة المشار اليه فلا يحيد عن رأيه ولا يساهلهم فيما يدعونه ويصر على قوله استناداً الى حسابات رياضية دقيقة ان وجود الشمس في هذا الكون لم يمرَّ عليه اكثر من عشرين مليون من السنين · وان دوام نورها وحرارتها في الكون لا يمكن ان يدوم اكثر من عشر ملايين أُخرى من السنين فيكون على هذا الحساب مدة دوام الشمس منذ صيرورتها منبع النور والحياة الى حين انطفاء نورها وفقدان حرارتها واضمحلالها تماماً نحو ثلاثين مليون من السنين فقط ومتى انطفأ نور هذا النير العظيم وبادت حرارته باد معها كل عنصر حياة كان في ارضنا وفي بقية الكواكب السيارة التابعة لعالمنا الشمسي وصار كلٌّ من تلك السيارات المذكورة عالماً خراباً مثل الشمس مركزه ·

وفي حقيقة الامر ان النظرية التي بحث فيها العلامة «السير ويليام تومصون» ليست من النظريات التي يتوق البشر الى معرفتها لكونها من النظريات التي تضرب اجلاً معلوماً لخراب عالمهم وانقراض نسلهم وتبليهم بخيبة الآمال من بقاء ذريتهم وترقيها في الحضارة والعلوم الى مدى بعيد اكثر من عشرة ملايين من السنين · ولكن من عرف حق المعرفة العلامة «السير ويليام» المشار اليه وما هو عليه من سعة المعارف واصالة الرأي شهد لهُ بالفضل ونزهه عن الآراء الوهمية. فان هذا العلامة كان اول من تجرأ بين علماء هذا العصر على القول ان

الارض كانت في بدء امرها خالية من عنصر الحياة · وان بزر الحياة الذي هو قائم في « الهيدروكربون » *(Hydro-Carbon)* أي الماء والفحم اتاها من النيازك اي الحجارة الجوّية *(Aérolith)* التي سقطت من طبقات الافلاك على الارض · وما قام الى الآن احد من علماء هذا العصر وتجرأ على دحض رأي العلامة المشار اليه بادلة قاطعة · ولا سيما قد وجد علماء هذا العصر بانفسهم ان قطع النيازك التي لا تزال تتساقط على ارضنا تحتوي على كمية وافرة من العنصر المذكور المسمى باسم « هيدروكربون » واتفقوا على القول انه اينما وجد هذا العنصر وجدت معه الحياة الحيوانية · والنباتية ايضاً · وبناء على ذلك كانت ارضنا هذه خاوية من نبات وهوام وحيوان الى ان اتاها العنصر المذكور بواسطة قطعة من النيازك الساقطة عليها · وفي الحقيقه ان الله تعالى في خلقته الكرة الارضية بادئ بدء خالية من عنصر الحياة المسمى « هيدروكربون » (الماء والفحم) لم يصنع شيئاً مخالفاً لنواميس الطبيعة او مغايراً لحكمته الازلية وقدرته الالهية · لكن في رأينا ان نظرية المعلم « تومصون » المشار اليه تشير الى كثرة الاساليب المختلفة التي اتخذتها حكمة الله العظيمة في خلقة الكائنات وتدبيرها · والحوادث التي نراها جارية يوماً فيوماً على وجه الارض تثبت نظرية المعلم « تومصون » فمن جملة ذلك اننا نرى بعضاً من الحقول والاراضي خالية من بزور كثيرة · والله سبحانه وتعالى يسخر تارة الرياح وتارة النمل واخرى الطيور وغيرها من الهوام لتنقل بزراً من ارض الى ارض اخرى بدون ان يحسب ذلك نقصاً

في حكمته وخلقته · وعلى هذا الأسلوب لا يعدّ ضرب من النقصان في حكمة الله وقدرته اذا خلق الارض بلا عنصر الحيوة ثم سخر قطع النجوم المنحلة في افلاكها لتنقل اليها عنصر الحياة الذي هو الماء والفحم · وكان الحكماء اليونانيون ايضاً قد عرفوا ان الماء هو عنصر الحياة · من جملتهم الحكيم المشهور « تاليس المدللي » (*Thales*) الذي كان كنعاني الاصل ثم انتقل الى جزيرة « مدللي » ومنها الى بلاد اليونان واشتهر فيها بالحكمة والسياسة حتى عدَّ فيها من اول حكمائها · وكان هو اول من قال « كل شيء اصله من الماء » وعنى بقوله هذا انهُ لولا الماء لما وجدت الحياة ·

ولما كنت مقيماً بمدينة لندرة وقع جدال طويل في هذه المسأَلة بين مستر « غلادستون » الذي كان وقتئذٍ زعيم الاحرار ورئيس وكلاء الدولة البريطانية و بين العلامة الشهير « هوكسلي » «*Hoxley*» الانكليزي ونشرت الرسائل العلمية الانكليزية مجادلاتهما نحو ثلاث سنين · فكان المعلم « هوكسلي » يذهب ان الهواء اصل الحياة · وان اول ما خلق في الجوّ كانت الطيور · وكان مستر غلاستون يعلم ان اصل الحياة الماء وان اول ما خلق من الحياة كانت الاسماك في المياه · وكان هذا الهمام مع شدة اهتمامه بمصالح الدولة والاشتغال بتدبير المملكة يتفرغ ايضاً الى هذه المسائل العلمية الدقيقة · وما زال يناضل خصمه بادلة قاطعة وحجج دامغة حتى اقنعه واقنع علماء عصره بان الماء اول عنصر الحياة واول ما خلق في الارض من الحيوانات كانت الاسماك والحيتان ·

ثم بحث «السير ويليام» المشار اليهِ في نور الشمس وحرارتها وطريقة وصولها الى كرة الارض وقال ان علماء الهيئة قد اتفقوا على القول ان لكل كوكب سيار خلاءً يحيط بهِ . وان هذا الخلاء لا يزال شديد البرودة الموجودة في قطب ارضنا الشمالي المتجمد . وانهُ مظلم ايضاً ظلاماً ابدياً اكثر من ظلام نصف الليل . فان صدق قوله وقولهم بقي علينا ان نسألهم كيف يمر نورِ الشمس بكل تلك المسافة ولا ينيرها وكيف تسير بها تلك الحرارة الشديدة ولا تحميها ؟ فاذا قيل ان فراغ المسافة الهوائية من الذرائر والجواهر اللازمة لعكس نور الشمس هوالباعث على ذلك . قلنا في جوابنا عليه ان « لا فراغ في الطبيعة » وان الشمس لا تستطيع على ارسال اشعتها وحرارتها الى ارضنا والى غيرهامن سياراتها بلا واسطة متصلة اتصالاً متوالياً . فكيف تكون المسافة الجوية الكائنة بين الشمس والارض خالية من الذرائر اللازمة لعكس نورالشمس وبث حرارتها في الجو؟

هذه مباحث عويصة ومسائل معقدة . ولمن المحتمل ان تبقى محجوبة عن العقل البشري ما دام على حالته الحاضرة . ولكن متى بلغ عقل النوع البشري درجة الكمال المعين له من خالقه وذلك بعداجيال لا يعرف مداها الاَّ الله وحده يتمكن الانسان من حل بعض من هذه المسائل المشكلة . والدليل على قصر العقل البشري وعدم وصوله الى درجة كماله مسنود الى ما نراه جارياً في احوال الطبيعة . لانهُ ليس بخافٍ على كل من تتبع الاكتشافات العلمية والامتحانات الطبيعية ان

النبات والحيوان والانسان وغير ذلك من الكائنات لا يزال في نشوء ونمو على « قاعدة الارتقاء » [Laloi d'evolution] وفي الحقيقة لا عطالة ولا بطالة في الطبيعة فكل شيء اما في نشوء ونمو واما في انحطاط وزوال كما تقتضيه نواميس الطبيعة واحكامها · وعلى ذلك لا يزال عالم الكائنات باسره في تبدل وتنقل من حال الى حال حتى يبلغ درجة الكمال المعينة له من حكمة خالقه · وهذا التنقل يكون دائماً من حالةٍ عاديةٍ الى حالة حسنة ومن حالة حسنة الى احسن منها حالة · ومن احسن حالة الى حالة اكثر حسناً وكمالاً من الحالة الاولى وهكذا الى ما شاء الله من الكمال · فان الله جلت حكمته قد وضع نواميس طبيعية لمخلوقاته · وبمقتضى هذه النواميس يتم انحلال الشموس والنجوم والكواكب · وهو ما زال ولن يزال يخلق ويكوّن من انقاض تلك الاجرام السماوية شموساً اكبر من الاولى ونجوماً اكثر انتظاماً مما قبلها · وقد جاء دليل على ذلك اولاً في الزبور حيث قال داود عليهِ السلام يوم تنطوي السماوات والارض وتكون سماء جديدة وارض جديدة وابناء عبيدك يرثون الارض « ثانياً قد جاء في الاصحاح الحادي والعشرين من رؤيا يوحنا الحبيب » ثم رأيت سماءً جديدة وارضاً جديدة · لان السماء الاولى والارض الاولى مضتا والبحر لا يوجد فيما بعد ··· وقال الجالس على العرش ها انا اصنع كل شيءٍ جديداً ـ وقال لي الله اكتب فان هذه الاقوال صادقة وامينة ـ وقد اشار الى ذلك القرآن العظيم الشان في الآية التاسعة والاربعين من سورة الحجر « يوم تُبدَّلُ الارض غير

الارض والسماوات» وفي الآية السابعة والستين ايضاً من سورة الزمر « والسموات مطويات بيمينه » وبناءً على ذلك يكون الانحلال والتركيب من الحادثات التي جعلها الله الخالق وسيلةً لابلاغ الكائنات الى درجة الكمال التي عينها لها منذ الازل · والدليل الجلي على ذلك هو ما نراه طارئاً على الانسان من الحوادث الطبيعية · فكم من مرةٍ يتبدل تركيب الانسان قبل وصوله الى سن الرجولية ؟ فمن المعلوم ان جسد الانسان يأخذ بالانحلال من ساعة خلقته · وذلك انهُ متى بلغ السابعة من عمره تبدلت كل ذرائر دمه السابقة · ومتى بلغ السن الخامسة عشرة تبدلت كل ذرائر عظامه بتمامها · وعلى هذا المنوال متى ولد الطفل تأخذ ذرائر جسمه الضعيفة بالانحلال ليعوض عنها بذرائر اقوى منها · وينتقل الطفل بذلك من سن الطفولية الضعيفة الى سن الصبوة الاقوى منها · ثم يدوم هذا الانحلال والتركيب من وقت الى وقتٍ حتى ينتقل الانسان بذلك من سن الصبوة الى سن الشبيبة · ومنها الى الرجولية ومنها الى الكهولة · وبهذا الترقي في التركيب الجسمي يتم ايضاً ترقي الانسان عقلاً : وقد ثبت هذا التحليل والتركيب بدلائل طبية · وعرف اكثر الناس ان جسم الانسان يتجدد كل دقيقة بواسطة التغذي والتنفس · وزاد ذلك ايضاحاً احد العلماء الجرمانيين في كتابٍ بحث فيهِ عن اصل الحياة حيث قال ان مخ الانسان مركب من ثلثمائة مليون من الحجرات العصبية · ويتلف منها كل يوم خمسة ملايين من الحجر ويقوم مقامها حجر اخرى جديدة مكونة من موادٍ غذائية جديدة ·

فما يحدث في جسم الانسان من الانحلال والتركيب والتغيير يحدث في كل الكائنات بمقتضى نواميس الطبيعة كما سبقنا الى ذكره . وفي الحقيقة ان الارصاد الفلكية الصائرة من علماء الهيئة في هذا العصر تثبت ايضاً اقوالنا السابق ذكرها . فقد رصد علماء الهيئة في هذا الكون الفسيح غير المتناهي شموساً وكواكب كثيرة ينحل بعض منها قبل بلوغها درجة الكمال ثم يتركب من انقاضها مع تمادي الزمان شموس وكواكب جديدة اكثر انتظاماً وكمالاً من النجوم السابق ذكرها . وبعض منها لم يزل في سن الطفولية كالنجوم المعروفة بذوات الاذناب وبعضها لم يزل في سن الصبوة كنجم المشتري . وبعضها قد بلغ سن الشبيبة مثل كرة ارضنا . فان الله سبحانه وتعالى يبدل ويغير هذه الاجرام السماوية بحكمته وقوته الخالقة . وبهذا التركيب والتحليل يكوّن اجراماً اكثر انتظاماً وكمالاً مما سبقها . وهذا التبديل والتغيير لا يحسب ضرباً من اللعب والعبث لكنه موسس على حكمة الهية تفوق ادراك البشر . ويثبت ما قلناه ما جاء في مصاحف الاديان . من ذلك ما ذُكر في الآية الثامنة والثلاثين من سورة الدخان « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين » ومنها الآية التاسعة والثلاثون « ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون » ـ وهكذا قد أُثبتت هذه الحقائق بمئات من السنين قبلما اخترع غاليلاوس نظارته الفلكية من القرطاس الغليظ ورصد بها الاجرام الفلكية .

ثم بينما كنت على رأس جبل « خريستو » المذكور اعلاه اهدس

في طريقة خراب هذا الكون وانحلاله خطر ببالي شيء من الحسابات الفلكية التي اجراها الفلكي المشهور باسم « كابتن » [*Kapteyn*] في مدينة « امستردام» وظننت اني سوف اتوفق الى حل تلك المشاكل بواسطة حساباته · فقد قال المعلم المشار اليه « ان شمسنا وما يليها من الكواكب السيارة تسير الى جهة النجم اللامع المسمى باسم «النسر الواقع» الكائن في البرج المعروف باسم « شبلاق » (١) وان شمسنا التي تسير سيراً حثيثاً بما حولها من السيارات نحو هذا النجم المنير نقطع في كل اربع وعشرين ساعة مسافة تسعمائة الف ميل · وعلى هذا الحساب نقرب الى (النسر الواقع) نحو ثلثمائة مليون من الاميال في كل سنة · ويسميه الافرنج باسم « ويغا » (*Vega*) وهو من جملة النجوم الثوابت التي يتشكل منها برج « شبلاق » المسمى من الافرنج باسم « ليرا » (Lyvra) وعلامته في فن الهيئة الحرف اليوناني المسمى « ايبسلون [*E*]

وكان « سير ويليام هرشل » يظن ان شمسنا تسير بسياراتها الى جهة نجم من النجوم الثوابت الكائن في البرج المسمى « بالجاثي على ركبتيه » وهو المعروف عند علماء الهيئة في اوروبا باسم « هرقل » (*Herculus*) وعلامته عندهم الحرف اليوناني « رهو » (?) · وهذا البرج هو اكبر من كل البروج الكائنة في نصف الخطة الشمالية من السماوات · فاذا نظر اليه الانسان برأي العين ظهر له في شكل قطعة من نور

(١) ان « النسر الواقع » نجم من النجوم الثوابت او هو شمس من الشموس العظيمة ومعروف عند علماء الهيئة

رمادي اللون . واذا نظر اليهِ بنظارة عادية رأى فيهِ نجوماً صغيرة كثيرة واذا رصده بنظارة فلكية قوية رأى فيهِ نجوماً منيرةً لا يحصى عددها .

وذهب المعلم « استروف » *«Struve»* الى ان شمسنا تقطع في سيرها الى جهة ذلك البرج نحو مائة وخمسين مليون من الاميال في السنة .

وقال المعلم « ايري » *«Airy»* ان الشمس تقطع في سيرها سبعة وعشرين ميلاً في ثانية زمنية . وقال بعض من علماء الهيئة ان مركز الثقل المنجذبة به شمسنا مع سياراتها نجم من النجوم الثوابت الكائنة في برج « الفارس » وموقعه على بعد تسعين درجة من برج « الجاثي على ركبتيه » . وهو من البروج الكائنة في قلب المجرَّة . وقال المعلم « مدلر » *«Maedler»* ان مركز الثقل الجاذب اليهِ شمسنا موجود في قلب الثريا . ولكن لم يثبت رأيه بادلة قاطعة . ومن المعلوم ان الناظر برأي العين الى الثريا يجدها اشبه شيء بعنقود مركب من ستة كواكب ولكن اذا رصدها بنظارة فلكية وجدها مركبة من مائة وثمانية وثمانين نجماً لامعاً . وليس بخافٍ على من لهُ المام زهيد بعلم الهيئة ان الشمس جرم كبير يتركب من مواد تكفي لتكوين ٣٥٤٩٣٦ كرةً مثل كرة ارضنا . وقطر الشمس يوازي نحو ٨٨٣٠٠٠ ميل . ولكي يسهل على القارىء ادراك جسامة الشمس نقول لهُ : لو جعلنا مركز الشمس محاذياً لمركز الارض لفضل من سطح جرم الشمس حواشٍ عريضة على مسافة كافية ليدور ضمن دائرتها القمر وتكون تلك المسافة موازية للمسافة

الكائنة بين الارض والقمر · ولمن المعلوم ايضاً ان شمسنا هي من جملة الملايين من النجوم الثوابت او الشموس المنتشرة في «المجرّة» المعروفة في اصطلاح العامة «بدرب التبانة» · فلو افترضنا وجود خلائق في نجم من نجوم الثريا ونظروا الى شمسنا لرأوها نجماً من جملة النجوم المنتشرة في «المجرة» · ولو استطاعوا مشاهدة ارضنا ايضاً لرأوها من اصغر النجوم الكائنة في قلب المجرَّة · وقد قال المعلم «هرشل» ان شعاع النور المنبعث من نجمٍ في احد طرفي المجرة لا يصل الى النجم الذي في الطرف الآخر منها الا بعد مرور الف سنة من سيره بسرعة ١٢ مليوناً من الاميال في كل دقيقة · وقد حسب المعلم «استروف» المشار اليه بحساب الوسط المسافة الكائنة بين ارضنا وبين بعض النجوم الثوابت فوجد ان النور المنبعث من النجوم التي تحسب من «القدر الاول» «*Prima Magnitudine*» اي التي تظهر لعين الناظر اليها اكبر من غيرها ـ يصل الينا نورها بعد ١٥ سنة وستة اشهر · والتي من «القدر الثاني» ـ اي اقل نوراً من الاول ـ يصل الينا نورها بعد ٢٨ سنة · والتي من «القدر الثالث» ـ اي اقل نوراً مما قبلها ـ يصل الينا نورها بعد ٤٣ سنة · والتي من «القدر التاسع» ـ اي الاقل نوراً من جميع النجوم والاصغر منها منظراً ـ يصل نورها الينا بعد مرور ٥٦٨ سنة · ومن هذا التعديل يستطيع العقل البشري ادراك جزء من ملايين من سعة هذا الكون الفسيح·

وبناء على ذلك اخذت بعين الاعتبار حساب العلامة المشار اليه

وزعمت ان شمسنا ستصل في سيرها يوماً ما الى النجم المسمى من علماء الهيئة «بالنسر الواقع» . فتجذب منه انجذاباً تاماً وتسقط عليه وتصير له طعاماً مع سياراتها كما هي نفسها تجذب اليها الآن الوفاً في الوف من الاجرام المارّة بقربها وتبتلعها ومثلها في هذا مثل العنكبوت الذي يختلي في قلب شبكته ويترصد كل ذبابة تمر بجانبه ليصطادها ويقتات بها . والشمس بابتلاعها تلك الاجرام واحراقها اياها تحفظ كيانها وتعوض بها عما تنفقه يومياً من النور والحرارة . فهذه عادة الله في تكوين هذا الكون الفسيح باجمعه . فانه تعالى قد جعل كلاً من مخلوقاته ان يحافظ على تركيب ذاته باصطياد وابتلاع غيره . فما كان اليوم صياداً صاد في الغد صيداً لغيره . كما قال ابن العلاف في رثاء هرٍّ له :

صادوك غيظاً عليك وانتقموا

منكَ وزادوا ومَنْ يَصدْ يُصدِ

فبينما كنت اردد في عقلي هذه الحقائق الطبيعية خطر ببالي احد الحكماء الذي شبه هذا الكون العظيم « بمسلخ عام » وقال : اني لاعجب من عالم لا يدوم عمرانه الاَّ بالخراب . فدوام فرد من الحيوان لا يتم الاَّ بتخريب واتلاف حيوان آخر . ودوام نباتٍ من النباتات لا يكون الاَّ بتخريب نباتٍ آخر او بتحليل عنصر من العناصر . فما الكون اذاً الاَّ تركيب يعقبه تحليل وتحليل يتلوهُ تركيب وهذا الحال منظور في ارضنا . وما هو جارٍ في ارضنا جارٍ بعينه في جميع الشموس والكواكب والاقمار . وكما يهلك حيوان حيواناً آخر ليقتات بهِ هكذا تنحل على

الدوام الوف في الوف من النجوم والكواكب السيارة لتصير قوتاً لنجوم وكواكب اخرى . وكما تنحل نجوم كل يوم هكذا تتكون من انقاضها وعناصرها شموس وكواكب جديدة كل يوم . ولا يزال هذا الكون سائراً على هذا القانون العام ما دام الله جل جلاله يحركه ويدبره بهذه الطريقة العجيبة

فريثما كنت اهدس في هذه النظريات وانا اتمشى تحت ظل اشجار الصنوبر على جبل « خريستو » المذكور أعلاه طوَّحَ بي قانون « تسلسل الافكار » الى نظرية « الجوهر الفرد » ايضاً . فرأيتُ في هذه النظرية حقائق ساقتني الى الاعتراض على النظرية السابقة التي كنت اهدس بها واجعلها اساً لخراب الشمس وسياراتها

وذلك اولاً اني رأيت ان سير الشمس بكواكبها السيارة الى جهة نجم « النسر الواقع » لا ينتج منهُ ضرورةً انجذابها منه وسقوطها عليه وصيرورتها طعاماً له كما يصير لها طعاماً كثيرٌ من الاجرام الصغيرة التي تمر بقربها . لان نجم « النسر الواقع » الذي هو في حد نفسه شمس اكبر من شمسنا يسير بسرعة مخصوصة له الى جهة الشمال منجذباً من شمس اكبر منهُ . وهكذا يجري في جميع الشموس التي يتبع بعضها بعضاً بقوة قانون الجاذبية . وكلها تسير بكواكبها السيارة الى جهة كوكب عظيم هو مركز جميع الشموس والاجرام السماوية على ما ذهب المعلم « اسحق نيوتن » (Newton) . وبناءً على ذلك تكون جميع الاجرام السماوية دائرة في افلاكها بسرعة مخصوصة لها ويلي بعضها بعضاً من دون ان

يلحق بعضها بعضاً او يصدم بعضها بعضاً او يقع كوكب على كوكب اخر.
وقولنا هذا مسنود الى نظرية « الجوهر الفرد » . وذلك لانه من المعلوم ان
الاجسام كلها تتركب من الذرائر الدقيقة التي تعرف في اصطلاح فن
الكيمياء « بالجواهر الفردة » . وان كلاً من هذه الذرائر منجذب من
التي حوله في حال كون كل ذرة تبتعد عما حولها من الذرائر بالقوة
« المبتعدة عن المركز » . وهكذ تبقى كل ذرة قائمة بنفسها في مركزها
من دون انجذاب مما حولها ومن دون تماس مع ذرة من الذرائر التي
حولها بل تلبث سابحةً في سيالٍ لطيف يعرف في اصطلاح فن الكيمياء
« بالاثير » . وهذا كله مسنود الى القانون الطبيعي العام . لانه متى
وقع جسم بين قوتين متساويتين انجذب من كل منهما على حدٍ سوى .
ومن حيث ان احدى القوتين ليست باقوى من اختها لتغلبها وتستقل
بجذب ذاك الجسم اليها لبث الجسم بين القوتين على بعدٍ متساو منهما
متحركاً على محوره في خلاء او فراغ يسمى « بالمسام » . اما قولنا ان
ذلك الجسم او الذرة من الذرائر تدوم متحركة على محورها في مكانها فهو
قول لا يختلف فيهِ اثنان ولو ظهر الامر للعيان بخلاف ما هو عليه .
لان السكون المطلق ضرب من المحال . ولا توجد ذرة من ذرائر هذا
الكون ساكنةً ما دام الله الذي هو الحياة والحركة بالذات يحركها بحركته
الابدية . وقد قيل « السكون موت والحركة حياة » . ومن حيث لا
سكون في اصغر ذرائر الكون كان لا « موت » حقيقي في الكائنات .
وما يظهر لنا من الكائنات في حال السكون هو بخلاف ما هو عليه .

وما يجعلنا ان نراه على تلك الحالة هو قصر قوتنا الباصرة التي تغشنا في امور كثيرة . اما في عين الحقيقة فكل ذرة من الذرائر التي هي اس تركيب الاجسام تدور على محورها بحركة لا تعرف السكون . لان المحرك الاصلي لها هو الله نفسه كما قال بولس الرسول : انا فيه نوجد وفيه نحيي وبه نتحرك » . والله هو الحركة الازلية والابدية . وبناءً على ذلك ان الجبال الراسية والصخور الراسخة ولئن ظهرت لنا ساكنة فذرائرها تتحرك بحركة دائمة على محورها . وكذلك المرآة الصقيلة التي لا يظهر لنا على سطحها اثر الذرائر والمسام من شدة صقلها فهي نفسها مع سطحها الصقيل مركبة من ذرائر متحركة على محورها في فلك مسامها مثل كرية صغيرة سابحة في الاثير . وحكمها حكم كرة ارضنا التي تدور على محورها في قلب فلكها . والمسام الموجود بين ذرة وذرة ليس بفراغ كما يتوهم بعض الناس بل هو مشحون بحيوينات لا تحصى تعرف « بالبعوض » ويسميها علماء الافرنج « بالميكروب » . وما قلناه في ذرائر المرآة الصقيلة ومسامها ينطبق على جميع الذرائر التي هي اس التركيب في اجسام الحيوان والنبات والجماد والموائع . فالمياه بوجه العموم سواء ظهرت لنا ساكنة كمياه الاحواض او هائجة بتحريك الرياح لها كمياه البحار والانهار فذراتها تتحرك بحركة دائمة على محورها كما تتحرك الذرائر التي هي اس تركيب الدم الساري في عروق الحيوان والانسان واس تركيب لحمه وعظمه . وهذه كلها تتحرك على محورها بحركة دائمة من وقوع صدمة بينها وبين ما يجاورها من الذرائر . وازيد على ذلك قولاً اخر لا يخشى

عليه من منكر ان الذرائر التي هي اس التركيب لجسم البعوض او الميكروب السائح في الدم والمعششة في مسام الاجسام تتبع هذا القانون العام

وهذه الحركة التي في الذرائر لا تقتصر على الذرائر التي هي اس التركيب للاجسام الحية بل تشمل ايضاً الذرائر التي تتركب منها العظام البالية في قبورها · وكل ذرة من ذرائر الطعام الذي يلج معدة الحيوان والانسان لا تزال متحركة على محورها في جميع تقلباتها سواء استحالت الى دم او الى لحم او الى عظم او الى شعر او الى ظفر · وفي كل حركاتها لا تصدم ولا تمس ما يجاورها من الذرائر · وحكمها في كل ذلك حكم الاجرام السماوية التي تدور على محورها في افلاكها بلا مصادمة اصلاً ·

فبناء على القانون المار ذكره لا ينتج من سير شمسنا مع كواكبها السيار الى جهة برج «شيلاق» انها سوف تنجذب يوماً من الايام من نجم «النسر الوقع» وتصير طعام لهيبه · ولا سيما ان هذا النجم نفسه مع ما هو عليه من الكبر انما هو سائر بسرعة مخصوصة له نحو الشمال ومنجذب من نجم آخر اكبر منه · وعلى هذا النسق نجوم او شموس كثيرة لا يدرك العقل البشري عددها تسير هذا السير ويتعقب بعضها بعضاً · وقد قال بهذا القول المعلم «اسحق نيوتن» الفلكي الانكليزي المشهور وعلم ان جميع الشموس المنتشرة في القبة الزرقاء التي فوق رؤوسنا تدور بكواكبها السيارة واقمارها العديدة حول كرة عظيمة كائنة في مركز

هذا الكون الفسيح الموصوف « بالغير المتناهي »

وان سألنا العلماء عما يريدون بوصفهم هذا الكون « بالغير المتناهي» قالوا لنا في جوابهم : ان تصور « كونٍ غير متناهٍ » كان قد اقلق افكار الناس طرًا وحير عقولهم منذ اجيال عديدة · وكان كل حكيم وفيلسوف في الاعصار الغابرة يتصور ان هذا العالم المشحون بالنجوم والكواكب عالمٌ لا حدَّ له ولا نهاية · وعلى زعمهم لو كان الانسان خالدًا وتمكن من الصعود على خطٍ مستقيم الى جهة السماء وسار قرونًا في قرون متنقلاً من برج الى برج ومن فلك الى فلك لما ادرك نهاية هذا الكون ما دامت الابدية ابديةً · ولذلك لم يستطع احدٌ من حكماء الزمان على حل عقدة هذا « الغير المتناهي »

ولكن لما كنت مقيماً بلندرة منذ نحو ١٥ سنة عقد بعض من الحكماء وعلماء الهيئة مجمعاً علمياً للبحث في مسئلة هذا « الغير المتناهي » فجرت بينهم مناظرات طويلة عميقة في هذا الباب · وكانت نتيجة ذلك انهم قرروا باتفاق الرأي ان « الغير متناهي » هو عبارة عن « دائرة كبيرة » واوضحوا ذلك بقولهم : لو عاش الانسان عمرًا طويلاً وتيسر له السير نحو قبة الفلك ادهارًا من الزمان على خطٍ يخاله مستقيماً لسار في حقيقة الامر على خط دائرة · وانه بعد سيره دهرًا طويلاً على خط تلك الدائرة يصل في الآخر الى عين النقطة التي انتقل منها ساعة سفره · وهكذا يكون قد سار ضمن دائرة تامة · ولما كانت الدائرة خطاً غير

متناهٍ اي لا اول لهُ ولا آخر كان هذا الكون الفسيح ايضاً « غير متناهٍ » ·

وقد شبهتُ هذا السير في الافلاك بسير الانسان حول الكرة الارضية · فاذا رحل الانسان من بورت سعيد ودخل ترعة السويس من جهة البحر المتوسط وسار في البحر الاحمر ثم بحر الهند ثم وصل الى جزيرة سيلان ثم الى مضيق « ملقا » ومر بمدينة « سنقافورا » ثم بمدينة « سيغون » في سواحل « كونشين شين » ثم بجزائر اليابان ثم قطع البحر المحيط ووصل الى « سانفرشسكو » في سواحل « كاليفورنيا » بامريكا ثم سار منها بالسكة الحديدية الى « نيو يورك » ثم ركب البحر منها وقطع الاوقيانوس او بحر الظلمات · ثم وصل الى « ليفربول » من بلاد الانكليز · ثم ركب قطار سكة الحديد الى لندرة ودوفر او سار بحرًا الى جبل طارق ومنه الى بورت سعيد اي الى النقطة التي رحل منها · وكل هذا الوقت يظن انهُ سائرٌ على خط مستقيم مع انه كان سائرًا على خط دائرة الكرة الارضية · وعلى هذا النسق كل جسم من الاجسام الفلكية يسير في فلكه على خط دائرة · لان القوة الجاذبة الى المركز من شأنها ان تصده عن السير على خط مستقيم ·

وبناءً على ذلك كانت جميع شموس هذا الكون مع كواكبها السيارة سائرة على خط مفروض في شكل دائرة كبيرة حول مركزها العظيم · ولا يعلم احد غير خالقها ومحركها ومدبرها مدة السنين التي تكمل دورتها المذكورة من دون تماس ولا اصطدام بعضها ببعض · فعلى هذا النمط

زعم هؤلاء العلماء انهم قد ادركوا هذا « الغير المتناهي » الذي عجزت عن ادراكه عقول البشر في الاعصار الخالية

الخلاصة

ان نظرية « الذرائر » التي شرحناها قبلاً لا تناقض نظرية المعلم « تومصون » فيما أُنيط بانطفاء نور الشمس وخرابها بعد عشرة ملايين من السنين . فقط انها تشير الى خراب الشمس بواسطة اخرى غير الاصطدام او الوقوع على برج « شيلاق » والاحتراق بلهيب شمس اخرى تعرف اليوم بنجم من النجوم الثوابت المسمى « بالنسر الواقع » الى غير ذلك مما تصورته وانا على جبل « خريستو » . لان وقوع هذا الاصطدام الموهوم محالٌ بمقتضى القوانين التي وضعها الخالق الحكيم لحركة مخلوقاته من الشموس والكواكب

اما طريقة انحلال الشموس والكواكب وتركيبها من جديد في نظام اكثر كمالاً من الاول فلا يعرفها حق المعرفة احد غير خالقها . وكلما ذهب اليه البشر من المذاهب والنظريات هو ضرب من الحدس والتخمين . وربما ظهر هذا الحدس لعقولنا القاصرة مقارباً للصواب . اما عين الحقيقة فلا يعلمها الا الله وحده . وقد اشار الانجيل الشريف الى ذلك بقوله : واما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها احد ولا ملائكة السموات (متى ص ٢٤ ـ آية ٣٦)

فاذا وجد القارئ في هذه المقالة نظريات فلسفية غريبة عما الف سماعه او ظهرت له مناقضة لنصوص الكتب المقدسة فليس الامر كما يظهر له. لان الله جلَّ جلاله لم يُنزِل سفر التكوين في طرز كتابٍ في علم الهيئة ليعلمنا بهِ الطريقة التي سلكها في خلقة الكائنات بل انزله كتاباً دينياً ادبياً ليرشدنا به الى طريقة عبادته فللدين احكام وللنظريات العلمية والفلكية احكام. وليس في هذه الاحكام تناقض حقيقي. ولكن ظهور التناقض فيها صادر عن قصر ادراكنا وعجز عقولنا عن استيعاب كنه الحقائق السامية وغوامض الطبيعة. لاننا جزء من كل والجزء لا يسع الكل

وقد قام في هذه السنين الاخيرة بعض من العلماء وتفرغوا الى تطبيق الاكتشافات الفلكية الجديدة على ما كتبه موسى في سفر التكوين. ولما كان المجال ضيقاً في هذا الباب ضربنا صفحاً عن تلك المباحث العويصة خشية الاملال - واقتصرنا على نظم الابيات الآتية :

﴿ الشمس ﴾

اللهُ نورٌ فوقَ عرشٍ ذي جَلل
من نورهِ براَ الضياءَ من الازلْ
من عرشهِ السامي بدا امرٌ لهُ
«كن يا ضياءُ فكانَ» فوراً واشتعلْ

وتفلكت وتبهرجت في برجها
شمسٌ واحيت بالضيا كل المللْ
يا نورَ صبحِ امهُ شمسُ الضحى
وهلال فرقِ الحسنِ عن ذاك انتقلْ
يا شمس ما ابهى جمالكِ سيما
بضياء طلعتكِ الجمال قد اكتملْ
قد زينَ الخلاق قبةَ عرشهِ
بكواكبِ من غيرِ نوركِ لم تَنلْ
بكِ نوَّرَ الاقمارَ حين تكوّنتْ
ربٌّ بحكمتهِ غدا اصل العللْ
يا شمسُ منكِ ننال كلَّ حياتنا
يا شمسُ فيكِ الناسُ قدوضعوا الاَملْ
يا شمسُ فيكِ الكائناتُ تجملت
وجمالها من نورِ وجهكِ قد حصلْ
قد فاضَ بحر ضيائكِ الطامي على
كل البرايا واغتنشت منهُ المقلْ
بشهاب نورِ لحاظكِ النجلا غدت
مفتونةً مسحورةً كل المللْ
ماء البحار بدونِ حرّكِ جامدٌ
وكذلك الانهار لا تجري العملْ

عن وصفكِ الغاني الخلائق قصرتْ
وغدت قوافي الشعرِ تنحتُ في فشلْ
الوان نورك في الشماع تحللت
فكست زهورَ رياضنا ابهى الحللْ
لولا احمرارٌ في خدودكِ يجتلى
خد الخريدة من بهائكِ ما خجلْ
لولا ضياوءكِ يا غزالة ما رنا
في الكون طرفُ الغانيات ولا اكتحلْ
لولا شعاعُ غزالةٍ ما كان في
عين الغزالِ تلفتٌ لذوي الغزلْ
لولا بدت منكِ الحرارة في الضحى
ما اورق الغصن الرطيب وما حَملْ
لولابكِ الاعشاب تنبت في الربى
ما عاشَ نملٌ في البرية او جملْ
لولاكِ يا نور السماء لما بدا الا
انسان في ثوب الملاحةِ من عجلْ
لولاكِ يا شمس الكيانِ لما بدا الا
تاريخُ عند الناس او عرفَ الاجلْ
مني السلام على محياكِ الذي
من حسنه وجه الكواكب قد خجلْ

منيَ عليكِ تحيةٌ وقت الضحى

وتحيةٌ ان غاب نوركِ وارتحلْ



كذب المنجمون

القصة ــ ادعى بعض من المنجمين سنة ۱۸۷۰ انهم قد اكتشفوا عمودًا كهربائيًا نازلاً من قرص الشمس الى الارض وان هذا العمود الكهربائي سوف يصل الى الارض في اخر سنة ۱۸۷۱ ويحرق غلال الارض ويجلب القحط على سكانها ويسبب في الجو حرارة غير معهودة ويبوسة شديدة في الهواء وينغص عيش كل من دب ودرج على سطح الارض ويكون ذلك العمود الكهربائي نذيرًا بقرب الساعة وقيام القيامة. وقالوا ان العمود المذكور هو «نهر النار» المعبر عنهُ في نبوءة دانيال حيث قيل: مجلسه لهيب نار · بكراته نار مشتعلة · نهر من نار سريع يخرج عن وجهه ويسير امامه ... جلس للقضاء وانفتحت الاسفار · (دانيال ص ۷ عد ۱۰) · او هو ما اشار اليه بطرس رئيس الحواريين في رسالته الثانية بقوله: يأتي يوم الرب كالسارق اليوم الذي تزول فيهِ

السموات باندفاعة شديدة والعناصر تنحل بالحر والارض وما فيها مصنوعاً يحترق (ر ٢ ص ٣ عد ١٠) ثم قالوا ان هذا العمود الكهربائي قد اخذ في الامتداد شيئاً فشيئاً من كرة الشمس الى جهة الارض وقد صار طوله الآن خمسة واربعين مليوناً من الاميال وذلك نحو نصف المسافة التي بين الشمس والارض

وادعى منجمٌ آخر من قسس الانكليز ان الله تعالى اوحى اليه بان القيامة سوف تقوم في اليوم الثامن من شهر تشرين الثاني لعام ١٨٨١

ثم ادعى رجل آخر ان الله جل جلاله قد اوحى اليه بقيام القيامة في اليوم الخامس والعشرين من شهر نيسان لسنة ١٨٥٤ والف كتاباً في اثبات ادعائه ورفعه الى البابا بيوس التاسع بهذا الاسم يستأذنه بطبعه · فاذن لهُ البابا المشار اليهِ بطبع ذلك الكتاب في اليوم السادس والعشرين من ذلك الشهر وتلك السنة اي بعد مرور الوقت المضروب للقيامة من ذلك المنجم بيوم واحد · واحتج على ذلك بقوله : اذا قامت القيامة في ٢٥ نيسان كما ادعى ذلك المجم فلا يحتاج البشر الى كتابه · وان لم تقم القيامة في اليوم المذكور ظهر كذب النبوة وعدل المؤلف نفسه عن طبع كتابه واشهار كذبه

فلما ظهر كذب النبوات السالفة وكانت مناقضةً للعلوم الطبيعية اخذتُ بتفنيد ارآء اولئك المدعين بوجه الايجاز كما يأتي وقات :

اولاً ان نزول عمود كهربائي من الشمس الى الارض واحراقها مع من عليها لمن الاوهام الصبيانية ولكي يتضح بطلان هذه الاوهام

اذكر في هذا الباب شيئاً عن كرة الشمس ومادتها وحرارتها ونورها وعن كيفية انبعاث النور والحرارة من جرمها وعن كمية ما تفقده من النور والحرارة كل سنة وعن طريقة تعويضها ذلك

فتبعث الشمس دواماً ليس الى كرة ارضنا فقط بل الى الجوّ الفسيح المحيط بها كميةً عظيمة من الحرارة . وتفقد ايضاً قوةً فعالة بنسبة كمية الحرارة المفقودة منها سنوياً

فان قيل من باب الاستفهام اذا كان ما قلته صحيحاً لماذا لم نشعر بهِ ولماذا لم يذكر عنهُ شيئاً العلماء والمؤرخون من قديم الزمان ؟

قلت في جوابي على ذلك . ان كتلةً عظيمةً مثل جرم الشمس التي هي اعظم من كرة ارضنا بالف الف وثمنمائة وعشرين الف مرة لا تبرد حرارتها بسرعة كافية تجعلنا ان نشعر بفقدانها . لان تناقص الحرارة يتم قليلاً قليلاً كما قال بعضٌ من علماء الهيئة

ثم ان كمية الحرارة المنبعثة من الشمس والواصلة الى ارضنا سنوياً تعادل بالتقريب درجة حرارة شديدة بهذا المقدار حتى اذا تجمعت كانت كافية لان تذيب من الحديد ما كان سمكه نحو اربعين ذراعاً لو وجد ذلك على سطح الارض . لان هذا الكوكب المنير يبعث من كل جهاته كميةً من الحرارة ضعف ما يرسله الى كرة الارض بنحو الفين وثلثمائة مليون مرة ٢٣٠٠٠٠٠٠٠٠

اما ما تفقده الشمس من الحرارة سنوياً فقد ضرب المدققون معدله فوجدوه يوازي نحو واحد وخمسين طغمة وستمائة وواحد وسبعين رتبة

اي (٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٥١٦٧١) درجة وذلك رقم ٥١٦٧١ يتلوه سبعة عشر صفراً . فيحصل من هذا الفقدان كل سنة انحطاط في قوة الحرارة الشمسية يعادل ١٫٨° . وعلى هذا الحساب تفقد الشمس كل خمسة آلاف سنة نحو تسعة آلاف درجة من حرارتها

ولما كانت الحرارة موجودة علي سطح الشمس فقط وليس في قلبها كانت النتيجة من ذلك نفاد الحرارة والنور من سطح الشمس بعد مدةٍ من الزمان وبقاء جرمها مظلماً مثل البقع المظلمة التي يراها الفلكيون في قرصها بواسطة النظارة الفلكية لو لم تعوّض عما تفقده من حرارتها كل يوم

اما الطريقة التي بها تعوّض الشمس على نفسها ما تفقده يومياً من الحرارة والنور فقد وضع العلماء لها نظريتين . الواحدة هي التي وضعها المعلم «روبرت ماير» النمساوي . والثانية هي نظرية «التحليل والتركيب» الكيمي بواسطة الهيدروجين والاكسيجين

فالنظرية الاولى كما يأتي :

اذا افترضنا مثلاً ان كرة الشمس مكونةٌ من فحم قابل الاشتعال فتكون الحرارة الصادرة من اشتعاله توازي ثمانية آلاف درجة لكل كيلو من الفحم المشتعل . وتكون هذه المادة كلها قد اشتعلت وانتهت في برهة ستين سنة وصارت الشمس رماداً بارداً

ولكن ليست الشمس مكونةً من فحم قابل الاشتعال . بل هي كرة عظيمة مكونة من معادن شتى كالمعادن والمواد المركبة منها ارضنا مع بقية

الكواكب السيارة · وهذا قد ثبت بالاكتشاف العلمي · وعدا ذلك فان الارض وعطارد والمريخ والزهرة والمشتري وزحل ونبتون واوران واقمار الكواكب السيارة مع ما ينوف عن مائتي سيارة صغيرة سابحة في افلاكها بين الارض والمريخ قد انشقت من جرم الشمس فتكون مواد الشمس مظلمةً مثل مواد ارضنا ومواد بقية الكواكب المشتقة منها واما المواد المشتعلة فهي طارئةٌ عليها ومنتشرة على سطحها فقط · وطريقة وجود هذه المواد المشتعلة على سطح الشمس قد بينها المعلم «روبرت ماير» المشاراليه بنظريته التي بناها على القاعدة العامة الطبيعية ـ الحركة علة الحرارة ـ اي ان الحركة تسبب الحرارة · وطبق هذه القاعدة على الطريقة التي بها تعوض الشمس على نفسها ما تفقده من الحرارة والنور يومياً · وقال :

اذا هبط جسم من الشمس الى الارض من دون ان يصادم اجساماً اخرى في هبوطه ويقفز عنها اكتسب حرارةً شديدةً بمجرد هبوطه فقط · مثلهُ مثل كرة من رصاص فاذا سقطت هذه الكرة من علو ١٢٧٥ متراً وصدمت الارض وفقدت بتلك الصدمة سرعة سيرها حالاً اكتسبت من الحرارة ما يوازي درجة حرارة الماء الغالي · واذا هبطت من مكان اعلى من ٤٣٠٠ متر تقريباً مثل علو الجبل الابيض عن مساواة البحر ذابت من ساعتها · ومثلها كرة من حديد فاذا سقطت من علو ثمانية واربعين كيلو مترا بالتقريب وصدمت الارض في هبوطها اكتسبت الف درجة من الحرارة واستحالت الى احمرار منير كأنها خارجة من اتون النار وصارت في الوقت عينه حارةً ومنيرةً معاً · ومن اراد

ان يختبر صحة ذلك عليه ان يستحضر آلةً قادرة على ان تكسب هذه الكرة الحديدية سرعةً تسير بها مسافة تسعمائة واربعة وسبعين مترًا ٠ ومتى قذف بالآلة تلك الكرة رآها استحالت الى كرة نارية محرقة ومضيئة معًا عند صدمها الارض ٠ وليس هذه الحرارة وهذا الضياء فيها الاَّ من مجرد سرعة حركة سيرها ٠ وهذه المفاعيل الطبيعية لا تقتصر على الاجسام الكبيرة بل تشمل اصغر الذرائر ايضًا ٠ فاذا افترضنا ان ذرةً صغيرة من الحديد اشبه شيء بذرةٍ من الرمل اكتسبت في هبوطها سرعة توازي السرعة التي يسقط بها الجسم من علو ٩٧٤ مترًا حصلت هي ايضًا على حرارةٍ توازي الف درجة وصارت منيرة ايضًا

فبناءً على ذلك يقول المعلم المشار اليهِ ان عددًا لا يحصى من الذرائر والاجسام الفلكية [*Corps Cosmiques*] تطوف حول كرة الشمس وتسبح في الاثير المحيط بها ٠ ولما كانت تلك الذرائر اصغر من جرم ذرائر الاثير حملها الاثير وحال دونها ودون سقوطها على الشمس دفعةً واحدة وجعلها ان تتناثر عليها رويدًا رويدًا ٠ وعندما تسقط هذه الذرائر على سطح الشمس بقانون الجاذبية تصدمها صدمة شديدة وتستحيل الى حرارة ونور كما شرحنا قبلاً ٠ وتعوض على الشمس ما تفقده من النور والحرارة

واذا اردنا مثلاً حسيًا لذلك وجدناه في نفس ارضنا ٠ وذلك اننا نرى الارض التي هي اصغر جرمًا من الشمس بنحو الف الف مرة وثمنمائة وعشرين الف مرة وجاذبيتها اقل من جاذبية الشمس بالقياس

المتناسب تجذب اليها من الجو كمية وافرة من الشهب المعروفة عند العامة «بالنجوم الساقطة» . فقد شوهد في مدينة «بوستن» من امريكا الشمالية سقوط هذه الشهب على الارض مثل سقوط الثلج اذا عصفت به الارياح . وقد ضرب العلماء معدل ما سقط منها في ليلة فبلغ ٢٤٠٠٠٠ شهاب بالتقريب . فاذا كان في مدينة بوستن فقط سقط هذا العدد من الشهب في ليلة واحدة فيكون ما سقط من الشهب تلك الليلة على سطح الكرة الارضية قد بلغ مئاتٍ من الملايين . فعلى هذا القياس تكون الشهب التي تجذبها الشمس اليها من الاثير المحيط بها ما زاد على الف الف مرة من مئات الملايين وثمنمائة وعشرين الف مرة من مئات الملايين تقريباً . فعلى رأي المعلم ماير المشار اليهِ ان هذه الشهب الساقطة على كرة الشمس تكسبها حرارةً وضياءً وتعيد لها ما كانت قد فقدتـه

ثم ان المعلم ماير المشار اليهِ لم يقتصر على هذا القول فقط بل قد حدَّد سرعة سقوط هذه الذرائز على الشمس بالتقريب فقال :

لمن المقرر في القواعد الطبيعية ان سرعة سقوط الجسم تكون مناسبة لعلو النقطة الساقط عنها . وكلما ارتفع محل سقوطـه زادت سرعـة سقوطه . واذا كانت الاجسام الساقطة صغيرة كانت سرعـة سقوطها مناسبة لجذرها المربع

اما الجاذبية فنسبتها بعكس مربع المسافة . وهذا الحد لكوكب كروي الشكل هو نفس السرعة التي لكان اكتسبها لو كان الارتفاع موازيـاً

لشعاع الكرة الجاذبة · فمعدل هذه السرعة في الشمس هو ٦٣٠٤٠٠ متر في كل ثانية · وهذه اعظم سرعة جاذبية الشمس · ومعدلها الاقل هو ٤٦٥٧٥٠ متر في كل ثانية · ومفعول الحرارة يناسب مربع السرعة. ومن ثمة ان سقوط شهاب على كرة الشمس يسبب حرارةً درجتها ستة آلاف في ستة آلاف مرة اكثر من الحرارة التي تحصل من احتراق كمية من الفحم موازية لجرم الشهاب الساقط · وبناءً على ذلك لتعويض ما تفقده الشمس من الحرارة والنور يكفي ان يُزاد عليها في كل دقيقة مائة الى مائة وخمسين الف الف كيلو غرام من الحرارة · ومن ثمة ان جرم القمر الذي يبلغ وزنه نحو تسعين الف تريليون كيلو غرام اذا سقط على كرة الشمس اعطاها من الحرارة والنور ما يكفيها مدة سنة ونصف سنة وان كرة الارض التي هي اكبر من كرة القمر بستين مرة اذا سقطت على سطح الشمس اعالتها بالحرارة والنور اكثر من مائة سنة .

ثم ان الحرارة المسببة من الهيدروجين المحترق في الاكسيجين تبلغ الى الفين وخمسمائة درجة · وفي هذه الدرجة من الحرارة يشغل الغاز جرماً اكبر بعشر مرات من الجرم الذي يكون فيهِ درجة واحدة من الحرارة · لان البخار متى وجد في درجة الحرارة التي تجعل جرمه اكبر مما هو عليه بعشرة اضعاف لا يستطيع مقاومتها · والحرارة المطلوبة لترقي هذا الغاز الى الفين وخمسمائة درجة توازي الف وستمائة وثمانين وزنةً تسمى باسم كالوري في عرف ارباب الفن : ووزنة «الكالوري» توازي اربعمائة وخمسة وعشرين كيلو غرامتر · وكمية الحرارة المكتسبة من

ذلك توازي ١٦٧٤٣٣٦ كيلو غرامترًا او قوة ثلاثة وعشرين الف وثلثمائة وواحد وثمانين حصان بخار . وهذه الكمية من الحرارة توازي الحرارة المنبعثة من قدم مربع من سطح الشمس في برهة بضع دقائق

فمنذ قيد تاريخ العلوم الحوادث العلمية الى الآن ما قيد نقصان شيء من حرارة الشمس مع كونها تفقد كل دقيقة كمية وافرة من الحرارة كما اتضح قبلاً . فاذا كان الامر على ما صرحنا به بقي علينا ان نقول ان الطريقة التي بواسطتها تعوض الشمس على نفسها ما تفقده من الحرارة والنور هي طريقة طبيعية . وبقولنا هذا لا ننكر قوة الله تعالى القادر على كل شيء الذي خلق الشمس والعوالم كلها . ولكن نقول انه يستخدم قوى الطبيعة التي خلقها ليدبر بعضها بعضاً . كما يسخر البرودة لحل البخار الى مطر ويسخر المطر لصالح النبات ويسخر النبات ليقيت الحيوان وهلم جرًّا فاذا فحصنا في الواسطة التي يستخدمها الله ليعوض بها على الشمس الحرارة والنور فلا نكون قد جحدنا قوته القادرة على كل شيء

فالشمس اتون مستوقد وحرارة اشعتها شديدة جدًا . وقد قدرها المعلم « واترستون » بستة ملايين وسبعمائة الف درجة من مقياس سنتغراد وبالنسبة الى ما تنفقه من الحرارة والنور كان يجب ان تنقص حرارتها ثلث درجات كل سنة

هذا ما كان من شرح نظرية المعلم « ماير » واما ما كان من نظرية التحليل والتركيب الكيمي فهذه طريقته . قال اصحابها : ان الشمس تعوض على نفسها ما تفقده من الحرارة والنور بواسطة تحليلها ثم تركيبها غازي

الهيدروجين والاكسيجين · اي انها تكتسب بالتركيب ما تفقده بالتحليل مثال ذلك ان قوة حرارة الشمس توازي سبعة وسبعين الف حصان بخار لكل متر مربع من سطحها · فالآن ثلث الكيلو غرام من غازي الهيدروجين والاكسيجين عند اتحادهما واستحالتهما الى جليد يمثلان شغل سبعين الف ومائة وثلثة واربعين حصان بخار · ولذلك قالوا ان الشمس لكي تعوض على نفسها ما تفقده يومياً من الحرارة والنور يكفيها ان تركب في كل ثانية هذين الغازين وتجمدهما

ولما كان ثقل جرم الشمس موازياً لثقل نونيليونين من الكيلو غرام (اي رقم ٢ يتلوه سبعة وعشرون صفراً) اقتضى لتحليل وتركيب كل كتلتها نحو مائتي مليون من القرون · (١)

فاذا سلمنا ان كتلة الشمس مركبة من مواد غازية اي من غازي الهيدروجين والاكسيجين فمن اين اتتها المادة الكهربائية حتى تكوّن منها

(١) يظهر بين هذا القول وبين ما قلته في مقالتي عن عمر الشمس ضرب من التناقض · فاني قلت فيها ان عمر الشمس تقريباً ثلاثون مليون من السنين · وقد انقضى منها عشرون مليون سنة وبقي منها عشر ملايين من السنين · وهذا القول يشير الى دوام النور والحرارة في الشمس الى عشرة ملايين اخرى من السنين · والمائتا مليون من القرون التي ذكرناها هنا تشير الى تحليل كتلة الشمس وتركيبها · اي اذا افترضنا ان كتلة الشمس كلها مركبة من مواد غازية اقتضى لتحليل وتركيب كل اجزائها مائتي مليون من القرون · وهذا التحليل والتركيب مبني على نظرية العلماء الذين يذهبون الى ان كتلة الشمس مركبة من مواد غازية · فظهور التناقض بين نظريات العلماء لا يقضي بالعجب · لانها لو كانت مطابقة او قابلة التطبيق لرجعت كلها الى نظرية واحدة ولم يبق لزوم الى تعدادها

عمود كهربائي ونزل الى جهة الارض على مسافة خمسة واربعين مليون ميل ؟ كيف استطاع هذا العمود الكهربائي على المرور بكل هذه المسافة من دون ان يعترضه شيء يتمكن من تحليله ؟ كيف لم يصدم كوكباً من الكواكب المنتشرة في ذلك الجو الفسيح ؟ كيف يستطيع هذا العمود الكهربائي على البقاء الى اثني عشر شهراً من دون ان يعترضه شيء من حوادث الجو وتأثيرات العناصر والمؤتفكات فتبدده ؟ فعلى كل حال ان نزول عمود كهربائي من قرص الشمس الى الارض من الامور البعيدة عن التصديق . ولذلك نظمت في كذب المنجمين الابيات الاتية

النظم

قد رامَ تخويفَ الانام منجمٌ
بعمودِ شمسٍ خطبهُ خطبٌ جللْ
فاتى يخوفهم باخر ساعةٍ
ويقول يا ناس احذروا وافى الاجلْ
هذي القيامةُ قد دنت فتأهبوا
يُجزى بها الانسانُ عما قد فعلْ
قد جئتِ تكذبُ يا منجم فارتدعْ
حكم الطبيعة كائنٌ منذ الازل

دعْ عنك تنجيماً فلستَ بصادقٍ
وَدَر الامور يُديرها اصل العللْ
ليس الكواكبُ سبعةً او عشرةً
بل مثلها الالافُ تسري في عجلْ
في الجوِّ آلافٌ تدور وغيرها
تبدو ثوابتَ فاطرح عنك الخطلْ
ماذا الذي شاهدتَ ليلاً يا فتى
بحسابك المغلوط في برج الحملْ
الشمسُ غازٌ ليس فيها كهربا
وعمودُ نارٍ لا يسيرُ على مهلْ
ان سارَ في الابراج صادم كوكباً
او بددته الريح حتى لا يصلْ
كم مانَ قبلك في الانام مشعوذٌ
ولكم كذوبٍ جاءَ بعدك وارتحلْ
الحمد لله العلي فقد بدا
كذب المنجم والعمودُ قد اضمحلْ

نهاية العالم

﴿ ظهور النجم ذي الذنب وما يتبعه من اذناب الاراجيف ﴾

قام رجل من علماء هذا العصر يقال لهُ « آدولف فلب » ونشر بمدينة ويانه مجلة وسمها « بايام البؤس » لانه لا ينشر فيها الاَّ ما كان بؤساً على العالم مثل اخبار حدوث الزلازل وطغيان المياه والزوابع المدهشة وهلمَّ جراً . وقد نشر هذه السنة ايضاً في مجلته المذكورة خبراً مشوماً في ظهور نجم ذي ذنب سوف يمر بفلك ارضنا ويصدمها ويخربها في اليوم الثالث عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) فثارت خواطر بعض الناس من جراء ذلك وشملهم الخوف من خراب الارض ودنو الساعة .

ولذلك رأيت ان اكتب شيئاً في حال هذا النجم وما شاع عنه من الاراجيف مرات عديدة في ازمنة مختلفة فأقول :

ان الذي درى بظهور هذا النجم قبل كل علماء الهيئة كان المعلم « غوس » [Gauss] وذلك سنة ١٨٠٥ للميلاد . وادرك ظهوره اولاً بواسطة حسابات فلكية ثم رصده بالنظارة الفلكية وحسب مدة دورانه حول الشمس فوجدها نحو ست سنين . ثم غاب هذا النجم عن نظر

العلماء وما دروا بظهوره الا سنة ١٨٢٦ للميلاد · وكان المعلم بيالا (*Biela*) قد اهتدى الى ظهوره بواسطة الحسابات الفلكية ثم تمكن من مشاهدته بالنظارة لان هذا المنجم لا يرى ابداً برأي العين · ثم رصده بالنظارة المعلم « غامبرت » (*Gambart*) في تلك السنة عينها ودقق في حساب دورته فوجده يدور على خط بيضي الشكل حول الشمس ويكمل دورته في نحو ست سنين وثمانية اشهر · وليس له جسم كثيف كباقي النجوم حتى لا نواة له ايضاً بل هو كتلة من بخار لطيف جداً

ولما عاد هذا النجم وظهر سنة ١٨٣٢ ازعج بعض المرجفين اهالي اوروبا بأراجيف مدهشة كما فعل المعلم فلب هذا العام وحصل حينئذٍ في باريس خوف شديد وقلقت سكانها قلقاً عظيماً حتى اضطر اعضاء الاكاديمية الفرنسية بباريس الى رفع المسئلة الى المعلم « اراغو » [*Arago*] الفلكي المشهور ليدقق فيها ويبدي رأيه في شأنها · فاخذ هذا العلامة يعمل الفكرة في الحسابات الفلكية فوجد ان ذلك النجم سوف يمرُّ تلك السنة بالخط الذي تمر به ارضنا في عين الوقت المضروب لمروره من علماء الهيئة · ولكنه لا يمر بنقطة من خط ارضنا حتى تكون قد ابتعدت عن تلك النقطة نحو خمسة وخمسين مليون ميل · ولهذا السبب لا يوجد خطر على وقوع المصادمة بينهما · ولكن لو تأخر ذلك النجم في سيره نحو ثلاثين يوماً عن وقت وقوعه تحت تأثير جاذبية بعض الكواكب التي يمر بقربها لكان حينئذٍ التقى بارضنا في نقطة الاقتران وحصلت المصادمة بينهما · ثم قال المعلم اراغو المشار اليه اذا افترضنا وقوع المصادمة ايضاً

لما حصل للارض ضرر من الاضرار · لان هذا النجم هو من النجوم التي لم تزل بعد في حال غماق خفيفة شفافة جداً · ولم يتكاثف بعد تكاثف النجوم السيارة ولا بلغ شيئاً من صلابتها · ومن المعلوم ان علماء الهيئة قد رصدوا هذه النجوم ودققوا في احوالها وفي المواد المركبة منها فوجدوها على ثلثة انواع منها ما قد اخذ في التكاثف والاكتناز والدخول في هيئة النجوم السيارة الصلبة الاجسام · ومنها ما قد تكوَّن فيه نواة مواد صلبة واخذت الغمامة تتكاثف رويداً رويداً · ومنها لا نواة له ولا تكاثف فيه كالنجم ذي الذنب الذي يخاف الناس الآن من اصطدامه بأرضنا

وكان العلامة سيرجون هرشل الفلكي المشهور قد رصد هذا النجم لما ظهر في عصره ووصفه بانه غمامة خفيفة شفافة جداً · وانهُ لما مرَّ بمجموع نجوم صغيرة من القدر السابع عشر كانت تلك النجوم الصغيرة تظهر من خلال جرمه · ثم قال المعلم المشار اليه لو كانت غمامة عادية توسطت بين مجموع تلك النجوم الصغيرة وبين عيني الناظر لكانت حجبتها عن النظر · مع ان هذا النجم كله الذي يبلغ قطره عند مركزه نحو خمسين الف ميل لم يستطع ان يستر تلك النجوم الصغيرة ويحجبها عن النظر · ولا سيما انهُ لما مر بها كان مركزه محاذياً لمركز كل نجم من تلك النجوم الصغيرة · فهذا دليل من اكبر الدلائل على كون هذا النجم غمامة شفافة واكثر خفةً من جميع الغمامات العادية · وما هو الاَّ بخار شفاف مقتبس ضياءه من نور الشمس · فاذا كانت مواد هذا النجم اخف من الغمام

والبخار فاي ضرر يحصل منها لارضنا اذا افترضنا وقوع المصادمة بين ذلك النجم وبين ارضنا ؟

وكان هذا النجم قد ظهر ايضاً لما كنت ادرس العلوم في مدينة رومه . وشاع الخبر حينئذٍ ايضاً ان هذا النجم سوف يصدم ارضنا ويخربها ويهلك كل ما عليها من الخلائق . فكنت ارى الناس رجالاً ونساءً يسرعون افواجاً الى الكنائس وهم لابسون ثياب الحداد ويصلون ويتوبون وينوحون ويودع بعضهم بعضاً ويتواعدون باللقاء في جنة الخلد زعماً منهم ان الساعة قد دنت ويوم النشر والحشر قد وافى

فمر ذلك النهار وانا اتمشى في حديقة «مونتي بنجيو» ومرت تلك الليلة وانا راقد على فراشي ومر ذلك النجم بفلكه ولم يشعر به احد . وسوف يكون مروره هذه السنة ايضاً كباقي السنين والعلم عند الله مكوكب الكواكب فانه عليم حكيم .

ولذلك نظمت الابيات الاتية في تشرين الثاني لعام ١٩٠٠

﴿ مجلة ايام البؤس ﴾

مجلةُ «فِلبِ» بالنحوسِ تخبرُ
وكلاً بيومِ النشرِ والحشرِ تنذرُ
و «آدُلفُ» بالتنجيم جاءَ مهدداً
يقولُ قريباً كل حيٍ سيقبرُ

وقامَ بناظورٍ يراقبُ نجمهُ
ويحسبُ طول الليل والعقل يفكرُ
و بينا يراعي في السمآء كواكبًا
تبدّى له في الجو نجمٌ منكرُ
فقال احذروا يا قوم صدمةَ كوكبٍ
من الجو آتٍ فوقكم يتدهورُ
سيتلف فورًا كل حيٍ وجامدٍ
على وجه هذي الارض ساعةَ يظهرُ
أعدُّوا متاعَ السير قبل رحيلكم
فليس لدى العرش النقائصُ تعذرُ
فضجَّ على وجه البسيطة أهلها
وقالوا لنا الويلاتُ في الغد نحشرُ
وناحوا نواح الثاكلاتِ على الفنا
وصارت من الحتف البرية تذعرُ
ولما انقضى اليومُ المعين للقضا
وما تمَّ ما كان المنجمُ يهذرُ
تجلى على وجه الخلائق كلها
سرورٌ وصارت بالتسابيح تشكرُ

﴿ التكفير ﴾

﴿ نابوليون الاول ﴾

والنوتي الانكليزي

روت الثقات نادرةً اتى بها نابوليون مع نوتي انكليزي · ونظمها « توماس كمبل » الشاعر الانكليزي في ابيات انكليزية · فاثرت انا ايضاً نقلها ونظمها في ابيات عربية · وذلك لما تضمنته من كرم نابوليون وبره بالوالدين · فهذا الرجل الغريب الاطوار في كل الحالات رغماً عما شنَّ من الغارات وكثر من عدد الثاكلات وارتكب في حقهنَّ افظع الجنايات بسوق اولادهنَّ الى الغزوات كفر اخيراً بهذه النادرة عن بعضٍ من تلك السيئات واتى العالم بدليل جلي على ان القلب الذي كان اقسى من الجلمود في الحروب قد كان في البر والتقوى ارق من جميع القلوب · وان حبهُ المفرط للسلطة الذي دفعه الى تضحية ألوفٍ في الوفٍ من شبان اوطانه على مذبح كبريائه قد جعله حلمه ان يضحي كبرياءه على مذبح الرأفة والحنو الوالدي في حق شاب من اعدائه

فبعدما دوَّخ هذا الامبراطور اواسط اوروبا وداس عروش الممالك

المجاورة له بخيله علم بان اعداءه الالداء هم الانكليز وان ملوك اواسط اوروبا لم تكن لتندفع عليه مرة بعد اخرى الا بدسائس تلك الامة ودراهمها . لذلك عقد اطراف الرأي على غزو جزيرة بريتانية وتنكيل الانكليز .

واذ لمن يكن لديه عمارة ليحاربهم بها بحرًا زحف الى « بولونيا» التي على شاطئ الخليج الانكليزي وبدأ بتجهيز عظيم لم تسمع من قبل بمثله اذن ولم ترَ على شكل تخطيطه الهندسي عين . وقد دُعي هذا العمل في ذلك الزمان «بحملة بولونيا» . وقصد بذلك اجتياز الخليج والهجوم على بلاد الانكليز مقدّرًا خسارة مائة الف مقاتل لبلوغ المرام اما نحن فليس من شأننا التعرض الى كل ذلك وانما نقتصر هنا على ذكر قصة النادرة المنوه عنها قبلاً ونقول :

قال الراوي : بينما كان نبوليون الاول بجيشه في مدينة بولونيا الفرنساوية الواقعة على ساحل الخليج مصممًا النية على منازلة جزيرة انكلترا اتفق ذات يوم لشرذمة من جنده انها قبضت على سفينة انكليزية واسرت ملاحيها . وكان في عدادهم شاب انكليزي تلوح على محياه لوائح النجابة . وبالامر المقدور لم تكترث جنود الفرنسيس بحجز حرية هذا الشاب . فكان يتردد كل يوم الى ساحل البحر ويجلس على الشاطئ ويفكر باوطانه ويود لو يكون له جناحان ليطير بهما لاحقًا بالطيور التي كانت تمرُّ به اسرابًا متجهةً نحو وطنه العزيز مزودًا اياها كلما يزوده الغريب من الشوق الى اهله وخلانه . وكان في اكثر الاوقات يندب

سوء حاله وغربته عن الاوطان بمثل هذه الابيات

دمعي يحاكي البحر في جريانه	واذا رأيتُ عواذلي كفكفته
آهٍ على داعٍ دعا بفراقنا	لو نلتُ منه لسانه لقطعتهُ
من منصفي من ظالمٍ متحكمٍ	يزداد ظلماً كلما حكمتهُ
ملكته روحي ليحفظ ملكه	فاضاعني واضاع ما ملكتهُ
وجرت دموعي مثل بحر زاخرٍ	لو كنت اعرف مسلكاً لسلكته

***

بين بكائي وسهادي والجوى	والنوح والحزن على اوطانيه
واحرقتي واحسرتي والوعتي	تكاملت اعدادها ثمانيه
وتابعتها ستة في خمسةٍ	الا قفوا واستمعوا مقاليه
ذكرٌ وفكرٌ وزفيرٌ وضنىً	وفرط شوقٍ واشتغال باليه
في محنةٍ وغربةٍ وصبوةٍ	ولهفةٍ وحرقةٍ ترانيه
قلَّ اصطباري واحتمالي للجوى	لما نأى صبري دنا محاليه

قد زاد في قلبي تباريح النوى

يا سائلاً عن نار قلبي ماهيه

اصبحتُ في طوفان دمعي غارقاً

ومن جرا هذا النوى في هاويه

وفي ذات ليلة ارق ارقاً شديداً وحرمت عيناه لذة الرقاد. وهو يضرب اخماساً لاسداس ليهيئ لهُ عقله حيلة يحتال بها على عبور البحر

والوصول الى الاوطان على غير مرأى من الفرنسيس . وفي الغد ادلج الى ساحل البحر بلهفة قلب وحرقة فؤاد وجلس كعادته يندب سوء حظه وما آلت اليه حاله من الاسر وبينا هو يرقب تلاطم الامواج اذا ببرميل كبير تتلاعب به اللجة قاذفة به الى الشاطىء . فاستبشر برؤيته وحاول اخراجه من البحر وعني باخفائه في غار وصار يعمل الفكرة في بناء فلك صغير من اخشابه ليركبها عابرًا ذلك البحر العجاج المتلاطم بالامواج . وما عتم ان بدأ بعمل ذلك الفلك فاصاره من تلك الاخشاب جامعاً شتاتها بحبال ضفرها من سليخ لحاء الاشجار حتى اذا ما اتمّ عمله زعم انه قد بنى فلكاً منيعاً مع انها في الواقع لم تكن سوى اخشاب مصلبة موثوقة بحبال واهنة لا يأمن العاقل على نفسه من العبور بها اصغر غدير . ولكن « صاحب الحاجة ارعن لا يرى الاّ قضاها » ثم اتى بالزورق الى ساحل البحر . واذ همَّ بركوبه فاجاءهُ خفراء الفرنسيس وحملوه بزورقه الى نابوليون . وكان الامبراطور وقتئذٍ منتصباً على قدميه مكتف الذراعين ولوائح الانس باسمة على وجهه المهيب . فالتفت الى الشاب الانكليزي وقال لهُ ايها الشاب المغتر بنفسه ماذا الجأك الى هذا الجنون ؟ أَلعلك عاشق مفارق ؟ وهل عشقك حملك على ارتياد موارد التهلكة واقتحام اهوال اخطار البحار ؟ أهل جمال من تهوى يقوم مقام شبابك ؟ كيف تخاطر بقطع بحر عجاج بزورق واهن بلا دفة ولا شراع ولا مقذاف ؟ لقد صدق فيك قول المثل « اول العشق داء واخره جنون » . فلما فرغ نابوليون من تقريعه النوتي رفع الشاب عينيه اليه وقال له بنجابة : ايها

الملك انا لستُ بعاشق وانما انا مفارق · والتي طال عليَّ فراقها ليست معشوقتي بل هي والدتي · وقد ضاقت بي الدنيا بعد تخلفي عن حماها · واني لا اخشى الموت قريباً منها وانما اخافه بعيداً عنها ·

تضيق عليَّ الارض خوف فراقها
واي مكانٍ لا يضيقُ بخائف
وما اسفي الاَّ على القرب بيننا
ولست على شيءٍ سواه بخائف

فلما سمع نابوليون كلام الفتى برقت اسرة وجهه وحاول ان يخفي الدمع الذي ترقرق في عينيه وقال له : حبذا حبذا الفتى ؟ لله درك من ولد نجيب ولا غرو ان تلد النجيبة نجيباً · فقد ملأت عيني بشهامتك وحزتَ رضائي واحساني بفرط حبك لوالدتك · فخذ هذا الدينار « ٢٠ فرنكاً » لتستعين به على سفرك من ارضنا · وهوذا سفينة مجهزة لتحملك الى وطنك بامان وتوصلك الى احضان امك بسلام · فارحل بحفظ الله وكن قدوة لشبان امتك واقرأ السلام مني على والدتك · فدعا الشاب لنابوليون بطول العمر وبقاء الملك · ثم ركب السفينة التي تخفق عليها راية الامان · ولكنه حرص على الدينار ولم ينفقه لا بخلاً بل رغبةً في حفظه ذكرًا مخلدًا من عاهل خوله الحرية وغمره بالاحسان ·وظلَّ يشكر المحسن اليه وهو يتمثل بقول جمال الدين بن نباتة

روت عنك اخبار المعالي محاسناً
كفت بلسان الحال عن السن الحمدِ

فوجهك عن بشرٍ وكفك عن ندى
وخلقك عن سهلٍ ورأيك عن سعدِ

النظم

وطئتَ المعالي بالقنا والصوارمِ
وجزتَ الاماني بالحجى والمكارمِ
وملكت من دنياك اعظم بغيةٍ
تحاول ادناهـا رجالُ العظائمِ
وسرت الى خوض الردى بعزيمـةٍ
تُدكُّ لذكراهـا جبالُ العزائمِ
فكنت حليفَ النصر في كل حومةٍ
كأَن البرايا منكَ في كفِّ غانمِ
«فطولونُ» (١) تنبي عنك اول وقعةٍ
غنمتَ بهـا وصف الكمي المصادمِ
واهرامُ مصرٍ والصحارى ونيلهـا
وسهلُ ابو قيرٍ وارضُ الاعاجمِ
وقمت كذي القرنين تطلب مشرقاً
لتنشئ فيه ملك غازٍ وحاكمِ

(١) Toulon

ولمـا رأيتَ الامر اشكل وجهه
وواقى عدوٌّ بالجيوش الخضارمِ

رجعتَ علي فلكٍ ولستَ بواجلٍ
من البحر فضلاً من عدوٍّ مهاجمِ

وقلتَ اذا لم نبنِ في الشرق ملكنا
سنبنيه في الغربِ ضخم الدعائمِ

وجئتَ الى باريس وهي ذليلةٌ
فصيرتها بالعزِّ عينَ العواصمِ

وصرتَ مع الاثنين ثالث قنصلٍ
واعرضتَ وجهاً عن نصيب الدراهمِ

وفي فوز «مارنجو» (٢) تثبتَّ قائداً
وصارت فرنسا فيكَ قطبَ العظائمِ

ولما توليتَ الاريكة قابضاً
على الملكِ ما بين الوغي والملاحمِ

عدلتَ وسنيتَ النظام مساوياً
فزالت من الاكوانِ كل المظالمِ

واظهرتَ انَّ الملك ليس بسدةٍ
ونيل المعالي لا بتاجٍ وخاتمِ

(٢) Marengo

وكم سرتَ في الهيجاء تستقبل الردى
بقلبِ شجاعٍ قُدَّ من نصل صارمِ
وكم عدّتِ الاعدا وجودك في الوغى
بعشرين الفًا من مكرٍ وقاحمِ
سل الروس والاسبان عن فتك جيشهِ
وسل عن سجاياه بطون التراجمِ
وقواده منذُ الخليقة لم يقمْ
شبيهٌ لهم بالحرب بين العوالمِ
«فديزي» (١) و«مورات» (٢) و«لان» (٣) و«ني» (٤) ومن
يليهم «كمسينا» (٥) وكل خضارمِ
لقد شبهوهُ بالحديد صلابةً
ولينًا بربات السوار النواعمِ
وقالوا يحبُّ السلم طورًا وتارةً
يطيب له مرأى الدما والجماجمِ
لئن اثكلت ايديه اماً لخلمه
اعادَ لأُمٍّ ابنها غير ظالمِ

---

(١) *Général Desaix* (٢) *Ioachim Murat* (٣) *Maréchal Lannes (Jean)*

(٤) *Maréchal Ney (Michel)* (٥) *Maréchal Masséna (André)*

ولما ابتنى النوتي اضعف زورقٍ
يريدُ به خوض الردى المتلاطمِ
شكاهُ جواسيسٌ فأُوتي بالفتى
الى سيدٍ في العدل والحكم حازمِ
فقال له القممقام دون تعنفٍ
بوجهٍ انيسٍ في البشاشة عائمِ
أتحسب عبر البحر من غير دفةٍ
ودون شراعٍ ممكناً لابن آدمِ
فاحنى وحيي بالنجابة قائلاً
اذا لم امت بالبحر فالبينُ هادمي
بعيدٌ عن الام التي كم تشبثت
بطوقي وقالت لا تغب انت راغمي
فكان عليَّ ان اطيع مقالها
وافدي بروحي وصلها غير صارمِ
فابرق من ذاك الكمي جبينهُ
وحاول اخفاء الدموع البواسمِ
وقال لهُ بشراك سوف ترى التي
تروم فاقشعْ عنكَ غمَّ الغمائمِ
فاعطى الفتى دينار فضلٍ مزوداً
وقال له سافر كاعظم غانمِ

فسار ولم ينفق من المال باخلاً

واذخرَ في الهميان حمر الدراهم

هلموا نحيي فاتحاً رقَّ قلبه

وكفر حلماً عن كثير المآثمِ

سلوني فاني في افانين وصفهِ

عليمٌ وكم قد فقتُ اضعافَ عالمِ

لقد عاش في الدنيا كاعظم مالكٍ

وفي الاسر قد امسى شهيد العظائمِ

سلامٌ على اللحد الذي ضمَّ جسمه

وديمة رضوانٍ ورحمةُ راحمِ

التبغ

لقد اشتد ولع البشر كثيرًا بتخدير قواهم العصبية بوسائط شتى · ولم يكتفِ الانسان بالارواح المسكرة التي يشربها لتخدير دماغه بل قد تعلق ايضاً بنباتاتٍ كثيرة يخدر بها اعصابه اما بابتلاع دخانها واما

باستنشاق مسحوقها واما بمضغ اوراقها · والقسم الاعظم من هذه النباتات كالتبغ والافيون والحشيش هو ذو روائح كريهة وتأثيراته في الجسم رديئة ومما يقضي بالعجب ان المولعين بهذه النباتات الكريهة ليسوا هم من البشر المتوحشين فقط بل القسم الاعظم منهم هو من اكثر اهل الارض تمدناً · فان اهالي اوروبا رغماً عما هم عليه من المعارف في الطب والكيمياء قد نكبوا بنكبة التبغ والافيون والمورفين وهلم جراً · فقد أولع الصينيون والمانيزيون بالافيون · والبولونيون بنبات « الكاوا » · وسكن البلاد الهندية بورق « البتل » الذي يلوكونه في افواههم مخلوطاً بالكلس وجوز الببوة · والفرس بشرب التنبك او نوع ثقيل الرائحة من التبغ · والمصريون قد تعلقوا بشرب الحشيش · واهالي اوروبا ومن جاورهم واقتدى بهم قد اختاروا التبغ تارةً للتعلل بدخانه وطوراً بمضغ اوراقه مخلوطةً بالسكر او الدبس المصنوع من غليظ عصارة السكر · واخرى بسحق اوراقه يابسة واستنشاق ذرائرها · وقد نكبت بهذه المصيبة العظمى حاستا الذوق والشم خاصةً · فمركز حاسة الشم في جارحة الانف وهذا ما عدا كونه ينفعنا للشعور بالروائح يعيننا ايضاً على استنشاق الهواء وهو عنصر من عناصر الحياة · ومن جملة فوائده ايضاً انه يحمل على منكبيه ثقل آلات النظر متى شخنا وشحّ بصرنا · أفليس اذاً مما يقضي بالعجب من ان يذخر الانسان في منخريه كميةً من غبارٍ اسود كريه الرائحة لاذعاً ومهيجاً بنشر رائحته في كل ما حوله ويحرمه اريج الهواء النقي وشذا الازهار في فصل الربيع · لانه من المقرر ان نسيم الهواء لا يبلغ الى دماغنا الاً

بعد مروره بذرائر التبغ المنتنة التي نحشو بها مناخرنا · فاذا كان هذا الامر غريباً في حد نفسه فيوجد ما هو اشد غرابةً منهُ بحيث لو حكيناه عن اجدادنا لما صدقناه · وذلك ان هذا العقار او النبات الذي هو منتن عند استنشاقه ومنتن عند احتراقه ومنتن بعد احتراقه ويجعل المكان الذي يحرق فيه منتناً وملابس الذي يحرقه منتنةً زماناً طويلاً قد صار دخانه عند المولع به بخوراً ازكى من المرّ واللبان · وصار لا يكتفي باستنشاق دخانه اللداغ المخدر والمسبب للصداع بل لا يبالي بان يعبق بهِ ثيابه واثاث منزله وفراش رقاده ويملأ فمه بكثيف دخانه ويبلعه ويوغله في رئتيه ويخزنه في معدته ويجعل به كل بدنه مدخنة كريهة · وقد اضحى ذلك لديه ضرورةً لا بد منها بل بمنزلة طبيعة ثانية حتى انه يرضى بان يحرم نفسه كل شيءٍ من ان يرضى بفقد حقة تبغه او بكسر غليونه · ولكنه يُسرُّ بان يحرق ماله ازاء عينيه ويتمتع بمنظر عمود دخانه الازرق

فهذه حالنا نحن المدعون للتمدن والعلوم واللطف · فلو رأت اليوم حالنا اجدادنا الذين عاشوا في ارضنا منذ اربعمائة سنة ونيف لابوا ان يستعرفونا اولاداً لهم · وكذلك الحكماء والشعراء والابطال الذين عاشوا في القرون الغابرة كانوا يتدبرون بلا حقة تبغ وبلا غليون وبلا سيغارة وكانوا بلا شك ارغد عيشاً منا · ونحن نتعجب منهم وهم افضل منا ·

في تاريخ ادخال التبغ الى اوروبا

دخل التبغ الى اوروبا بواسطة بعض من النوتيين الاسبانيين العائدين اليها من امريكا · فكان هؤلاء من الاسبان الذين نزلوا في جزيرة « تبغو » · ولما دخلوها وجدوا فيها نباتاً منتن الرائحة قد غطى جانباً عظيماً من سهول تلك الجزيرة الصغيرة · وكان ذلك النبات من مكيفات اهاليها · فعندما رأت الاسبان اهالي الجزيرة يلفون اوراق ذلك النبات على شكل اصابيع ويحرقونها ويمتصون دخانها بافواههم واهمت بتقليدهم وصارت تفعل فعلهم · ولما عادت الاسبان الى بلادها جلبت معها من بزر ذلك النبات وزرعته واستعملته في التدخين · ثم انتقل من اسبانيا الى بلاد البورتغال · ولكنه لبث نحو خمسين سنة محتقراً ومتروكاً في طي النسيان ولم يعبأ به احد تلك المدة كلها سوى الجربين واجلاف الناس · والباعث على صيرورة هذا النبات مكروهاً في اعين الشبان في ذلك العصر كانت النساء والبنات اللاتي كنَّ يكرهن رائحته كما كنَّ يكرهن الطاعون المميت · ولبث الحال على هذا المنوال الى تاريخ سنة ١٥٦٠ للميلاد · وفي غضون ذلك تعين يوحنا نيكوت سفيراً من قبل دولة البورتكيز وارسل الى فرنسا في عهد الملك فرنسيس الثاني بهذا الاسم · ولما اتى السفير المشار الى فرنسا اعطى الملكة كاترينا دي ميديسيس زوجة ملك فرنسا كميةً من بزر نبات التبغ وادعى بمفاعيله العجيبة في

صحة الابدان · فشاع خبر هذا النبات في فرنسا واولع به اكابر المملكة وحشم الملكة وخصوه بمفاعيل وهمية غريبة التصديق · فسموه اولاً « بحشيشة الملكة » · ثم « بحشيشة السفير » · ثم « بحشيشة الرئيس العظيم » ثم « بحشيشة الصليب » ثم « بالحشيشة المقدسة » · ثم اكراماً لخاطر الملكة تغزل بالتبغ وبمفاعيله الوهمية لفيف الشعراء الفرنسيين · ثم بادر رجال دار الفنون الى تكريم هذا السفير الذي اتحفهم بنبات كان مجهولاً عند اهل « المورا » واليونان والروم والمصريين والبابليين والاثوريين · وسموه باسم السفير الموما اليه اي « نبات نيكوت » · لكن يا للاسف على حال البشر · لان ميلهم الى تمليق اصحاب النعمة واليسار والمقام يسوقهم تارةً الى بخس الناس حقوقهم · فان رجال دار المعارف بباريس طمعاً في اكتساب انعام الملكة ورضاها عنهم بخسوا السايح « ثيفيت » حقه واعطوا « يوحنا نيكوت » السفير البورتيكيزي شرف اكتشاف هذا النبات · لان السايح « ثيفيت » كان قد ساح في امريكا قبل قدوم السفير الى باريس بعشر سنين وعند رجوعه الى اوروبا جلب معه شيئاً من بزر التبغ وزرعه في « انغوموا » · ولذلك الف رسالةً اقام بها الحجة على دار الفنون لاجل تسميتهم ذلك النبات باسم « نيكوت » وليس باسمه · ثم طبع تلك الرسالة ونشرها سنة ١٦١٧ للميلاد قال فيها من جملة ما قال : اني افتخر بكوني اول من جاب بزر هذا النبات وزرعه ببلدة « انغوموا » وسماه « بنبات انغوموا » · واقيم الحجة ايضاً على رجل لم يسافر عمره الى امريكا وقد انتحل لنفسه اكتشاف هذا النبات وسماه باسمه

بعد رجوعي الى فرنسا بعشر سنين»

فلما رأى لفيف الفرنسويين ما ارتكبه رجال دار الفنون من الجور في حق السائح «ثيفيت» استشاطوا غيظاً والغوا اسم «نيكوت» وسموا النبات المذكور «تبغاً» باسم الجزيرة التي اوتي ببزره منها · وبقي هذا اسمه الى يومنا عند كل الشعوب المتمدنة · فسماه الايتليان [Tabacco] «تباكو» ·والفرنسيس (Tabac) «تبا» بحذف الكاف · والانكليز (Tobacco) «توبوكو» وترجمته العرب الى «التبغ» وحرفته الفرس الى «تنباكو» وسمته الاتراك باسم عثانه «توتون» ثم حرفته عامة العرب وقالت «تتن» او ترجمته الى «دخان» · وهو في كل الحالات سخامٌ مهان ·

في وصف التبغ

«التبغ» نبات سنوي يزرع بزره في اكثر اقطار الكرة المعمورة مثل امريكا واوروبا واسيا وافريقيا · وينبت بزره في غلاف صغير · ويحوي كل غلاف نحو مئة بزرة ونيف · ومتى جف البزر في الغلاف صح زرعه بعد شهرين من جديد · ففي اوروبا قبل حلول اوان قطفه بنحو ستة اسابيع يجني زراعه من ساقه الاوراق السفلى على نحو عشرين سنتيمتراً من الارض ولا يتركون على ساق النبات سوى اربع او خمس اوراق لكي تمجّ خواص الفرسة باسرها · ولما تظهر بقع صفر على تلك

الاوراق يقطفونها في آخر تشرين الثاني ثم يتركونها حتى تذبل على ارض يابسة . و بعدما تذبل يجمعونها كراديس ويعرضونها للهواء مدة يومين وذلك تحت الدرى . وغب ذلك يحملونها الى المنشف حيث تلبث الى غاية شباط . وحينئذٍ يجمعونها حزماً و يكبسونها كبساً خفيفاً تحت الواح من خشب . ثم يخرجونها في آخر شهر حزيران و ينتقون منها الاوراق الجيدة ليجعلوها غلافاً للسيغار الكبير و يتركون الاوراق الغير جيدة لحشو السيغار . او انهم يفرمونها سيوراً ضيقة للتدخين او يسحقونها سحقاً دقيقاً للنشوق . والتبغ المستحسن في سورية هو ما زرع في اراضي «جبيل» و «دير شمرا» وفي اللاذقية . ويتفاخر اهالي سورية بالتبغ الذي ينبت في اللاذقية و يصفونه «بابي رائحة»

اما افخر التبغ في اوروبا فهو «الهولندي» الشديد اللدغ . ويصلح للتدخين . و «المجري» يصلح للفائف السيغار الافرنجي . اما التبغ الذي يزرع بامريكا فافخره ما نبت في اراضي «فرجينية» فانه يكون ذا رائحة عطرية يصلح للاستنشاق خاصةً . وتبغ بلاد «مريلند» يكون ذا اوراق عريضة ولذيذ الطعم وزكي الرائحة ولخفته على الذوق يصلح للتدخين خاصةً

سم التبغ

اكتشف المعلم «فاوكلين» مادة سمية قتالة في اوراق التبغ .

وذلك انه جمع اصنافاً مختلفة من التبغ وحلل كلاً منها بمفرده · فوجد في كل صنف منها سماً زعافاً بمقادير متباينة من « حمض بروسيك » · وقد رتبتُ معدل كمية السم الموجود في الاصناف المختلفة في الجدول الآتي :

تبغ هافانا ٢٫٠٠ في ١٠٠ ــ تبغ شمالي فرنسا ٢٫٥٨ في ١٠٠
تبغ مريلند ٢٫٢٩ في ١٠٠ ــ تبغ فرجينية ٦٫٧٧ في ١٠٠
تبغ الساس ٣٫٢١ في ١٠٠ ــ تبغ لوت ٧٫٩٦ في ١٠٠

اما تبغ جبيل الجيد فيكون معدل سمه معدل السم الموجود في تبغ لوت اي ٧٫٩٦ في المائة تقريباً · وباقي تبغ سورية فهو دون ذلك

في اضرار التبغ ومنافعه الوهمية

بعدما شاع استعمال التبغ في اوروبا ثارت مناقشة طويلة بين العلماء في اضراره ومنافعه الوهمية · فذهب المعلم « رامازيني » ان مجرد الدخول الى معامل التبغ مضرٌّ بالصحة · وناقضه المعلم « بارنت دو شاتلت » وقال لا ضرر في التبغ اصلاً · ولكن تثبت لنا التجربة ان في التبغ اضراراً ليست بقليلة · لان صداع الرأس وغثيان النفس اللذين يصيبان من يدخل الى معامل التبغ باوروبا دليل جلي على وجود مواد سامة في هذا النبات يصير افرازهـا منهُ على شكل كريات دقيقة تختلط بالهواء المحيط فيحملها الهواء ويدخلها في الانف والرئتين · وهذه الذرائر الدقيقة

تهيج النفس الى الغثيان وتبلي الرأس بالصداع · وضف الى ذلك ان جميع العملة الذين يواظبون على الشغل في معامل التبغ تبيض شعورهم بسرعة · ومنهم من يشعر بصعوبةٍ في التنفس · ومنهم من لا يستطيع تعويد نفسهُ ذلك الشغل ولو بذل كل اجتهاده · فهذه كلها دلائل على وجود مادة سمية خانقة في هذا النبات · فاذا كانت الكريات الدقيقة المفروزة من التبغ بمجرد تناثرها في الهواء المحيط تسبب هذه الاضرار العظيمة لمن يتفق وجوده في دائرة ذلك الهواء فما عساه ان يكون حال من يبتلع جانباً عظيماً من دخان هذا النبات ويوغله في رئتيه ومعدته ؟

وقد قسم العلماء مفاعيل التبغ بالتدخين الى قسمين طبيعي وادبي · فالمفاعيل الطبيعية كثيرة منها فقدان الذوق وضعف المعدة وقلة اشتهائها للطعام وضعف الصوت وتغييره وفقدان حاسة الشم او حصول الضعف فيها · واضاف الى ذلك بعض الاطباء توليد داء السل في الرئتين وداء السرطان في المعدة والشفتين وداء الكبد وضعف قوة التناسل وتهييج مفرط في الدماغ يفضي بالانسان احياناً الى الجنون · وقال المعلم «جوللي» اثباتاً لذلك ان الجنون الذي يحصل للناس من تأثير التدخين سيتلف من البشر اكثر مما تلف منهم في الضربات الثلاث المرسلة على شعب اسرائيل في عهد داود النبي اي الجوع والطاعون والحرب

اما الاضرار الادبية المسببة من استعمال التبغ فنذكر منها ما جلَّ واولها واشدها ضرراً ضعف القوى العقلية وضعف القوة الذاكرة وفظاظة

الاخلاق · وقد وجد المعلمون في المدارس الكبيرة ان الشبان الدارسين من الذين يتخذون التبغ للتدخين لا ينجحون في اكتساب العلوم بدرجة الدارسين الذين لا يدخنون · وان المولعين بتدخين التبغ يكونون دائمًا دون الذين لا يدخنون · ولذلك قد سنت الدولة الروسية شرائع تمنع بها من التدخين جميع الشبان الذين لم يبلغوا سن الواحد والعشرين من عمرهم

اما الكتبة الذين مدحوا التبغ و بالغوا في منافعه فكثيرون · منهم من زعم انهُ يخمد الصداع وينعش الذهن وينبه الفكر و يساعد على السهر · وان الذين يتخذون تدخين التبغ عادةً يجدون في خزانة غليونهم او في لفافة سيغارهم ما يسليهم دائمًا سواءٌ كان في خلواتهم او في محافل اصحابهم · ويظنون ان التبغ دواءٌ فعال لازالة الهموم وان دخانه لديهم اشبه بغمامة تظللهم من قيظ اتعاب الحياة وان لذته تنسيهم مشقات هذه الدنيا الشديدة المرائر · وذهب المعلم « يوحنا فاورد » الفرنسي الى ان دخان التبغ نافع للانسان احيانًا · لانه على زعمه يخمد الانفعالات النفساوية و يريح التعب من اعماله الجسدية والعقلية · وان الصانع الذي يكون قد نهك قواه الجسدية باتعاب شاقة طول نهاره يجد مساءً في صيدلية غليونه عقارًا يريحه من اتعابه ويعوض عليه ما فقده من قواه الطبيعية · وكذلك العالم او الكاتب الذي يكون قد صرف نهاره في التبحر والتعمق في مسائل العلوم الدقيقة وتحدّب ظهره من الانصباب على التأليف والتسطير يصادف راحةً في سحابة دخان سيفارة المزرق · والمسافر الذي

يقطع البحار او يطوي القفار يجد في دخان سيفاره او غليونه ما يدفع عنه اذى الاهوية المضرة والابخرة السامة

هذا ما كان من اوهام المولعين بالدخان · اما نحن فنقول بخلاف قولهم ولا نصدق شيئاً مما بالغوا في وصفه · ونؤمل ان ترقي البشر في العلوم الطبيعية والكيمية رويداً رويداً يكشف لهم الغطاء عن وجه الحقيقة ويجعلهم ان ينفوا هذا النبات السمج الطاغي على عموم البشر من البلاد المتمدنة ويعيدوه الى جزيرته الحقيرة مسقط رأسه ويخلصوا بني البشر من خسائره الباهظة ومن اقذاره الكريهة ومن رائحته المنتنة ومن دخانه الكثيف امين

ولذلك قد انشدت فيه القصيدة الآتية



النظم

مدحت التبغ يوم شربته

اذا ضاقت الدنيا بمرءٍ مُكدرٍ
ازال بسيفارٍ سحائب اكدارِ

وان رام تبغاً لا يضرُّ بصحةٍ
عليه بتدخين النبات بسيفارِ

يطيبُ لهُ التدخين في حكم شاربٍ
تطيب له الصهباء في حان خمارِ

(وهجوته يوم انقطعت عن شربه)

وذلك بلندرة في ١٠ كانون الثاني سنة ١٨٨٨

تنزهت عن تدخين تبغٍ صيانـةً
لجسمي ومالي من خصالٍ رديئةٍ
لاني رأيت المرءَ يشقى بتبغهِ
ويحرقُ بالسيغارِ مالاً بطرفةِ
ارى شارب السيغار في كل ندوةٍ
ينغصُ بالتدخين عيشة الفة
يُداوي به الاسنان اهل جهالةٍ
وعنديَ ذاك التبغُ اخبثُ وصفةِ
يُسودُ اسنانًا ويضني عروقهـا
فتنتن افواهٌ نتانـةَ جيفةِ
يطيبُ شذاه عند قومٍ كعنبرٍ
فيلتذ منه مثل شارب خمرةِ
ويبلى بشربِ التبغ اجلافُ سونةٍ
وكلُّ ضئيلٍ من اصاغر حرفـةِ

وقال حكيمٌ (١) ليس كل مهذبٍ

ولوعٌ بشرب التبغ اول انفةِ

« ولكن رأينا كل صاحب جنحةٍ

مصاباً بداء التبغ من دون كلفةِ »

لذاكَ تركتُ التبغ من باب حكمةٍ

وخالفت اصحاب العقول السخيفةِ

أَبيت على نفسي الغواية في الورى

وصرتُ من الميزان ارجح كفةِ

فمن سار سيري واهتدى بهدايتي

تطهر من اقذارِ اصحابِ آفـةِ

---

(١) قال هذا القول مستر غريفي الفيلسوف الامريكي الشهير الذي ترشح لرئاسة الجمهورية الامريكية سنة ١٨٧٦ للميلاد

Not every decent gentleman smokes, but show me a blagard who does not smoke

الضباب بلندرة

القصة ـ الضباب بلندرة : وما ادراك ما الضباب في هذه المدينة ؟
ان الضباب لضربة من ضربات بلاد الانكليز ولا يدركه و يقدره حق
قدره الا من رآه بعينيه واستنشق ذرائره بمنخريه · ولا يستوفي حق
وصفه لسان الواصفين ولا يقوم بشرحه يراع الكاتبين · ففي لندرة نحو
مليون ونيف من الدور · ولكل دار نحو عشرة مخادع وفي كل مخدع
داخون لكانون · فيكون في كل مدينة لندرة نحو عشرة ملايين من
الدواخين · فاذا دخل فصل الشتاء اوقد الناس في كل حجرة كانوناً من
الفحم المعدني · ومن خصائص هذا الفحم قذفه دخاناً وعثاناً كثيفاً في
الجو · ويخالط هذا الدخان سخام وسم وغاز كثيف وذرائر زفت و كبريت
ومتى تلبدت هذه كلها في الجو حجزت نور الشمس اياماً بلياليها ·
فاذا ركب الانسان منطاداً وصعد به الى قبة الهواء وخرق ذلك العثان
حتى يصير فوقه لما استطاع ان يرى للمدينة اثراً · وربما زعم انه يرى من
تحته بركان نار قد انفجر وصار يقذف من احشائه دخاناً وكبريتاً ·
ومن شدة سقم هذه المدينة انها معروضة للضباب الحالك في فصل

الخريف · فاذا ثار الضباب غطى على المدينة وحبس نفوذ الدخان واضمحلاله في الجو · ثم اختلط بالدخان الحالك وطبق على المدينة وملأ الدور والمخادع حتى حجب المنازل وحجب عنها النور بالكلية وصير رابعة النهار حالكة كسواد ليلةٍ ليلاء · واجبر الناس على ايقاد نور الغاز الهيدروجيني والكهربائي ليلاً ونهارًا في المخادع والازقة والحوانيت والكنائس · ومع هذا كله لا يستفيد الناس كثيرًا من ذلك النور الشديد الضياء · لان الضباب المختلط بالدخان يحجز نور الغاز ونور الكهربائية عن عين الانسان ويجعله لا يرى طريقه في مسيره ولو كان على بعد ذراعين من فانوس الغاز · ومرارًا كثيرة يضلُّ الانسان سواء السبيل من شدة الظلام · وحدث ذلك لي مرتين سنة ١٨٧٩ وذلك اني خرجت من الدار الى السوق اريد قضاء حاجة · فضللت سواء السبيل فاستقصيت من حارس المدينة في معرفة شارع «اكسفورد» · فقال لي الحارس انت في نفس شارع اكسفورد وتسائل عنه ؟ وفي غضون احتباك هذا الضباب الاسود تنقطع العربات عن السير والجولان في الازقة مخافة وقوع المصادمات وزلق ارجل الخيل من جراء الجليد المتلبد على الارض · ثم يحصل تعطيل في الاشغال وفي سير السفن على نهر «التيمس» وسفر قطرات السكة الحديدية · ومن عادة هذا الضباب ان يزداد تكاثفًا في ثلثة اشهر هي تشرين الاول وتشرين الثاني وكانون الاول · ولكنه من سوء الحظ امتدَّ اشتداده سنة ١٨٧٩ الى اخر كانون الثاني · وكان اشتداده في هذا الشهر فوق العادة لا يتذكر له

من مثيل شيوخ العصر · وكان الدخان الكثيف المختلط بذرائر الفحم والزفت والكبريت المتطايرة من الفحم الحجري عند الاحتراق تورث الاعين احتراقاً وتسبب التهاباً في منافس الرئتين واختناقاً في الحنجرة وتسد المنخرين بتكاثف ذرائر العثان · فاذا تنخع الانسان او بصق كان ذلك كسفاً سوداء كسخام القدور · ويضطر الانسان الى تبديل قميصه الابيض وغسل وجهه ويديه مراراً عديدة في النهار · فمن من البشر يستنشق هذا السخام ليلاً ونهاراً ولا تزهق روحه · فلما كنت اخرج الى باريس والبث فيها نحو شهر كنت كل تلك المدة ابصق شيئاً من السخام الزفتي الذي كان قد اختزن وتكاثف في رئتي · وقال لي طبيبي بلندرة انه لما كان يشهد تشريح اجسام بعض من الذين ماتوا بداء السل الرئوي كان يجد في مسام الرئتين ذرائر متبلورة من الدخان قد استحالت الى فحم

وقد ثبت من قراطيس الاحصاء ان الضباب والدخان الحالك قتلا من الانكليز بلندرة وحدها في شهر كانون الثاني لعام ١٨٧٩ اكثر مما قتل من الانكليز في الحروب الثلاث الكبرى التي اقتتلوا بها في اوروبا منذ محاربتهم نابوليون الاول الى الان

وفي الحقيقة ان الضباب اهلك كل اسبوع بلندن وحدها نحو ارمة الآف نفس · وضرب المدققون معدل ذلك فوجدوا انه قد مات بالضباب واحد من كل ٢٧ شخصاً · ثم ضربوا معدل الموتى بوجه العموم ببلاد الانكليز فوجدوا ٤٥ في المئة يموتون بداء السل الرئوي المسبب عن

الدخان والضباب · أفليس ضربة الضباب والعثان ببلاد الانكليز اشد من ضربة الظلام الذي استولى على مصر في عهد موسى وفرعون ؟ ولذلك قلت الابيات الاتية في وصف بلاد الانكليز وعوائد عامة الناس منها · وانا بلندرة وذلك في شهر كانون الثاني لعام ١٨٨٠

النظم

دخلت بلاد الانكليز ميمما حماها بشوقٍ كي اراها واعلما
حططتُ ركابي في بلادٍ غريبةٍ بها كثر الدخان في قبة السما
ضبابٌ عثانٌ ثم فحمٌ وظلمةٌ تصاب بها عين المسافر بالعمى
روائح زفتٍ خالطتها ذرائرٌ تروحُ وتغدو في المعالم والحمى
وتدخل في حلقٍ وتنزل في الحشا وتلصق في كبدٍ وتنفذ اعظما
بلادٌ بها البرد الشديد وثلجها يدومان عاماً والجليد المعرما
وينخر اضراساً خبيثاً هواؤها وينسد في الامعاء قوتاً موخما
ضجيج رعاع القوم والخيل قائمٌ نهاراً وليلاً يضرع الرأس مدوما
فلا الخيلُ في ليلٍ عن السير تنتهي ولا الناسُ عن شغلٍ تكفُّ لتنعما
ولا الليل هادٍ نستريح بغفوةٍ ولا الصبح صاحٍ نستفيقُ لنغنما
نهارٌ بلا نورٍ حرمنا نعيمه وليلٌ طويل قد تكاثف مظلما
لقد خصها بالرغد قومٌ وبالغوا ولا رغد في ارضٍ اذا الجوُّ اعتما
مدينة فسقٍ قد تكاثر شرها نعوذ برب العرش منها لنسلما

بنات (١) يطفنَ السوق ليلاً وضحوة   عواهر لا يدرينَ ما الدار والحمى
بها الكل اضحى بالدراهم قائماً   ومن يفقد الدينار قد عدَّ مجرما
فيا قوم قولوا هل رأيتم مدينةً   بها اللوم ليس الفضل اضحى مكرما
بلادٌ نفى الاهلون منها ضيافةً   وذموا كريماً في الديار تهكما
ويستأجرون الحلو وقتاً بدرهمٍ   ليعرض في صدر السماط تفخما
وان اولم الانسان يوماً وليمةً   سقاك خبيث المسكرات وآثما
يُعدُّ صديقاً من يجود بمالهِ   ويضحي عدواً من يطالب درهما
ومن يقصد الخلان في المال رغبةً   من المال والخلان خاب وحرما
وقد علموا الابناء ذاكَ مثالةً   وكلٌّ وصايا الوالدين تعلما
وجادوا على طفلٍ بثديٍ مصنعٍ   ليرضع قوت البهم وقتاً فيفطما
فيربي على طبع البهائم فطرةً   وينشو كثيفاً ثم يكبر اعجما

---

(١) هذا الكلام لا يشمل كل الانكليز . بل يشير الى بعض ممن شردوا عن محجة الصواب . فانَّ ما ذكرته في هذه الابيات من جملة الشوائب التي لا تخلو منها اية امة كانت . بل اذا قابلنا هذه مع ما نراه في فرنسا واميركا وما ماثلهما من البلاد المتمدنة وجدنا الانكليز اكثر اداباً واحسن اخلاقاً من جميع الامم . وعندي حجج دامغة استند اليها قولي ان الانكليز بحسب كونها امة فهي اكمل اداباً واحسن اخلاقاً وارق قلباً وارفع همة واعلا شهامةً من جميع اهل اوروبا . وما يظهر على سيماء الانكليز من لوائح العنفوان وبرودة الطبع فهما ميزتان لا تتجاوزان منها ممتك الملابس والبشرة . واما قلبها فطاهر وعفيف ورقيق وعالي الجناب . ومن عاش في حضن الانكليز ثلاث عشرة سنة وعاشر كبارها مثلي جديرٌ بان يعرف كنه الامة الانكليزية اكثر ممن اعتاد النظر السطحي الى بعض افرادها بعين الاغراض النفسانية .

ويحسب ان اللين شينٌ لشأنه ... وردَّ سلامٍ في الطريقِ تحرما
ويأنق في لبسٍ وحليٍ تغطرساً ... ليكبر في عين الغريب ويعظما
ويأبى قبول الزائرين بداره ... بدون كتابٍ من صديقٍ تقدما
وان جئت تستهدي بلطفٍ من الفتى ... عن المسلك المفقود والدار والحمى
اجابَ بصوتٍ خالطته خشونةٌ ... عليكَ بحراس الطريق لتعلما
فيا داخلاً هذي البلاد لحاجةٍ ... محضتك نصحاً فالنصحية خير ما
تجنب رعاع القوم واخشَ عواهراً ... اذا رمت ان تحيي سعيداً وتسلما

الطقس

وقلت اصف تقلب الهواء في بلاد الانكليز وانا بمدينة منجستر

قلتُ في صبح يومٍ صحا جوّه

اعيش بارضٍ طابَ منها هواؤها
وشمس الضحى في الجوِ تشرق مدوما

وفي غد ذلك اليوم غيمت السماء فقلت :

اعيش بارضٍ لا ضياء بافقها
ولا شمس تُبدي خيط نورٍ من السما

وفي بحر ذلك اليوم امطرت السماء وارعدت فقلت :

يصبُّ غمامٌ ماءهُ صبَّ انهرٍ
ويرشق رعدٌ من سحائبَ اسهما

وبعد الزوال اثلجت الدنيا فقلت :

وتثلج طول الوقتِ والريح زعزعٌ
ويجزعُ وحش الغاب والانس في الحمى

ثم اظلمت السماء بالضباب والدخان وقت العصر فقلت :

تلبد في افق السماء عُثانها
فادمى عيون الانس والجنِ بالعمي
ضبابٌ وغيمٌ ثم ثلجٌ وزعزعٌ
وارفعُ صرحٍ بالزلازلِ هُدما

ثم وقع خسوف في القمر عشيةً فقلت

طفأتَ من الدنيا الهي سراجها
سلامٌ على الدنيا اذا الكونُ اظلما

وقلت ايضاً في ٢١ كانون الاول لعام ١٨٨٨
وذلك بلندرة

تُمطرُ شهرًا ثم تصحو دقيقة
وتظلم اسبوعاً ظلامَ جهنمِ

يُجمدُ دمعَ العينِ قارصُ بردها
وتعمى عيونٌ في عثانٍ مسممِ

الندان

وصفت فتاة وندين وانا في قطار السكة الحديدية بين محطتي «اكلوجستر» *(Glochester)* وبارسنزكرين *(Parsons Green)* وذلك بظاهر لندن في ١٦ من شهر نيسان لعام ١٨٨٦

القصة ـ لما اقتعدت غارب القطار · اريد النزهة في ظاهر الديار · رأيت الناس في رداء العيد · يتواردون في ازدحام شديد · فابصرت بينهم رجلين · تلوح على سيمائهما لوائح الندين · وقد اشتدَّ بينهما النزال · وعظم الجدال · وكثر القيل والقال · واحتبك القتال · وحدا بهما غليظ الكلام · الى الشتم واللكام · فكان احدهما عنشنشاً نحيف القامة · ضخم الهامة · وثانيهما جنادفاً غليظ الجثة · قصير القد كثيف اللحية

اما الباعث على هذا الخصام والاغلاظ بالكلام فكانت فتاة شقرآء وخروداً كالزهرة الفراء قد طمعت بمال الندين وخانت حبَّ

الاثنين وعقدت الوعد اليقين مع عاشقها الجنادف السمين على اللقاء في قرية « بارسنزكرين »

فلما حطّ بنا القطار رحاله وقت الزوال وخرجت منه النساء والرجال جاءت الفتاة مقبلةً في بهرجة كعروس مجلوة مبرجة ودنت من عاشقها السمين وسطت اليه اليمين تصافحه بشوقٍ ووداد وتمتنُّ عليه بقدومها في الميعاد . فبش بلقائها وهش لولائها وهمَّ بلثمها لثمة الخل العزيز على طرز عادات الانكليز فاذا الرقيب المنشنش الشاب الكامن وراء الباب انقضَّ عليهِ انقضاض العقاب وانتزعه من ذراعي ذات السوار والنقاب فاشتد بينهما النزاع على اخبث المتاع . ثم تطوحا في النهز والهمز وتدرجا الى اللكز والوكز فتخنت منهما الكلوم وتناثرت افلاذ اللحوم حتى ادنفا على الضعف واشرفا على ارتياد مناهل الحتف . فلما رأت الفتاة ما حلَّ بالمداة ولت بخفي حنين تسرع القدم وتقرع على الخيبة سن الندم . فشملني من ذلك المنظر المهول ضرب من الذهول فانشدت اقول :

﴿ النظم ﴾

العشق منذ البدء في الدنيا جنون
ولهُ حديثٌ في الخلائق ذو شجون
وسهامــه حرّى وافئدة الورى
هدفٌ لها منذ الصبى حتى المنون

كم فلَّ من عصرٍ وافنى امةً
وهو الفتيُّ وان تعددتِ القرون
يجري باعصاب الشيوخ خفيفهُ
وثقيلهُ يجري باوردة البنين
واذا تمكن من فتاةٍ مرةً
كان الخبيث لحتفها السبب المكين
ولكم به شقت مرائرُ عاشقٍ
حزناً وكم اجرى العيون من العيون
ولكم اصار من الجبان سميذعاً
وجنونهُ جعل الامينة ان تخون
ولقد شهدتُ عجاجهُ وخبرتهُ
فنعيمهُ يومٌ ومصرعهُ سنون
ادوارهُ لعب يكون وشاغل
يغدو وآخره هو الداء الدفين

***

اني خرجت لكي اروّح خاطري
يوماً واقصد صاحباً كان المعين
فاخذتُ قاطرة الحديد لقريةٍ
كانت مقام عزيزنا الخلّ الامين

ومن التصادف قد رايت اخا ضناً
عالٍ وآخر ضده قزم سمين
يتراشقان من النواظر اسهماً
ويكتمان من الجوى الدمع السخين
ويودُّ كلٌّ منهما لو يفتذيـ
بفؤاد صاحبهِ ولو بذل الثمين
حتى اذا وقف القطارُ وامسكت
رجلاه عن طي الفدافد والحزون
وتسابقت ركابـه لجفائـه
ونسوا انعطافهم عليه والحنين
ابصرت بين الراكبين غزالة
جاءَت تفر من الشمال الى اليمين
واذ التقت بجنادف قفزت الى
ما بين اذرعه وعنه لا ترين
فعنشنش لم يحتمل هـذا الاذى
ورأى التساهل في القضية لا يكون
فاليها قد سار يبرق مغضباً
وجنا على تفريق شملها المكين
وتلاحم الندان كل يشتهي
ورد الردى من ان يعاب وان يهون

اما المهاة فانها لما رأت
شرر الوغى فرَّت الى الكنس الحصين
تركت اسود الغاب صرعى في الثرى
بسيوفِ الحاظٍ تُسلُّ من الجفون

الرفيق الشفيق

القصة ـ استبضعت يوم ازمعت الارتحال · من «ليفربول» الى اميريكا و بلاد الشمال · غطاءً من وبر الجمال · بلون اديم الغزال · ونقدت ثمنه خمسة عشر شليناً · من فضة الانكليز عيناً · وطفت به كرة الارض · اجوب فيافيها بالطول والعرض · وقد كان لي نعم الرفيق الشفيق · والصاحب المحب الصديق · يقيني تارة من قرصة البرد وزخور الامطار · وطوراً من شدة الحر وشمس النهار · فصاحبني ثلاث عشرة سنين طوال · ملازماً دفائي الايام والليال · فلما حططت ركائبي في الاقطار الهندية · وتسلقت جبال « حملايا » العلية · خلعت به على هندي من هنود الجبال · وانشدت على لسان الغطاء في الحال وذلك في « سملا » سنة ١٨٨٤

النظم

يا سائلاً عني فدونك قصتي ... اني خليل لم اخن بمودتي
خضت البحار وجبت اغلظ فدفدٍ ... وانا على الحالين شاكر نعمةٍ
في البرد كنت غطاءه ودفاءه ... وحميته من كل طارق آفةٍ
لما ابتلاه الله في اسفارهِ ... بتجاربٍ والدهر جاء بنكبةٍ
قد كنت احميه بكل جوارحي ... وازيل كربته بدار الغربةٍ
ولكم اصيب بهيضة في غورها ... ضل الطبيب وفلَّ عزم الحكمةِ
فبحر افئدتي خفظت حياته ... وحضنته حضن الخليل لخلةٍ
وصحبته عبداً فمن خمر النوى ... صرفاً سقاني كاس صاب الفرقةِ

شقاء الحياة

القصة ـ مررت ذات يوم ببعض القبور الدوائر · فانست من قلبي الحصر والهم المتواتر · فقلت لنفسي · وانا اقيس غدي بامسي هوذا سكان القبور · قد كانوا بالامس سكان القصور · يضطجعون على

اسرة الترف في المقاصير والخدور ۰ ويرتدون بهداب الدمقس المقصور ۰ وقد بسطوا اليوم ۰ مضاجع النوم ۰ على التراب المنثور ۰ تحت جماد الصخور ۰ الى يوم النشور ۰ وكانوا قبل الان ۰ بقلب جذلان ۰ يكتسون كساء الطيلسان ۰ ويلبسون التيجان ۰ و يستوون على اسرة من عسجد ولؤلؤ ومرجان ۰ ويحيون الليالي بالقصف والعزف والالحان ۰ ما اكفر الانسان ۰ اذا طغى وارتكب النكران ۰ فلو زود نفسه بالخير ۰ قبل حلول موعد السير ۰ وعود كفه الاحسان ۰ واجتنب مواطن العصيان ۰ لسر يوم تمزق الاكفان ۰ وتبعث الابدان ۰ وينتصب الميزان ۰ حيث يمرّ بامان على الجسر الموصل الى فسيح الجنان ۰ فلما جرفني تيار الافكار الى يم بحر الاكدار ۰ فتشت وطب الغم والاحزان ۰ بعبرات ساقتها من عيوني كالجمان ۰ واستمديت من الله العفو والغفران ۰ وانشدت في مدينة لوندرة سنة ١٨٨٨

﴿ النظم ﴾

كتب الزمان على جبين بني البشر

بيد القضا سطرًا خلاصته العبرْ

ومآله حزنٌ واوجاعٌ ومن

خوف الردى يتقلبون على الابرْ

ولدوا بآلام المخاض على الثرى

ومن الحشا قاسوا تباريح الغيرْ

يأتي الجنين وداره سجن الحشا

ويبارح الدنيا ويطمرُ في الحفرْ

جُبلتْ من الاسقامِ طينة تربه

ومن الشقا ما نابه لا يزدفرْ

دخل الكيان بدمعةٍ مهراقةٍ

وكذا يكون خروجه من ذا المقر

رضع الدموع مع اللبان فاصبحت

تجري على حال المسرة والكدرْ

وغدا على الثدْيين طفلاً قاصراً

حتى ابتلته الامُّ بالفطمِ الأمرّْ

طلب الغذاء من الطبيعة جهده

يبغي بهِ صون الحياة من الضررْ

جعلت له عرق الجبين شرابه

والخبز بالزقوم دوماً يختمر

يسعى ويتبعه المنون كظلهِ

حتى يواري قبل ان يقضي الوطرْ

ان كان من اهل الصلاح فداره الـ

فردوس ام لا فالجحيم له مقرْ

غرور الحياة

القصة ـ خرجت ذات ليلةٍ قمراء اريد النزهة في ظاهر لوندرة الغرآء · فالتقيت بصديقٍ لي من الانكليز · كانت منزلته عندي بمنزلة الخل العزيز · فاغراني بالسير الى قلب المدينة المعفرة · والطواف في شوارعها المنورة · وبينما نحن نتخلل الازقة · في ازدحام ومشقة · راينا اسراباً من بنات الهوى كاسراب القطا والحمام · يتخطرن في جلابيب الضلالة والغي ويتنقلن على حصى الغواية والغرام · وقد عبثت بنت الحان بروؤوسهن فامالت منهن القدود · وعات لوائح الخلاعة وجوههن فنضب لها ماء الحيا في الخدود · فاخرج صدري ما رايته بهن من سوء الحالى · وانشدت هذه الابيات في ارتجال · وذلك سنة ١٨٨٧ ميلادية

النظم

احبُّ حياتي والغرور ملازمي ... وقد صرت في همي خيالاً بلاجسمِ
اعيش بدنيا قد تناهى ضلالها ... واصرف خير العمر لهواً بلا علمِ
ارى غادة تصبو الى شرب خمرة ... واخرى الى الحانوت تسعى بلاجرم

فطوراً عليها وسم حسن ونعمةٍ ... وطوراً تطوف الارض في حلة السقم
وطوراً على ريش النعام ضجيعةً ... وطوراً على ارض الشقاوة والهمِ
ويوماً مع الاشراف تشرب خمرةً ... وتمرح لهواً مثل ظبي بلا وصمِ
ويوماً مع الاجلاف تفترش الثرى ... وتأكل اقذاراً وتهلك بالسمِ
ويوماً صنوف الاكل تتخم جسمها ... ويوماً يكاد الجوع يفتك بالعظمِ
وتلبس يوماً حليةً من جواهرٍ ... ويوماً تراهـا في عراء وفي غمِ
زماناً على الخد المليح بضاضةٌ ... ووقتاً عجوز عابهـا القبح بالقدمِ
صبيحة ليلٍ في نعيمٍ وصحةً ... عشيةَ يوم كالخطوط من الرسمِ
ويوماً على العشاق تسطو بغنجها ... وتقصي وتدني دون حق ولا جرمِ
ويوماً على اقدامها الكون يرتمي ... ويوماً يعاديها الزمان بلا اثمِ
فلا تلبث الانثى على فرد حالةٍ ... نعيم وبؤسٌ للحبيب وللخصمِ

القرد

القرد وما ادراك ما القرد .. القرد حيوان . على افنان . اريد به ما سمي من العامة بالسعدان . وهو يضحك ويطرب كالانسان . سريع الفهم والتعلم كالببغاء . ولكل نوع من انواعه لسان . يعرب به عن

حاجاته بافصح بيان · ورحل الى غابات افريقيا رجل من الانكليز · واستعان بالفونغراف الحريز · على اتقان لغة القرود · ووضع لها ضرباً من الاصول والقيود · في ابواب واقسام و بنود · وجمع كلامها في قاموس · على اسلوب مأنوس · فخرجت ذات يوم · اريد العزلة عن القوم · وتفريج الصدر في الحدائق · وتنزيه الفكر المشغول بكشف الحقائق · فابى العقل عليَّ الاستراحة · وصار يتقلب على بسط الغوامض والصراحة · و يشتغل في مذاهب الفلاسفة · وارائهم المتخالفة · وفي ما توهموه في اصل الانسان · وفي تسلسله من الجماد فالنبات فالحيوان · ولا سيما من طائفة القرود · لانها اقرب خلقة للانسان من بقية الحيوان الموجود · الى غير ذلك من القول المردود

من جملتهم المعلم شميل احد فلاسفة الاعراب · ومن قال بقوله المرتاب · كالقول المسنود الى الفيلسوف «دروين» · المتهم بالضلال المبين · فرأَيت بعد البحث الطويل · في هذا الفن الجليل · ان القول المسنود الى الفيلسوف دارو ين · قول معقول رزين · ولكن قد غمض معناه المبين · على بعض من اهل العلم واليقين · وليس فيه شيء مما يشين الدين · او يخدش اسماع المؤمنين : لذلك اردت تصريح ذلك الابهام وازالة الاوهام · وسرد الحقيقة في ايضاح · وكشف النقاب عن محياها الوضاح · بقولي : ان الفيلسوف دروين لم يقل ان نوع الانسان · ونوع القرد سيان · بل قال فيما اراد · واجاد فيما افاد · ان الخالق جعل الخلائق على طرز سلسلةٍ ذات حلقات · يتصل بعضها ببعض على طبقات

ودرجات · ولا يوجد بين طبقة وطبقة · طفرة في حلقة . وعلى ذلك كان في نوع القرد المشتهر · نوع اقرب من غيره الى جنس البشر · في التركيب والادراك والصور · مما يربط الحلقة الاولى من القرود · بالحلقة الاخيرة من الانسان على حد محدود · وزعم بعض من ارباب التحقيق · واصحاب التدقيق · ان نوع القرود · المراد به من «دروين» مفقود · وزعم غيرهم ان ذلك الرأي مردود · وان قرد الحلقة موجود · ولذلك ارسلت طائفة من فلاسفة امريكا الشمالية · وفداً من رجال العلم الى اواسط افريقيا · ومدها مستر «بنت» صاحب نشرة «نيويورك هرالد» بالعدد والنقود · لتستعين على البحث والتنقيب عن هذه الحلقة المفقودة من القرود · واتبع علماء الاميريكان · طائفة من فلاسفة الجرمان · وبعثوا منهم بوفدٍ الى قلب السودان · لتنقيب رجاله في الغابات على ذلك الحيوان · ولذلك انشدت هذه الابيات التوابع · وانا اتمشى في الشوارع · وذلك في لوندرة عام ١٨٨٩

✵ النظم ✵

قالت فلاسفة الزمان تهافتاً
ان القرود هي الجدود لنسلنا
قلنا لهم كونوا قروداً واكتفوا
ان القرود غريبةٌ عن اصلنا

ان الذي من نسل قردٍ نسله
قردٌ حقير لا يقاس بطفلنا
ما قال درون قطُّ ان جدودنا
كانت قروداً تستوي مع عقلنا
قد كان بين القرد نوعٌ نسله
في اصلهِ قد كان حلقة وصلنا
قد راح رب العلم يطلب حلقةً
خفيت علينا من بواعث جهلنا
فالناس طرًّا خلقة في نوعهم
والقرد نوعٌ لا يناط بمثلنا

الفقر الوضيع

نصيب العقل الرفيع

القصة ـ انهُ لمن العجب العجاب ان الرجال ذوي الالباب واصحاب العقول السامية والفكرة الثاقبة والتصورات الرائقة الذين ملكوا كنوز الحكمة والمعارف العالية سواء كان في الاعصار الخالية او الحاضرة قد عاشوا في ذل واحتقار وعوز وافتقار فوآسفاه عليهم لقد سُطر الفقر الاسود على غرة جبين كل لبيب امجد واغلب الجهابذة الذين تفرغوا الى اكتساب العلوم الرياضية والمعارف البشرية والفلسفة النظرية والفنون الادبية عاشوا عيشةً فقرية لاننا نرى اصحاب العقول الجليلة والافكار الجلية يقضون حياتهم في زوايا كوخ صغير اوفي خبايا عش حقير · ونشاهد ايضاً ذوي النفوس الشريفة والفطنة المنيفة يكابدون الم العوز العنيف والفقر المخيف ·وفي الحقيقة قليلون هم الذين يحرزون العلم والمال معاً · وفي الغالب من اغتنى بالمال الطائل افتقر بالعلم والفضائل ومن اغتنى بالعلم والحكمة احتاج غالباً الى قوت لقمة· وطوارق الاحوال تشهد بصحة

المقال · ورواه الاقدمون واسنده المؤرخون بما نقلوه عن العلماء وسوء حالهم المغبون

فقد اشتهر بين اليونان « هوميرس » الشاعر صاحب ديواني « الالياذ » « والاوديسية » اللذين عجز المتأخرون عن الاتيان بمثلهما · وقصرت اقلام الكتاب عن مسابقته في ميدان فصاحتهما · ولكن كيف عاش ومات هذا الشاعر اللبيب والعلامة الاديب ؟ روى المؤرخون الثقات ونقل عنهم العلامة « ديزرائلي » ابو لورد « بيقنسلد » ان الطبيعة جادت على « هوميرس » بنور العقل وجودة الفكر وسلبت عنه نور البصر · واسبغت عليه كنوز المعارف الجليلة وبخلت عليه بقوت ليله · فعاش فقيراً ومات ضريراً · ولله در من قال :

كم من قويٍّ قويٌّ في تقلبه
مهذب الرأي عنهُ الرزق منحرفُ
وكم ضعيفٍ ضعيفٌ في تقلبهِ
كأنه من خليج البحر يغترفُ
هذا دليلٌ على ان الاله لهُ
في الخلق سرٌّ خفيٌّ ليس ينكشفُ

وروى الثقات عن اكسيلاندر (*Xylander*) المشهور بوضعه تفاسير دقيقة المعاني على كتب « ديون كاسيوس » (*Dion Cassius*) العلامة اللاتيني انه كابد اهوال الفقر والمَّ بهِ الم الجوع المرّ حتى اضطرَّ الى

يبع تآليفه الجليلة بعشاء ليلة · فوآ اسفاه على عغل وعام يباعان بكسرة خبز وكوز ماء · ولله در من قال :

يا دهرُ صافيت اللئام ولم تزل
ابدًا لابناء الكرام معاندا
وعرفتَ كالميزان ترفعُ ناقصاً
ابدًا وتخفض لا محالة زائدا

وحكي عن المعلم « الدوس مانوسيوس » *(Aldus Manutius)* انه أُلقي في السجن وحكم عليه بالافلاس لعجزه عن دفع الاجرة على نقل كتبه من البندقية الى رومة

وقد جاء في صحيح الاخبار عن المعلم « اغريبا » *(Agrippa)* المشهور انهُ مات فقيرًا في دار العجزة

ومثله المعلم « سرفانتس » *«Cervantes»* الشهير الذي رُزق السعادة في كل تآليفه وكثرت فوائدها بين الناس حتى انتفع بها الرفيع والوضيع فانه حرمَ الرزق في حياته ومات جوعاً في مغارة بقرب مزبلة المدينة ولله در من قال

خصَّ بالرزق واليسار اناسٌ
وانا قد خصصتُ بالاملاقِ
فكأني لمن بقية قومٍ
خُلقوا بعد قسمة الارزاقِ

وذكر المؤرخون عن الشاعر « كاموانس » *«Camoens»* الفرنساوي ما يكاد لا يصدق · قالوا انه لما انكسرت السفينة التي كان راكبها هذا الشاعر المجيد واشرف على الغرق لم يعبأ بشيءٍ من امتعته غير ديوانه

المسمّى « بلوسياد » *«Luciad»* فعمد اليه وقبض عليه بشماله ورفعه فوق رأسه ليقيه من البلل وطفق يعوم في البحر ويدفع الماء بيمينه حتى بلغ الشاطئ سالمًا بنفسه وبديوانه · وهكذا جعل مقام قريضه عزيزًا لديه بمقام حياته · لكن لما نجا من غوائل البحر وبلغ ارض الامان وقع في حبائل البشر · فانه لم يجد فيهم من يحسن اليهِ بكسرة من الخبز ليسد بها جوعه ويمسك رمقه · ولا من يشتري ديوانه بفلس · فهلك جوعًا على مزابل الازقة · وبعد موته حنَّ بعض الناس على عظامه الرميمة فحملوها ودفنوها في لحد ونقشوا على صخره هذا التاريخ الذي عرَّبته نثرًا :

هنا يرقد لويس كاموانس الذي فاق بنظمهِ شعراء عصره
فقد عاش شقيًا محتقرًا ومات تعيسًا مفتقرًا

سنة ١٥٧٩

فقلت فيه هذه الابيات:

لو كان من يبتاعُ شعري او دمي
برغيف خبزٍ بعتُ ذاك بدرهمِ
يومًا عُرضتُ على الانامِ بكسرةٍ
قالوا : لقد كسدتْ حياتكَ فافهمِ

اما « توركواتو طاسو » «Torquato Tasso» الشاعر الحماسي المفلق المعدود من اربعة ملوك شعراء الايتليان صاحب القريض الحماسي والديوان المشهور باسم « اورشليم المعتوقة » «Gerusalemme Liberata» فان شقاءه الطامي كان اعظم من عقله السامي · فروى الثقات : انه عاش محروم الرزق ومضطهداً من الخلق · ثم طرده الظلام بغضةً وعدواناً وسجنه الامير ابن الملك في مارستان المجانين سبع سنوات جوراً وحسداً وتركه يقاسي عذاب الموت · ومن غرائب ما اتفق له انه اضطر الى استقراض شيء من النقود يساوي فرنكاً وابتاع بهِ زاداً اقتات بهِ اسبوعاً · وقد اشار الى حال فقره الاسود في قصيدة انشدها قطاً كان خليله الحميم : ومن جملة ما ابدع فيها من النظم الرشيق مدحه عيني هذا القط العزيز لديه بما تعريبه نثراً : «لله در عينيك النجلاويتين فانهما مصباحي في دجى ليلي الحالك · فمتى نفد زيت سراجي استصبحت بنورها في نظم قصائدي » · وكان هذا الشاعر الخنذيذ ينظم خمسمائة بيت ونيفاً من الشعر ليلاً بلا نور ولا سراج ثم ينقحها عقلاً ويعيدها مراراً حتى ترسخ في ذاكرته ثم يستنسخها في الغد على ضوء النهار · اما علماء دهره وشعراء عصره فاثقلوه بتهمات شنيعة حقداً ونددوا بقريضه حسداً · ورموها بالكفر ظلماً وعدوانا ولكن اسمه كان شائعاً عند العام والخاص · وكان اللصوص انفسهم وقطاع الطريق ذواتهم يحترمون ذكر اسمه · وذلك عندما كان طاسو مسافراً ذات يوم في رفقةٍ من القوم في جبال ايتاليا خرجت عليهم فرقة من اللصوص وارادوا سلب اموالهم ·

فلما علم مرقس شيارا رئيس اللصوص بان الشاعر « توركواتو طاسو »
كان بين الجماعة بادر اليه في الحال وقبل يده وقال له : من ذا الذي
يجسر على الحاق الاذى برجل قد شرفه المولى بعقل يسود على عقول
الورى بالعلم والاداب ؟ ثم استعذر منه ومن رفقائه وصحبهم في اسفارهم
وحرسهم من الاخطار واوصلهم سالمين الى طريق الامان · ولله در من
قال :

فافخر بعلمٍ ولا تجهل بـه ابداً
فالناس موتى واهل العلم احياء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه
والجاهلون لاهل العلم اعداءُ

اما الكردينال « بنتيفوليو » (*Bentivoglio*) الشهير والعلامة النحرير
مين وصفه العلماء المتأخرون « بفخر ايتاليا وكوكب العلوم » فقد قضى
شيخوخته الموقرة في ضنك وفقر يرثى لهما · وقسا قلب اصحاب الديون
عليه الى درجة لا تغفر · فانهم اجبروه على بيع قصره لايفاء حقوقهم
ولما قضى نحبه لم يخلف سوى شهرة اسمه الكريم ولله در من قال :

الفقرُ يزري باقوامٍ ذوي حسبٍ
وقد يسوّد غير السيد المالُ

وقال آخر :

ولا رفع النفس الدنيئة كالغنى
ولا وضع النفس الشريفة كالفقرِ

وحكي عن المعلم « لو ساج » (*Le Sage*) صاحب التأليف البديع المعروف باسم « جيل بلاس » [*Gil Blas*] انه عاش في كوخ حقير بضواحي باريس · وريثما كان هذا العلامة يتضور جوعاً ويتقلب على جمر التعاسة والشقاء كان اهل باريس وفرنسا يتسلون بمطالعة رواياته البديعة المنمقة باقلامه الرفيعة · وهم غافلون عن احوال موءلفها وفقره. ولله در الامام الشافعي الذي قال :

لم يدرِ طعم الفقر من هو في الغنى
ومصحح الاعضاء ليس كمن بلي

وروى الثقات عن « در يدن » [*Dryden*] الشاعر الانكليزي انه اضطر الى بيع عشرة الاف بيت ونيف من اشعاره الى « تونسون » (*Tonson*) باقل من ثمانئة ليرة انكليزية ليفي حقوق الناس ويستر حاله ويصون نفسه من الهوان كما قال الامام الشافعي :

كم فاقةٍ مستورةٍ بمروءةٍ وضرورةٍ قد غطيت بتجملِ
وكم ابتسامٍ تحته قلبٌ شجٍ قد خالطته كربةٌ لا تنجلي

وروى الثقات عن الشاعر الفرنسي « دي ريار » (*De Ryer*) انه قضى حياته في خصّ حقير الى جانب قرية صغيرة واضطر الى بيع كل مئة بيت من اشعاره « بفرنك » حتى يترفع عن هوان السوءال · ولا يتحمل منة الرجال اتباعاً لقول الامام الشافعي :

قنعتُ بالقوت من زماني وصنتُ نفسي عن الهوانِ

خوفاً من الناس ان يقولوا فضل فلانٍ على فلانِ

وقد جاء عن المعلم «بُرشاس» «*Purchas*» انه صرف اكثر عمره في الاسفار وجال الامصار وخاض الانهار وقطع البحار وطوى القفار وركب غارب الاهوال والاخطار ابتغاء اكتساب المعارف · ثم اودعها كتاباً وسمه «باخبار العالم» (*Relations of the World*) ثم ضايقه الفقر الى حالة يُرثى لها · وشكاه اصحاب الديون الى الحكام فأُلقي في السجن · وكان الباعث الاول على تلك المصائب الرجل الذي تولى طبع مصنفاته واجتنى فوائدها · وكانت هذه العاقبة التعيسة جزاء ما تكبده من المشقات والاهوال في اسفاره الشاسعة لمنفعة العالم · فهو نصب وغيره كسب · وتمَّ فيه قول المتنبي :

بذا قضتِ الايام ما بين اهلها
مصائب قومٍ عند قومٍ فوائدُ

وروي عن «سافاج» (*Savage*) الشاعر الانكليزي النحرير ان الفقر الشديد اضطره الى بيع ديوانه الموسوم باسم «الشارد» (*The Wanderer*) بشيء من النقود لا يتجاوز قدرها عشر ليرات

وذكر التاريخ ان «ميلتن» (*The Great Milton*) الشاعر الانكليزي الكبير ايضاً احوجه الفقر الى بيع ديوانه العظيم المشهور «بالفردوس المفقود» (*The Paradis lost*) بقيمة عشر ليرات انكليزية حيث لم يملك من المال ما كان كافياً لطبع ديوانه المذكور · وتمَّ بهِ قول ابي العتاهية :

اذا قلّ مالُ المرء قلّ صديقه
وضاقت بـهِ عما يريد طريقهُ

فعاش هذا العلامة الفاضل اكبر شعراء الانكليز فقيرًا ضريرًا ومات مسكينًا حقيرًا؟

وروى المؤرخون ان «اطوي» (*Otway*) الشاعر المشهور صاحب الروايات المرسحية التي اغتنى بها بائعوها وطرب لها سامعوهـا حط الفقر بهِ الى درجة اليأس ومات جوعًا وهو يتمثل بقولٍ يقارب قول الشاعر :

ولو كللت شعرَ العديم علومـه
فما نفعها والطالعُ النحسُ حاضرُ

وحكي ايضًا عن الشاعر النحرير «صموئل بويس» (*Samuel Boyce*) صاحب النشائد والتغزل بالله الذائع الصيت والشهرة · أنـه بعدما نظم نشائد الهية رخيمة وقصائد بديعة قدرها حق قدرها الرفيع والوضيع من الناس وقع في شراك الفقر المدقع ومات بداء الجوع موتًا اليمًا · ثم وجده الناس بعد موته ملقىً في زاوية مخدع حقير وعليه قطعة من غطاء صوف رثة وطرفاها مقترنان بسلخة من قضيب والقسم الاعلى من جسمه عريان وقد هزل حتى صار كالخلال · وكان وهو في تلك الحال قابضًا على قلم كتابة بيدٍ قد اعتراها النحول ودقّ عظمها وذاب لحمها ويبس جلدها وقصر مدها · وكأنهُ اراد ان يكتب شكواه بابيات مثل هذه :

يا قاسمَ الرزقِ لِمْ خانتني القسمُ
ما انتَ متهمٌ قل لي مَنْ اتهمُ
ان كان نجمي نحساً انت منجمهُ
وانتَ في الحالتين الخصمُ والحكمُ

ففارقت الروح الجسد وقصرت عن تدوين الشكوى تلك اليد

اما «شاترتون» (*Chatterton*) الكاتب الشهير الملقب «بذي التعاسة» لشدة ما قاساه من الشقاء وضنك المعيشة مدة حياته · فانه كان يتلهف على الفوز بكسرة من الزاد ليسد بها جوعه ويمسك رمقه ولم يظفر بها دائماً · فمر ذات يوم بحانوت رجل يخبز الكعك الحلو وكان الجوع قد بلغ منه كل مبلغ وخارت قواه فنفذت رائحة الكعك الحار في حاسة شمه فتشنجت لها المعدة وارتخى عزمه فاستند ظهره الى باب حانوت الكعك · فلما رآه صاحب الحانوت مغشياً عليهِ عرف ان الجوع قد اضناه فاقبل اليه ونبهه ثم اعطاه كعكة صغيرة · فلما وضعها «شاترتون» بفيه شعر كأنه قد استطعم بحلاوة النعيم وشكر الله على تلك النعمة الزهيدة وقال بقول القائل :

واستغنِ بالشيء القليل فانه
ما صانَ عمركَ لا يقالُ قليلُ

وقد جاء في صحيح الاخبار عن «نيكافور نيابس» «*N. Niepce*» الذي صرف حياته وانفق دراهمه في الامتحانات الكيماوية واكتشف طريقة التصوير بالنور اي صنعة الفوتغراف سنة ١٨٣٨ انه بعدما انفق

الصنعة اخذها عنه « داغير » « *Daguerre* » و برع بها ونال ملء الشرف من جرائها وبقي « نيابس » المذكور محروم الفوائد من امتحاناته واكتشافاته وعاش حقيرًا ذليلاً ومات بباريس صعلوكاً فقيرًا · فلما مات ميئوساً عرفت رجال الاكاديمية الفرنسية ما كان لنيابس من الفضل على هذا الاكتشاف النفيس فتكرمت على ابنه بهدايا ثمينة ومنحته القابًا نخيمة· ولكن كل ذلك « بعد خراب البصرة » لان نيابس مات جوعاً وهو يناجي ربه بقولٍ مثل قول الشاعر :

اعطيتني حكمًا لم تعطني ورقـاً
قل لي بلا ورقٍ ما تنفع الحكمُ ؟
فخذ من العلم شطرًا واعطني ورقـاً
ولا تكلني الى من جوده عدمُ

ومن ذا الذي لم يقرَ او يسمع ما قاساه العلامة النحرير « غاليلاوس غاليلايي » « *Galileo Galilei* » من آلام الفقر المدقع والاضطهاد والسجن لاجل تعليمه بحركة الارض · فدخل السجن وهو يرفس عتبة بابه برجله ويقول بغيظٍ شديد :

« كيف انكر حركتها وانا اشعر بهزتها ؟ » · ومـا زال مضطهدًا دهره وهو يردد في وجه عدوه قول القائل :

لو كنت تعلم ما اقول عذرتني
او كنتُ اجهل ما تقول عذلتكا

لكن جهلتَ مقالتي فعذلتني
وعلمتُ انك جاهل فعذرتكا

اما خريستو فورس كولمبوس الذي قاسى عذاب الموت في اكتشافه قارة اميريكا وصيرورتها بواسطة هذا الاكتشاف سبباً لحياة وغناء ملايين وملايين من البشر اضحي شقياً ومضطهداً وعاش فقيراً منكود الحظ يجول على ابواب الاديرة ويستكدي قوته اليومي · ولكن من خصائص الدهر المتهكم ان الناس عرفوا مقام ذلك الرجل بعد موته جوعاً وقدروه حق قدره ونصبوا لذكره تماثيل شريفة من الرخام والنحاس · وتمّ فيه قول الشاعر :

اولع الناس بامتداح القديم وبذمٍ الجديد غير الذميمِ
ليس ذا غير انهم حسدوا الـ حيّ وحنوا الى عظامٍ رميم

فمالي اطيل الشرح بذكر العلماء وفقرهم وقد ضاقت بطون الصحف بتعدادهم · غير اني اقتصر في هذا الباب على سبيل الختام ان اذكر امرين رأيت احدهما بعيني وعرفته بنفسي وسمعت خبر ثانيهما من معلمي النحرير القس « فنجنسو انافيتي » الخطيب الروماني ايام كنت ادرس عليه فني البديع والخطابة

اما ما عرفته بنفسي فهو رجل اديب وعالم لبيب صاحب اثار عديدة نثرًا ونظماً · وصاحب اختراعات في الصنائع وعمل الالات · قد تمهر في العلوم السنية واتقن ثماني لغات اجنبية وجال الامصار وطوى القفار وخاض الانهار وقلع في البحار ودار البلاد وعاشر العباد

واطلعُ على عوائدهم ودقق في تواريخهم وفحص في مذاهبهم وعقائدهم واذخر في مؤلفات عديدة ما نظرته عينه ووعته اذنه

ولا حاجة الى ذكر اسمه هنا فانه اشهر من ان يذكر وجبال لبنان وسهول بيروت ترد صدى اسمه فيوقار وسكوت . فهذا الاديب الفاضل والعلامة الكامل بعد ان انفق ما كان عنده من المال في سبيل اكتساب المعارف والفنون وتأخر الناس عن ايفائه ما كان له عليهم من الديون افضى به الحال الى اقصى دركات الفقر والعوز . فباع ما كان عنده من الحليّ والمصوغ ورهن بعضاً من امتعته عند الصيارفة والتجار حتى اضحى اخيرًا لا يملك درهماً يبتاع بهِ قوت ليلة . فاسودت الدنيا في عينيه وابت مروئته وعزة نفسه التماس الاحسان وكره ان يستعطي بعدما كان يعطي . فصرف نهاره بتمامه وهو صائم لم يذق طعم الزاد . فلما امسى المساء عليه عاد الى مخدعه الحقير آيساً مغبوناً وجائعاً مغموماً . ولما اشتد الجوع عليه اخذ يجول في حجرته كالولهان فلاحت منه التفاتة الى خزانة الخبز فوجد فيها كسرةً من الخبز اليابس بقدر الكف فهشّ اليها وبش بها ثم تناولها ونقعها في الماء وسد رمقه بها وذهب الى الرقاد . قيل انهُ لم يستطعم بلذة زادٍ في كل عمرهِ كما استطعم بلذة تلك الكسرة اليابسة في لياته العابسة البائسة

وجرى لهُ مثل ذلك مرة اخرى واضطر الى استقراض عشرين قرشاً من صديق له وظل ينفق منها على نفسه ثمانية ايام . ولما فتحت الدنيا في وجهه ابواب السعة والفرج وفى ما استقرض من المال وشكر

صاحبه على كرمه · وما عدا ذلك اضطهدته طائفة من الناس واوسعوه شتائم وهو صابر على جور الزمان

اما الحادث الثاني الذي سمعته من معلمي فهو كذلك من الامور التي تفتت الاكباد · فقال لي هذا القس الاديب : شملني حزن اليم مما رأيته بالامس · وذلك اني زرت شيخًا فاضلاً كنت ادرس عليه الفلسفة في عهد شبابي وهو من الفلاسفة الذين يشار اليهم بالبنان · فوجدت سمات الكآبة تلوح على غرته البيضاء وهو ملازم الفراش · فقلت له بعد السلام : وقيتَ شرًا يا مولاي · ما الباعث على هذه الحال؟ فقال لي في جوابه لا شيء من الغرائب بل هو ما تعهده من نصيب من يشتغل بالعلم · قلت وما ذلك؟ قال لي فقر ابي الاولاد الذي يسود الوجه ويفتت الاكباد · فقلت له هل افضى الامر بك الى هذه الحال؟ وهل هذا هو الباعث على ملازمتك الفراش على هذا المنوال؟ قال لي قد لازمت زوايا صومعتي منذ ثمانية ايام ولم اجسر على الخروج منها حياءً · فقد بلي ثوبي ورثّ سربالي وكاد الا يستران عرائي · وها انذا كما تراني · وقد لازمت الفراش ليس لعلةٍ في جسمي بل سترةً للحمي وعظمي · وليس في قبضة يدي ما يسدُّ عوزي ويكسو عورتي · قال لي استاذي المشار اليه : لما سمعت كلامه اغرورقت عيناي بالدموع وقلتُ لنفسي : افٍ للدهر الخؤون · كم وكم من السفهاء يتفاخرون بالملابس الثمينة وهذا العلامة الاديب والفيلسوف النجيب لا يملك ما يستر عراه · ثم طيبت خاطره وترفقتُ بحاله وقلتُ له : ياسيدي ماذا

حبسك عن اخبارك اياي بعسر حالك ؟ قال لي : منعني قول اوفيد (Ovidius) الشاعر اللاتيني

Tempore felici, multi numerantur amici
Si fortuna perit, nullusamicus erit .

وهاك تعريبه نثرًا ونظمًا

ان جادت الدنيا بمالٍ واكتفا
كثرت على الإنسانِ اخوان الصفا
واذا الزمان تقلبت احواله
فرَّ الجميع وخانَ كلٌّ بالوفا

نثرًا

اذا اقبلت الدنيا عليك　　تحبب جميع الناس اليك
واذا جارَ الزمان عليك　　تفرقت الاحباب من حواليك
من سعدت احواله　　تكاثرت اصحابه
من حبطت اعماله　　تباعدت احبابه

وقال في المعنى شاعر آخر

المرءُ في زمن الاقبالِ كالشجره
فالناسُ من حولها ما دامت الثمره
حتى اذا اسقطت كل الذي حملت
تفرقوا وارادوا غيرها شجره

ثم قال لي : لا يخفى عليك يا ولدي ان العطاء مليح والاستعطاء قبيح · وان اعطى المسئولُ السائل صيره في رقه · وان لم يعطهِ كانت المصيبة اعظم من ضيقة رزقه · كما قال في المعنى الامام علي ابن ابي طالب :

واذا السوءال مع النوالِ وزنته
رجح السوءال وخفَّ كلُّ نوالِ

وقد جاء في الامثال اللاتينية

Beneficium accipere, libertatem vendere
Beneficium reddere, libertatem redimere .

وتعريبه : من نال الاحسان باع نفسه ومن ردَّ الاحسان فدى نفسه · وقد قيل ايضاً : الانسان عبد الاحسان · وقد نصَّ الاقدمون على ذلك نصوصاً كثيرة منها : احبُّ الناس الى الناس من استغنى عن الناس · وابغض الناس الى الناس من احتاج الى الناس · وقال الشاعر :

لنقل الصخر من قللِ الجبالِ
احبُّ اليَّ من مننِ الرجالِ

وقال بعض الحكماء : مَنِ احتجت اليهِ هنتَ عليه · ونص آخر في المعنى وقال : لا يزال الرجل كريماً على الناس حتى يحتاج الى ما بيدهم فاذا رأوه فعل ذلك استخفوا بهِ وكرهوا حديثه · وقد صدق من قال :

لا تسئلنّ ابناء آدمَ حاجةً
وسل الذي ابوابه لا تحجبُ
الله يغضبُ ان تركتَ سؤاله
اما بنُ آدمَ حينَ يُسألُ يغضبُ

ولهذا امسكتُ عن سؤال الناس وجعلت امر الله على العين والراس وصبرت حتى النهاية واعتصمت برب العناية لعلمي بان الله لا يخلق حيًا بلا رزق · فمن شق الاشداق تكفل لها بالارزاق

قال : فلما سمعت حكم استاذي المنيفة ومواعظه الشريفة وعرفت ما عنده من عزة النفس العفيفة استأذنته بالذهاب ووعدته بسرعة الاياب وخرجت اجري مسرعًا الى داري · وتناولت بذلةً من ثيابي وجعلتها في منديل وسدلت عليها جلبابي مخافة ان يراها اصحابي وهرولت اليه ودخلت عليه · فلما رأني اعدت الكرة بكل سرعة قال لي : ما وراءك حتى اسرعت القدوم وانت مرتبك مهموم · فقلت له : لا شيء سوى الخير فلا تتشاءم من ضير · فاني قد اتيتك بهذه البذلة من الملبوس واطلب اليك ان تقبلها بلطفك المأنوس · قال : فتبسم الاستاذ وقال : بارك الله في همتك وزاد نخوتك وجزاك عني خيرًا على مروءتك وقضى لك كل حاجتك · لانك قد قضيت اليوم حاجتي وسددت بجودك فاقتي · قال : فقلت له : مثلك يا استاذ من يغاث ويخدم ويجل ويكرم فانت ابو العلم ونحن بنوك فلا فض فوك ولا عاش من يشنوك فلا تقنط من تصاريف الزمان فلقد سطر الفقر

المدقع على جباه العلماء وخرّس السنة الفصحاء وسد افواه الخطباء ٠ وليس لهم منه مناص ٠ وما ذلك لكونهم يصرفون عنان العناية الى اكتساب العلوم و يقضون العمر في طلب المعارف والاداب فلم يبقَ لديهم وقت يصرفونه في المصانعة واكتساب المال لذلك يفضي بهم الحال الى الفاقة والافتقار ٠ فلما سمع الاستاذ كلامي قال لي في الجواب : قد استوعبت المقال ٠ ولكنني افضل العلم والاداب على المال وارجح التدقيق في حل المشاكل من معضلات المسائل على استماع الاغاني ودق الالات كما قال الشاعر :

سهري لتنقيح العلوم ألذُّ لي
من وصل غانيةٍ وطيب عناقِ
وصرير اقلامي على اوراقها
احلى من الدوكاه والعشاقِ
والذُّ من نقر الفتاة لدفها
نقري لالقي الرمل عن اوراقي

وقد اصاب الامام عليٌّ بن ابي طالب بما قال

ما الفضلُ الاّ لاهل العلم انهمُ
على الهدي لمن استهدى أدلاءُ
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه
والجاهلون لاهل العلم اعداءُ

فقم بعلمٍ ولا تطاب بهِ بدلاً

فالناس موتى واهل العلم احياء

هذا ما كان من علماء الغرب وفقر حالهم . اما الفقراء من علماء الشرق فحدث عنهم ولا حرج . فهم اكثر من ان يحصيهم قلم او تسعهم بطون الاوراق . فاذا طالعنا اشعار بعض شعراء الجاهلية واشعار الامام علي بن ابي طالب والامام الشافعي وابي العتاهية وصالح بن عبد القدوس وابن الاحنف ومحمود الوراق وعبد الرحيم احمد والمطران جرمانوس وعبدالله بن ظاهر وابن المعتز والمروزي وابي نصر احمد المقدسي وغيرهم كثيرين من شعراء الغرب وادبائهم نراهم جميعاً يتشكون من الفقر ومصائبه وان اغلبهم عاشوا بلا ثمن وماتوا بلا كفن . وربما حين انا اقيد هذه الحقائق وريثما يشتغل الطباع بطبعها وريثما يطالعها المطالع في كل الاقطار كثيرون من رجال العلم والاداب يقاسون مثل سلفائهم عذاب الفقر المدقع ويموتون في اكواخ حقيرة لا يدري بهم غير الذي خلقهم وقطع رزقهم وانتزع ارواحهم . وربما اتى بعدي كثيرون من العلماء والادباء واصيبوا بداء الفقر العضال . وما ذاك الا لكونهم مثل الدراري الثمينة التي تستقر في قعر البحار كما اجاد الشاعر « قابوس بن وشمكير » حيث قال:

قل للذي بصروف الدهر عيرنا

هل عاند الدهرُ الاَّ من لهُ خطرُ

اما ترى البحر تعلو فوقه جيفٌ
وتستقرُّ باقصى قعره الدررُ
وفي السماء نجومٌ لا عداد لها
وليس يكسفُ الاّ الشمس والقمرُ

ولا ريب في ان هذه الروايات الفجيعة التي سردتها قبلاً بايجاز واختصار لاشد الروايات حزنًا وكآبة · ولا تستطيع الاذن استماعها من دون ان تذرف العين عليها العبرات السخينة · ولذلك حدت بي القريحة الى رثاء رجالها الكرام وابطالها العظام فانشدت اقول :

﴿ الرثاء ﴾

« قفا نبكِ من ذكرى » اديبٍ بمحنةٍ
يقاسي عذاب الجوع من فقد لقمةِ
يعيشُ بفقرٍ لا يطاق احتماله
ويدفنُ مجهولاً باحقرِ حفرةِ
ينقبُ في اصل الفنون نهاره
ويهدسُ ليلاً في قواعد حكمةِ
فكان فريد العصر « ملتنُ » يشتكي
من الجوع والافلاس في كل ليلةِ

« وضيعَ فردوساً » وباع قريضهُ
باحقرِ اسعارٍ وابخس فضةِ
ومات ضريرًا بالبلايا مُكبلاً
وخلد ذكرًا لا يموتُ بحقبةِ
و« طاسو » الحماسيُّ الذي عاش مفلساً
ومات رهين الفقر في ذل غربةِ
فكان يقول الشعر بحر نهاره
وينظمهُ طول الدجى دون شمعةِ
وكم من ليالٍ كان فيها سراجهُ
بصيص ضياءٍ من لواحظ هرةِ
عليهِ جنى الحساد طول حياته
وقيد عدواناً كمختل فكرةِ
وهذا « كلمبو » يركب البحر قالعاً
ويكتشف ارضاً في البحار البعيدةِ (١)
ويجزى عليها باضطهادٍ ونقمةٍ
ويسجن ظلماً دون ذنبٍ وجنحةِ

(١) ان الارض التي اكتشفها كولمبوس اول سفرة سنة ١٤٩٢ للميلاد كانت جزيرة من جزائر « باهاما » في البحر الاطلس الشمالي . طولها ٤٥ ميلاً وعرضها خمسة اميال . وسماها باسم « سان سالفادور » اي « المخلص » لانه باكتشافها خلص من غوائل البحار والخطار بالموت

ومات بعيداً عن بلادٍ خصيبةِ

غزاها بحزمٍ واجتهادٍ وفطنةِ

و« هوميروس » الخنذيذُ عاش بفاقةٍ

ضريراً عليلاً في قيود البليةِ

و« الدوس » أُلقيِ في السجون كمفلسٍ

ينوحُ على عمرٍ قضاهُ بمحنةِ

و « سرفنتس » النحريرُ عاشَ بكديةٍ

وماتَ حقيراً فوقَ زبل المدينةِ

ومن ذا الذي لم يدر حالة عالمٍ

غدا كوكب العرفان في كل ندوةِ

فاذكرْ « بنتيفوليوس » وقصرهُ

وقد بيع بالاكراه من غير ذمةِ

وقسى عليه قلبهُ كلُّ دائنٍ

فباع تآليفاً بابخس قيمةِ

فكان اميراً في العلوم وفي الغنى

فامسى فقيراً في بلايا كثيرةِ

وصاحبُ « جيلبلاس » يهلك حسرةً

وليس يرى قلباً يجود برحمةِ

و « اذرَيدن » المديون كاد لفقرهِ

يضحي حياةً في سجونٍ عميقةِ

وعشرة آلافٍ من الشعر قد غلت
تباعُ بسعرٍ لا يقوم بكسرةِ
و«برشاش» طاف الارض يطلب حكمةً
ويجني فنون العلم من كل زهرةِ
فعاد وأُلقي في السجونِ ضحيةً
لاطماع اصحاب الديون الوفيرةِ
و«سافاج» ضحى للمجاعة شعرهُ
وباعَ دواوينَ القريض بعشرةِ
ومات «بويس» في المذلة بائساً
وفي كفهِ المهزول اهزلُ ريشةِ
وانشد في حبِ الالهِ نشائداً
تغنت بها الاخبارُ من كل امةِ
واهمل من كل الخلائق ساغباً
فعاش حقيراً في اذل معيشةِ
و«ريارُ» في خصٍ قضى كلَّ عمره
وماتَ ذليلاً مستهاناً بقريةِ
وباعَ تآليفاً بابخسِ درهمٍ
يريد ابتياع الخبز سدًّا لمعدةِ
و«كموان» في البحر العرمرم غارقٌ
يدافع جهداً عن حياةٍ عزيزةِ

يصون بيسراه كتاب قريضهِ
ويقذف باليمنى غوائل لجةِ
ولما نجا من هول بحرٍ عرمرمٍ
توغل في اهوال جوعٍ وقلةِ
فصاحب « لوسياد » بعد نجاته
من البحر اضحى في مزابل بلدةِ
واين الذي قد حرك الارض علمهُ
« غليلاوسُ » المشهور في علم هيئةِ
فقال وما هاب العداة بسجنه
فكيف احابي ؟ قد شعرتُ بهزةِ
وقف نبكِ « شاترتون » رفقاً بحاله
ونثني على الخباز صاحب كعكةِ
فيا ليتَ كل الخلق تفعل فعلهُ
وتحيي علوماً بالرجال العظيمةِ
وذا قرننا العشرونَ قرنُ معارفٍ
يكفر عن غلطاتِ اجدادِ ملتي

سفرة مرة

في ليلةٍ قرّة

قال دفعتني يد النوائب المرة الى سفرةٍ في ليلةٍ قرّة قد كثرت ثلوجها وغطت من الديار حصونها وبروجها وخرقت ارياحها ودوى في الافاق صياحها حتى كاد الذئب يخشى الخروج من عرينه ولو ايقن الموت جوعاً من حينه فبرزت من دارٍ دافئة المقام امر بشوارع (منجستر) في جراءةٍ واقدام وقد انتصف الليل وخيم عليه ضباب الويل وكسف الثلج المتناثر على رأسي قامت على الارض قيام الجبال الرواسي فكدت لا افرق طريقي من يمينٍ او شمال ورجلي لا تثبت على زلق الجليد الشديد الاهوال فاسودت الدنيا في عيني سواد الليل الادهم فانشدت والفوءاد موءلم

يا ليل حظي مثل وجهك اسودُ   ياليل طرفك مثل ثلجك اربدُ
فكأنك الزنجي حاول قصر جلـ   ـدتـه بثلج بئس ما تتكبدُ
يا ليلتي شفي ويـا ريح اخمدي   قد راعني منك الظلام الاسودُ
لم تبقي لي بصرًا أُميز بنورهِ   شيئًا ولا نفسًا بـهِ اتنهدُ
يا ليلة فيهـا العناصر كلها   قصدت هلاكي والمساعد يرقـدُ

ومن القضاء بأن جعلت فريسةً لجليد ثلجك والدما تتجمدُ
ثلجٌ لقد غطى الشوارع والحمى وعلى المعاهد والربى يتنضدُ
والغيث مندفقٌ يهم بسيله ان يجرف الدنيا وسحب ترعدُ
اجري وسيل الماء يغسل لحيتي والرشح جارٍ من اديمٍ يجهدُ
ثوبي خليجٌ ثم جسمي فلكه فكأنني حوتٌ ببحرٍ يزبدُ
امشي وازلق والجليد معذبي اكبو وانهضُ دون خلٍّ يعضدُ
عجبي لموتي في الثلوج تجمدًا وسعيرُ نيران البلا يتوقدُ
تبًا لعمرٍ ينقضي في سفرةٍ كفني بها ثلجٌ وقبري ابردُ

الثلج

وقلتُ اصف ثلجاً سقط بمدينة منجستر وذلك في اليوم العاشر من شهر شباط لعام ۱۸۸۹ .

كندافِ عهنٍ تنثر القطن قوسهُ تناثر ثلجٌ من قسيّ الطبيعةِ
وبيضَ ارضاً سودتها قبائحٌ ومِوه قاذورات كل الازقةِ
اسرُ بثلجٍ يستجادُ احوراره بهِ تكتسي حور الجنان بجنةِ

فاهلاً بضيفٍ حلَّ ارحب منزلٍ   نقرُّ بهِ عيني ونبهج مهجتي
لقد شبه العشاق بالثلج ظبيهم   واني لقد شبهتُ ثلجاً بظبيتي
فيا ثلج ما ابهى بياضك في الورى   لانت انعكاسٌ عن بياض حبيبتي

السوال والجواب

فارقت الانيس والنديم وهجرت صديقي الحميم لاخوض بحار الحدس واستطلع حقائق ما في خلدي من الهجس · فخلوت بنفسي ذات ليلة قمراء وافترشت فيها الارض بقعةً خضراء على رابية كستها يد الطبيعة محاسن غرّاء وذلك في جزيرة الامراء وكان قد اعتلَّ النسيم وصفا الهواء من السديم · ولما طبت نفساً واسترحت جسماً وحساً اعترضت على نفسي ببعض المسائل ازيد حلها ببعض الدلائل · فبعدما اعملت الفكرة في بحثٍ دقيق واطلت فيه الحدس العميق ادركت انّي لست من فرسان ذلك الميدان فقلت لنفسي: كفاكِ هذا العناء لقد «فسرتِ الماءَ بعد الجهدِ بالماء» ؟ ثم نظمت هذه الابيات بمقام البينات على عجزي واتهامي بالخام من سبقني في اوهامي

كم من سنينٍ مضت والنورُ منتشرُ
والثلج والغيث فوق الارض ينهمرُ
من قبل ما كورت في الجو انجمهُ
ماذا الذي كان في الابهام يستترُ
ماذا الذي فعل الخلاق قبل بنا
دارتْ على محورٍ ذي الشمس والقمرُ
هل من حدودٍ لهذا الكون قد فرضت
ام ليس حدٌّ لهُ يحصى وينحصرُ
من ذا الذي ادرك الكرات من شهبٍ
قد حلقت في اعالي الجو تنتشرُ
ما غايــة الرعدِ والانواء ثائرةٌ
من غيظها الفلك في الابحار تنكسرُ
ما النفع من خلقة الحيوان اجمعــه
ان كان يشقى ولا يبقي ولا يذرُ
ما النفع من بقةٍ تفتنٌ قارصة
ما الخيرُ في قرصة البرغوث ينتظرُ
في اي عهدٍ بدا الانسان من عجلٍ
في قلبهِ كان بذرُ الشب يختمرُ
ما غاية المرء في الدنيا وملحقها
هل جنةٌ ام جحيم النار تستعرُ

هل من خلودٍ لهُ في غير عالمنا

ام كلهُ في تراب اللحدِ ينتخرُ

هذي السوءالات قد اضحت لساعتنا

معقودةً عجزت عن حلها الفكرُ

القاضي العادل

اذا وليَ الاحكام قاضٍ مزورٌ

دفنا حقوق الناس في القبر للحشرِ

فيجلس اذ ذاك الاله بعدلهِ

ويبعث مدفوناً ويأمرُ بالنشرِ

اسفار اهل المدر والحضر

خرجت من لندرة الى بلريس وركبت قطار السكة الحديدية بلا انيس فخطر لبالي الفراق بين اسفار العرب وما هي عليه من الاتعاب

والكرب وبين اسفار الغربيين وما هي عليه من رغد حال مبين ·
فقلت هذه الابيات الاتية في ١٦ نيسان لعام ١٨٨٩

لاسفار اهل البيدِ رحلٌ وهودجٌ
ونوقٌ عليها العربُ تغزو وتسرحُ
ونحن قد اعتضنا عن الكل في السرى
بفلكٍ كحوت البحر تجري وتسبحُ
وفي البر سرنـا في قطارٍ يجرهُ
بخارٌ يحاكيـه العقابُ المجنحُ
يقينا شتاءَ قَرْصَ بردٍ وثلجـهُ
وفي القيظ في ظلٍ نبيتُ ونصبحُ

الدهر

وقلت ابكت الذين يتظلمون من الدهر وطوارقه وذلك بمدينة شيكاغو باميركا :

شكا الناس من دهرٍ ومن سوء اهله
وليس على دهرٍ ملامـة مذنبٍ

رأيت شقاء المرء من سوء نفسهِ
وكل لبيبٍ لا يخالف مذهبي
بلايا الفتى من جهلهِ وخمولهِ
ومن سوء تدبيرٍ بتحصيل مكسبِ
فما الدهر الاَّ المرء في كل حالةٍ
يطيبُ ويشقى في الزمان المقلبِ
وكم نسب الجهال سوء مصيرهم
الى الربِ زورًا جلَّ عن كل معتبِ

الحجة الدامغة

(قلت) لقيني صديق حميم كان أَليفي من عهد قديم ولما صافح كفي لمح باصبعي خاتمين من العسجد مرصعين بالياقوتِ والزبرجد فانكر عليَّ لبس الحلي من باب الزهد فارتجلت لهُ هذين البيتين من باب الرد وذلك بمدينة سان (فرانسسكو) باميركا عام ۱۸۷۲

يقولون: قسٌّ يلبس الحلي والذهب
وذلك في الزهاد من اعجب العجب

فقلت لهم لي الحق في لبس حليةٍ

كما حق للمطران ان يلبس الذهبْ

فان قيلَ : قسٌّ زاهدٌ قلتُ : اسقفٌ

زعيمٌ لقوم الزاهدين ولا عتبْ

الغربة

وقلت اشكو من تغربي عن اخي وانا يومئذٍ في (يوكوهاما) من بلاد اليابان : وذلك عام ١٨٧٣

لقد طالَ بعد الشمل مرُّ فراقنا

وذابت بنار البعد حبة مهجتي

تعرضتْ الابحار بيني وبينكم

تعرُّض حتفٍ بين طبٍّ وعلةٍ

بهذا قضى دهري عليَّ معاندًا

قضاء ظلومٍ لا يردُّ بحجةٍ

ولا تنفع الشكوى اذا كان خصمنا

عدوًّا عنيدًا يستبيحُ خصومتي

أأشكو الى دهري فراق اقاربي
ودهري قديماً كان اصل مصيبتي
اذا يئس المظلوم من نيل حقه
فليس لهُ غير التأسي لمدةِ
فما ظالمٌ الاَّ ويجزى بظلمهِ
ويلقى من الديان شرَّ عقوبةِ
يقولون لي : صبرًا ليوم قيامةٍ
هناك يفوز الصابرون بلقيةِ
اعلل نفسي للقيامةِ باللقا
ولا ينفع التعليلُ والموت آفتي
اذا حان يومي والفراق مرافقي
وجسمي توارى في التراب بغربةِ
قنطتُ ومن لا تعتريه سآمةٌ
اذا كان جمع الشمل بعد المنيةِ
حرمت لذيذ النوم بعد فراقكم
وقرح جفني السهد في كل ليلةِ
فيا بعد دارٍ دار دهري بجوره
عليها وكانت خيرَ دار عشيتي
رعى الله ارضاً قد حلت رياضها
بها غنت الاطيارُ في كل نغمة

سقى الله غيث الخصب مرجاً نزلته
وطابت لك الايام في خير بقعةِ
تمتع بما اولاك مولاك واغتبط
وعش في هناء وارتفاعٍ ونعمةِ
عسى ان يمنّ الله يوماً بفضلهِ
علينا بجمع الشمل في خير بلدةِ

ماء الورد

وقلت اصف استقطار ماء الورد وانا في بلاد البلغار وذلك عام ١٨٨٩
ووردةِ حسنٍ بلها الطلُّ مبكراً
فلاح على الخدين درٌّ تكورا
رآها لفيف الحاسدين فاكمنوا
لها الكيد في قلبٍ من الغيظ شطرا
جنوها على رغم العدالةِ واجتنوا
عليها وما حازتْ نصيراً محرّرا

والقوا لطيف الجسم في سجن طاجنٍ

فذاب وسال الدمع منها معطرا

وقلت اصف فصل الربيع وانا بدمشق سنة ١٨٦٧

تجلى ربيعٌ بالزهور مكللٌ

عليهِ رداءٌ من نسيج الزنابقِ

وتوَّج رأس الورد درٌّ وعسجدٌ

وضرَّج خديهِ احمرارُ الشقائقِ

تقوم على ساق النمو مغارسٌ

وتحيي بروح الغيث روح الخلائقِ

وقلت في بدء الربيع وانا في نابولي من بلاد ايطاليا عام ١٨٨٤

غداة ربيعٍ زهرهُ قد تنورا

وَفياَ ظلُّ الدوحِ مرجاً مخضرا

حللت جناناً طاب فيها نسيمها

وفاح عبيرُ الزهر مسكاً وعنبرا

وفتحَ وردٌ في الكمائم زرهُ

عليهِ الندى كالدر صبحاً تقطرا

بلابل في الاغصان تصدح في الضحى

وطيرُ فراديسٍ تغنى وكبرا

وقلت ايضاً في المعنى وانا بالاستانة في رياض الكاغدخانه في ١٨ ايار لعام ١٨٩١

قالوا : اتى فصل الربيعُ وفتحت
ازهارهُ ووروده تتبسمُ
واحرَّ قلبي ان وردةَ مهجتي
باتت حياءً في الكمائمِ تكتمُ

وقلت ايضاً في المعنى المذكور

ضحكت فتاةٌ في الرياض تدللاً
فانبث من انفاسها حرُّ الربيعْ
فاغترَّ زهر الروض ان ربيعهُ
وافى ففتح حسنهُ ذاك البديعْ

الخريف

وقلت اصف الخريف وانا في جزيرة الامراء (برينكيبو) من ضواحي الاستانة العلية وذلك في ١٧ تشرين الاول لعام ١٨٩٣ يوم خرجت الى التنزه راكباً في زمرة من اخوان الصفاء

نسيمُ خريفٍ لا نسيمَ مثيلهُ

بهِ ينتفي عن كل جسمٍ سقامهُ

يعلل قلب المستهام هبوبهُ

وينعش روحاً وردهُ وخزامهُ

يقينا اناء الليل من شر برغشٍ

ويحجب شمساً في النهار غمامهُ

يطيبُ لنا التسيار في نور بدرهِ

على ظهر مركوبٍ يلين زمامهُ

ركبنا من الخيل الجياد مطهماً

يحاكي نعاماً سيره وقوامهُ

وفينا من الغيد الحسان قلادةٌ

كعقدٍ لآلٍ يستعزُّ مقامهُ

ففنين لحناً قلدتهُ بلابلٌ

وثارَ من القلبِ الشجي هيامهُ

سقى الله غيثاً في الخريف حدائقاً

ودام نعيمٌ واستقرَّ سلامهُ

جزيرة الامراء

وقلت اصف ايضاً جزيرة « برينكيبو » المعروفة بجزيرة الامراء من ضواحي الاستانة العلية يوم دخلتها المرة الاولى وذلك في سلخ شهر تموز لعام ١٨٩٠

جزيرة نعمٍ ليس جزرٌ يحيقها
ومدُّ الملاهي لن يكف ويقفلا
وجنةُ عدنٍ بالمسرةِ خصها
مليكٌ اراد الحسن فيها مكملا
كستها يدُ الخلاق ثوباً منمقا
بزهرٍ يفوح العطر منه تعللا
خزامى وريحان وورد وزنبقٌ
ودوح رياضٍ باخضرارٍ تسربلا
وفيها من التفاح ما ليس مثله
بجنة عدنٍ كان فيها ابو الملا
رأيت بها خوخاً وتيناً ومشمشاً
ولوزاً وكمثرى كذاك سفرجلا

وجوزًا ورمانًا كنهدٍ مكعبٍ
وتوتًا ودراقًا نفيسًا مخملا
بها غردت طير السماء واطربت
وغنت على العود الغواني تغزلا
بها البلبلُ المصداح غنى قصائدًا
وغصنُ رياضٍ بالرياح تميلا
لقد جلت كل الارض شرقًا ومغربًا
وعيناي لم تنظر مناظرَ اجملا
خرجتُ بليلٍ تمَّ بدر سمائه
ورقَّ نسيم ينعش القلب والكلى
ومدَّ على الابحار بدر ضياءهُ
كأنَّ لجينًا بالزمردِ مشملا
اذا هبت الارياح من كل جانبٍ
تجعد وجه البحر منها توجلا
يرف على الماء النسيم جناحه
فيعقد درعًا من لجينٍ مجدلا
اذا غربت شمسٌ رأيت عرائسًا
تبرجن كالبدر المنير اذا انجلى
سرقنَ من الغصن الرطيب قوامهُ
وملنَ كما مال النسيم تدللا

ولما قضينا من هواهنَّ مأربًا

وصرنَ على عزم الغياب عن الملا

رفعنَ من الفلك السريع شراعهُ

يودعنَ خلاً في الجزيرة مهملا

وقلت ايضاً يوم جعلت اقامتي في الجزيرة عام ١٨٩٢

يطيب مقامي في الجزيرة مدوماً

اذا هبَّ من نحو الشمال نسيمها

متى غاب قرص الشمس خلف تلالها

واسفرَ بدرُ التم زاد نعيمها

وكم بتُّ في ظل الغصون منعما

ووردة حسنٍ طاب عندي شميمها

العود احمد

وارتجلت هذه الابيات يوم عدت الى الاوطان بعد غيابي عنها زهاء واحد وعشرين عاماً وذلك سنة ١٨٩٠

الى الوطن المحبوب عودي ومرجعي
على الوطن المهجور طال توجعي
اليه معادي بعد بعدي وغربتي
وفيه ارتياحي بعد بوءسي ومصدعي
كما حنَّ قلب المرضمات على الفطيـ
ـم حنت عليكم يا احبة اضلعي
أَسفت على عمرٍ فقدتُ خياره
بعيداً عن الاوطان عن خير مربعي
أُتيت دياراً طال هجري لاهلها
وطال عليهم في النوى سكب ادمعي
رعى الله يوماً فزت فيه بقربكم
وقمتُ عزيزاً في مقام مرفعِ
لقد قمت فيكم خاطباً ومبشراً
يبشرى اجتماعٍ شنفت كل مسمعِ
وقلت من الشعر الرقيق قوافياً
وخضت بحاراً من كلام مسجعِ
هلموا بنا نقضي فروض ديانةٍ
ونختمْ بشكرٍ ما اتينا بمطلعِ
فتحنا بشعرٍ ما شعرنا ببهجةٍ
ختمنا بشكرٍ شوق قلب مولعِ

لقد قدر المولى بغامض حكمةٍ
الى الوطن المحبوب عودي ومرجعي

لواء الخلافة

تسمي الترك «لواء الخلافة» بالبيرق · ولونه عندهم اخضر · وتمتقد انه لواء النبي محمد وانهُ عين اللواء الذي اعطاه اياه الملك جبرائيل وثيقةً للانتصار على المشركين واعداء الاسلام · وحفظت السلاطين العثمانيون هذا اللواء الاخضر بادىء بدء في الخزانة السلطانية بالقسطنطينية · اما الان فهو مذخور في جامع ايوب الانصاري احد الصحابة · وهو الجامع الذي يتقلد السلاطين سيف الملك والخلافة فيه · وقد فرضت احكام الدين على كل سلطان تبوأ سرير الملك ان يأمر ايمة الدين بنشر لواء الخلافة امام الجيش والامة والمناداة «بالجهاد» متى ثارت حرب على المسلمين او ثارت فتنة من العصاة على امير المؤمنين · ومن فروض الايمة ان يحثوا كل من آمن بالله ورسوله على الذود عن الدين والملك ولو كان بسفك دمائهم وبذل ارواحهم · وهذه «خلاصة»

الخطبة التي تتلوها الايمة على الامة حينما ينشر لواء الجهاد « ايها المومنون · هنذا لواء النبي (صلعم) هذا هو لواء الخلافة · فقد انتصب امامكم وانتشر فوق روءوسكم نذيرًا لكم بان دينكم وملككم في خطر مبين · ونساءكم واولادكم هدفٌ للسبي والفضيحة . واموالكم واراضيكم غنيمة للعدو · فكل مسلم بالغ لا يحمل السلاح ويلحق بلواء الخلافة ويجاهد في سبيل الله كافرٌ يجازى بالموت » · فايُّ مومنٍ بالله ورسوله يسمع هذه الخطبة الحماسية المؤثرة ولا تشتد عزائمه على الجهاد والدفاع ؟ ولا سيما من كان من وثيق عقائده ان من قتل في الحرب على الغيرة مات شهيدًا · ومن عاش على الغيرة غزا العدو ونصر الدين ونصره الله في الدنيا وجعل الجنة مثواه في الاخرة

وقد اتفق المسلمون الثقات على ان المسلمين قاطبةً قد جلوا لواء الخلافة اجلالاً عظيمًا من قديم الزمان واهتموا بحفظهِ الاهتمام التام · وكانت طائفة الانكيشارية تهاب سطوة هذا اللواء وترتعد فرائصهم خوفًا من نشرهِ · وكان خوفها هذا الجاءًا لها يكبحها عن القيام على السلاطين · قيل : كانت السلاطين في الزمان القديم تفرض على الاجانب من النصارى النازلين بالقسطنطينية ان يسبلوا الستائر على نوافذ منازلهم قبل مرور لواء الخلافة بها · وروى الثقات ان جماعةً من الافرنج خالفت امر السلطان في هذا الشان فعوقبت بالموت·

اما حديث هذا اللواءِ فعجيب · قيل : لما هاجر محمد من مكة في جماعة من الانصار حلَّ بهم « بقباء » وخطب فيهم خطبة حماسية

اضرمت نار الغيرة في نفوسهم وخرّوا الى الارض علي ركبهم وجددوا ايمانهم برسالتهِ. ثم قام « سلمة » وقد اخذت الغيرة منه كل مأخذ ونزع عمامته عن رأسه وربط احد طرفيها الى رأس رمحه ورفعها الى « محمد » بمثابة راية النصر . فاخذها منه وصار يحملها في طليعة الجيش في بدء غزواته . ثم اعطاها « حمزة » في السنة الثانية عشرة للهجرة . ثم تشرف عم الرسول وعلي بحملها يوم دخل « محمد » مكة مظفرًا .

اما اللواء المصنوع من القماش الاخضر اللون والمذخور اليوم في جامع ايوب الانصاري بالاستانة فقد اختلف الرواة في امره . فمنهم من اثبته لمحمد ومنهم من انكره عليه . اما نحن فلا نخوض عباب هذه القضية وانما نقتصر علي ايراد بعض مواد تاريخية وثيقة في شأن هذا اللواء ونقول : لقد ضرب صفحاً الكتبة الذين حبروا سيرة محمد مع المؤرخين الثقات من المسلمين وغير المسلمين عن ذكر « لواء اخضر » . فقال الشيخ جرجس المكين « حمل محمد في ٢٥ غزوة غزاها رايتين » الاولى منهما « سوداء » سماها « العقاب » . والثانية « بيضاء » سماها « اللواء » . ولم يأتِ هذا المؤرخ بذكر رايةٍ « خضراء » . اما السلاطين من بني عثمان فاتخذوا لهم رايات من الوان مختلفة وطرزوا في نسيجها ايات واقوال شتى . قيل : اغتنم بعض من طوائف النصارى بعضاً من هذه الرايات في حروبهم مع العثمانيين . فاغتنم ملك « بولونيا » راية عثمانية سنة ١٦٨٣ للميلاد . ثم اعطاها بابا رومه . وكان ديباج تلك الراية منسوجاً بقصب من اسلاك الذهب والحرير الاحمر . وكانت حواشيها من

القسيج المطرز باسلاك من فضة وحرير اخضر · وكانت على احدى جهتي الراية كتابة بالقلم العربي هكذا

لا إلهَ الاّ الله وان محمدًا رسول الله

وكان مكتوبًا على الجهة الثانية

ما شاء الله · النصرَ من الله · ايها المؤمنون اتقوا الله وقووا ايمانكم

ثم اغتنم البنادقة راية اخرى سنة ١٦٨٥ للميلاد في جملةٍ من الرايات الصغيرة · وامر مجلس الشورى ان تحفظ تلك الراية الكبرى منشورة في كنيسة الرهبان بالبندقية · وكان على احدى جهتي الراية بالقلم العربي ما يأتي

باسم العلي القدير · الله رب الامم والانبياء والصحابة الكرام محمد ابو بكر عمر عثمان وعلي

وكان على جهتها الثانية

لا اله الا الله وان محمدًا رسول الله · يا الله انت الخير الاسمى انتَ ربُّ الامم

فقد ترجح عند المدققين في حقائق التاريخ ان الرايتين المذكورتين كانتا غير رايتي محمد «العقاب» و«اللواء» المشار اليهما قبلاً · فان

هاتين الرايتين لم تقعا في ايدي مغتنم ولكن لا يعرف ماذا طرأ عليهما من طوارق الزمان

اما «البيرق» العثماني المحفوظ في جامع ايوب الانصاري بالاستانة فهو كناية عن « لواء الخلافة » النبوية التي انتهت الى السلاطين العثمانيين من الخلفاء العباسية بواسطة السلطان سليم الغازي سنة ٩٣٢ للهجرة وما زالوا الى الان يحافظون عليها ويناضلون عنها · ولاجل ذلك كان سلاطين آل عثمان من قديم الزمان يبادرون الى نشر « بيرق الخلافة » كل مرةٍ ثارت حرب عليهم من الاجانب ليستفزوا همة اخوانهم من المسلمين ويستحثوهم على الغيرة والحماسة في الجهاد والدفاع عن الدين والملك وفي بذل المال واعتقال السيوف حمايةً للذمار · ولا عجب من ذلك · فقد جرى مثل هذا في غير الاسلام ايضاً · وقد سبقهم الى ذلك اليهود في عهد المقابيين وحملوا في حروبهم مع اعداء بلادهم رايةً موسومةً بالقلم العبراني بما تعريبه « ميخائيل » وتأويله « من مثل الله » · وتبعهم النصارى في الحروب الصليبية · ولذلك قلت في « لواء الخلافة » الابيات الاتية وذلك بالاستانة العلية سنة ١٩٠١ للميلاد

النظم

الله اكبرُ يا محمدُ كبرِ
هذا لواء الدين والملكِ ابشرِ

بعمامةٍ بيضاء جاءك سلمةٌ
في رأس رمحٍ مثلها لم يُنشرِ
جبريلُ وافى « بالعقاب » مناديًا
فتحٌ قريبٌ في الوغى لا تحذرِ
هـذا لواءٌ بالفتوح مطرزٌ
مَن في حمايتهِ يقاتل ينصرِ
يا ايها العلم المظفر في الوغى
قد كنتَ في الغزوات اول منذرِ
ان « العقاب » ومثله علم « اللوا »
لم يغنما من مشركٍ او مفترِ
اختارتِ الاتراك يوم كريهةٍ
علمًا جديدًا من نسيج اخضرِ
آياتُ نصرٍ سطرتْ باصابع الـ
رحمان في ديباج خزٍ احمرِ
« عبد الحميد » المجتبى قمْ واتئدْ
بالله واحمِ حياض ملكٍ اكبرِ
واقدم بجيشٍ درعه دين النبي
نادى على الاشهادِ فوقَ المنبرِ
اغزوا وذودوا عن حياض ديانة
من في الوغى يسقطْ شهيدًا يقبرِ

القصيدة القطارية

في

جل المحاسن النسائية

نظمتها في وصف صديقتي (هلدا جيمن) الارلندية في قصةٍ جرتْ لي معها يوم تعارفنا المرَّة الاولى ونحن مسافران بقطار السكة الحديدية من لندن الى بعضٍ من ضواحيها وذلك في الخامس والعشرين من شهر تشرين الاول لعام ١٨٧٩ فقلت :

أَزمعتُ الشخوص من داري الى ضواحي المدينة لأَشهد بها يوم الزينة فركبت قطار طريق الحديد وقد لاح لي برقُ عيد ولما طويتُ من الارض زهاء ثلث مراحل وجزت القرى وثغور السواحل وانا بلا خلٍ أَنيس ولا في حجرتي من جليس حطَّ بي القطار في المرحلة الرابعة نحو الساعة السابعة واذ اقبلت فتاة من المحصنات وخرودٌ من المخدَّرات عليها اثر النعمة والجمال وقد زانها الادب والكمال تريد السفر بلا حشمٍ ولا خفر فولجت حجرة القطار وجلست حذائي في

وقار وكان قناعها الرفيع يشف عن جمال بديع ثم اطرقت اطراق حشمةٍ حتى قام القطار وابتعد عن الديار ولما أجزنا ساحة الاحياء وانتحى بنا بطنُ الخلاء ازاحت القناع عن جبينها الوضاح وخلعت الوشاح فلاح منها ما لاح وظهرت حورية من الغواني الملاح فذهب حسنها الفتاك بقلبي ولفحت نارُ خديها صميم لبي فما تمالكت ان ابتدرتها بالتحية والخطاب ولطفت بها على اصول الآداب فردَّت سلامي بحشمة ورقة وقام السلام مقام مفتاح الحديث والقصة فتجاذبنا اطراف كلام كالدرر الغرر ولله در من قال واول الغيث قطرٌ ثم ينهمرُ ولما نعق فينا غرابُ البين وفارقتها مغبونًا وعدت بخفي حنين نسجت ذلك بردةً في جنسها فريدة واودعت محاسنها قوافي هذه القصيدة

﴿ النظم ﴾

الخدُّ

اسيلة خدٍ افتديها بمهجتي مهاةٌ تصيدُ العاشقين بلحظةِ
مليكة حسنٍ ذات عزٍ وشوكةٍ عليها من الديباج الفخر حلةِ

التاج والقرط

تجلت بتاجٍ من لآلٍ وعسجدٍ وقرطٍ ثمينٍ ذي فصوصٍ كريمةِ

الفرق والطرة

وغرَّ هلال العيد من افق فرقها فلاحَ سناءُ البدر من سين طرةِ

الجبين

جبينٌ صبوحٌ لو تصبح عابدٌ به سبح الخلاق في كل ركعةِ

اللحظ

رعت بين ريمٍ في الفلاة غزالةٌ   حكى لحظها لحظ المهى بتلفتِ

الوجه

تفتح وردٌ في كمائم وجهها   فولى شقيقٌ يرتدي ثوب خجلةِ

الطلعة

بضاضة خدٍ في بشاشة طلعةٍ   تقطر منها ماء حسنٍ ونضرةِ

الحاجب

لها حاجبٌ كالقوس يرشق اسهماً   تمزق احشاء المعنى برميةِ
ولو افرغ النقاش جعبة فكرهِ   لما خط قوساً شبه ذاك بريشةِ
نعم انها قوسٌ تنفذ نبلها   بلا وترٍ فيها يناط بعقدةِ
وقوس جفونٍ كسرتها صبابةٌ   ارى النصل منها نصل قوس صحيحةِ
ومن ذا رأى قوساً تكسر قابها   تنفذُ سهماً لا يخلُ برشقة
فترشقُ سهم اللحظ رشق صواعق   فينفذُ كبداً تحت درعٍ وصدرةِ
واعجب من هذا وذاك فانها   لقوسٌ غدا الرامي بها لحظ ظبيةِ
وما زادني بين الغرائب دهشةً   نصالُ سهامٍ من شهابٍ بمقلةِ
ومن عجبي ظبي يصيدُ بلحظةٍ   اسوداً لعمري لا تصادُ بحربةِ

الجفن والهدب

وهدبٌ طويلٌ فوق جفنٍ مكحلٍ   بمكحلة الخلاق ليس بصنعةِ

الطرف والغمز

وطرفٌ مصابٌ بالفتور صبابةً   يصبُّ بهِ قلب المعنى بغمزةِ

فواعجبي من لطفِ طرفٍ ممرضٍ   يصول على الابطال من غير حملةِ

الفحصة والنونة

وفي كل خدٍ فحصةٌ مثل جنبذٍ   وفي ذقنها المخروط زهرة نونـةِ

الخال

على عرش باهي الخدخالٌ قداستوى   يسودُ على اهل الغرام بسطوةِ

الاذن

وأذنٌ كاصداف اللآلي انيقةٌ   يحلُّ بها الدرُّ الثمين بقيمةِ

الانف

وانفٌ جميلٌ لو رآهُ مصورٌ   لقال: مثالاً قد وجدتُ لمهنتي

الفم

وثغرٌ بشكل القلب بادٍ مُلممٌ   عليه من المرجان اجملُ حليةِ

الاسنان

عقيقٌ يمانيٌّ جلتهُ ورصعت   بهِ الدرَّ في طرز الهلال بقدرةِ

العنق

وعنقٌ كعنق الظبي طاب عناقهُ   تحلى بعقدٍ من لآلٍ يتيمةِ

الصدر

وصدرٌ صقيلٌ كالسجنجل مخجلٍ   يميدُ كموجٍ في ارتفاعٍ وخفضةِ

الثدي

تفلك فيه كوكبان بقدرةٍ   يقيمان في صدر الكمال بعزَّةِ

الحلمة

وفتح فيه الجلنار موردًا على ز، رمان النهود كجمرة

النهود

نهود براها دون نقص إلهها وما نقصت حسنًا سوى حسن لثمة
تباهت بنهدي صدرها حين اسفرت جيوب قميص في دلال و بهجة
وقالت: لك التسبيح ربي وخالقي لقد زدت حسني في نهود فليكة
غرست جنان الصدر جنة عاشق فليس يراها جاحد حسن وجنتي
خاقت الهي الصدر مني حديقة بها عقد الرمان اكمل عقدة
فصدري ورماني وجيدي وماحوى لجنة عدن بالمكاره حفت
ولولا تعنى في غرامي عاشقي لما نال حظًا من نعيمي وغبطتي
فباتت بعقد النهد عيني قريرة كما قرّ عينًا من رماه بنظرة

المعصم والانمل

لها معصم مثل اللجين وانمل اذا مسها المسقوم فاز بصحة

الساعد

على الساعد الملآن ضاق سوارها وخاتم ياقوت باصبع فضة

الردف

وردف اذا ماست تموج واستوى على متنه كشح نحيل بفطرة

القد

وقد اذا قامت حسبت قوامه قناة متى هب النسيم تثنت

الرجل والساق

لها ارجلٌ مثل الغزال لطيفـة   وساقٌ كانبوب القناةِ بجدلةِ

الشعر

تمايل منها غصنُ بانٍ رشاقةً   بفرعٍ الى الخلخال طال بوفرةِ

الضفيرة

اذا استرسلته يوم ريحٍ تباهياً   تشتت بالنكباء شمل الضفيرةِ
وان جدلته ارسلته سلاسلاً   تسلسلُ قلب المستهام بربقـةِ

الملمس

لها ملمس مثل الدمقس نعومـةً   على جسمها الملهالُ شفٌ برقةِ
تضوّع منها نشر مسكٍ متى مشت   معطرة الاردان تنعش مهجتي
مشت مشي ظبيٍ في كمال وحشمة   تريد قطاراً مستعـداً لسفرةِ
نحت نحو قطرٍ كنت فيه بوحدة   فسلتْ وحيداً في مشقة وحشةِ

***

ولما التقينا في القطار سويـةً
وسرنـا على خط الحديدِ بسرعـةِ
خلوتُ اليها عن رقيبٍ بمعزلٍ
وطابت لنا الاوقات في خير خلوةِ
وعاقدتُ خلي في الخلاء فلم يكن
شهودي عليـه غير صدق مودتي

فزاحت لثاماً كان يغشى جبينها
فلاحَ ضياء البدر من فرق غرَّةِ
فقلتُ لها : نعمَ الرفيق رفيقتي
عسى ان يكون اليوم يومَ مسرةِ
فردت سلامي بابتسام وحشمةٍ
وقالت : لنا البشرى باسعد رحلةِ
ومدَّت يميناً مثل ثلجٍ بياضها
تصافح كفي في ودادٍ وحشمةِ
فاحرزتها بين الجوانح بالجوى
وقبلتها تقبيل صبٍّ بلوعةِ
وفزتُ بما قاسى السقام لفقده
حبيبُ « سعادٍ » او « جميلُ » « بثينةِ »
وحزتُ نعيماً خاب منهُ بحسرةٍ
قتيلٌ تغنى في هوى العامريةِ
فلاح ابتسام فوق ثغر به اللمى
كياقوتةٍ نيليةٍ ضمن حقةِ
وقالت : وقد كاد الحياء يسودها :
أهذي فعالُ الحرِ مع خير حرَّةِ ؟
فقلت لها : عذري لديكِ صبابتي
فمثلي مفتونٌ بمثلكِ فتنتي

فقالت : «أَما عنكَ الغواية تنجلي»
وانتَ غريبٌ بين ايدٍ غريبةِ

فقلت لها : حبي الطيور فانها
على شكلها تهوى بلا سبق عرْفةِ

واني غريب فيك افنى صبابةً
فحني على من عاش صبّاً بغربةِ

فمالت وقد مسَّ الفؤاد تضرعي
ومنتْ بلثمٍ بعد لثمٍ ولثمةِ

مهفهفة دلت عليَّ تغنجاً
تصدُّ وتعطي في سماحٍ وضنةِ

وكنت اذا كفت حديثاً اضمها
وارشف صهباء الشفاهِ بلذةِ

واشغل فكري في بديع جمالها
وارتعُ في فردوس شمٍ وضمةِ

فباتت تسليني بلطف حديثها
وتسحر عقلي بالمعاني الرقيقةِ

وبتنا كلانا في نعيم مودةٍ
رفيقين في نادي الغرام بخلوةِ

***

ولما دنا وقت الفراق ضممتها
وقلت : أتبغين البقاء برفقتي ؟
فقالت : كفى ما نلتَ من وصل غادةٍ
بغير امتنانٍ او تشكر نعمةِ
ولكن اذا رمتَ اللقاء مجدداً
فدونك عنواني ووصفي وبلدتي
ففزت بلثمٍ من ورودٍ ونرجسٍ
وودعت خلاً شق قلبي بفرقـةِ
فاحنت وحيت ثم قامت وودعت
واودع كبدي بعدها حرّ جمرةِ
وراحت وراح الطرفُ يتبع اثرها
وقلبي عليها في التياعٍ وزفرةِ
وغابت وغاب العقل فيها مُدلهاً
ودمعي على الخدين جارٍ بحرقـةِ

***

ولما طوى عني الزمان حديثها
وزاد النوى شوقي الى خير خلتي
بعثت رسول الحب يحملُ رقعـةً
ليسألَ عنها في الديار بدقـةِ

فطاف رسولي في البلاد منقباً
بجدٍ وجهدٍ عن مقام حبيبتي

فحين اتاها الخط مني تنهدت
وفضت غلافاً كي تطالع رقعتي

تساقط درُّ الطلّ من غض نرجسٍ
وضرَّست البلور شوقاً بدرَّةٍ

وخطت سطوراً ضمختها بعنبرٍ
وحيتْ بها المحبوب خير تحيةٍ

وضمت الى المكتوبِ سبعة اشعرٍ
تبيحُ بما قاست لبعدي وفرقتي

وقالت من الشعر الرقيق قوافياً
لها في فؤاد الصبِ اعذبُ نغمةٍ :

« لقد بتُّ في شوقٍ شديدٍ اليكمو
وقلبي غدا في قيد حب ولوعةٍ

« واضرمَ بعدُ الدارِ ناراً باضلعي
اذابت فؤادي واستباحت منيتي

« وزاد اشتياقي بازدياد تغربي
وشقّ فراق الحب لبي ومهجتي

« واقضي اذا جنّ الدجى طول ليلتي
بفكرٍ ووسواسٍ وهمٍ ومحنةٍ

« واذكر اوقاتٍ وساعات نزهـةٍ
تمتعتُ فيها حينَ كنت برفقتي
« واذرف من عيني دموع مسرةٍ
خيالك ان وافى اليَّ بهجعةٍ
« سانحو متى هلَّ الهلالُ مقامكم
واقضي مرامي من هواكم بعودةٍ
فقبلت ذاك الخط ثم بللتهُ
بدمعٍ سخينٍ سال من فيض مقلتي
وفاح من الطرس المعطر نشرهُ
وطيبَ انفاسي بطيب حبيبتي

***

ولما انقضت ايام وعدٍ رأيتها
على الباب في ثوبٍ ثمينٍ وحليةٍ
تقول: وقد زان الجمال ابتسامها :
أَيدخل محبوبٌ اتاكَ بوعدةٍ ؟
فقلت لها : اهلاً وسهلاً ومرحباً
وقبلتُ ثغراً مرةً بعد مرةٍ
وسرتُ بها كفاً بكفٍ اقودها
وقلتُ لها : هذي ديارك خلتي

حللت وحلَّ الخير عندي مضاعفاً
يقيناً لقد زينتِ داري وحجرتي
وزالت همومي يوم جُدتِ بعودةٍ
وغاص فؤادي في بحور المسرة
وحين جلسنا زحتُ عنها وشاحها
وخففت عنها ثقل شعثٍ وسفرةِ
فقالت : لقد خففت ثقل مشقتي
وفرَّجت عن قلبي زفيري وكربتي
جزاكَ بخيرٍ ربٌ فضلٍ ونعمةٍ
ودمتَ سليماً في ودادي وصحبتي

***

ولما استراحت واستطابت نعيمها اشارت الى الاوتار تطلب سلوتي
فدوزنت القانون دوزان قينةٍ ودقت على الاوتار اعذب نغمةٍ
وغنت غناءً هيج القلب قدهُ كورقاء تشدو فوق اغصان دوحةٍ :
« أئنُ من الشوق الذي شق مهجتي انينَ عليل لا يداوى بوصفة
« « لقد زعموا ان الحبيب اذا دنا» يملُ فضلوا عن سراط الحقيقة
« فان وصال الحب ينعش مهجتي ويشفي غليلي من ظماء وحرقةٍ
« فوصلك فردوسي وقربك جنتي ووجهك محرابي وشخصك قبلتي
« فيا ليت ساعات الوصال مديدة ووقت التنائي عنك اقصر مدةٍ
« وليت ليالي القرب تخلدُ سرمداً وحبك انسي طول يومي وليلتي

« ويا ليت روحي في هواك اسيرة ... وليتك مولى قد تملك مهجتي
« ويا ليتني ورد تفتح زره ... واطيار اسحار تقبل وجنتي
« ويا ليتني مثل البنفسج نشأة ... يصح بشمي من دهته محبتي
« ويا ليتني زهر الخزامى بجنة ... أطيب قلب المستهام بنفحتي
« ويا ليت وجهي كالشقيق نضارة ... وثغري بهار في شميم ونكهة
« ويا ليت خدي وردة عندمية ... وعنقود كافور وزهرة بقعة
« ويا ليتني ورقاء اشدو بدوحة ... وليتك بان في رياض اريضة
« وددتك من يوم التقيتك صدفة ... فيا سعد يوم كان اول نعمة
« وجدتك يا خير المحبين منصفاً ... وداد فتاة انصفتك واوفت
« وحين جفوني طار عنها رقادها ... وارقت من شوقي اليك ولوعتي
« رشفت رضاب الثغر منك معنبرا ... بكاس شفاه من عقيق وفضة
« اذا جن ليلي كنت لي خير مونس ... ووجهك بدري في غياهب دجنة
« وقربك احلى من سلاف وكوثر ... وريقك راحي في رقادي ويقظتي
« يمينك عقدي والشمال وسادتي ... ودقات قلبي في فوءادك دقت
« متى صاح ديك الصبح قلت بحسرة ... جزيت غراب البين شرًا لفرقتي
« بقربك دهري مثل طرفة لحظة ... وبعدك عني ساعة مثل حقبة
وليلي نهار ان رأيتك حاضرا ... وان غبت فالايام اطول دجنة
وشدوي لذيذ في سماعك منيتي ... وصوتي رخيم مثل ورقاء دوحة
اذا كنت في قربي ثلجت جوانحي ... وان بنت عني شق بعدك مهجتي
حياتي وموتي في هواك سعادة ... وانت نعيمي في جحيم وجنة

واعظم حظي ان احبك يا منى   فؤادي واهوى في هواك منيتي
وكيف فؤادي لا يحبك جهده   وانت مقيم في جناني وفكرتي

***

فلما انتهت من عزفِ عودٍ ونغمةٍ
لثمت عقيقَ الثغر شكرًا لنعمةٍ
وخلت جدار الدارِ كادَ بسقفهِ
يُصفق تحبيذًا لعودٍ ونغمةٍ
وهزَّ جناني من رخيم غنائها
سرورٌ وطابت بالنشائد ليلتي
فقلت لها: احسنتِ يا طير جنةٍ
واذهبتِ عني كل غمي وكربتي
فلا فضَّ فوكِ العسجدي حبيبتي
ولا عاش من يهجوكِ جورًا بكلمةٍ
فمثلكِ شادٍ في البرية ما شدا
ومثلي لم يسمع كمثلك قينتي
فانتِ نعيمُ القلب انت نديمه
وصوتكِ عودي والنشائد خمرتي
فيا ليت ليل العمر دام نعيمه
بوصلِ حبيبٍ حبهُ اصل غبطتي

ودامت ليالي العزف ما دام عمرنا
ودامت لكِ الافراح ما دمت فرحتي
ويا ليت دام الوصل يجمع شملنا
على رغم انف الحاسدين بجنةِ

***

ولما وعت سحر الكلام تبسمت
وماست دلالاً في سرورٍ وبهجةِ
وناطت ذراعيها بعنقي وقبلت
وقالت : يقيناً في هواك منيتي
اطعتكِ في قيد الحياة وفي الردى
وانت مليك مستبدٌ بامرةِ
ولكن دعاءٌ لي اليك فجارني
رجوتك باسم الحبِ دار فضيحتي
عليك بكتمان الغرام عن الورى
ولا تفشِ سراً من حديثي وقصتي
اذا شاع بين الناس سرُّ زيارتي
وادرك قومي شرَّ فعلي وزلتي
حرمتُ ودادَ الوالدين ومنزلاً
نشأتُ بهِ في مهد عزٍ ونعمةِ

فقلت لها : لا بأس ان غرامنا
غرام عذارى من قبيلة عذرةِ
سارعى الهوى العذري عمري وان امت
رعته عظامي للنشور بتربتي
فلا تخنشي مني فاني امرؤٌ
اذا قال قولاً كان عين الحقيقةِ
اتيت دياري في شعارِ بكارةٍ
وعدت خروداً في قلائد عفةِ

الخال

وقلت في فتاة رأَيت خالاً على الجانب الايسر من شفتها العلياءَ
وذلك في مدينة « برمنكهام » في ٨ نيسان سنة ١٨٨٧

وثغر سباني بالملاحـة والفلجْ
على بابهِ عبد من الزنج قد درَجْ

فقلتُ لهُ : يا عمِّ انك حارس
على باب بستانٍ به الخوخ قد نضجْ
فقال : انا خال كفيل بقاصرٍ
اصدُّ دخيلاً عن شفاه اذا عرَجْ

باكورة الصبا

هذا اول شعر قلته وانا صبيٌّ وذلك بمدينة حلب سنة ١٨٥٢

يا من غدا في فكرتي لا يبرحُ
مالي اراك بسيف صدك تجرحُ
ان كنت تأبى ودَّ صبٍ قد غدت
منه الحشاشة بالمودة تطفحُ
قل لي ارتحل عن ساحتي يا صاحبي
واطلب فتى غيري لحبك يصلحُ

او كنت خلاً في المودة صادقاً

واخا الوفا وعن الولا لا تجنحُ

انعم عليَّ بنظرة تشفي الجوى

وارفق بقلبٍ حالهُ لا يشرحُ

ان كان اسري في هواك جنايةً

لك قلب محبوبٍ يرق ويصفحُ

اسفي على دمعٍ جرى من مقلتي

فوق الخدود العندمية يسفحُ

ارحم خليلي وجد صبٍ مخلصٍ

تبع الغرام وعق خلاً ينصحُ

وبلي بكبدٍ قرحتها اوعةٌ

منذُ الصبا فيها زنادك تقدحُ

نكث العهود

عرفت فتاة من الغيد الحسان كأنها حورية من مقاصير الجنان ثم تفارقنا على وعد بان نراعي الذمام ونحفظ العهد فكان منها ان اخلفت العهود وماطلت الوعود فبينا انا سائرٌ يوم عيد في قطار سكة

الحديد واذا بفتاة اقبلت تتهادى وهي مسرعة ودخلت القطار وجلست متربعة فأمعنت فيها النظر فاذا هي فتاتي المعهودة وخليلتي المفقودة وضالتي المنشودة ولما لم يكن ثمة بيننا رقيب ابتدرتها بالعتاب واطلت في هذا البحث الخطاب وعنفتها على صرم حبال الوصال فاعتذرت عذر المحال واثرت حسم الجدال فانشدها لسان حالي في ارتجال قبل بلوغنا مدينة (فرسال) من بلاد الفرنسيس وذلك في ١٥ شباط عام١٨٨٦

يامود خنت العهد حين هجرتني

يامود صنت العهد منذ عرفتني

ما اطيب اليوم الذي وافيتني

وامر يوم خنتني وهجرتني

يوماً لمحت ضياء وجهك ساطعاً

فهويتُ ذاك الوجه منذ لمحتني

يا ليت ما وجد الغرام بمهجتي

حظاً وليتك ما اتيت فزرتني

يامودُ مات القلب فيك تصبباً

فلعلَّ يحيي القلب ان واصلتني

اذكى فؤادي منك هجرٌ محرقٌ

يامود ما جرمي ؟ لما أَحرقتني ؟

هلاَّ علمت تحببي وتوجدي

هلا عرفت توجعي فرحمتني

هلاّ ذكرت الوعدَ يوم فراقنا
أفهل نسيتِ الوعد ثم نسيتني

لا حمّل الخلاق نفساً حملتي
يكفي وربِّ العرش ما حمّلتني

ان كان وجدي في هواك جنايةً
فجنيت قبلي يوم قلت: وددتني

ذنبي وذنبك في الغرام تساويا
فعذرتُ ذنبك ليت انتِ عذرتني



الغفوة

غمضت جفوني حين غضت لحاظها
وساد سبات النوم طرفنا مثقلا

وسرنا على خط الحديد بمركبٍ
يقلُّ كلينا في حثيثٍ تنقلا

وقلت في فتاة من البندقية يقال لها (ليزا) سنة ١٨٨١

لما تفلك في الترائب نهدها
فعشقتها والغصن يعشق مثمرا
وبدت بثوبٍ احمرٍ فهويتها
لما علمت الحسن يلبس احمرا
وتدفقت كأس الرضاب عذوبةً
فرشفتُ من ثغر الحبيب الكوثرا

﴿ الثغر ﴾

وقلت اصف فم ظبية من الفرنسيس وذلك بمدينة ليون عام ١٨٨٤

وخاتم مرجانٍ مصوغٍ بصنعةٍ
حكى ثغر ظبيٍ بالملاحةِ والبها
عقيق انيق باللآلي مرصعٌ
صغيرٌ ولكن بالتبسم قد زها
لطيفُ شفاهٍ راح خمر رضابـهِ
نروحُ بهِ سكرى وقد سلب النهى

﴿ الحب نوخذان ﴾

وقلت في صورة بديعة كان (كومان) المصور البارع قد رسمها وسماها باللغة الفرنسوية «امور بيلوط» [L'Amour Pilote] ومغزاها (الحب نوخذان) ثم علقها في دار التحف المعروفة باسم (صالون دولوفر) بباريس وكان موضوع تلك الصورة فتاة حسناء ذات شعر اشقر طويل منتشر على منكبيها وهي مضطجعة وحدها في سفينة قد صار ربانها (كوبيد) المعروف في اساطير اليونان بمعبود العشق · وكان المصور قد رسم السفينة كأنها تمخر في بحر عجاج متلاطم بالامواج من شدة الرياح الخافقة تحت سماء قد تلبدت في جوه غيوم كثيفة · وكنت قد اصطحبت معي من باريس نسخةً من تلك الصورة البديعة وجعلتها في غرفة القلم ثم علقت عليها هذه الابيات

الى اي قطرٍ والصبية ترقدُ
تسير بها يا حبُّ والبحر يزبدُ
تهدد انوآءٌ سخيف سفينةٍ
وتخفق ارياحٌ وجوُّك يرعدُ
فمَن ذا الذي يدري مصير صبيةٍ
تسير بفلكٍ والغرام يعربدُ

بحار غرامٍ لا يحد قرارهـا
واموإج ذاك البحر تدني وتصعدُ
تولى بلطفٍ يا حفيظ غزالةً
وصفها بليلٍ والكواكب تشهدُ
وبلغ فتاةً دار أمنٍ وغبطةٍ
فانك ربٌّ في المصائب تقصدُ

النذم

(القصة) وردت عليَّ الوكة · بختم الود ملكوكة · من خرود زهت بالجمال · وتفرَّدت بالكمال · تعزم بها عليَّ بالذهاب الى دارها الزهية · واعتمار مشاعرها البهية · فسهوتُ عن لطيف بطاقتها · والتهيت بترهاتٍ عن زيارتها · فشكت امري الى صديق لي · فجاءني موءنباً على سوء فعلي · فاعتذرت على سهوي لديه · وكلفت من باب المودة اليه : ان يعذرني لديها · ويشعرها بعزمي على الذهاب اليها · ففعل وفعلت · وحين وقفت بين يديها قلت · وذلك في مدينة فيلادلفيا باميركا الشمالية

ساقرع سني (مرغريت) ندامة على فرصة فيها فقدت وصالكِ
سهوت بجهل عن كتابٍ بعثتـه ترومين فيه ان اجيب سؤالك
ولما صحوت من ذهولي وسكرتي ندمت على اني صرمت حبالك
طرقتك يوماً في حيـاء وخجلةٍ احجك في شوق واقصـد آلك
فلاح ابتسام فوق ثغرك عندمـا رمقتُ بعينيَّ ابتهاج جمالك
رميت فؤادي (مرغريت) بلحظة وفوقت فيه من قسيٍّ نصالك
فيا سعد يوم كنت فيه منعماً بلطف حديث واحتملت دلالك
نثرت كلاماً نثر درٍ وعسجدٍ وصغتُ من الاثنين جوهرةً لك
سلبت بلطف النطق عقلي ومهجتي فافحمت من خوفي وهبت جدالك

ليلة في جبال حملايا

وقلت تشبباً بصديقتي « لالا » الاميرة الهندية وانا ارعى النجم والبدر في جبال حملايا بالهند الشرقي وذلك في ١٥ كانون الثاني عام ١٨٨٤

ابت القريحة ان تشبه بالقمرْ وجه الحبيب المستنير اذا ابتكرْ

ان اسفرت ليلاً زرت بسنائه　　وكست محياه فغاب عن البصر
فاق الشموس ضياء طلعتها الذي　　منه الشموس تنال نوراً في السحر
والنجم يحسد مقلتيها غيرةً　　من طرفها امُّ المجرة تستجر
والورد يرصد في الكمائم نومها　　من خدها كي يسرق اللون الاغر
لم يخلق الرحمن حسناً في الورى　　كجمال (لالا) في البداوة والحضر
هي كعبة الحسن البديع وركنه　　من قال: ماطاف المشاعر قد كفر
هي نُزهة الدنيا وجل مآربي　　في قربها يسلو المتيم من هجر
لن يدخل الفردوس جاحد حسنها　　والجاحدون مقرهم وادي سقر

﴾ محابر كتابٍ ﴿

وقلت في عيني فتاة يقال لها مس (بسي دافيس) وانا مار بطريق يقال له « نطينغ هيل » بلندرة وذلك في ١٥ تشرين الاول لعام ١٨٨٧

عيونكِ احلى من عيون غزالةٍ　　وطرفكِ يسبي القلب في كل لحظةِ
ومقلةُ ظبي تحت جفن ممرض　　تمرَّض فيها قلبُ صب بنظرةِ
رأيتك في ليل يحاكي سوادهُ　　سواداً بعينيكِ التي هي فتنتي
عيونٌ اذا خطَّ المصوّر شبهها　　حسبت دواةً خطها في صحيفةِ

محابر كتابٍ يسيلُ مدادها على هدبِ أجفانِ العيونِ الكحيلةِ

﴿ وقلتُ ايضاً ﴾

وبي علةٌ اعيي الطبيب دواؤها بلاني بها ظبيٌ من الغيد احورُ
سأَلتُ إلهي أن يمنَّ بقربها ويشفي فؤادي والوصال مقدَّرُ

البدران

خرجتُ في رفقة خل وافي ذات ليلة راق جوُّها الصافي وتعرض البدر في سمائها تعرُّض المفصل والنور ينبثق من قرص محياه المكمل فقال خِلي الحميم سبحان الخلاَّق العظيم ما اجلى وجه البدر في منتصف هذا الشهر وبينا يقول ذلك اذا بغادة هيفآء ذات طلعة حسنآء مرَّت بنا مرور الغزال في تبخترٍ ودلال فانشدتُ اقول وانا في شارع يُقال لهُ (هاي ماركت) بلندرة وذلك في ٢٦ من تشرين الثاني لعام ١٨٨٧

قالوا : اجتلى بدر الدجى بسنائهِ فانظر اليه واغتبط بضيائه
قلت : اجتلى في الارض بدر كامل يسطو على قمر الدجى بسنائه

حصرُ الفؤاد

و بينما انا مارٌّ بباب قهوةٍ بلندرة يقال لها (مونيكو) رأيت مهاة فاجأها ألمٌ فخرَّت الى الارض مغشياً عليها . فقلتُ فيها الابيات الآتية وذلك بعد الغياب باربع ساعات في ١٤ كانون الاول سنة١٨٨٧

لقيتُ مهاةً تشتكي ألم الحشا ... وأُغمي عليها في شوارع بلدةِ
وماعابها بل زادها الضعف رقةً ... يرق عليها القلب مني برحمة
تحاول شكوى ما دهاها بفجأة ... وتومي الى حصر الفؤاد بنهدة
تهمُّ بنطق والشفاه تعيقها ... يموت بفيها صوتها تحت بحة
«فياليتني كنت الطبيب المداويا» ... اداوي عليلاً داؤه مس مهجتي

الهدب الطويل

وقلت في طرف فتاة اميريكية جالهُ هدبٌ طويل رأيتها في مدينة بوسطن باميركا في العشرين من شهر ايار لعام ١٨٧٢

تدفق نور الحسن من شمس طرفها ... فلاح صباحٌ في جبين ووجنةِ

ولما رأى الرحمن فرط ضيائه　　تدارك ذاك الامر منهُ بحكمة
فمدَّ من المدب الطويل مظلةً　　تصون خدوداً من شهاب بمقلة

الغيرة

راض الربيع بشهر ايار · واكتست بديباج اوراقها الاشجار · وافترشت المروج بساط الاخضرار · وتشكلت عرائس الجنان بالازهار · فاقبل عليَّ جوقٌ من اصحاب الوفاء · يعزمون عليَّ بالخروج فيهم الى جنان الصفاء · فبرزت فيهم بغانية من ربات النقاب · وهي تميس بالفخر جلباب · فلما بلغنا البستان · وتخللنا فسيح الجنان · لقيتُ فيه مهاةً كانت لديَّ من اعز الخلاَّن يقال لها مس (شريدان) معدودة من الغادات الغواني الحسان · ذات قوام وجمال فتان · وكانت ابنة نائب من نواب الامة الانجليزية · بدار الندوة البريطانية · فحينما رأتني مصحوباً بفتاة رشيقة القدّ · مليحة الخدّ · نبض عرقُ الغيظ بين عينيها وغطت بدر الوجه بغمامة كفيها وانبرت لتقريعي وتعنيفي وتهديدي وتخويفي فاستفرغتُ الجهدَ في استعطافها حتى نجحتُ في استلطافها واطفأتُ نار الغيرة في فؤادِها واستعدتُ ما خسرتُ من غالي ودادها ثم انشدتها هذه القصيدة في الثامن والعشرين من شهر ايار لعام ١٨٨٦

غداةَ ربيعٍ طابَ فيهِ نعيمهُ ... وراقَ رقيعٌ حينَ رقَّ نسيمهُ
خرجتُ إلى البستان ابغي تنزهاً ... وزهرُ الرُّبى قد فاحَ عرفاً شميمهُ
ولما امتطى ظهر الجياد مصافنا ... وكلٌّ حثوثٌ والسرور نديمهُ
اتينا رياضاً قد جلاها اخضرارُها ... وكلٌّ خليلٍ يقتنيهِ حميمهُ
وجدتُ حبيباً كان عندي معزَّزاً ... وكان غرابُ البين دوماً يضيمهُ
مهاةٌ فداها من فؤادي صميمهُ ... وسالت دماءٌ في هواها كلومهُ
تجلت بثوبٍ من حرير ومخمل ... زهور الخزامى نقشهُ ورسومهُ
فلما رأتني قد اتيتُ بظبية ... تنفس صدر واعترتهُ غمومهُ
وقالت وقد لاح اغبرارٌ بوجهها : ... فؤادي تعيسٌ انتَ حقاً جحيمهُ
وعودك برقٌ في سحابة خلب ... وودك مينٌ جدهُ وقديمهُ
حلفت يميناً لا تحل عقودها ... فؤادك في حبي غريق صميمهُ
فأين يمينٌ والفؤاد مقسم ... واين ودادٌ حيث غيري قسيمهُ
نقضتَ يمينا ثم خنت عهودنا ... وجئت بخصم ان قلبي خصيمهُ
فياليت لا جئتم ولا جاء ندنا ... فاني يقيناً في النشور غريمهُ
ألا فاغربا عني فليس تراكما ... عيونٌ فداها الاثم انت اثيمهُ
فقلت لها : لا تتهميني بل اكتفي ... عتاب بريءٍ فالعتاب يضيمهُ
فهذي فتاةٌ ما استذاقت ،ودتي ... ولا ادركت حبي ولا ما نعيمهُ
فانتِ ملكتِ القلب طرّاً وحزته ... وانت غرامي والفؤاد كتومهُ
وانتِ منى وجدي وغاية مقصدي ... وانتِ لقلبي حبهُ ونديمه
أيسطع نجمٌ والشموس طوالعٌ ... فانكِ شمس القلب تلك نجومهُ

فقلت: وقد غرّ بسمه بثغره: قبلت عذراً ونسيج خديه
فانّي كم كنت وحبك صادقٌ وودي وثيقٌ جده وقصيه

جآذر الحمى

ازمعت الخروج في رياض الجنان في زمرة من الخلان فوجدنا سرباً من الغزلان الحسان يسرحنَ في ظل شجر البستان والطير يغني في الغصون ويترنم والنسيم يسري في خرير ودمدمة وكانت تلك عادة للرجال والنساء ان يخرجن الى «سنترال بارك» في المساء فانتظمت في سلكهنَّ وصرت اجول بينهنَّ فقلت شيئاً في وصفهنَّ والثناء عليهنَّ وذلك في مدينة (نيويورك في الثالث من شهر ايار عام ١٨٧٢)

وجآذرٍ غيدٍ خرجنَ عشيةً يسرحنَ اسراباً بغير تحجبِ
بيضُ الوجوهِ كبدرِ تمٍّ منجلٍ يسعينَ كالغزلان سعي المعجبِ
سودُ الحواجب سودُ طرفٍ ادعجٍ سودُ الذوائبِ مثل صبغةِ غيهبِ
الخدُّ وردٌ والترائبُ زنبقٌ والنهدُ رمانٌ بشكل الكوكبِ
منهنَّ سمرٌ والقوام كأسمرٍ يخطرنَ تيهاً في وشاحٍ مذهبِ

منهنَّ شقرٌ والضفائرُ عسجدٌ والطرفُ ياقوتٌ يراشُ باشهبِ
منهنَّ حمرٌ في رداءٍ احمرٍ حمرُ القلانس مثل رأس الاصهبِ
منهنَّ هيفاءٌ نخالُ قوامها غصناً يميلُ مع الرياح القلبِ
منهنَّ غنجاءٌ تدلُّ بحسنها ولحاظها ترمي السهام وتستبي
منهنَّ من تسعى وتلفتُ لحظها يمناً ويسراً كالغزالِ المعجبِ

وقلتُ ايضاً في المعنى

غيدٌ خرجنَ الى الرياضِ لنزهةٍ يخطرنَ تيهاً مثل غصنِ البانةِ
ما للبدورِ إذا سفرنَ بدجنةٍ نورٌ ولا للغصنِ خطرةُ قامةِ

لطف يهودية

قصدتُ الإياب من منزلِ الاحباب إلى بيتي المستطاب في ليلةٍ كثيفةِ الضباب وركبتُ في المقوم قطاراً معداً للذهاب فوجدتهُ قد غصَّ بالركاب وكان في القوم مهاةٌ يهودية بديعة الجمال عليها اثر النعمة والحشمة والكمال فضمتْ نفسها ضمَّ الغزال وافردت لي مقعداً

بلطفٍ دونَ تأنٍ وكففتُ يديَ الجلوس عن شمالٍ فوجدته كعروسٍ في حجالٍ وجزيته خيرًا على ما اخذ ثم قلتُ فيه شعرًا من باب الارتجال وذلك بلندرة في العشرين من شهر آب عام ١٨٩٧

لقيتُ مهاةً ذاتَ طرفٍ ممرضٍ
لها مسكُ خالٍ مسك قلبي يحولُ

عيونٌ سبتْ مني سويداءَ مهجتي
وراشت نصالَ اللحظ والجفن ذابلُ

قرتني لديها رحمةً ومودّةً
فقرّتْ بها عيني وعقليَ ذاهلُ

تبسمَ منها الثغر عن سمط لؤلؤٍ
وقالت تفضل فالمكان مؤاهلُ

جلستُ لديها في امتنانٍ وغبطةٍ
وعقلي دهتهُ من بهاها مشاغلُ

لهـا قامةٌ تحكي القناةَ رشاقةً
تهزُّ عليَّ النصل والقـدُّ مائلُ

يهوديةٌ هدّتْ عزائمَ صبهـا
بهدبٍ كحيلٍ ما راتهُ مكاحلُ

ولما تودعنا بلحظٍ تزوُّدًا
رهنتُ لديها القلب والجسمُ راحلُ

فياليت ربي يجمع الشملَ رحمةً
وتبدو لعيني بعد ذاك الشمائلُ

النجمة

حضرتُ حفلة رقصٍ غرّآء في ليلةٍ نجومها في السمآء زهرآء وأقمارها في الارض سافرة ومحاسنها للابصار باهرة وكانت الراقصات يرفلنَ في ملابس مستخارة وعلى محياهنَّ وجوهٌ مستعارة وبينا انا اجولُ في القاعة واتفقد غزلانها نحو ساعة لمحتُ فتاةً ذات قدٍّ رشيق ومنظرٍ انيق بثوبٍ رقيق حكى لونه لونَ العقيق ديباجه من الانسجة الفاخرة ونقوشهُ نجومٌ زاهرة فكأَنها نجمٌ قد خرَّ من السمآء وتقمص جسم حوريةٍ من بناتِ حوَّآء ولما ازاحت عن محياها ذلك الوجه المستعار وزحزحت اذيال ثوبها المستخار خطف ضيآؤها نظري فانعمتُ طرفي في ذلك الكوكب السحار المتغرّبِ عن فلكهِ الدوَّار فرأيتها مهاةً من حور الجنة في قرص خدها الايمن شامةٌ بصبغ الدُجنة وفي ذقنها خالان كصرَّتي المسك او كدرتين في سلك فقلتُ لها ما اسمكِ بالعجمة قالت لي: (إستلاً) اي نجمة فقلت لها: سبحان من

كسا النجم حلةَ الحرير الاصفر وجلببهُ بجلبابٍ من المخمل الاحمر وماذا دعاكِ يانجمة الصبح الى هجر الفلك الدوار والشرود في ارض البوار ؟ قالت لي : رأيتُ محياك السنيَّ قد فاقَ البدرَ نوراً فهويتهُ وهويتُ اليه فوراً فقلتُ لها : جلَّ من جمل محياكِ بالملاحة وزين نطقكِ بسحر الفصاحة فانتِ لي وربِّ العرش ارشدُ نجمة في غياهب هذهِ العتمة بل انتِ أُنيستي في ليلتي وسلوتي في وحدتي فسيري بنا الى ارجاء الدار وان كان مقرُّها اوضعَ من برجكِ النوَّار فقالت لي اسيرُ بك ان انشدتني شيئاً من المديح بقولٍ فصيح في أُساوبٍ صحيح تقريظاً لوجهي المليح فقلتُ لها : لبيكِ لبيكِ خذي ما القيه اليكِ وانشدتُ في الحال من باب الارتجال وذلك بمدينة (شيكاغو) سنة ١٨٧٢

مهاةٌ تجلتْ في ملابس مخملِ
لها ملمسٌ مثل الدمقس المفتلِ
بياضٌ يغارُ الثلج منهُ وزنبقٌ
ويحسدُ وردٌ لونَ خدٍّ مخجلِ
سلامٌ على خدٍّ تحلى بخالهِ
ارقُّ واصفى من نسيمٍ معللِ
تعلمني نحت القوافي بخالها
وتلهمُ عقلي نظمَ شعرٍ مطوَّلِ

فيا ربة الخالين يا أمَّ شامةٍ
سمعتِ مديحي فاستجيبي توسلي
اعيري مدادي نقطةً من كليهما
لاكتبَ شعري بالسواد المجملِ
فقالت سوادُ الخال مني كياسةٌ
اتمزجُ حسني بالمدادِ المعطلِ
فقلتُ لنفسي : يا لها من ذكيةٍ
كساها الهُ العرشِ ثوبَ التعقلِ
لها وجنةٌ قد بهرجتها نضارةٌ
وطلعتها الملسآء مثل السجنجلِ
اذا ابتسمتْ لاحَ الوميضُ بثغرها
وميضٌ يعيرُ البدرَ نورًا فينجلي
وطرفٌ صفا منه الزراق كأنهُ
خضمٌّ بهِ نور الغزالةِ يجتلي
ولا قصرُ قدٍّ يستحق مذمةً
ولا فيضُ جسمٍ يستعاب بثقلِ
براها بلطفٍ ربٌّ لطف ورقةٍ
رقيقة خصرٍ ذات حسنٍ مكملِ
خفيفةُ اعطافٍ لطيفـة فطرةٍ
معطرةُ الاردانِ تشرحُ كلكلي

خرودٌ اذا مسَّ النسيم خدودها

اغارُ عليها من نسيم محللِ

اراها بعينِ القلبِ ان غاب شخصها

واذكرُ اوصافَ الحبيبِ المدللِ

يزور فراشي طيفها جنح دجنةٍ

فيشغلُ وهمي في وصالٍ مخيلِ

اراها تراني ثم تلفت طرفها

وتعرضُ عني في طراز التدللِ

تصدُّ جفاء ثم تلوي وتنثني

بقدٍ بدا في ثوب قزٍ مهلهلِ

ولما رأتْ صدق الودادِ وايقنت

خلوصي لها قالت : اطعتك فاقبلِ

فقلتُ لها : يا ربة الخال انني

الوذُ بمن اضحى حليف التبتلِ

احبكِ ما عنت نجوم وفرقد

فان شئتِ جودي وانعمي وتفضلي

فقالت انا عذرية في قبيلتي

نعيش كلانا في غرام محالِ

فسرتُ (باستيلا) نجوب فيافياً

وذئب فلاةٍ راح يعوي بمعزلِ

وجزنا حزونًا وامتطينـا هضابها
وخلي يلاهيني بقول وامثلِ
وليلٍ بهيمٍ شُدَّ برج نجومـهِ
بامراس كتانٍ الى صمّ جندلِ
فطال حديثٌ والتهيتُ بحبهـا
ولم ندرِ حتى فجرنا قام ينجلي
فقلتُ لها : هذا صباحٌ ام انجلي
سناء محيـاكِ | الاغرّ المجملِ
فقالت : انا ليل ويا ليت ليلتي
تطول فارعى نجم طرفكِ في علِ
نعم انني ليل وانتِ صباحنا
ومن مقلتيكِ الشمس تبدو بهوجلِ
فقلت لقـد سماكِ اهلكِ نجمةً
وما ادركوا برجي ومركز منزلي
انا نجمة في ذيل بدركِ مركزي
وحيث استدارَ البدر درت بمجملي
الى الدار دعنا ان نبادر قبلما
يشيع لدى ربعي خفي ترحلي
فعدنا الى الاحياء والفجر مسفر
وغابَ ضياء النجم فورًا عن الولي

ولا عجب دأب النجوم افولها
لدى بزغ شمس بعد ليلٍ مطولِ

الصيد

وقلت في مهاةٍ مجرية لقيتها في مدينة «بودابست» وذلك ليلة الاحد في الثالث والعشرين من شهر تشهرين الاول لعام ١٨٨٩

لقيت غزالاً باللحاظ يغازلُ ... له مقلة كحلاء والجفن ذابلُ
تلفت تيهاً والدلال رداؤهُ ... يريد اصطيادي والعيون تراسل
تردَّى بوردٍ ثم غضَّ بنرجسٍ ... ولاحَ وميض البرق والغيم سادل
فقلت : سلام الله يا بدر دجنةٍ ... فقالت : سلام الله لطفك شامل
واحنتْ حياءً ثم فاهت برقةٍ ... كلاماً لطيفاً عن شؤوني تسائل
فقلت : سلمت ان شأني منعم ... وحظي بمن عني يسائل كامل
فخضنا بحوراً من حديث صبابةٍ ... وخليَ ساهٍ عن حماه وغافل
وغاب ضياء الليل والبدر حالك ... واعين خلي في الليالي مشاعل
ولما بدا الفجر المنير بشمسهِ ... دهاها اندهاش من شروق يغافل
وقالت قضينا حظ وصلٍ وسلوةٍ ... ونجم الدجى في آخر الليل آفل

العود احمد

علقتُ فتاةً من زباتِ الجمال ذات ادب وكمال اصيلة النسب جليلة الحسب اسيلة الخد رشيقة القد يقال لها مس « وِلْ » من بلدةٍ يقال لها « طنبرجِ وِلْ » وكان والدها خِلي العزيز من كبار الانكليز فعشنا شطرًا من الدهر في سعدٍ ورغد حتى حال بيني وبينها علجٌ وَغد فقطعتُ وصلاً خلتهُ للدهر لا ينقدّ ومنتهى بالصد والرد ثم غابت عني زمانًا والفؤاد قتيلها وندّى رغمَ أَنفي خليلها ولما شطّ بالفراق مزارها ودُرستْ بالبعد آثارها دهاني قنوطٌ من الفوز بلقائها وقطعَ بي اليأس من نيل وصالها وبينا انا ذات ليلة في محفل من محافل السرور ارفلُ في حلل الحبور اذ بصرتُ بمهاةٍ ذاتَ خصر دقيق تميسُ بقدٍّ رشيق فانعمتُ النظر في توسمها وسرَّحتُ الطرف في ميسمها فاذا هي حبيبتي القديمة وخلتي الحميمة ودرتي اليتيمة ونعمتي العميمة وما زاد في علي اليقين وازال ريبي المبين اثران جميلان تتباهى بهما الغانيات الحسان من « نونة » في ذقنها كالفرقد وفحصة في خدّها المورَّد فخففت اليها بقلبٍ لغوب وحييتها بتحية المحبوب فبشتْ لامعاني وهشت لعرفاني وردّت سلامي بلطفٍ واحتشام وقالت : دهشني لقاؤكَ يا راعي الذمام فقلتُ لها : قد سُررت برؤياكِ وضمدَ

كلوم كبدي تبسم محياكِ فقالت لي: هل ابقى البعاد في صميم الفؤاد اثرًا للوداد بعد انقضاء الميعاد ؟ ففتحت عليها باب الخطاب وفوّقتُ اليها سهام العتاب وسددتُ عليها جميع الابواب بسديد الجواب وقطعت عنها اسباب الاسباب واوغلتُ في سباسبِ الاسهاب حتى استعطفتُ فؤادها واستمدتُ ودادها وظفرتُ بمعادها وقضيتُ مرادي ومرادها ثم اسفت وتنفستْ وانحصرت وتحسرتْ وقالت لي: ندمتُ على اعتياضكَ بعلج اوغد فقلتُ لها : لا بأْسَ ! فالعودُ احمد ثم قالت : ايها الصديق القديم والخل الحميم قد قصدتك في حاجة دون لجاجة لاستنشدكَ قصتنا المستطابة لما فيها من الغرابة فكن سريع الاجابة ولا تجعلها عليكَ طلابة فهل لكَ ان تلبي سؤالي وتبهج بالي وتخمد بلبالي ؟ فقلت لها : لبيكِ لبيكِ خذي ما اتيه اليكِ واتثال القريض على البال في اسرع حال وانشدت في ارتجال وذلك بمدينة لندرة سنة ١٨٨٨

سلامي على خلٍ قديمٍ تكرما
بلطفِ لقاء بعدَ وصلٍ تصرَّما
فهزَّ سرورٌ مهجتي للقائهِ
وبستُ عقيق الثغر حين تبسما
وهشَّ وبشَّ الوجهُ حينَ رأَيتُهُ
فقامَ واحنى ثمَّ فاهَ مسلما

ولما تعانقنا عناقَ مودَّةٍ
ذكرتُ زمانًا بتُّ معها منعما
وقلت : صرمتِ الودّ بعدَ فراقنا
وما كنتُ في شرع المودَّةِ مجرما
جنيتِ على من كان في الودّ مخلصاً
وادميتِ قلبًا في هواكِ تكلما
قسمتِ ودادي واستبحتِ خيانتي
وحبي دوامًا فيكِ لن يتقسما
أَلم تذكري عهدًا عقدنا عقوده
فكيف نكثتي عهدنا المتقدما ؟
فان كنتُ قداخطأتُ في الحب غفلةً
فحقي على ما فات ان اتندما
سلوتِ ودادي يا مليكةَ مهجتي
وحقكِ قلبي ما سلاكِ وآثما
اصبتِ شغاف القلب مني فتيةً
وما زلت عمري في جمالك مغرما
نشأتِ كغصن البانِ لينًا وقامةً
وحبي نشا كالآس في اللون محكما
وهلّ من الفرق الاغرّ بدجنةٍ
هلالٌ حكى قوس السحاب تبسما

ولما تلاقينا على غير موعدٍ
ملأتِ فؤادي بهجةً وتنعما
وجدَّدتِ حباً في فؤادٍ مقرَّحٍ
بسيف فراقٍ مستطيل تُغرما
اذا جنَّ ليلٌ والخلائقُ هجَّعٌ
ارقتُ وطرفي لذَّة النوم حرَّما
انامُ وعقلي لا ينام هنيهةً
وطيفكِ عندَ الوهم قام مجسما
واهدسُ طول الليل فيكِ كأنني
اراكِ بعين الجسم بدراً متمما
فقدصرتِ مغناطيس روحي ومهجتي
وحزتِ فؤادي المستهام المتيما
الى مَ تضنين بالوصال وتجرحي
فؤادا غدا من جور بينٍ مهشما
اعيدي على قلبي نعيماً فقدتهُ
وجودي بوصلٍ طال ما قد تصرَّما
فقالت : وقد غطى الشقائق زنبق
وجمرُ الحيا في وردةِ الخدّ اضرما
ندمتُ على ما فاتني من سعادةٍ
وحقي على الهجران ان اتندما

نعم انني قد خنتُ عهدًا مقدسًا
وعهدُ حميمٍ لن يحل ويفصما
فلا خيرَ في صرف الزمانِ تعاتبًا
فاني لديك الآن فأمر بكل ما
فقلتُ هلمي يا مليكةَ مهجتي
وداوي فؤادًا في هواكِ تكلما
نعيش كما عاش اليمام مغرّدًا
ونقضي زمانًا في الملاهي كيفما

وقلت ايضاً

فيا ليت شمسُ العمرِ دام شروقها   ودامت ليالينا قرينة شملنا
اخلاي هل هذا الفراقُ مؤبدٌ   أَم الدهر بعد البين يقضي بوصلنا

وقلت ايضاً في ١٠ ايار سنة ١٨٨٨

فؤادي غريمي في غرامِ غزالةٍ   اراها بعيني لا ترقُّ لحالتي
يذوب فؤادي في هواها صبابةً   وبحرُ دموعي لا يبرّدُ غلتي

وقلت ايضاً في ١٤ من كانون الاول لعام ١٨٨٧

وابنة كرمٍ ذقتها ذات ليلةٍ   فبتُّ وباتتْ في خلالِ جوانحي

ولما رشفتُ الريق منها بجرعة سكرتُ بخمر خمرته جوارحي

يمامات اللوى

لما كنت في مدينة (كنطون) من بلاد الصين رأيت ذات يومٍ سربا من اليمام يطيرُ من جهة القطر المصري فذكَّر احبةً لي في رملة الاسكندرية فقلت اخاطب اليمام واذكر شدة شوقي الى احبتي وذلك في ١٣ آب لعام ١٨٧٣

سألتُ يمامات اللوى عن احبتي فقلنَ بخير لا يرمنَ سوى اللقا
فقلت: متى عدتنَّ يا رُسل الهوى الى قطرِ مصرٍ والنخيل تبسقا
فملنَ على ربعٍ بسقطِ رميلةٍ وقلنَ لهم قلبي اليهم تشوقا
وروحي تعنت في هواهم مشقة وجسمي غدا رهنَ السقام محققا
ونحن بما قاسى فؤادي لبعدهم وقلن لهم قلبي بهم قد تحرقا
وذاب فؤادي في حشاي تغرُّباً وقلبي بطولِ البين حقاً تمزَّقا
وحرَّمَ جفني النوم بعد فراقهم ودمعي سخيناً من عيوني تدفقا
احنُّ الي حيِّ الاحبةِ في اللوى واذكر شملاً كان فيهم موفقا

زيارة شقراء

في ليلةٍ قمراء

زارتني خرودٌ شقراء في ليلةٍ قمراء فخلت ان الشعرى اليمانية وافتني مجانية وعبرت نهر المجرَّة تتلألأ كالزهرة واقبلت على سهيل في جنح ليل وكانت صبغةُ خدها شقائقُ النعمان ومشقةُ قدّها جرائد بان او رماحاً من خيزران وبضاضة وجهها ماء الغمام ونعومة جسمها كالدمقس الخام وزراق المقلتين اصفى من ياقوتتين في اللون نيليتين جلاهما خلّاقُ الثقلين بقدرةٍ لا بصنعةِ اليدين فماست في ديباج الدلال وسبت قلبي بالسحرِ الحلال فقلتُ في ارتجال وانا في بلاد (الغال) وذلك في الخامس من شهر حزيران لعام ١٨٨٨

شقراءُ زارت في غياهبِ دجنةِ
والصبحُ لاحَ بمقلتينِ ووجنةِ
قالوا حبيبك اشقرٌ قلنـا لهم:
ما عابَ شهدُ النحلِ كهرب شقرةِ
قـد فضل العقلاءُ شقرة عسجدٍ
دأْبًا على لونِ البياضِ بفضةِ

في الوردِ والتفاح جلت شقرةٌ
والشمسُ لولا شقرةٌ ما ضوَّتِ
شهت لنا الصهباءُ شربَ كؤوسها
والخبز قد شهى بشقرةِ قشرةِ
مـا طاب اكل الموز الاّ اشقرًا
والتين يحلو ذوقهُ فـي صفرةِ
لا تنضج الاثمار الاّ بعـد ما
تزدان حليتها بشقرةِ حليةِ
اختـهـا شقراءَ بين جاآذرِ
والشقرُ في النسوان اطيب نكهةِ
شقراءُ يصفو لونُ بشرةِ خدّها
فكأَنهاِ الصهباءُ تسكر مهجتي
شقراءُ ينمّ عسجدٌ من شعرها
فكأنه سلك الحرير بدقةِ
شقراءُ طلعتهـا صحيفةُ عسجدٍ
فـي قرصها ياقوتتان كنيلةِ
شقراءُ من قوم صفت الوانهم
صفو السلافِ بطاسةِ من فضة
نسبتْ الى قومٍ اجلُّ مقامهم
قومٌ لهم بالطبع صبغـة شقرةِ

لا تحسبوها من عدوٍ ازرقٍ
زرق العيون بنو السماء وجنةِ
مزجت كؤوس مدامةٍ برضابها
وسقت عليل القلب كوثر مزجةِ
فرشفتُ من راح الشفاه مدامةً
في لونها كالشعر او كالبشرةِ

هيفاء ونكباء

خرجتُ الى التنزيه يوم عيد وانا اخطر في رداء جديد وقصدت رياض الجنان وتفيأْت بظلال الاغصان فسمعت العندليب يشدو في الافنان . والبلبل المصداح يؤلف الالحان بلا اوتارٍ على العيدان وكان لطيف الظل قد سدل سجافه المطل على روضٍ في اخضرار مطرَّزٍ بعقيق الازهار وكان كذلك النوَّار يرقص مع الجلنار على نغمات الاطيار طول النهار وبينا انا جالسٌ على ضفة الغدير وماؤُهُ يتقلب على الحصباء في خرير وامامي نحور العيدان قد تحلت بعقودِ

الرمان اذ بصرتُ بمهاةٍ هيفاء وظبيةٍ حسناء يحكي القمر محياها الاغر عليها من فرعها المنثور فوق المناكب والنحور ديباج الملوك المنسوج في أحسنِ سلوك وقد اسدلته تباهياً والنكباءُ تعبثُ بهِ تلاهياً وهي تخطر بوشاح الكمال وتميس في غنجٍ ودلال بين جاريتين كفرقدٍ بين نجمتين فانثال القريض على البال وانا من الصبابةِ في اعتقال وانشأتُ اقول في ارتجال وذلك في ثغر «بلا كبول» من منتزهات مدينة «ليفربول» عام ١٨٧٤

هيفاءُ ماست يومَ ريحٍ تجتلي ... بتغنجٍ وتخطرٍ وتدللِ
عبثت محبتها بقلبي مثلما ... عبثَ النسيم بفرعها المسترسلِ
عقلَ عقالُ الفرع عقل متيمٍ ... في الحب قبلاً قلبهُ لم يعقلِ
واستوثقتهُ في محاصنِ حجرها ... وذراعها خفرٌ عليهِ من عل
قلتُ ارحمي من صاده لحظ المها ... فهلاكهُ في الحب غيرُ محلل
قالت : امانُ الله لا تخشَ الردى ... روحي فدى من وعدهُ لم يمطل
فضممتها ضمَّ الرضيع وصنتها ... صونَ المعاقل من عدوٍّ مقبل
خجلتْ ومالت والحياءُ شفيعها ... ورمتْ فؤاديَ باللحاظِ النجل
ورأت كأنَّ الحبَّ غير محللٍ ... قلتُ الغرام محلل لا تخجلي
قالت غرامكَ مستكنٌ في الحشا ... والقلبُ يخفقُ لوعةً في الكلكل
ثمَّ ابتدتْ تشكو الجوى بمسرّةٍ ... واستمطرتْ دمعاً على الخد الجلي
فأجبتها يا ربة الحسن الذي ... فيهِ فؤادي بات وجداً يصطلي

كفي فقد هاجت شجونُ متيمٍ   واستكففي دررَ الدموع المطل
مذ صادني سهم اللحاظِ بنصلهِ   باتت جفوني بالكرى لم تكحل

الخيبة

وحقكِ خابت منكِ آمالُ مغرمٍ   وما كان ظني ان تجوري وتصرمي
لعمري دأبُ الغانيات تدللٌ   ودأب الفتى صبرٌ على جور مظلم

ربة الشامتين

وقلتُ في شامتين على خدَّي فتاةٍ من الانكليز بمدينة « دَربي » وذلك نهار الاحد في السادس والعشرين من شهر حزيران عام ١٨٨٦

نجمانِ في خدِّ الفتاة تجليا   رشقتهما بشهابها اجفانها
لم تكسف النجمين لكن فحمت   نجماً ونجماً احرقت نيرانها

الهلال

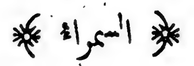
صعدتُ ذات ليلةٍ بعض الجبال استطلع قوس الهلال فلما لاحت لعيني غرَّة الهلال المقلم فوق جبل المقطم تذكرتُ من « هلدا » حاجبيها وكان شوقي قد ازداد اليها فقلتُ هذه الابيات فيها وذلك عام ١٨٨٢

بروحي حبيباً قد تملك مهجتي
أراهُ إذا هلَّ الهلالُ بمقلتي
اذا هلَّ في الافقِ الهلالُ مقلما
ذكرتُ هلالي حاجبين بجبهة
يهزُّ فوادي الشوق في كلِّ مرَّةٍ
يمرُّ ببالي ذكر (هلدا) حبيبتي
يمرُّ بوهمي طيفِ (هلدا) برقدتي
فيضرمُ في قلبي سعيرَ المودَّة
ولو قيل لي : ماذا تريد وتبتغي
لقلت لهم : (هلدا) مناي وبغيتي
اذا اقبلت صارت نعيمي وجنتي
واضحت لنفسي ملءُ سعدٍ وغبطةٍ

العفو

غدَرَتْ بي فتاة من اهل اسكوسيا يقال لها (نِلي) وانا يومئذٍ في مدينة « غلاسكو » فعفوت عنها وانشأْتُ اقول وذلك في ٢٩ تشرين الاول عام ١٨٨٦

صرمتِ حبالي واستبحتِ تيتمي
وما خلت اصلاً ان تخوني وتصرمي
ظلمتِ حبيباً في هواك متيماً
فايُّ احتجاجٍ من ظلومٍ ومجرم
فلا بأس ! دأب الغانيات تدللٌ
ودأبُ كريمٍ عفو ذنبٍ معظم



﴿ السمراء ﴾

قالوا : حبيبك اسمرٌ قلنا لهم :
سمر القنا تفري الفؤاد من العدى
لولا اسمرارٌ ما ذكا من عنبرٍ
طيب الشذا في الجمر لما اوقدا

تفاحتي بلاكبول

أزمعتُ الخروص ابتغاء الخلوص من قيظ الفصول في بلدة (بلاكبول) وهي فرضة نضيرة السهول إلى جوار (ليفربول) يجتمع اليها أهل اليسار من السوقةِ والأخيار ابتغاء الاستحمام في مياه الأبحار واغتنام برد النسيم في الأسحار ومن عادة القوم في كل يوم الخروج بكرةً وأصيلاً وعشيةً وليلاً الى جسرٍ عظيمٍ نضير ممتدٍ من الساحل إلى قلب البحرِ الكبير يشنفون السمعَ بآلات الطرب وينفونَ عن القلب الكرب فالنسآء يخطرنَ بين الرجال بتيهٍ وعجبٍ ودلال وبوجوهٍ سافراتٍ ملاح وشعورٍ منتشرةٍ تعبثُ بها الرياح فبينا انا وصديقي نسيرُ ذات يوم إذ بصرنا في القوم بهاتين جميلتين كانتا اختين كأنهما شقيقتا حور الجنان يُقال لهما بالعجمة « جاردن » وبالعربية بستان وكانتا رشيقتي القدّ موردّتي الخد عليهما أثر النعمةِ والجمال والأدب والكمال وكانت الكبرى منهما تميس في حلةٍ خضراء في حمرآء وتخطرُ الصغرى في حلةٍ خضراء في صفرآء فجرى لصديقي الحلبيّ حديثُ مع الصغرى اقترحهُ عليَّ نثرى فليتهُ في الحال ونظمتُ قصتهما في ارتجال وصدّرتُ القصيدة بصفةٍ جديدة كأن ينعتُ بها معذبتي قلبه المعلول وهو يهتفُ ويقول : يا تفاحتي بلاكبول

متى اظفرُ من صغرا كما بالمأمول فقلتُ وذلك في شهر آب من عام ١٨٧٤

تفاحتانِ على قضيبٍ أَخضرِ حمراءُ في صفراءَ مثل العصفرِ
صبغت بلون العاشقين ثيابها صفراها وبدتْ بخدٍّ أحمرِ
سارقتها النظر الخفيف مخافةً من عاذلٍ ومراقبٍ في المحضرِ
فافترَّتِ الهيفاءُ عن ثغرٍ به سمطانِ كالدرّ الذي لم يُنثرِ
واهتلَّ من فرقٍ هلالُ جمالها في ليلةٍ أقمارها لم تُسفرِ
غمزتْ بطرفٍ ذابلٍ وتنهدتْ فجرتْ دموعٌ فوقَ خدٍّ اصفرِ
فعلمتُ ان الحبَّ اوقدَ جمرهُ والقلبُ منها في التياعٍ مضمرِ
اومت اليَّ كأَنها تبغي اللقاءَ وتختشي بسطَ الكلامِ بمجهرِ
فأَتيتها من حيث لا تدري بنا عين الرقيبِ مخافةَ من منكرِ
بسطتْ اليَّ بيمينها ببطاقةٍ قد ضمختْ بعبيقِ مسكٍ اذفرِ
ففتحتها وقرأْتها ولثمتهـا والقلبُ يضطربُ اضطراب الابحر
فوجدتُ أنملها اللطيفةَ فطرةً قد سطرت بالمسكِ احسنَ اسطرِ
تهدي سلاماً طيبتهُ صبابةٌ وفؤَادها يشكو النوى بتحسرِ
لما رأت كبراهما ما قد بدا من اختها الصغرى بذاك المحضرِ
قالت لها مزورةً : ماذا الذي سطرتِ في طرسٍ بحبرٍ عنبري ؟
خجلت وهمت ان تكاتمَ سرَّها لكنها خافت مكائدَ مفترِ
قالت : كتبتُ اسمي فلا تتوهمي سوءًا فما في رقعتي من منكر

سكتت وهمت كتم غيظ في الحشا | وغياظ انثى في الحشا لم يسترِ
اومت اليَّ بغمزةٍ صغراهما | فارحل ولا تقنط وفي الصبح احضرِ
وتنهدت أسفاً على ما نابنا | همت ولكن دمعها لم يقطرِ
أحنت اليَّ برأسها مذعورةً | كحمامةٍ جفلت بوجهٍ اصفر
جزعت من الرقباء حين تبعتها | فلوت إلى عطفِ اللوى فالمعبرِ
ودعتها ولثمتها متأثراً | مما بدا من حالها المتغيرِ
سارت وسرت وراءها متقفياً | خطواتها حتى اختفت عن منظري
بانت وبت مراقباً نجم السهى | طول الدجى كمنجمٍ متحيرِ
لما بدا الصبح النذير بنوره | قلت : السلام عليك خير المنذرِ
هل شمس صبحٍ اشرقت وتبرَّجت | ام وجه حبي كالصباح المسفرِ
هذا ضياء الفجرِ يا مفتون لا | تأمل رجوعاً من غزالٍ مدبرِ

***

لما تولى اليأس قلبي المبتلى | وقنطت من بين يدوم لادهرِ
اذرفت من عيني دموع صبابةٍ | وصبرت صبرَ العاشقِ المتحسرِ
وطلبت من عني اختفت كغزالةٍ | وتوغلت في بطن وادٍ محجر
وندبت حظي ندبَ مرءٍ ثاكلٍ | ولسان حالي في الدجى لم يفتر
مَن منقذي مِن بلوتي من مسعفي | من مرشدي لديار خلي الاصفر

***

لما انقضت ايام ندبٍ محرقٍ | وعجزت عن قولٍ : ايا قلب اصبر

غادرتُ ارضاً قد ذَوَتْ جناتها   ورياضها بعد النوى لم تزهر
وقضيتُ ليل الهجرِ ارقبُ صبحهُ   والقلبُ يُحرقُ في لهيب مسعر

***

فيما انا اقضي النهار تحيرًا   والليلَ اطوي في بكىً وتحسر
وَرَدَتْ عليَّ بطاقةٌ مختومةٌ   وطروسها قد ضمخت بالعنبر
فلثمتها بتلهف وضممتها   بتنهدٍ وفضضتها بتفكر
وقرأتُ ما قد سطرتْ في طرسها   من درّ شعرٍ فاقَ درَّ الابحر
« لما غدا قلبي بحبك مغرماً   وعرفتُ ان الحب قلبكَ يعتري
« ارسلتُ خطي عن فؤادي نائباً   يهديكَ وجدي واشتياقي فاعذر
بيني وبينكَ موعدٌ للملتقى   في روضةٍ قربَ الغديرِ الاكبر
« اغدو إلى روضِ الجنانِ كعادتي   صبحاً فالبثُ في انتظارك فاحضرِ

***

لما قرأتُ الخطَّ خلتُ سطورهُ   اسماطَ درٍّ فصلتْ بالجوهر
لم تكتحل عيني باثمدِ غفوةٍ   حتى بدا نور الصباح المسفر
والعقلُ بين مصدّقٍ ومشكّكٍ   في ما اتاهُ من بشارة مخبر
ادلجتُ قبل الطيرِ اقصدُ دوحةً   فيها الزهور على بساطٍ اخضر
فوجدتُ من ملك الفؤادَ ودادُهُ   بين الخمائل فوق برجٍ مزهر
لما التقى طرفي بطرفِ حبيبتي   خفقَ الفؤادُ خفوق موج الابحر

فبسطتُ كفًا للسلامِ مصافحًا كفًا طلتـهُ بالعبير الاذفر
هشتْ وبشتْ ثمَّ قالت : مرحبًا وروتْ حديثًا مثل راح الكوثر

***

لما انقضى منها كلامُ تحيةٍ وجثتْ جثوم الظبي فوق الازهر
قالت وقد صبغ الحياء خدودها : هلاً تجالسني بهذا المحضر ؟
بسطَ الربيع على المروج زهورهُ لابيكَ آدم في الجنان تذكري
قلتُ : اذكري جلستْ لديهِ امنا حواء ايضًا في نعيمٍ مدبر
فتبسمتْ وتلطفت وتناولت كفي وقالت : قد سبقتك فانظر
فجلستُ ارقبُ وجهَ بدرٍ في الضحى وانا طروبٌ بالحديث الاسحر
قالت : وقد لاحت عليها كمدةٌ والكبد أنتْ من حشا متحسر
« اني اتيتكَ للوداعِ بدمعةٍ لا تقنطنْ نفذ القضا فتصبر
فاجبتها : ماذا عنيتِ بذا القضا ؟ روحي الفدى قولي ولا تستعذري
قالت : اودكَ ما حييتُ وانما لي والدٌ ذو سطوةٍ وتجبر
« يشنو الغريبَ سفاهةً بتكرُّهِ وكذاك أمي في عمىً وتكبر
« ان كنتَ حقًا في غرامي صادقًا فاسألهما ان فزت او لم تظفر
« فلقد منيتَ بما بهِ قتلُ الفتى كفَّ البكاء على غرامك واقصر
« لا تبغِ مني الوصل في مستقبلٍ واكتم هواك تجلدًا وتحذَّر
« من لم يجدْ سبلاً لكتمان الهوى ذاك امروءٌ بين الورى لم يُذكر
قسماً برب العرش ما لك حيلةٌ غير الوداع غفرتَ ام لم تغفر

هذا احتجاجي واعتذاري في الهوى ان كنت ممن ينصف الخل اعذر
قامت وقالت وهي تذرف ادمعاً لا تبغِ وصلاً بعد هذا المحضر

ألم الجوى

وقلتُ في الخاتون (جوليا لثبرج) الشريفة الانكليزية وذلك بلندرة في الثالث من تشرين الثاني لعام ١٨٨١

اذا حال ليلُ الهجر بعد وصالها
وشقَّ على المفتونِ حملُ دلالها
قضى العمرَ يرعى النجمَ من الم الجوى
وبات رقيبَ البدرِ عكس جمالها
فلما وعتْ ندبي ومرَّ تحسري
وما نابَ قلبي من جروح نضالها
اجابت : لكَ البشرى تمتع برفقتي
فاني فتاةٌ قد وفت بمقالها

انفجار حق بندقية

اقمتُ في حيٍّ من احياء لندرة في منزلٍ واسعٍ ذي منظرة وجارتي مهاةٌ خرودٌ مخدرة قد خصها بالحسنِ الخلاق فلاحت من محياها الشمس بالاشراق واصمتْ فؤاد صبها بالاحتراق في جهارٍ واستراق وكانت قد بلغت سن التمييز وأبوها امير البحر في اساطيل الانكليز وكانت اذا اطلت في مهلهل اطمارها من نوافذ دارها على نوافذ منزلي خلتها الشمس في برج الحمل تنجلي واذا التقى منا الطرفان اطرقتْ حياءً بفتورٍ في الاجفان وجفلتْ جفول الغزلان وادمعت تارةً بالصبابة المقلتان وكانت اذا خرجت الى التنزه خرج معها كلبٌ صغير خفيف المسير اسودُ اللون كالمسك الاذفر كأنهُ مهر الابجر وفي اطرافهِ رقةٌ ونحافة وفي خلقتهِ جمالٌ ولطافة وكانت طورًا تقودهُ بسلسلة وطورًا يقفو خطواتها المسترسلة وكان هواها قد اخذ باعشار قلبي واثار عجاجَ الوسواس في وهمي ولبي وكلما نظرتُ إلى طاقِ روءياها ازددتُ عناءً في استجلاب رضاها فمرّت ذات يوم بباب الدار واتفق خروجي منها على غير انتظار فالتقى طرفي بطرفها وكاد كتفي يماسُّ كتفها فتبسمت شفتها وانطلقت عجمتها واسرَّت اليَّ من الكلام ما وجب سردهُ في هذا المقام وذلك في الخامس والعشرين من شهر آب لعام ۱۸۸۱

مرَّت مهاةٌ في الغداةِ بمنزلي
تمشي وتلفتُ كالغزالِ الاكحلِ
وكليبها إلفٌ يسيرُ وراءَها
بتقفزٍ وتلفتٍ وتدللِ
لما رأتني فجأةً بجوارها
خجلت ولكن ظبيهٌ لم تجفلِ
وحنتْ نحيت ثم القت طرفها
نحو الفلا تبغي اللقاءَ بمعزلِ
فاتيتها من حيث لا تدري بنا
عينٌ تراقبُ فعلنا من منزلِ
وضممتها بجوانحي ولثمتها
ورشفتُ كوثرَ ريقها المتعسلِ
لما رأت مني قبيحَ جسارتي
قالت : لك الويلات فاقصر واخجلِ
أفضيحةٌ بعد التحصنِ والخبا
وتهتكٌ بشوارعٍ وتنقلِ ؟
وبكتْ حياءً والدموعُ زواخرٌ
تجري كسيلٍ حطَّ فوراً من علِ
قالت وقد غطتْ براحةِ كفها
شمسَ الضحى وتنهدت بتململِ

استر على خودِ الحمى يا منيتي
اني خرودٌ اختشي من عذَّلي
فمسحتُ دمعَ العينِ ثم جعلتها
مأمونةً من عاذلٍ في محملِ
والى الحمى سرنا معًا في معزلٍ
ووقيت شرَّ العاذلين بمنزل
لما استراحت وانجلى عنها العنا
طلبت شرابًا قد خلا من مثملِ
فأتيتها بمدامةٍ وسقيتها
راحًا رخي منها عروق المفصلِ
« لما شربناها ودبَّ دبيبها »
في مركز الافكار قالت : فاسألِ
فهصرتُ بالفودين ثم لثمتها
ونفثتُ في الاذنين سحر توسلي
يا جارتي جودي لجورك قاتلي
ان كنتِ قد ازمعتِ قتلي فامهلي
لم ادري ما ذنبي وقد اقصيتني
والقلبُ مني في غرامكِ مبتلِ
يومًا لمحتكَ من نوافذِ منزلي
اشرقتِ كالبدر السنيِّ المكملِ

ورشقتِ من قوس الحواجبِ اسهماً
نفذت فؤادي من نوافذ منزلي
ولثمتِ ثغرَ الكلبِ ثم ضممتهِ
ورمقتني بتغزلٍ وتدلل
فاللحظُ يرقبني وثغركِ لاثمٌ
ثغرَ الكايبِ بحيلةٍ وتحيل
فعنيت بالتقبيل حين حضنتهِ
حضني ولثمي بالحقيقة فافعل
لكِ مقلةٌ تصمي فؤادي كلما
ترمي النبال جهلتِ ام لم تجهلي
لكِ وجهُ بدرٍ والشمائلُ حلوةٌ
والخدُّ وردٌ احمرٌ فتهللي
للجار حق في الوصال بشفعةٍ
والله اوصى الجارَ بالجار الولي
لما وعتْ شعري وسحر قصائدي
وتيقنت ودَّ الفؤاد المبتلي
قالت: وعودُ الخودِ برقٌ خلبٌ
كم من بروقٍ شمتها لم تهطل
حانَ ارتحالي والفراق مقدَّرٌ
لولا فراقي وصلكم ما طاب لي

نفذ القضاء عليك ما لك حيلةٌ

فاصبرْ على أَلمِ الجوى وتحمل

قبل خدودي واقتنع بمودَّتي

هذا الختام كفاكَ لا تتوسل

ودَّعت خلي والدموع تدِرَّةٌ

وعقدت وعدًا للقاء بمنزلي

النذم

وافت فتاةُ الحيِّ ترثي صبها ... احداقها لبست حداد متيمِ

صرَمت حبال الوصل عمدًا واشتكت ... مرَّ النوى من مهجة المتندم

وقلتُ في جسم فتاةٍ املس وانا في مدينة (سكرمنتو) بكاليفورنيا

واملس جسمٍ كالسجنجل منجلِ ... إذا اللحظُ فوق الجلدِ مرَّ تزلقا

وخدٍ أعارَ الوردَ لونًا ونضرةً ... إذا عند شقِّ الفجرِ فورًا تفتقا

وصدرٍ صقيلٍ مثل صفحةِ فضةٍ ... أعارَ ضياءَ بدرنا حينَ أشرقا

وغصن قوامٍ هزَّهُ الشوقُ فانثنى ... وحينَ تجلى للعيانِ فأورقا

الشاعر الغيور

وقلتُ في التاسع من شهر ايلول لعام ١٨٨٦ وانا في مدينة (طورين) بايطاليا . وذلك تغزلاً بفتاةٍ سترت رأسها بمظلةٍ

نسيمُ الصبا يوماً تمرُّ على الربى
تحملْ شذا الازهار واهدِ حبيبتي

وقبل ورود الخدِّ عني نيابةً
يميناً ويسرى في غرامٍ ولوعةِ

وحاكِ نسيماً هبَّ فوقَ سنابلٍ
إذا مرَّ حيا ثم فازَ بلثمةِ

واياكَ من تخديشِ خدٍّ منعمٍ
يكادُ بنور البدر يُدمى ونسمةِ

مهاةٌ براها ربُّ لطفٍ من الهبا
لطافةُ نور البدرِ منها تجلتِ

اخافُ عليها من شعاع غزالةٍ
جفونُ عيوني ظلها كل لحظةِ

ويرجف قلبي حين يلمس جسمها

زلالُ مياهٍ لاغتسالٍ ونكهةِ

وروحي اذا مسَّ القميص ضلوعها

تذوب هياماً في احتراقٍ وغيرةِ

اموتُ اذا مسَّ الزجاجُ شفاهها

وساغَ رحيق الماء إطفاءَ غلةِ

واحسدُ ظلاً قد غشاها صيانةً

من الشمس والرمضاء تحت مظلةِ

فيا ليتني قد كنتُ قرص مظلةٍ

اظل عليها من شعاع غزالةِ

الشامة

وقلتُ في شامةٍ رأيتها على خدِّ فتاةٍ المانية في مدينة (ستراسبورغ) عام ١٨٩٠

عطفتْ عليَّ بعرض خدٍّ ناعمٍ فرأيتُ فيهِ مثل اسود درةِ

قلنا لها : ماذا السوادُ بوجنةٍ ؟ هل عنبرٌ ام حقةٌ من مسكةٍ ؟

قالت سويداءُ القلوبِ تطايرت من لبِّ عشاقي وآوتْ وجنتي

الصد والرد

قلبي غريبٌ في غرامي والهوى
قاضٍ يجورُ فمن لحقي ينصفُ ؟
خلي نَفورٌ والزمانُ معاندي
والكبدُ ملت من جفا من يخلفُ
اهوى غزالاً قد منيتُ بصدِّهِ
يبغي هلاكي دون ذنبٍ يُعرفُ

التبسم

وقلتُ في ثغر مهاةٍ من الروم رأيتها تتبسم في جزيرة الامراء · وذلك ٨ شباط لعام ١٨٩٤

وخاتم مرجانٍ ترصع لؤلؤاً حكى ثغرَ خودٍ بالملاحةِ ينجلي
عقيقٌ جلتهُ بالتبسم ظبيةٌ فلاحَ سرورٌ في البريةِ يجتلي

وقلتُ في فتاةٍ ايطالية رأيتها بمدينة (رومة) في شهر نيسان لعام ١٨٧٩

هلالٌ تجلى جنحَ ليلٍ بفرقها فبارى قسيٍّ الحاجبين تزججا
وانجمُ طرفيها بفلكِ حواجبٍ تحيلُ ظلامَ الليلِ صبحاً تبلجا

باكورة الصبابة

اطلقت زماناً عنان القريحة واجهدتُ جواد سليقتي الفصيحة . بنحتِ القوافي في القفار والفيافي وما خطرَ لي ببال غزلُ مهاةٍ او غزال نخرجتُ ذات يوم في جوق من القوم إلى قارَّة اميركا الشمالية اريدُ اموراً مالية ونزلتُ على صديقٍ لي ضيفاً واقمتُ لديه شتاءً وصيفاً وكان لهُ اختٌ من ربات الجمال والادب والكمال رشيقة القدّ اسيلة الخد يقال لها مس «مُود» ذات قلب ودود وكانت تحسن النطق بلغة الفرنسيس كأنها من اديبات باريس فاصرَّت على تعليمي الانكليزية برقتها الغريزية فلبيتُ لسؤالها وتمسكتُ من اللغة

باذيالها وشمرتُ عن ساعد الجدّ ونسجتُ بردة دروسي على منوالها . حتى بلغتني آمالي ونالت آمالها من تعليمي لسان آلها فما فرغتُ من تعلمهِ والتكلم بهِ حتى شعرت ان قلبي قد امتلأَ بالصبابة وانصب اليها اشد انصبابة وبتُّ في قيود غرامها مأسورًا وبلطف كلامها مسحورًا فانثال في الحال على البال قريض الغزل بذاك الغزال . فقلت وذلك ببلدةٍ يقال لها (غوشن) من اعمال (نيوجرزي) في الخامس من شهر آب لعام ١٨٧١

أيمدحُ سعيٌ ام يلامُ بلا حدّ
ام الحب جبارٌ عنيدٌ بلا ندّ ؟

أاشكرُ خلي أم اذمُّ ودادهُ
أم الحبُّ مهديٌّ وقلبي مستهدي ؟

فلا الحبُّ مذمومٌ ولا الخلُّ معتدٍ
ولكن فراغُ القلبِ داعٍ لذا الوجد

فبعدَ فراغٍ من دروسٍ نقنتها
وجدتُ فؤادي مستفيضاً من الود

فلما افاضت فيَّ لهجةَ قومها
افاضت بقلبي علم حبٍ بلا قصد

فيا ربة اللهجاتِ حسنكِ بارعٌ
ونطقك احلى من سلاف ومن شهد

على ايةٍ من بيضِ ايديك منيتي
اجودُ بشكر في القصائدِ والحمد
توليتِ تعليمي فصرتِ حبيبتي
وقد كنت حرًّا صرت في حالة العبد
اصبتِ شغاف القلب يوم لحتني
ولا علم لي من اين ذا الحب في كبدي
ظفرتِ بقلبي وانفردت بملكهِ
فصرت رقيقًا واستبديت بالعقد
فكم غادةٍ قد حاولت قبض مهجتي
فخابت وما نالت مرامًا من الوجد
وحقك ما احببت قبلك ظبيةً
فكيف اليك القلب اصبح يستهدي؟
اذا غبت جسماً كان طيفك حاضرًا
امامي كغصن البان في اللين والقد
اراكِ بعينِ الفكرِ يومي وليلتي
وشخصك محجوبٌ فيا ليته عندي
فاغمض عيني للرقاد تعمداً
لاظفر في حلمي بطيف على الوعد
قوامك غصن البان والطرف نرجس
ووجهك بدر التمِّ والخدُّ كالورد

وفي ثغرك الدرُّ الثمين منضدٌ
وشعرك ليل جنَّ في الطول والجعد
تباهتْ سعادٌ ثم ليلى وعزَّةٌ
ودعدٌ بحسن في القوام وفي الخد
فحسن اللواتي قد ذكرنا خرافةٌ
وحسنك فاق الكل بالصدق والجد

وقلتُ يوم ورد عليَّ شبيهُ «هلدا» في لندرا وانا وقتئذٍ في القاهرة وذلك في الثالث من شهر شباط لعام ١٨٨١

سلامي على من حبها قد رمى كبدي — والقى فؤادي في سعيرٍ من الوجدِ
سلامي على من لا ارى غير شبهها — فألهو بذاك الشبه والشبه لا يجدي
كريمة اصلٍ زينتها مناقبٌ — تسامتْ بها بين الخلائق بالمجد
تلاهي فؤادي بالوصال وعودها — ولا وعدها يلهي ولا شخصها عندي
فؤادي يراعي الوجد طول فراقها — وتمسي جفوني في الغرام على السهد
ولا نفع في قرب الديار واهلها — اذا كان من تهوى يخاتل بالود
«وهلدا» على طول البعاد عهدتها — امينة عهدٍ في المحبة والوعد
سقاني زماني كأس بينٍ تجرُّعاً — ونار التنائي في الفؤاد وفي الكبد
لئن شتت الاحباب في كل بلدة — سيجمع شملاً في الديار على العهد

لقد كان امر الله فينا مقدَّرًا لنحيي ونشقى في الوصال وفي البعد

وردة ايار

يا وردةً عبثَ الغرامُ بقلبها فاصفرَّ شوقًا بالصبابةِ خدُّها
بالنرجسِ الطرفُ الكحيلُ مشبهٌ وبغصنِ بانٍ قد تمثلَ قدُّها
فاذا رأَتْ عيني جمالكِ مرَّةً غضتْ وحسنكِ عن سواكِ يصدُّها

الزيارة الليلية

وقلتُ في مهاةٍ من رهطِ الانكليز زارتني ليلاً من غير ميعاد وذلك بلندرة ليلة الاحد في الثالث من شهر حزيران عام ١٨٧٩

زارَ الخباءَ شقيقُ بدرٍ في الدجى
فظننتُ ان الفجرَ فورًا ابلجا
كشفَ النقابَ باناملٍ مخضوبةٍ
فحسبتُ عنَّابًا بغصنٍ ادلجا

أحنى قواماً مثلَ بانٍ واجتلى

فشعرتُ قلبي في حشايَ توعجا

أدنى إلى ثغري الشفاهَ بلثمةٍ

وأسرَّ في اذُني كلاماً مبهجا

شاهدتُ بدراً بالنجوم مكللاً

هجرَ السماءَ وزارني جنحَ الدُجى

قد اسدلَ الشعر الطويلَ مجعداً

وسوادُهُ في لون ليلٍ امزجا

فسألتهُ يا من ملكتَ حشاشتي

كيفَ القدومِ بغير وعدٍ يُرتجى ؟

فرمى الفؤادَ بلحظةٍ مأنوسةٍ

واجاب : من يُحبب يزركَ بلا رجا

فضممتهُ بجوارحي ولثمتهُ

مترحباً في من الى حضني التجا

ورشفتُ حلوَ رضابهِ متمتعاً

بجمالِ بدرٍ من خسوفٍ قد نجا

ما زالَ يلثمني والثمُ خدَّه

حتى ابادَ هموم قلبي مفرجا

فصرفتُ ليلي في نعيمِ وصالهِ

لم اخشَ عينَ مراقبٍ او من هجا

الوداع

وكنتُ إذا رمتُ الرحيل تشفعتْ بدمعٍ صبيبٍ فوقَ خدٍّ مورَّدِ
ولما انعطفنا للوداع تشبثتْ بعنقي ورامتْ لثمةً للتزوُّدِ
فقلتُ خذيها واحفظي اثرَ لثمةٍ على شفةٍ تطوى إلى يوم موعدِ

***

ولما دنا وقتُ الرحيلِ تنهدتْ واجرتْ دموعاً من عيونٍ تقرَّحتْ
فقلتُ : لما هذي الدموع فاجهرتْ : لغسلِ ضلوعٍ من هوكَ تجرَّحتْ

الثبات

وقلتُ في ثبات مهاةٍ من اهل المجر اختبرتها زمانًا وذلك في عام ۱۸۸۷

خرودٌ إذا خان الزمانُ تجلدتْ ولاذت بحصنِ الحبِ من جورِ محنةِ
يقولونَ : انَّ الفقرَ يفسدُ حبها تجنوا ولم يدروا ثباتَ حبيبتي
فهي خالتي عُسرٍ ويسرٍ رأيتها امينةَ حبٍّ لا تخونُ مودَّتي

الطيف

غمضتُ جفوني كي اراها برقدتي
فزار فراشي طيفها بعد غفوتي
بسطتُ اليها الساعدين معانقاً
اناطتْ ذراعيها بعنقي وضمتِ
ولما همنا والغرامُ اليفنا
فولى رقادي والحبيبةُ ولتِ

وقلت وانا في جنينة (شان زيليز) بباريس

لقيتُ غزالاً بين سربٍ من الظبا | لهُ مقلةٌ كحلاء والجفن ذابلُ
فماس بغنجٍ اخجلَ الغصنَ قدُّهُ | وتاهَ دلالاً في الهوى وهو غافلُ

الروضة

وقلتُ اصفُ روضةً بجزيرةٍ الى جوار مدينة نيويورك يقال لها بالعجمة (آيونا أيلند) قضيتُ فيها حظاً في معشرٍ من الاحباب والغواني

للاميريكيت وذلك في غرَّة شهر يبر ىسنة ١٨٧٢

رَوضٌ اريضٌ في ربيع حسنه
فيـهِ تثنتْ بدلالٍ جآذرُ
وكمائمٌ قد فتحتْ ازهارهـ
والطيرُ يخطبُ والغصونُ منابرُ
والماءُ يخترقُ الرياضَ تدفقاً
والراحُ تطفحُ والحبيبُ مسامرُ
فالريقُ خمرٌ والشفاهُ كؤوسهُ
والخالُ عودٌ والخدودُ مجامرُ
والوجهُ قرطاسٌ صقيلٌ ابيضٌ
والهدبُ ريشٌ والعيونُ محابرُ

﴿ الهجر ﴾

حملتني وقرَ هجرٍ وانثنتْ
ظبيةٌ عيني سواها ما رأَتْ
ودعتني في نحيبٍ واختفتْ
عن عيوني ياشقائي إذ نأتْ

نفثة مشتاق

وكنتُ قد خرجتُ من لندرا الى (جزيرة سرنديب) بالهند فخطر ببالي ذكر «هلدا» فقلتُ اصف شوقي اليها وذلك في آب لعام ١٨٨٣

اراكِ بقلبي لا بعيني حبيبتي
فيضرمُ لبي في هواكِ على البعدِ
احملُ مهتزَ الريح عرْفَ تحيتي
صباحاً اذا سارَ النسيمُ الى نجدِ
فياليتَ ان عاد النسيمُ عشيةً
اليَّ اتاني حاملاً اطيبَ الرندِ
فانشقُ منه عرْفَ خلٍ مطيبٍ
بطيب يداوي القلب من لوعة الوجدِ

الحمامتان

وقلت في فتاةٍ من الاندلس رأيتها قد زينت غطاء رأسها بجسم حمامة

بيضاء وذلك عام ١٨٨٤

لله درك من حمامة جنة
خطرت دلالاً في وشاح تجمل
بحمامة بيضاء فوق جبينها
بسطت جناحيها وحطت من عل

الموعد السري

وقلت اصف وعداً انجزته سرًا في ليلة قمرآء وذلك بمدينة نابولي بايطاليا في شهر اذار لعام ١٨٨٤

علقت من الغادات اجمل غادة ... سليمة قلب لا تخون تودّدي
طرقت خباها والعواذل هجّع ... وبدر الدياجي والثريا بمشهد
وطئت بلاط الدار همساً مخافة ... وقلبي خفوق من رقيب وهجد
وفيما انا انساب في مسلك الحمى ... اريد لقاء من حبيب مبعد
دهاني ارتعاش وارتعاد فرائص ... حذاء تماثيل الرخام وجلمد
سمعت على بعد تخشخش حلية ... وخشخش اثواب بها الخز مرتد
نخلت تماثيل المخادع كلها ... يخبر بعضاً بعضها سرّ موعدي

فلما دنا بدري وبدر سمائنا رقيبٌ علينا خفت انظار حسدِ
خلوتُ بها همساً بأحجب منزل وصنتُ حبيبي من تجسس فرقدِ
فقالتْ : وقد مسَّ الغرام فؤادها ولاحَ ضياءُ النجمِ من طرفِ اغيدِ
ضناني جفاءٌ منك يا خير منيتي اتيت فاطفأْت اضطرام توقدي

❊ النجمان ❊

وقلت في عيني مهاةٍ من الجركس رأيتها في (قاضي كوي) من ضواحي الاستانة العلية وذلك في ٧ ايار سنة ١٨٩٠

رأيت نجوماً في صباحٍ مضيئةً ومن ذا رأى في الصبح نجماً تألقا
فأعجبُ من نجمينِ ضاءا بموضعٍ عليه شعاعُ الحسن في الفجرِ اشرقا
عيونُ مهاةٍ نجمتانِ ووجهها صباحٌ به نورُ الجمالِ تدفقا

الصباوة

وقلت في سيدة من اشراف الالمانيين طويلة القد اسيلة الخد رأيتها في محفل الرقص بالاستانة العلية في شهر شباط سنة ١٨٩٠

تصيد اسوداً حين ترقص بينهم   وترشق لحظاً كالغياهب اسودا
فقلتُ لما روحي فداكِ تكرّمي   بوصلٍ على من بات عبداً مقيدا!
فقالت: اذا هلَّ الهلال مقلماً   اتاك حبيب لن يخالف موعدا

﴿ الثغر المليح ﴾

وقلت في ثغر فتاةٍ ارمنية بتسمُ وقد لاحت اسنانها كالدر المنظوم

يا صاحبَ الثغر المليح ودرّه ال
منظوم هل من ثمةٍ يا هل ترى ؟
قالت : وما يجديكَ مني ما ترو
م ؟ فقلت كل الصيد في جوف الفرا

﴿ الشفاهُ المسكرة ﴾

شفاهٌ إذا مصتْ شفاهي رضابها
سكرتُ براحٍ حولهُ الدر منظومُ
يعافُ لبانَ المرضعاتِ لاجلها
طفيلٌ ولا يبغي سوى تلك مفطومُ

شراك اللحاظ

سلبتْ فؤادي باللحاظِ ومهجتي
هيفاءُ سلبُ القلبُ فنّا دابها
نصبتْ شراكاً للاسودِ تصيدها
صيدَ الارانبِ والحبالُ شهابها

جني الورد

وقلت في الثامن من تشرين الاول سنة ١٨٩١

ومن كان في روضٍ تفتح زهرهُ
ايرحلُ عنهُ قبل قطف ورودِهِ ؟
حبيبيَ روضٌ قد حللتُ مقامهُ
واجملُ وردٍ في رياضِ خدودِهِ

﴿ التمني ﴾

وقلتُ في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٨٩١

وقتَ الصبا قلبي صبا لاحبتي ... يا ليتَ خِلي قد صبا لصبابتي
وقتَ الضحى قلبي اشتوى بسعيرهِ ... يا ليتَ حبي يصطلي بحرارتي
روحي الفدى قلبي غدا جمرَ الغضا ... يا ليتَ حبي يقتدي بصداقتي

الهدية

قلتُ وقد اهدتني الخاتون «لينوكس» الانكليزية كلباً وذلك بمدينة لندرة سلخ اذار لعام ١٨٨٩

غزالي محاطٌ بالكلاب صيانةً
حماهُ إلهي من كلابٍ همُ العدى

هداني بلطفٍ خيرَ كلبٍ احبهُ
فأشكرُ خِلي ثمَّ اقبلُ ما هدى

فكلبي ظريفٌ والغزالُ مهفهفٌ
أَخافُ على الاثنينِ من موبقِ الردى

ولما توادعنا وصافحتُ كفها
تقرَّبَ منها الكلبُ واستلمَ اليدا

فقالتْ لهُ يا كلب لا تعص امرهُ
فأني أُوصيهِ بأن يتودّدا

ولكن إِذا رامَ اصطيادَ غزالةٍ
سوايَ فكنْ ليثاً مُصداً معندا

وان قال: سِرْ يا كلب واصطد غزالةً
فبادر إلى داري وصدني تعمدا

نكث العهود

خرجتُ ابتغآء التنزُّهِ إلى غابةٍ في ظاهر باريس يُقال لها (بودُ وبولون) فلقيتُ فيها مهاةً من الروس وكانتْ قد وَعدتْ بوصلٍ ثمَّ ماطلتْ ثمَّ نقضتْ العهد. فقلتُ فيها هذه الابيات وذلكَ في الخامس من شهر حزيران سنة ١٨٨٩

جرحتِ بسيفِ الهجرِ فلذةَ مهجتي
وما كنتُ في شرعِ المودّةِ مجرما

افاتكِ ان الهجرَ يقتلُ من غدا
اسيرًا ذليلاً في جمالكِ مغرما

خلفتِ وعودًا ثمَّ خنتِ عهودنا
وملتِ حبيباً لن يخونَ ويظلما

تقريظ

وقلتُ اقرّظُ الفتاة فريدة ابنة اخي جرجس يوم زارتني بجزيرة الامرآء وذلك عام ١٨٩٧

عذرآءُ هل في الجنة العلياء مِنْ
ملكٍ اخذتِ جمالهُ في الاوّلِ

ام امنا حوآءُ قبل سقوطها
اوصتْ اليكِ بحسنها المستكملِ

بشراكِ! اعطاكِ الإلهُ مواهباً
في شخصِ غيركِ جملةً لم تحصلِ

الندم

بعثتْ اليَّ برسالةٍ فتاة من البندقية يقال لها « ليزة » تشكو فيها ألم الفراق وتعاتبني على قطع الصلات الودادية · بعد ارتحالي من البندقية · فتأثرت من كتابها واستصوبت عتابها وندمت على اغترابها وقلت فيها الابيات الآتية وانا بلندرة وذلك في ١١ ايار لعام ١٨٨١

النظم

اتاني كتابٌ من مهاةٍ كريمةٍ   يذكّرُ صباً عهدَ وصلٍ تصرَّما

تقول لقد خطتْ بدمعٍ عتابها   على رقّ خدٍّ قد تخضبَ بالدما

وباتت على جمر الغضا تشتكي النوى   وتندبُ خلاً قد سلاها واظلما

نعمْ انني قد خنتها وهجرتها   وحقي على الهجران ان اتندما

والطم خداً قرّحته مدامعي   على فقدِ محبوبٍ توارى عن الحمى

غزل

ارتجلت هذه الابيات وانا راكب قطار السكة الحديدية تحت اقبية لندرة مع فتاة انكليزية وذلك في ٢٢ تشرين الاول لعام ١٨٨٥

النظم

عذرآء قد صبغ الحيآء خدودها ... وعيونها النجلا تغازل مهجتي
رمانتان بصدرها وبجيدها ... عاجٌ وفي فمها اللآلئ صفت
عينان قال الله كونا كانتا ... نجمين ضاءا في مجرة جبهة

خيبة آمال

ركبت القطار في يوم كثير العثان والغبار اريد حي (كنزكتين) من ضواحي لندن فلقيت فيه فتاة او حورية في جسم مهاة وما لبثت الا قليلاً من الزمان حتى رحلت وغادرتني كالولهان فقلت فيها وذلك عام ١٨٨٦

﴿ النظم ﴾

رأَيت فتاةً في قطار المدينةِ
مهاةٌ تولتْ مذ تجلت لمقلتي
لها طلعةٌ كالبدر في ليل فرعها
وعينان كالنجم المنير بدجنةِ
فيا لهف نفسي كان حظي بقربها
قصيراً كذا الدنيا لقاءٌ لفرقةِ
تنعمتُ بالوصل القصير زمانه
تمنيت لو طالت مسافة سفرتي
فما كل ما يبغي الفؤاد يناله
يموت المعنَّى في رجاءٍ وخيبة
فكم خابَ قبلي آملٌ من مرامه
وكم مات قبلي العاشقون بحسرةِ
بليت ببينٍ ثم هجرٍ وخيبةٍ
بدت خيبة الآمال في دار جنة

رسول الهوى

وقلت في شبيه الدوقسة «سذرلند» وذلك بلندرة

﴿ النظم ﴾

اتاني رسولٌ من حبيبٍ مسلما
يذكرُ عهدًا بالفراق تصرَّما
يقولُ بلطفٍ : هل ذكرت حديقةً
رأَيتَ بها خلاًّ لديك مكرَّما ؟
فقلتُ : أَجلْ والذكرعندي مكرَّرٌ
وقد بات خلي في فؤادي مجسما
نعم اذكرُ اليوم الذي كان غبطتي
وفيه فؤادي في هواها تكلما
رأيتُ مهاةً في كمالٍ وحشمةٍ
بوجهٍ حكى بدرًا تلألأَ في السما
لها حاجبٌ كالقوس يرشقُ اسهماً
وثغرٌ عن الدرِّ اليتيم تبسما
اصابَ شغافَ القلبَ مني غرامها
فحيى محياها الفؤادُ مسلما

فردَّتْ سلامي عند ذلك رحمةً
وبشتْ بحديثاً مثل درٍّ تنظما
فاضحى فؤادي في هواها معذباً
وعقلي مدهوشاً بخدٍّ تنعما
ولما رأتْ وجدي وفرط صبابتي
اناطتْ بعنقي ساعديها ومعصما
وقالت بلطفٍ : هل عشقتنً يافتى ؟
فقلتُ : نعم هل تحسبينيَ مجرما ؟
فليس على وجه البسيطة شاهدوا
كمثلكِ هيفاء ومثليَ مغرما
فيا سعد حظي ان قبلتِ صبابتي
وان خبتُ اجريتُ المدامع عندما
فشخصكِ محرابي وشبهكِ كعبتي
احجُّ مناه ثم ارشفُ زمزما
فمالت كغصن البان ثم تبسمتْ
وقالت : ورب العرش والارض والسما
أتثبتُ في حبي وتحلف بالتقى ؟
فقلتُ : نعم عهدي على ما تقدما
فحين رأت مني الخلوص بحبها
هدتني شبيهاً جاءني متبسما

وهبَّ نسيمُ الشوق منه معطرًا
بمسكِ غرامٍ راح يُنشرُ في الحمى
فعانقت ذاك الشبه والشبه باسمٌ
وطرفي به نور الجمال توسما

أُسلوة

وقلت وانا ارقب السماء في ١٠ تشرين الاول لعام ١٨٨٦ وقد هزَّني شوق الى «هلدا»

أَسلاكِ يا شمس الضحى طول المدى ... من وجه (هلدا) نور حسن ان بدا
أَسلاكَ يا قمرَ السماء بليلةٍ ... فورًا اذا قمري الى داري اهتدى
أَسلاكَ يا نجم السهى في دجنةٍ ... ارعى بها طرف الحبيب المفتدى

الغفلة

طما بي مرحُ الشباب الى زيارة الاحباب فلبيت بداعي الاشتياق في زمرة من الرفاق وامتطيت صهوة القطار السريع مع ربة حسن

بديع يصحبها اخٌ صنديد كالبطل العنيد فلما اجهده الوسواس وغلب عليه النعاس وغطَّ في السبات وشخر صارت الفتاة تسارقني النظر واصابت بنصال اللحظ هدف المهج وسبت فؤادي بطرف من دعج فاجهدت جواد السليقة في وصف محاسن تلك الرفيقة ولكن دولة الجمال وهيبة الكمال وغنج الدلال وروعة النصال من لحظها الغزّال نفرت عني القوافي نفور الغزال ووصدت في وجه قريحتي باب الارتجال فتكلفت الشعر اليها تزلفاً وقلت فيها هذه الابيات تلطفاً وانا بين يديها وعقلي وقلبي لديها وذلك في غرة كانون الثاني لعام ١٨٨٦

النظم

غفل الرقيب عن الحبيب تناعساً — وخلتْ لنا الاوقات ليلة وصلها
كشفت قناعاً كان يحجب وجهها — ورمت فؤادي المستهام بفعلها
وبدت تسارقني اللحاظَ برقة — ورمت من الاهداب ارهف نصلها
فغمزتها وطفقت ارقب مقلةً — ياقوتها يزري بنيلة كحلها
فدرت باني قد فتنت بحبها — فتنهدت فوراً لجئت بمثلها
وتلا تنهدها تنهد مغرم — ما الفضل الا بدؤه من فضلها
وتراسلت منا اللحاظ رسائلاً — فهمتْ معانيها القلوب برسلها
رمت ارتجال الشعر في اوصافها ال — حسنى التي زادت بفطنة عقلها
ملك الفؤاد غرامها بتدله — فذهلت حتى عن تسلسل نسلها
فدرى بالخامي العذول تشفياً — وهجا احتباسي حين فزت بوصلها

قال ارتجل فيها القريض تغزُّلاً   واذكر صفات أُوتيت من اهلها
قلت الهوى قد سد باب قريحتي   « كملت محاسنها » فصه عن عذلها

الدلال

ثارت في فؤادي عجاجةُ الشهوة وتاقت نفسي الى اغتباق القهوة فطلبتها فاحضرتْ كخمرةٍ في دنها قد عتقت وشربتها بسكة وعنبر . فوجدتها كسلسبيل وكوثر فولعت بحبها واكثرتُ من شربها فمنتْ دماغي بالسهاد وحرمت جفوني لذة الرقاد وارِقتُ في ليلتي الدهماء وباتت عيوني بالسهاد قرحاء فطرقني ذكر فتاةٍ هيفاء كان يهواها صديق لي من الظرفاء وكانت تعتد بجمالها وتشمخ عليهِ بقدها واعتدالها وتبخل عليه بوصالها وتنكيهِ بدلالها فقلت فيها هذه الابيات بعد نصف الليل بثلاثِ ساعات وذلك في التاسع من كانون الثاني لعام ١٨٨٦

أيا ظبيةَ البيدِ ارحمي وترفقي
بصبٍ صلاهُ جمر حبٍ محرّقِ
حباكِ غزالٌ في ذهولٍ ولفتةٍ
وتصمينَ أضلاعًا بسهمٍ مفوّقِ

أظبيٌ يصيدُ الليثَ نصل لحاظهِ ؟
فمنْ ذا الذي لم يخشَ ليثاً ويتقِ ؟
فقالتْ ترى لي معجزاتٍ بديعةً
وأصحابَ وَحيٍ من بخاريَ تستقي
انا كعبةُ الحسنِ البديعِ وركنهُ
يحجُّ مقامي أهلَ غَرْبٍ ومشرقِ
مهاةٌ أنا في البيدِ بينَ جاذرٍ
لآليُّ عقدي مثل نحري كزنبقِ
إذا مِستُ يوماً في قوامٍ رشاقةٍ
حسبت نخيلاً في دِمقسٍ منمقِ
تجلى صباحٌ مِنْ جبيني وغرَّتي
وهلَّ هلالُ الحسنِ من قوسِ مفرقي
عيوني نجومٌ والحواجبُ فلكها
ولحظي كسهمٍ للقلوبِ ممزِّقِ
أنا نزهةُ الدُّنيا وخيرُ نعيمها
شبيهي عَروبٌ لَمْ تكوَّنْ وتُخلقِ
أَنا الوردْةُ الحسناءُ لوناً وريحةً
يفوحُ شذاها من جنائنِ مشرقِ
جويرٌ عناني في رفيقِ قريضهِ
وقيسٌ تمنى في غرامي المحرّقِ

فأينَ جمالٌ مِن سُعادٍ وعَزّةٍ
وأينَ قوامٌ من تخيلي المبسقِ
لحسني يخرُّ العاشقون تخشعاً
ومن فاتهُ حبي فلم يتعشقِ
ومن قال ان العشقَ مسَّ فؤادهُ
بدوني وربِّ العرشِ غير مصدقِ

المظلة البيضاء

مهاةٌ تجلت في الحديقةِ ضحوةً تميسُ دلالاً فوقَ روضٍ توردا
تظللُ غنجاً رأسها بمظلةٍ كشمسٍ توارت تحت غيمٍ تعمدا
عجبتُ لشمسٍ ظللتها مظلةٌ وعهدي بشمسٍ لا تجلببُ بالردا
نعم انها شمسٌ وثلجٌ رداؤها ومن ذا رأى في الشمس ثلجاً منضدا؟

الجمانة

وقلتُ في فتاةٍ ايطالية يقال لها «جِماً» اي جمانة رأيتها في جزيرة الاصواء سنة ١٨٩٢

رأيت غزالاً ذبتُ فيه تغزُّلاً
حباهُ جمالاً خالقُ الكون والملا

مهاةٌ اذا ماست حسبتَ قوامها
قضيباً من البان الرشيق تمايلا

وقد مسَّ منها الفرعُ كشحاً مخصرًا
يروقُ لعين العاشقين مُرَسلا

فقلت لها : ما الاسم يا خير درَّةٍ ؟
لجودي به اني اطلتُ التوسلا

فقالت دعاني الوالدان جُمانةً
كذا اسمي لجسمي بالجمانةِ مُثلا

فقلتُ لها لله درُّهما فقد
اصابا بما قد سمياكِ تجملا

فأين اللآلي منكِ اين جواهرٌ
فانتِ لأغلى من جمانٍ اذا انجلى

لقد زدتِ جيد الكون حسناً وبهجةً
كما زان جيد الخود عقدٌ وجملا

فزيدي فؤادي بهجةً وتكرمي
بلثمٍ اذا الثغر استباهُ فهللا

فقالت : أما عنك الغواية تنجلي
وهلاّ تخاف الراقبين وعذلا

فقلت احتجاجي عند ندي تعففي
فلستُ أُبالي بالعذول اذا ابتلا

شكوى مهجورة

هجرتَ حبيباً كان انسك سرمدا
وعشتَ بعيداً عن حماهُ مؤبدا
فماذا دعى خلي الى ذلك الجفا؟
وما كنت اجفو في وصالكَ سرمدا
جنيتَ على خلٍ حميمٍ وخنتهُ
وما خنتُ حباً عن سواكَ تجردا

فتانة

فتانةٌ ريقها احلى من الكوثر
وثغرها قدح يزدان بالجوهر
احبابها ثملوا من خمرةٍ عُتقت
في دنِ مبسمها روحي فدى الكوثر

وقلتُ في جفاء قاسيةٍ وذلك بمدينة دهلي بالهند الشرقي في ٢٢ نيسان سنة ١٨٨٣

انينُ فؤادي وانسجامُ مدامعي
يرقُّ له الجلمود والصخرُ يُقصمُ
وقلبُ فتاة الحيِّ ليس يلينه
نحولي وسقمي والفؤادُ المكلمُ
عتبتُ عليها حين خانت مودتي
وقلت لها : باللهِ ماذا التصرُّمُ ؟
اجابت : بان البعدَ خيرٌ من اللقا
لصبٍّ بداء الحبِّ يُبلى ويُسقمُ

« فقلت جواباً على ذلك »

أَمن موعدي بالوصل بعد فراقها
يعللني ان عيل صبري لاجلها
فموتُ الفتى في الصدِ اثمٌ محرمٌ
فان متُّ اضحى جرم موتي بنحرها

الحرير

استلمست خدها فاستبعمته وقد ظنت حريرًا براه الرب من ازلِ
قالت : الا تخدشن ابريسماً رخماً لما تمنيت لثم الخدّ في عجلِ

(وقلت في « هلدا » اول يومٍ رايتها)

لقد نصبت في الحب « هلدا » شراكها وصادت فؤادًا بالغرام يعذبُ
فكيف يطيقُ القلبُ منها تملصاً وقد صِيدَ في الاشراك والظبي يلعب
فلا الظبي ذو قلبٍ رقيق ورحمةٍ ولا القلب يسلو حب «هلدا» فيهرب

دُرَّة الهند

خرجتُ عن أهلي صبياً أَمرد اريدُ بلاد الروم في مقصد لأُخلص من اللهِ في معبد وأَطلبَ العلمَ وأَجهد فطالت غربتي عن الأهلِ أعواماً لم أَسمعُ عنهم من الاظعانِ اعلاماً ثمَّ ساقتني المقاديرُ إلى ثغرٍ

بيروت فأقمتُ بها فترةً والأَهلُ عني في سكوت وبينا أنا ذاتَ يوم اهدُسُ فيهم وقلبي يتوقُ اليهم إذ نفذتْ إليَّ مُفلفلةٌ من الهند مُعطرَةٌ بالمسكِ والرند فأزحتُ لثامها وفضضتُ ختامها وشممتُ خزامها واستوعبتُ كلامها وإذا في طيها شبيهُ صوفية ابنة شقيقتي وردة عليها من الديباج اثمنُ بردة فهاجت لها الاشواق الخفية في مهجتي الوفية وانثال القريضُ على البال وطفقتُ اقولُ في ارتجال بعد افتراقي عن الاهل عشرين عاماً بلا صلةٍ ولا وصال وذلك سنة

سنة ١٨٦٨

وافتْ تميسُ بقدّها المتدللِ ... ورَختْ ضفائرَ فرْعها المتسلسلِ
كشفتْ نقاباً كانَ يسترُ وجهها الغاني فلاحَ الصبحِ فيهِ ينجلي
وَأَرتْ قواماً كالنخيلِ مخضراً ... وَسبتْ بهِ قلباً يهيمُ ويصطلي
القتْ إليَّ تحيةً فأجبتها ... أهلاً وسهلاً بالحبيبِ الأوَّلِ
وضممتها بجوارحي ولثمتها ... فثملتُ مِنْ صهباءِ ثغرٍ مثملِ
والطرفُ طافَ بمشعرٍ مِنْ حسنها ... والقلبُ حجَّ إلى الجمالِ المجتلي
أنسى الجمالَ اليوسفيَّ جمالها ... جلَّ الذي خلقَ الجمال الهيكلي
رشقت بسهمٍ من لواحظ جفنها ... فأصابَ من قلبي محلَّ المقتلِ
لما استهلت قوس مفرق فرعها ... قلتُ استدِر بدر الدياجي واكملِ
لو جمّع الناس الجمال بصورةٍ ... لحوَتْ محاسن شبهها المتجملِ
يا لذّة الدنيا ونزهةَ مهجتي ... يا منتهى أرَبي وعيشي الأرغلِ

يا ربة الحسنِ التي ملكت على ... قلبٍ بنار البين اصبحَ يصطلي

هل اشرقت شمس الضحى ام انتِ يا ... بدري طلعتِ بافقِ ليلٍ أليلِ

هل حَبُّ مزنٍ ام ثناياكِ التي ... مَزَنتْ كدرٍّ في الثغور الكملِ

هل غرَّ في الافق الهلال مقوساً ... أم تلكَ أقواس الجفون الذُبلِ

هل ضاع عطرٌ من (عروس) في الورى ... أم نشرُ رُدنكِ ضائعٌ في المحفلِ

هل اشرقَ الفجر الصبوح تبلجاً ... أم نور طلعتكِ الجميلة ينجلي

هل غنت الاطيار في الاغصان ام ... هذا غناؤكِ فاقَ شدوَ البلبلِ

أبروجُ عاجٍ ام نهودٌ كواعبٍ ... نَهدَتْ بحسنٍ فوقَ ذاكَ الكاكلِ

أبروق ماطرةٍ تألق نورها ... أم ابرَقتْ بيض الثغورِ بَهوْجلِ

أشقائقُ النعمان تزهرُ في الربى ... أم مسك خالكِ فاقَ عرف المندلِ

هل وردةٌ بالارجوان قد اكتست ... أم وَرْدتي رفلت بثوب المخملِ

سهلٌ سهيلٌ في البروج تجليا ... أم مقلتاكِ اضاءتا في المنزلِ

من ذا الذي جسَّ المثاني ؟ قينةٌ ؟ ... أم مسَّ خِلي عودها بالانملِ

انغامها قد شنفت سمع الملا ... أنعامها سبغتْ على المتسوّلِ

عيدٌ جديدٌ يومَ عودِ عوادها

عُودُ الصفاء بعودها لم يبطلِ

يوم اللقا عندي السنين دقيقةٌ

ودقيقة الهجران حولٌ ممتلي

لما تثنت خلت حسن قوامها

اغصانَ بانٍ او رماح الجحفلِ

وتبرَّجتْ سحرًا فاخجلت الشمو
س تبلجًا ورَنت بطرفٍ اكحل
فاحت روائحُ عطرها من فرعها
ساحت مسائحُ شعرها المسترسل
حمل النسيم اليَّ من نفحاتها
رياًّ الكبا ممزوجة بقرنفل
وتنسمت ارواحنا باريجه
وتنفس الصعداء صدر المبتلي
ان راح رَوْحٌ من خلال خبائها
طفقت مصاف الطير تصدح من عل
وبمنحة الرسم الجميل تكرَّمت
بل كلمت قلبي بمنحة مرسل
فتقت كلوماً قد تولى رتقها
عنق الزمان ورمقت عيش الولي
شطنت جفاءً في بواطن ارضها
قطنتْ مواطن هندها المتمول
قرَّت بقرَّةِ عين من يقري القرى
وحلت لمن حلت لديه بمنزل
حامت جوارحُ حول حورِ نحورها
هلمتْ جوانح بالعيون النجل

فعيونها إتحكي الغزال تلفتاً
وجفونها ترمي السهام بكلكل
وبأفقها الداني اهتدى بدر الدجى
من فرقها الغاني اغتنى الفجرُ الجلي
ولقد جفا جفني الرقاد صبابةً
آهٍ لطرفٍ بالكرى لم يكحل
اسفي على عمرٍ مضى في غربةٍ
صبري انقضى دهري قضى بتحمل
هل في ثرى تلك المثاوي ثروةٌ
ترثي رثيث رثاثتي وتشكلي
ان كان نهر (الكنج) يروي غلةً
فيهِ اكتفي عني وما شئتِ افعلي
بالله ردّي سيف لحظكِ ليس من
شيمِ المروءةِ قتل صبٍّ اعزل
حسبي بقاؤكِ في ديار سعادةٍ
وأرى محاسنَ جسمكِ المتجملِ
رسمٌ اذا في الليل لاح سناؤهُ
قلتُ استتر بدر الدجى ثم ارحل
لما وعت حلو العتاب تحققت
شوقي الى سكان ذاك المنزل

قالت اراك متيماً يرعى الهوى

فلما قعدت عن الديار بمعزل

قلت الزمان اعاقني عن وصلكم

حسنُ اصطباري في الهوى لم يجمل

بيني وبينكِ للبجور تعرُّضٌ

يبلي بليلِ البين قلبي المبتلي

وقلتُ ارشد الشبان الى وسائل الزواج في محافل الرقص باوروبا وذلك في السادس من ايار لعام ١٨٨٦

جمالٌ ومالٌ في عروبٍ رشيقةٍ

نصيبُ الفتى ان كان يتقنُ مهنتي

تعلم فنوني ان هويتَ غزالةً

غزالُ الحمى صيدُ الرجالِ بحرفةِ

شباكُ الظبى قولٌ رقيقٌ مصنعٌ

ولطفُ حديثٍ في مديحٍ بكثرةِ

تحبُّ الغواني ان تعاقدَ موعداً
فكثّر مواعيداً وزدها بمحنةِ
وان كنتَ تهوى ظبيةً ذات عفةٍ
تخضع لديها في احتشامٍ وهيبةِ
وحيِ محياها بلطفٍ تحيةٍ
وجارِ رضاها في اعتناءٍ وخفةِ

***

وربَّ فتاةٍ تبتغي منك منحةً
فبادر الى ما تبتغيهِ بسرعةِ
وربَّ مهاةٍ تستعينُ بمكرِها
على سبرِ أفكار الفتى بدسيسةِ
تقولُ بكيدٍ : ما ارقَّ شمائلاً
فتاةٌ تثنتْ كالغصون الرشيقةِ
فاياكَ والتلميحَ او مدحَ قدِها
فانكَ تسعى في دمارِ بنيةِ
تدكُّ بناءً قد عنيتَ برفعهِ
وتنقضُ عهداً كان أُسَّ المودَّةِ
تحاشَ مديحاً أو كلاماً يهينها
ولا تمدحنْ أُنثى لها بمزيةِ

بلِ اهجُ فتاةً ثمَّ بالغْ بعيبها
ومَوِّهْ كلاماً بافتعالٍ وحيلةِ
وليسَ من الآدابِ عصيانُ غادةٍ
فذاكَ لديها شرُّ ذنبٍ وجنحةِ
بلِ اسمعْ حديثاً ثمّ لبِّ كلامها
بصدقٍ وتحقيقٍ ولطفٍ وهيبةِ
فلو انها قالتْ رأيتُ حمارَنا
يطيرُ ويرقى في السحاب كريشةِ
فطأطئْ وقارًا ثم قُلْ بتأدبٍ
يقيناً لقد طارَ الحمارُ عزيزتي
فحينَ ترى منك التأدبَ عنوةً
تزيدكَ حباً من فؤادٍ ومهجةِ

***

وان خطرَتْ يوماً تميس تباهياً
وقالت دلالاً : هل تُسرّ بحلتي
فبادر الى مدحِ الرداء وقل لها :
لاجملُ ثوبٍ قد توشى بابرةٍ
لمن حسنِ خديكِ استعارَ جمالهُ
وفي قدِّكِ المياسِ زادَ بقيمةِ

ولكن اذا قالت : كساها يضيمها

لسمكِ نسيجٍ او كثافةِ بردةِ

فتعني بانَّ القيظ آتٍ فتشتهي

سواهُ من القزّ الرفيعِ بنخبةِ

تلقّ معانيها بحذقٍ وسرعةٍ

ولح اليها بابتدارِ المدية

غداةَ تهاديها رداءً منمقاً

يليقُ بقدٍّ مثل بانٍ ونخلةِ

وعدّد لها ما شئت من كل حلةٍ

وصف كلَّ صنفٍ من مصوغٍ وحليةِ

***

وربَّ فتاةٍ تبتغي الرقصَ تارةً

لجارِ رضاها واصطحبها لحفلةِ

فقد يعقد الاهلونَ في الحيّ حفلةً

تدور رحى رقصٍ بها طولَ ليلةِ

وتهوى العذارى والكواعبُ جملةً

مخاصرةَ الشبانِ في كل لذّةِ

فيرقصنَ في شوقٍ بدون تحجبٍ

بحضنِ رجالٍ وانتقالٍ بدورةِ

تعلم من الرقص الاديب فنونهُ

وثابر عليهِ باجتهادٍ وكثرةِ

ولما ترى قد قام كلٌّ لخلهِ ... تحمسْ قفازًا واستعدَّ لرقصةِ

وسلم على خير الغواني مطأطئاً ... وكلف اليها الرقص في كل حشمةِ

فان كان لم يسبقك غيرُ مكلفٍ ... بلغتَ مراماً من فتاةٍ رشيقةِ

وفي وقت رقصٍ دُرْ بها ثم سلها ... بلطف حديثٍ في احتشامٍ وحرمةِ

وضمَّ نحيل الخصر في كل دورةٍ ... وطبقْ على الانغام تنقيلَ خطوةِ

وقل: ما الذَّ العيش معكِ كزوجةٍ ... فتلك مدى الاعمارِ احسنُ عيشةِ

عسى ان يكون اليوم بدء سعادةٍ ... لنقضي كلانا خير عمرٍ بغبطةِ

فان قدَّر المولى وصرت خطيبها ... تمتع بما قد نلت من خير زوجةِ

وفي آخر الرقص اسقها راح خمرةٍ ... فذاكَ لديها من أشدِّ الملذَّةِ

وحينَ تزيحُ الثوبَ عنها تخففاً ... تسلمْ رداءً من يديها بسرعةِ

وطورًا تدلُّ ثم تشكو تفنجاً ... من الحر او من فرط رقصٍ وزحمةِ

بمروحةٍ روِّحْ فؤَادًا ونشفنْ ... جبيناً بمنديل حوى عطرَ مسكةِ

***

وعند ختام الرقص هيِّءْ وشاحها ... وودِّعْ بلطفٍ من سبتك برقصةِ

وبعدَ ثلاثٍ زُرْ حماها بضمةٍ ... من الزهرِ في شوقٍ وكل مودَّةِ

ولكن توقَّ المنكراتِ ولا تجزْ ... حدود احتشامٍ في سلوكٍ وعشرةِ

يباحُ رقيقُ القولِ في الرقص تارةً ... دليلاً على صدقِ الوداد ونيةِ

فما الرقص عند القوم الا وسيلة ... لفتح سبيل الحبّ او عقد زيجةِ
ولا تشغلنْ عقلاً ووقتاً مندّداً ... بنقصٍ تراهُ في فتاةٍ اديبةِ
فما الفيدُ إلاَّ من سلالةِ آدمٍ ... ورثنَ عيوبَ الامهاتِ بجنةِ
ومن رامَ بنتاً لا تعابُ بخلةٍ ... قضى العمرَ في وهمٍ محالٍ وخيبةِ
وانتَ الذي في الغيدِ تطلب عصمةً ... فهل نلتَ حظاً من كمالٍ بعصمةِ ؟
كمالٌ بحصرِ القولِ في نوعِ آدمٍ ... محالٌ فلا تبغ المحالَ بحسرةِ
فان سرتَ سيري واقتبلتَ نصيحتي ... ظفرتَ بوصلٍ من عروبٍ رشيقةِ

نورٌ وهدى

اقترح عليَّ الابيات الآتية سيوفي افندي في قرينته «نور» وابنته «هدى» وذلك بالاستانة العلية عام ١٨٨٩

نورٌ تجلى في الظلام وميضهُ
كالسيف لما الغمد عنهُ يُنزعُ
بدرٌ سنيٌّ من منازل حسنه
لاحت «هدى» وبها الضلالة تقشع
فعلى «هدى» ذات الجمال تحيةٌ
ما دامَ «نورٌ» في البرية يسطع

قوسا الحاجبين

قلت الابيات الآتية في حاجبي فتاةٍ ايطالية رأيتها بمدينة رومية وذلك في شهر نيسان لعام ١٨٧٩

هلالٌ تجلى جنحَ ليلٍ بفرقها فبارى قسيّ الحاجبين تزججا
وانجم لحظيها بفلك جفونها تحيل ظلام الليل صبحاً تبلجا

العاج واللآلي

ارتجلتُ الابيات الآتية وانا راكب قطار السكة الحديدية تحت اقبية لندرة مع مهاةٍ انكليزية · وذلك في ٢٢ تشرين الاول لعام ١٨٨٥

عذراء قد صبغَ الحياء خدودها
وعيونها النجلى تغازل مهجتي
رمانتانِ بصدرها وبجيدها
عاجٌ وفي فمها اللآلي صفتِ
عينانِ قال الله كونا كانتا
نجمينِ ضاءا في مجرة جبهةِ

زيارة مشتاقٍ

قلتُ الابيات الاتية في صبيقة زارتني وذلك سنة ١٨٦٤

وافت الى داري مهاةٌ في الضحى وبدت كشمس ابهرت نور البصرْ
سطعت اشعةُ حسنها وكمالها اذ اسفرت عن وجهها ذاك الاغرْ
عبقت من الثغر الاغرّ روائحٌ كالمسك من ردنِ الغزال اذا انتشرْ
من فرقها هلّ الهلالُ منوّرًا والبدرُ في وجه الحبيبِ قد ابتدرْ

وقلتُ في فتاةٍ يقال لها هند سنة ١٨٦٩

هل نورُ شمسٍ قد تبدّى في السحرْ
ام وجهُ هندٍ في الليالي كالقمرْ؟
هل وجهها الباهي خفتْ بنقابها
امِ بدر تمٍّ في الغمام قد استترْ؟
هل نور برقٍ لاحَ فورًا في الدجى
ام فجر صبحٍ من محياها انفجرْ؟
حملَ الهواءُ إلى حمايَ عبيرَها
لما سرى سحرًا شذاها وانتشرْ؟

﴿ الحبب ﴾

مهاةٌ حبوبُ الدرِّ تغشى جبينها
حياءً اذا ثغرٌ وخدٌّ تلامسا
وما اجمل الثغر اللذيذ رضابه
اذا الدرُّ والمرجان فيهِ تنافسا
غرامُ فؤادي في هواها مقرَّرٌ
وقلبي سواها ما احبَّ وآنسا

﴿ المياسة ﴾

مهاةٌ بصحن الدارِ ماست بقامةٍ حكتها قناةٌ في اعتدالٍ مكملِ
رمتني بسهم من جفونٍ مريضةٍ اصابت بنصل اللحظ اعشار كلكلي
إذا افترَّ ثغرٌ بابتسامٍ حسبتهُ ضياءً تجلى من نجومٍ بهوجلٍ
جمال المحيا زينتهُ فتوةٌ ودلٌّ تبدَّى في غرامٍ محللِ

﴿ الشباك ﴾

وقلتُ في عروس شعري « هلدا » اول يومٍ رأيتها

لقد نصبتْ في الحب « هلدا » شباكها
وصادتْ فؤَادًا بالغرام يُعذَّبُ
فكيفَ يطيقُ القلبُ منها تملصاً
وقد صِيدَ في الاشباكِ والظبيُ يلعبُ
فلا الظبيُ ذو قلبٍ رقيقٍ ورحمةٍ
ولا القلب يسلو حب « هلدا » فيهربُ

﴿ الزيارة ﴾

وقلتُ في فتاة ايطالية اتت الى زيارتي من رومية وذلك سنة ١٨٦٧

مهاةٌ اتتني في دلالٍ من الغربِ
عليها وشاحٌ من نسيج بني العربِ
رشيقةُ قدٍّ قد ضناني دلالها
اسيلةُ خدٍّ بالهوى احرقت قلبي

تجلت بوجهٍ مثل بدرٍ مُكملٍ
تلألأ عن بُعدٍ كما ضاء عن قربِ

ازاحتْ نقاباً كان يغشي جبينها
فلاحَ هلالُ الحاجبين بلا حجبِ

تجلى هلالُ العيدِ في فرق فرعها
فقامت له الاعياد في الشرق والغربِ

على رأسها تاجُ الجمالِ مزينٌ
باسود شعرٍ قد ترامى على الكعبِ

لها مقلةٌ تصبي الفؤاد بلحظها
وطرفٌ كحيلٌ قد تجمل بالهدبِ

تفوّق من قوس الحواجب اسهماً
وترمي نصال اللحظ في حومة الحربِ

وتُجري رحيقاً من دنانٍ شفاهها
فيسكر صبٌّ مستهامٌ بلا شربِ



﴿ التهنئة ﴾

وقلتُ في عيد مولد الفتاة « سيبيلا ديوزي » وذلك بلندرة في ٢٠ تموز لعامْ ١٨٨٨

متى هلَّ « سيبلاً » الهلال عشيةً
ذكرتِ هلال الحاجبين بجبهةِ
متى النجم والبــدر التمام تجليا
تذكرت نوراً في اللحاظ ووجنةِ
نشأتِ كغصنٍ لاعبته يد الصبا
فزادَ غرامي ــفي هواكِ بنسبةِ
إذا عادَ عيدٌ كل عامٍ بمولدٍ
اعاد على قلبــي كمال المسرَّةِ
اعادَ عليكِ الله موسم بهجةٍ
الوفاً من الاعوام في كل غبطةِ



باب المقطعات

مونتي كارلو

القصة : « مونتي كارلو » اسم بلدة صغيرة الى جوار « فلورنسة » في الجهة الشمالية من ايتاليا . وقد اشتهرت على صغرها بلعب « القمار » الذميم الذي هو اشهر الملاعب في الدنيا . ولهذه امير مستقل بنفسه لا وارد لهُ سوى ما يأخذهُ كل سنة من شركة لعب القمار في نظير اجرة « الكازينو » . والكازينو عبارة عن بناء عظيم يحتوي على اماكن كثيرة منها مكان معدّ للعب القمار ويسمى باسم « رُوْلِتْ » . ومنها ما كان معدًّا للراحة والرياضة واللهو . وفيه حديقة عظيمة في اجمل بقعة . ويقصد هذا المحل من اقطار الدنيا كثيرٌ من الاغنياء السفهاء المقامرين . فمنهم من يخرج من قاعة « الرولت » مسروراً بما يربحهُ من النقود . ومنهم من يخرج مأيوساً ومكروباً من جراء ما فقدهُ من الاموال الكثيرة . ومنهم من ينتحر بعد خروجه من حجرة اللعب . ومنهم من يُضيع كل رأس ماله في لعب القمار حتى لا يبقى معهُ ما يقوم بنفقة رجوعهِ الى

بلاده · فتضطر شركة القمار إلى اعطائه نفقة سفره لتبعده عن مركز اللعب وتتخلص من شر انتحاره

فاذا دخل الانسان الى حجرة « الرولت » رأى فيها رجالاً ونساء وبنات من اهل النعمة واليسار تخالطهم نساء وبنات من الطبقات السفلى في التربية وفساد الاخلاق · ويرى على وجوه كل هؤلاء المقامرين والمقامرات سمات مختلفه وكلها تدل على اضطراب وانزعاج البال والوسواس واليأس والقنوط وقلَّ من يكون بين هؤلاء المقامرين والمقامرات مسرورًا او ساكن البال · فكأن المكان جهنم واصحاب شركة القمار ابالسة وشياطين والمقامرين والمقامرات هم المحكوم عليهم وعليهنَّ بالعذاب المؤبد · فسبحان من ازال عن اعين اصفيائه برقع الغيب واراهم بمشهد « مونتي كارلو » منظر جهنم الحمراء لينقوا عذابها في الدارين

وقد اصدر مدير هذه الشركة الخبيثة بيانًا بحساب نفقاته سنة ١٩٠٠ للميلاد فكان منها ٢٠٠،٠٠٠ ليرة انكليزية حصة حاكم البلدة · ومائة الف ليرة انجليزية اجرة مستخدمي الملعب وعددهم ١٦٠٠ مستخدم · وثمانون الف ليرة انجليزية أُنفقت على مرسح التمثيل والموسيقى التي تعزف كل يوم صباحًا ومساء في حديقة الملعب · وثلاثون الف ليرة انجليزية دُفعت الى اصحاب الجرائد ليسكتوا عن تبغيض الناس في المقامرة · و١٥ الف ليرة انجليزية صُرفت في سبيل الاحسان لبعض الاماكن الدينية (تكفيرًا عن آثام اللعب) · وثلاثة آلاف ليرة أُنفقت على تسفير المقامرين الذين فقدوا كل اموالهم في لعب القمار

ولما كان منظر المقامرين على اختلاف احوالهم مما يقضي بالعجب والاسف انشدت فيهم الابيات الآتية :

النظم

الى اللعب والافلاس يسعى المقامرُ
وفي ردنهِ المال المذخرُ حاضرُ

يبارحُ حانوتاً ويهملُ ربحهُ
ويغرمُ باللعب المحرَّم خاسرُ

يغادرُ صبياناً تعيش بذلةٍ
ويتلفُ اموالاً شقيٌّ مقامرُ

وزوجته تطوي الليالي حزينةً
وقد ضاع منها عقدها والاساورُ

تقول لهُ قد مزَّقَ الجوع قلبنا
وانت تضيع المال والجوع كافرُ

تراهُ قد استولت عليه همومه
وزادت عليه في القمار الخسائرُ

وينتفُ عثنوناً ويقضم شارباً
ومن فقده الدينار هاجت خواطرُ

فقد كان قبل اليوم اكبر تاجرٍ
تحوط به الاشراف ثم الاكابرُ

فقد بات هذا اليوم في الفقر والبلا

ينوح ويبكي والدموع زواخرُ

« وقلت في مولد طفل »

لمن الحشا لبس البهاء تجملا

طفلٌ بهيٌّ بالجمال تجللا

ولدت نجيباً اخت شمس في الضحى

فنظرت بدراً بالنجوم مكللا

وتبسمَ الشرق الاغرُّ لوجههِ

والغرب قام مرغمًا ومهللا

« وقلت »

ولما جفوني شقها النور اولا

بكيت وغيري حول مهدي يضحكُ

وان عشتُ بالافضال ارحل ضاحكاً

وغيري بكاءً حول نعشي يهلكُ

الربيع

لما الطبيعة في الربيع تنبهت
من رقدةٍ كان الشتاء غطاؤُها
شقت جيوب قميصها وتبرَّجت
وبدت محاسنها وجلَّ بهاؤُها
وبحسنها الباهي اجتلت سحرًا لنا
ازهار حسنٍ يستطاب زكاؤُها

الاغترار

ماذا يفيدك ان رأَيت جميلةً
مزدانةً بأساورٍ وقلائدٍ؟
تفترُّ بالحسن البديع وتشتهي
من كان حقًا اصل كل شدائدِ

تهنئة بوسام افتخار مرصع

وذلك بالاستانة في ٦ ايلول سنة ١٨٩٥

ها سيفك المهودُ جاء مهنئاً بوسام فخرٍ بالفضائلِ رُصعا
سيفٌ جلا الرحمن جوهر نصلهِ بدم الذين لسانهم قد قُطعا

النشوة

سكرتُ وعقلي غاب عنه بريقهُ ودنٌ مدامي مقلتاهُ وريقهُ
سقاني براحٍ باللآلي متوَّجٍ وما الراح الا ثغرهُ وعقيقهُ
سباني بطرفٍ رحت فيه اسيرهُ ودمع عيوني من جفاهُ طليقهُ

تقريظ

لرواية الذمام والذميمة

اتتني مهاةٌ في وشاح روايةٍ تتيه دلالاً دون كبرٍ ولا عجبِ
تقصُّ من الاخبار ما ينفع الورى فوائد نصحٍ تستفاد من الغربِ

تلوم لئاماً قد تناهوا بغدرهم كذا الدهر لا يخلو من الغدر والثلب
«امين» اتى في صدقه خير حجة وراح شهيد الصدق يدفن في الترب
ونال مجازاة اللئيم «غنيمة» وتم عقاب النذل بالشنق والصلب
فلا تأتمن نغلاً دخيلاً ولو وفى فلا خير في من ليس يأتيك من صلب

تقريظ

آخر لرواية «خريدة النصائح»

زفت الى عقل الانام خريدة
جاءت بعقد رواية تتنضد
بهرت محاسنها العقول فبادرت
اهل النهى ورد المعارف تقصد
فيها من الآداب ما يجدي الورى
نفعاً جزيلاً فضله لا يجحد
نثر يفوح المسك من فقراته
والشعر منسجم القوافي ينشد
شعر ارق من النسيم اذا سرى
قد قام ينشده اديب اوحد

«وقلت في خمرة معتقة ١٩ عاماً و٩ اشهر»

طرقتُ فتاةً ذات تسعٍ وعشرةٍ وحبلى بشهرٍ تاسعٍ غير كامل
سكرتُ بها تسعاً وعشرة ليلةً وهل يبتلي في شربها غير عاقلِ؟

السحر

السحرُ وهمٌ والمشعبذُ كاذبٌ ومنجمٌ يرعى البروج لهاذرُ
ومن ادعى بالسحر شرُّ منافقٍ وعن التلاعب بالطبيعة قاصرُ

«وفيه»

زعمَ المنجمُ والمشعبذُ جملةً ان الطبيعة تحت امر كليهما
كذبا على اهل الغباوة ظاهراً واخو النباهة لا يميل اليهما
لم يشتركْ ابليس في زعميهما
ومن السما سخط الاله عليهما

الجوهر والعرض

كتبت هذين البيتين على شبه صورتي وبعثتها الى صديق
وذلك سنة ١٨٦٨

رسمي بدا فوق الصحائف مثلما ال　　اعراض من فوق الجواهر تظهرُ
شهدَتْ لكم اعراض شبهي في الورى　　اني على الحب القديم مُصوَّرُ

الضيف المتطفل

قلت هذين البيتين وانا بلندرة يوم رأيت اول شعرة بيضاء بمفرقي
وذلك في ٢٧ تموز لعام ١٨٨٦

ضيفٌ اقام بمفرقي متطفلاً　　لا مرحبا في من اتى جنح الدجى
ينبي بانَّ العمرَ زال شبابهُ　　اسفي عليه عَوده لا يرتجى

التمني المحال

فيا ليت شمس العمر دام شروقها
ودامت ليالي الوصل تجمع شملنا.

أُخلايَ هل هذا الفراق مؤَبدٌ

ام الدهر بعد البين يقضي بوصلنا

الغريم

فؤادي غريمي في غرام غزالةٍ

اراها بعيني لا ترقُّ لحالتي

يذوبُ فؤادي في هواها صبابةً

وبحر دموعي لا يبرّدُ غلتي

ابنة الكرمة

وابنة كرمٍ ذقتهـا ذات ليلةٍ

فبتُّ وباتت في خلال جوانحي

ولما رشفت الريق منها بلثمةٍ

سكرتُ بخمرٍ خمرتهُ جوارحي

الربيع والشتاء

اراها بعينٍ لا تكفُّ دموعها
وتنظر وجدي بازدراءٍ ونفرةٍ
تقول : ألا عنك الغواية تنجلي
فاين ربيعٌ من شتاءٍ بلمـةٍ؟
أمن غادةٍ تحشو بقطنٍ شفاهها
وتبدل ثلجاً باخضرارٍ ومنـةٍ؟



الخـاتمة

ذيلت بالابيات الآتية كتاب القواعد العثمانية الذي ترجمته من اللغة التركية الى اللغة العربية ورتبته على طرز السؤال والجواب وذلك ببيروت سنة ١٨٦٧

نفسي ضناها سعيها لجهادها والعين ذاب سوادها لسهادها
حالت عليَّ من السنين ثلاثةٌ بتمامها وانا اسيرُ جهادها
يا قارئاً هذا الكتاب معرباً اذكر بنانا في تراب فسادها

يفنى المؤلفُ والمترجمُ في الثرى   وتدوم اوراق الفتى بسوادها

فصاحة الصمت

لساني سكوتٌ في الشدائد انما
فؤادي دواماً بالتحسر ناطقُ
فكم صامتٍ يُبدي الفصاحة صمته
وكم كاذبٍ قولاً وبالفعل صادقُ

فصاحة الدمع

فصاحةُ مرءٍ في انطلاق لسانهِ
ودمع فتاة الحيّ افصح منطقِ
يثيرُ خطيبٌ باللسان هواجساً
وتسطو مهاةٌ بالدموع على التقي

الدمع والتبسم

ولما افاض الغيمُ دمعَ جفونهِ   تبسم ثغرُ الورد فيه تشفيا

وَنصَّ خزام الروضِ نحرًا تعجباً
وزهرُ الربى بالدرِّ رُصعَ صافيا
وهزَّ سرورٌ غصن بانٍ تدللاً
وغنى على العيدان طيرٌ قوافيا

الدمع والدرُّ

(بنابولي سنة ١٨٨٥)

عجبتُ لدرٍّ فوق وردٍ منضدٍ   وعهدي بدرٍّ يستفاد من البحرِ
سألتُ حبوبًا قد تلألأ نورها   أدرًّا ارى ام حبُّ مُزْنٍ على زهرِ
فقالت : فتاةُ الحيِّ ناحتْ عشيةً   واجرتْ دموعًا لا تُمازُ من الدرِّ





النصحُ

« بلندرة في ١٦ آب عام ١٨٨٦ »

لا تشغلنْ منكَ الفؤاد بغادةٍ   يأتي مواردها سواك ليرشفا
ان مسَّ كفٌّ وردةً في غصنها   ذَبلتْ وزال الحسنُ عنها وانتفى

دواء العفة

« قلتُ ذلك بلندرة في ١٧ كانون الاول ١٨٨٧ »

واصحاب شهواتٍ وحسنٍ وثروةٍ   كاغنام جزارٍ تساقُ الى الذبحِ
يسوقُ الغنى حتى التقيَّ الى الخنى   وينجو فقيرٌ من فجور ومن فضحِ
ولستُ ارى في الفضل حقاً كفايةً   فكم فاضلٍ يكبو مساءً وفي الصبحِ
وفي كل عمري ما رأيتُ لعفةٍ   دواءً سوى الافلاس والضعف والقبحِ

الدمع والجمر

قلت هذين البيتين بلندرة سنة ١٨٨٩

سألتُ دموعي وهي تجري زواخراً
غرقتُ كفى هذا الصبيب الى متى؟
فقلنَ : لقد اضحى فؤادك جمرةً
وجمرُ الغضا بالدمع يطفأُ يا فتى

﴿ السحاب ﴾

وذلك بلندرة في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٨٨٧

سحابٌ من الابحار يملئُ زِقهُ ويروي ظمآء الارض والورد يشربُ
وترفل في ثوب الدلال تبخترًا قدود غصونٍ فوقها الطيرُ يخطبُ
وينعش فح الزهر قلبًا ومهجةً وخمس حواس الجسم في الروض تطربُ

﴿ العبرة والزفرة ﴾

ولي عبرةٌ مهراقةٌ لو اطعتها
لصارت بحارًا اغرقتْ كل نسمةٍ
ولي زفرةٌ حراءُ لو فشّ وطبها
لذابتْ بها الاكباد وجدًا بحرقةٍ

﴿ الغيث ﴾

لما بكت عين السحاب تبسمتْ
افواه زهرٍ والرياحُ تصفقُ
والطيرُ غرّدَ في الارائك مطربًا والماءُ من فرط المسرةِ يدفقُ

شكوى

الوذُ بقومٍ يجهلون مكانتي
وقدري لديهم مثل قدر البعوضةِ
ومن سوء حظي قد ولدت ببلدةٍ
بها التبر تربٌ والرصاصُ كفضةِ

التسليم

« انشدت هذين البيتين في ٢٠ اذار لعام ١٨٨٧ للميلاد »

سمعنا فطعنا ثمَّ بنّا فبلغوا سلامي حبيباً مستكناً بمهجتي
وقولوا لهُ : اني مقيمٌ على الوفا وودّي وثيقٌ في يسارٍ وشدّةِ

الشكران

قلت الابياتِ الآتية شكرًا على دعوةٍ الى وليمةٍ بالاستانة العلية وذلك في ٢٣ نيسان لعام ١٨٩٠

اتينا فذقنا من لذيذ طعامكم شبعنا وقلنا بارك الله فيكمُ

طعامٌ طهاهُ خير طاهٍ بحيكم   عسى انه للدهرِ يؤكلُ معكمُ

﴿ الاستنكاف ﴾

وقلت استنكافاً من اهل الكذب والغش وذلك بالاستانة سنة ١٨٩٥

اری اهل هذي الارض طرز بهائمٍ
وما همهم الا طعامٌ ومشربُ
وشأن كبيرٍ او صغيرٍ مكائدٌ
وقد ساقهم للكذب والغش مكسبُ

﴿ الكذب ﴾

من الناس من يخشى الحقيقة عمره   ولا يختشي من قبح قولٍ مزوَّرِ
فعندي ابليسٌ وكل جنودهِ   اقل شروراً من كذوبٍ ومفترِ

﴿ تأثير الغيث بالزهور ﴾

« قلت الابيات الآتية بلندرة وذلك سنة ١٨٨٧ »

سحابٌ من الابحارِ يملئ زقهُ   ويروي ظمأ الارضِ والوردُ يشربُ

وترفل في ثوبِ الدلالِ تبختُرا

قدودُ غصونٍ فوقها الطيرُ يخطبُ

وينعشُ نفحُ الزهرِ قلبًا ومهجةً

وخمسَ حواسِ الجسمِ في الروضِ تطربُ

الخمرة

وقلتُ اذمُّ الخمرة في ١٠ من شهر ايلول لعام ١٨٨٦ وذلك بمدينة نابولي من اعمالِ ايطاليا

تمدَّحَ اصحابُ المدامِ بكاسها وبالغ قومٌ في صفاتِ سقاتها
فما الراحُ إلاَّ روح سمٍّ وُجنةٍ فمن رامَ حتفًا او جنونًا لياتها

الزيارة

مررتُ بدار الخلِّ ابغي اعتماره وجدتُ حبيبي غائبًا فعذرتهُ
فلما درى ما حلَّ بي لبعادهِ اتاني سريعًا زائرًا فشكرتهُ

الحاكم الظالم

اذا وُلِيَ الاحكامَ قاضٍ مزوِّرٌ دفنا حقوق الناسِ في القبرِ للحشرِ

فيجلس اذ ذاكَ الاِلهُ محاكماً ويبعث مدفوناً ويأمرُ بالنشرِ

« وقلتُ في زفاف صديق لي ببيروت وذلك سنة ١٨٧١ »

ابشرْ بعرس قد سباكَ جمالها
بعد الجفا حُطت لديك رحالها
هي وردة الحسن التي قد فتحتْ
لما تجلى للانام جمالها
بشراكَ فالتاريخ حاز شهادةً
في ليلة الاكاليل غرَّ هلالها

وقلت في ابنة السيدة «ارُنلد» زوجة امير اللواء سير «ارنلد كمبل»
الانكليزي وذلك بلندرة سنة ١٨٧٩

ولد الكمالُ مع الجمال جميلةً
يا حسنها من فتنةٍ في مهدها
ومن الحشا اكتست المحاسن طفلةً
يوماً ستسبي العاشقين بقدها
نبتت كوردٍ في حديقة « كمبل »
يا حسن لونٍ اصلهُ من خدّها

وقلت في زفاف صديق وانا في « هونغ كونغ » من مملكة الصين
وذلك سنة ١٨٧٤

انعم بعرسٍ واغتنم عيش الهنا ... قد نلت يا مولايَ غايات المنى
زارت حِماكَ شقيقةُ الشمس التي ... من وجهها بدر الدجى نال السنا
قسماً بذاك الحسن والوجه الذي ... فاقَ البدور تجملاً وتحسنا
قد طابَ عيشكَ في جنانِ جمالها ... اذ عقّد الرمان والغصن انحنى

« ذيل واستدراك (١) »

﴿ اوهام الملل في ظهور ﴾

نجم بذنب

ان اوهام الناس في تأثير النجوم من ذوات الاذناب في احوال الناس لكثيرة وقديمة معاً . فالبشر في كلا حالي الوحشية والمدنية قد زعموا ان ظهور نجم بذنب في السماء دليل على حدوث مصيبة ينكب بها اما عموم الناس واما روساؤهم او ملوكهم او كبراؤهم . فكان الصينيون وقوم الاسكيموس المتوحشون الساكنون في القطب الشمالي والكافرس المتوحشون من سكان افريقيا الجنوبية وسكان جزر البحر المحيط يعتقدون

---

(١) لقد وقع في اثناء طبع هذا الكتاب بعض سهو من جامعي حروفه فاهملوا وضع عنوان « باب الغزل » في موضعه ولذلك رأينا التنبيه اليه والاشارة الى مكانه وهو يبتدئ من عند « القصيدة القطارية » ثم انه قد سهي ايضاً في باب الافانين وضع هذه المقالة وهي في « اوهام الملل » فرأينا ان نجعلها في هذا الباب كملحق لما انقضى من باب الافانين ثم انه قد حدث ايضاً بعض السهو في وضع شيء من قصائد الغزل في باب الافانين فلم ينتبه اليه الا بعد طبع قسم كبير من الديوان ولذلك رأينا الاشارة اليه وان يكن لا يخل بجوهر الديوان ولا يفوت ذهن القارىء اللبيب

شرًا في ظهور هذه النجوم كما كان يعتقده اهل اوروبا واسيا وفريقية المتمدنون · ولبث هذا الوهم مستوليًا على عقول الجهلاء والعقلاء والشعراء وعلماء الهيئة والفلاسفة واللاهوتيين معًا ليس فقط الى عصر المعلم «كوبرنيك» الطبيب والقس والفلكي بل الى عصرنا ايضًا رغمًا عن كونه يحسب من اكبر اعصار العلوم والمدنية · فكان كوبرنيك اول من قلب النظام الفلكي القديم المعروف بنظام بطليموس وجعل الشمس مركزًا لكرتنا الارضية ولبقية الكواكب السيارة · واول من انكر تأثير النجم ذي الذنب في احوال الناس · واثبت رأيه تيخو براخي الفلكي الدانيمركي المشهور · واسحق نيوتون الفلكي الانكليزي المشهور كان اول من علم علماء الهيئة طريقة حساب السنين التي فيها يتكرر ظهور النجوم من ذوات الاذناب

وذكر ارسطوطاليس قصة نجم بذنب ظهر في السماء ريثما هو كان صبيًا في بلدة «ستاجيرة» وذلك منذ اثنين وعشرين قرنًا وقال ان ذلك النجم القى رعبًا شديدًا في قلوب الاهالي · لانه عند ظهوره في عرض السماء بذيل ناري منحنٍ انحناء السيف حدثت زلزلة هائلة وسببت طغيان مياه البحر على الارض واغرقت مدينتين من مدن «آخينة»

ودام هذا الخوف من ظهور النجوم المذكورة يقلق الناس الى يومنا هذا · والباعث على هذا الخوف تصادف وقوع البلايا والمصائب على الارض وقت ظهور هذه النجوم · ولم يقتصر جهلاء الناس على جعل هذه النجوم مصادر البلايا والشرور كالحروب والطاعون والقحط الى غير ذلك من المصائب العامة بل نسبوا اليها امورًا غريبة كثيرة ايضًا · فزعم اهل

رومية ان نجماً بذنب انبأ بموت الملك قسطنطين الكبير · وقيل : لما ولد نابوليون بونابرت بجزيرة كورسيكا ظهر في السماء نجم عظيم بذنب طويل · وعلى هذا النمط لبث الناس كباراً وصغاراً تارةً يتطيرون واخرى يتشاءمون من ظهور هذه النجوم وينسبون اليها حوادث غريبة ومصائب عظيمة · فكانوا اذا رأوا ذنبها المنير منحنياً انحناء السيف زعموا انها منذرةً بحروب هائلة · وان رأوه في شكل مكنسةٍ زعموا ان ذلك دليل على طاعون عام يكنس الناس الى القبور

فقد احصى علماء الهيئة نحو خمسمائة نجم من النجوم ذوات الاذناب ظهرت في السماء وشوهدت بمرأى العين وذلك منذ بدء التاريخ المسيحي الى الآن · فيكون معدل ذلك نجماً في نحو كل اربع سنين · فاذا قابلنا هذا العدد من النجوم مع المصائب العامة والحوادث الغريبة التي طرأت على الكون واثرت في الخلق سهل علينا ادراك ما ينسبه عموم الناس من الخصائص والشرور الى هذه النجوم

ومن الغرائب ان النجم الذي ظهر سنة ١٨٨٢ كان نفس النجم الذي ظهر سنة ١٨٤٣ وكان ذيله المنير في شكل سيف مرهف كأنه ملاك في السماء حامل سيفاً يتهدد الناس بالحرب · ومن غرائب الصدف ايضاً حدوث الحرب بمصر بين الانكليز والمصريين اثناء ظهور ذلك النجم سنة ١٨٨٢ · وكنت وقتئذٍ قد رجعت من مصر الى لندرة

وقد لهج بمثل هذه الحوادث كثيرون من الشعراء · من جملتهم شكسبير الشاعر الانكليزي المشهور الذي قال في وصفه مقتل يوليوس

قيصر ملك الروم :

When beggars die, there are no comets seen,

The heavens themselves blaze forth the death of princes.

« يموت الفقير وليس في السماء من علامة . واذا مات الامير استنارت السماء بنجم ذي ذيل منير » .

اما بلوترخوس فكان من الذين لا يعتقدون شرًا في ظهور النجوم المذيلة ولذلك قال اني لا اشاهد اتصالاً معنويًا او ماديًا بين قتل يوليوس قيصر وظهور النجم المذيل في عرض السماوات او دخول الطيور ليلاً الى دار « الفوروم » دار الحكم او استماع اصوات غريبة منتشرة في جهات مختلفة كما زعم الناس . ولذلك قام مع الفيلسوف سينكا واتحدا بالامبراطور فسبسيان وعلما الناس ان يطرحوا عنهم خزعبلات الجهلاء الذين يتوهمون ان ظهور النجوم المذيلة دليل على قرب حدوث البلايا في العالم او على انقلاب في الدول وهلم جرًا

ومن اغرب الغرائب ان يعلم هذان الفيلسوفان الوثنيان في تلك الاعصار المظلمة علومًا صحيحة في شأن النجوم المذيلة وملتون الشاعر الانكليزي المسيحي يعلم في عصر المدنية ان النجوم المذيلة دلالة على حدوث الحرب والطاعون . فقد قال في ديوانه المسمى « بالفردوس المفقود » في وصف ابليس :

Satan stood

Unterrified, and like a comet burned

That fires the lengte of Ophiuchus hugh

In the arctic sky, and from his horrid hair

Shakes pestilence and war.

ومعناه نثرًا :

قام ابليس غير مذعورٍ كأنه نجمٌ ذو ذنبٍ ينير الجو الفسيح في القطب الشمالي وينثر من شعر ذيله الهائل حربًا وطاعونًا

وقال المعلم هولم الانكليزي حينما وصف انقلاب هيئة الحكم بانكلترا : ان نجماً من ذوات الاذناب في عرض السماء رسولٌ منذرٌ بغرائب الامور

واثبت المعلم هالي *Halley* الفلكي الانكليزي الشهير بحساب مضبوط ان النجم العظيم الذي ظهر سنة ١٨٦٠ للميلاد كان عين النجم الذي ظهر يوم قتل يوليوس قيصر ملك الروم وان ظهوره ثانية في عهد دولة « استوارت » *Stuart dynasty* باسكوسية كان نذيرًا لها من لدن الله لتصلح سيرتها وتعدل في الرعية » . وقال المؤرخ « جون افلين » *Gohn Evelyn* في وصف النجم المذكور : على اي شيء يدل هذا النجم ؟ لا يعلم ذلك احد الا الله وحده . ولكن اذكر اني رأيت ظهور نجم مثل هذا سنة ١٦٤٠ وذلك في اثناء محاكمة الارل استرافورد الكبير *The great Earl Strafford* قبل حدوث الانقلاب السياسي العظيم في

انكلترا · سألت الله تعالى ان يردَّ عنا غضبه · وقد ظهر في السماء نجوم عديدة من ذوات الاذناب وربما كان ظهورها من جملة الامور الطبيعية غير اني لا استطيع ان اغض النظر عنها بالكلية من كونها علامات سماوية يتخذها الله انذارًا للناس · » انتهى

اما النجم الذي ظهر سنة ١٦٨٢ للميلاد فهو النجم المنسوب الى المعلم هالي المشار اليه لجهة كونه اثبت بحساب دقيق ان ذلك النجم قد ظهر مرات عديدة في مدة ٧٥ سنة · وانه سوف يظهر كذلك سنة ١٩١١ للميلاد · وانه عين النجم الذي ظهر سنة ١٤٥٦ للميلاد وفي اثناء ظهوره سقطت دولة الروم في الشرق وقامت مقامها دولة الاتراك وشمل اهل اوروبا خوف عظيم منها حتى امر البابا كالستوس ان يضيف النصارى الى الصلاة التي يقيمونها وقت شروق الشمس والظهر وغياب الشمس المعروفة « بملاك الرب بشر مريم العذراء فحبلت من الروح القدس » هذا الدعاء ايضاً : « اللهم نجنا من سطوة الاتراك ومن النجم ذي الذنب »

وهذا كان الباعث على اعتقاد الناس ان البابا المشار اليه قد اصدر منشورًا في حق النجوم من ذوات الاذناب · وربما اغترَّ بهذا احد العلماء اللاهوتيين الذي ذهب الى ان النجوم من ذوات الاذناب كتل قد تجمعت من خطايا الناس ثم ارتفعت الى الجو وراها الله تعالى واحرقها بنار غضبه · وعندما تناثر رمادها على الارض جلب الحروب والطاعون والمجاعة وغيرها من المصائب على البشر الاثمة · وذهب الى هذا المذهب المعلم رابيليس

ايضاً Rabelais

وزعم المعلم « بنتغرول » *Pantagruel* ان بعضاً من البشر الذين يعيشون على الارض عيشةً صالحة ويصنعون خيراً مع الناس يجلّ الله نفوسهم اجلالاً عظيماً حتى انهُ ينذر الناس بحلول اجلهم قبل وقوعه بمدة والوسائط التي يتخذها لذلك الانذار هي النجوم من ذوات الاذناب · فكأَنها صواريخ تشعلها الملائك في السماوات ابتهاجاً وترحباً بدخول تلك النفوس الشريفة الى جنة الخلد · فسبحان من خلق العقول وجعلها تتقلب في الآراء والمذاهب وترجمَ بالغيب احكامه الغامضة ·

ولما ظهر اخيراً نجم من هذه النجوم في الترانسفال وتشاءَم منه اهلها واستدلوا من ظهوره على دوام الحرب نظمت في ذلك الابيات الاتية :

« النظم »

المرء من جهله بالوهم مشتغلُ
والوهم يخلق ما الافهام تنكرهُ
من جهله زعم الاملاك ناطقة
من برجها بالبلى تنبي وتنذرهُ
ان لاح في الجو من نجمٍ ومن شهبٍ
اذنابها حية تسعى فتذعرهُ
ان شاهدت عينه ذيل النجوم على
شكل الحسام اهال القلب منظرهُ

وان رأَوا ذيله في شكل مكنسةٍ

قالوا هواءٌ يسمُّ الكون اصفرهُ

وان رأَوا انجماً مثل السهام بدت

قالوا بها قد كبا كسرى وقيصرهُ

واستشأَم الناس من حرب ومن فتنٍ

تقضي على ملكٍ قد باد عسكرهُ

والروم قد سقطت في الشرق دولتهم

لما بدا النجم في الافاق احمرهُ

والغرب مع جيشه الجرار منذعرٌ

من حملة من جنود الترك تكسرهُ

لم ينحصر جهلهم في اعصر غبرت

بل ساد عصراً لنا في العلم انورهُ

كل امرءٍ جاهل في قلبه وجلٌ

من مديةٍ من ملاك الموت تنحرهُ

هذي الخرافات قد اضحت برمَّتها

بؤْساً على عالم في الجهل اكثرهُ

الاسفار

خرجتُ من لندرا اريد باريس وركبت قطار السكة الحديدية وانا بلا جليس ولا انيس نخطر لبالي الفرق الكائن بين اسفار العرب وما هي عليه من الاتعاب والكرَب وبين اسفار الغربيين وما هي عليه من رغدِ حالٍ مبين فقلت في ذلك هذه الابيات في الرابع عشر من شهر نيسان سنة ١٨٨٩

لاسفارِ اهلِ البيدِ ظعنٌ وهودجٌ ونوقٌ عليها العربُ تغزو وتسرحُ
ونحن قد اعتضنا عن الكلِ في السرى بفلكٍ كحوت البحر تجري وتسبحُ
وفي البر سرنا في قطارٍ يجرُّهُ بخارٌ يحاكيهِ العقاب المجنحُ
يقينا شتاءً قرص بردٍ وثلجهُ وفي القيظِ في ظلٍ نبيتُ ونصبحُ



المماطلة

هذا اول شعر قلته بالاستانة العلية في من كان يماطلني بوعوده وذلك عام ١٨٩٠

ان كنتَ للاقوالِ فعالاً فكن
مرءًا حزوماً في الوعود مدققا

ان قال صبحاً او مساءً او ضحىً

يعطيك اعطاك المراد محققا

اما المماطل فاجتنبهُ لانهُ

نذلٌ يحاول بالكلام تملقا

الخل الحميم

اخلاي ان جار الزمان عليكمُ

فلا تقنطوا روحي ومالي لكم فدا

جمعتُ حطاماً كي اعيش بنعمةٍ

وأُسعدَ خلاً في الوفاء تفرَّدا

اذا المال لم ينفق على خير خلةٍ

فلا خير فيهِ للاحبة والعدى

اذا مالَ مالي واعترتني خصاصةٌ

فحسب عيوني ان تراكم على المدى

اذا زاد عقلُ المرءِ فوق حطامهِ

كفاهُ نعيمٌ لن يزولَ ويُفقدا

« قال شاعرٌ في العيش »

انما العيش خمسة فاغتنمها واستمعها نصيحة من صديق
من سلافٍ وعسجدٍ وشبابٍ وزمانِ الربيع والمعشوقِ

« فقلتُ رداً عليهِ »

عرفتُ لذيذ العيش في خمسة وما لديَّ من اللذاتِ شيءٌ مرافقي
سلافي دموعي والشباب قد انقضى وكيسيَ خال والحبيب مفارقي

نذرٌ

متى زال همي ثم جفت مدامعي وصرتُ الى عيشٍ رغيدٍ بتعجيلِ
نذرتُ على نفسي الصيام ثلثةً ورفع دعائي للكريم بتبجيلِ

« ولكن »

لا ينفعُ المرءَ الصيام ولو طوى
من عمره ستين عاماً جائعا
ان صام عن اكل اللحوم ولم يصمْ
عن فعل قبح للفضيلة مانعا
اضحى الصيام مدنساً بقبائحٍ
وقضى زماناً بالرذائل ضائعا

الاختلاء

دخلتْ عليَّ ليلة عيد الميلاد · وانا بالصين غريب البلاد · بعيدٌ عن اخوان الصفاء والوداد · فقضيتُ ليلتي في نشيد وانشاد · وقلتُ وذلك سنة ١٨٧٣ للميلاد

وعيدٍ يُسرُّ العالمون بعودِهِ
قضيتُ لياليهِ وحيدًا بغربةِ
خلوتُ الى داري اروضُ قريحتي
وافرجُ عني بالنشائد كربتي

الذبول

وقلتُ اصف سرعة ذبول وردة الحسن في النساء وانا في مدينة (طوكايو) عاصمة بلاد اليابان وذلك سنة ١٨٧٣

كالزهر تزهو ثم تذبلُ غادةٌ ودوامها كالزهر يومٌ واحدُ
كم ظبيةٍ في الصبح ساد جمالها اهل الهوى والقلبُ فيها واجدُ
ما غاب نور الشمس حتى عابها عجزٌ وفيها كل قلبٍ زاهدُ

﴿ التسلية ﴾

اسرِّحُ طرفي في الغواني تسلياً
كأَني اراعي في المجرَّةِ انجما
اذا مرَّ بي من قد هويتُ جمالهُ
بششتُ لهُ ان مال نحوي وسلما
وبينا انا ارعى الكواكبَ في الدجى
رأَيتُ شبيهاً للحبيبةِ في السما
اذا غابَ بدرٌ قام بدري مقامهُ
ودارت بهِ الهالات دوراً متمما

﴿ الرفقة ﴾

وقلتُ اصفُ فتاة جرمانية رافقتني في مركبٍ من جزيرة الامراء الى الاستانة وذلك في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٨٩٢

مهاةٌ من الجرمانِ يوماً رأَيتها ... تبدت لعيني في كمالٍ وحشمةِ
جفونٌ لها قد كسرتها صبابةٌ ... يصبُّ بها القلبُ الرقيقُ بنظرةِ
اذا بصرَتْ بالبحرِ نالت زراقهُ ... لحاظٌ لها زرقٌ كمصبوغِ نيلةِ
حظيتُ بها من غيرِ وعدٍ ومنةٍ ... فلاحتْ ملاكاً في شعار صبيةِ
على وجهِ بدرٍ بالملاحة مكتسٍ ... تجلى ضياءُ الفجر من افق جبهةِ
كحور جنانٍ في احورارٍ وحشمةٍ ... تردَّت بثوبٍ من حياءٍ وعفةِ

باب التوبة والنجوى

والقصائد الالهية





﴿ ملاحظة ﴾

ان الشعر المنظوم في التوبة والنجوى والغزل والرثاء يكون دائماً محصول ما تشعر به الطبيعة · وهو الشعر الحقيقي الطبيعي الذي ينشده القلب فينظمه العقل بالسايقة الطبيعية دون تكلف وفرط اعتناء · اما الكلام المنظوم في المديح والوصف فلا يُطلق عليه اسم الشعر بحصر القول لانه ليس من محصول شعائر القلب ولا مدخل للاحساس والشعور الطبيعي فيه · يتصوره العقل فقط ثم ينظمه في ابحر وقوافٍ · فهو في عين الحقيقة نظم مكلف وفي الغالب مأجور · فجدير به ان يسمى « نظماً » لا شعراً · وقد كان هذا النوع من النظم سلعةً يتاجر بها بعضُ من انتحلوا اسم « شاعر »

اما من اقتصر على التلاعب في الكلام وانتقاء الالفاظ والجمل وافنان التشابيه وحسن الاساليب في الغزل والرثاء والتوبة والنجوى فكان ممن تكلف التغزل والرثاء من دون ان يشعر قلبه بذرة من الاحساس بما انشد ونظم ·

واكثر المراثي والمدائح التي ينظمها بعض الشعراء مراعاة لاصحاب المال والمقام او الملوك والامراء هي قصائد مقصودة منهم لغايات مالية او عالمية وكلها خالية من الشعائر القلبية

الرؤيا

تراءى لي في النوم نذير . يقرع سمعي بكلام جهير . ويقول : ألا انتبه ايها الغافل . واستوعب النصح يا عاقل . انت الذي في الزمان رقيت اعالي المنابر . ودعوتَ الخلقَ الى الفلاح . وحرَّضتهم على عمل الصلاح . انتَ الذي ولجتَ المضائق . وفتحت المغالق . واذبت الجوامد وامعتَ الجلامد . وركبتَ القوارب والغوارب . وطفتَ المشارق والمغارب . واقلعت سفنك في البحار . وقطعتَ المفاوز والقفار . والفتَ شراف المحافل . وصرت في مقدمة الجحافل . الى متى الى متى . تطوي صيفاً وشتاً . وانت ترفل في شعار الخلاعة . وتغري الخلق بالفظاعة ؟ أما ترى قد استشنَّ منك الاديم . وتأوَّدَ عودك القويم واقمر رأسك شيباً . وانت لا تهاب عيباً ؟ دع عنك خلاعات النشيد وما حواه من بحر طويل او مديد . واندب زماناً سلف . سوّدت فيه الصحف . والبس جلابيب الخشوع . واسكب شآبيب الدموع .

قبل حلول الاجل · في تاجيل او عجل

فايقظني ذلك النذير المرسول · وتقريع صوته الذي يهول · وفي تجاويف سمعي يجول · وجعلت اقول · بقلب مذلول · في ارتعاش وذهول :

« الزجر »

اتاني نذيرٌ من إلهي محذّرُ
يقول: لك الويلاتُ حتى مَ تهذرُ ؟

قضيتَ شباباً بالتغزُّل والغوى
وقد زالَ ذاك العهدُ والعمرُ مدبرُ

اضعتَ زماناً كان اثمنَ درةٍ
وهِمتَ بحسناء وراسك مقمرُ

فهل غادةٌ تحشو بقطنٍ شفاهها
وترضى بكهلٍ او عجوزٍ فتخسرُ ؟

فقلت لهُ : مهلاً نذيري وزاجري
فانَّ اعتذاري عند ربي اشهرُ

فمثليَ كهلٌ لا يهيمُ بغادةٍ
ويصرفُ فيها العمرَ لهواً ويشعرُ

فعندي قريضٌ مثل لهوٍ وخمرةٍ
متى ضاق صدري بالشدائد اسكرُ

فيا عاذلي اكفف ملامي فانني
هويت قريضاً لا ظبّاً انت اخبرُ

فاطرق النذير · في انكسار وتكدير · واستعاذ بالتكفير · وقال دون تقصير · لقد الخمتَ حتى النذير · بكلام يسير · لله درك · ولا سُدَّ ثغرك



الانذار

لما فرغت ذات ليلةٍ من تلاوة الايات · واداء فروض الصلوات · رقدت فغرقت في بحر السبات · واستولت عليَّ اضغاث احلام كثيرات فتراءى لي ذلك النذير · وطفق يهزني في السرير · ويقول · بصوت يهول : استيقظ من المنام · يا حليف الاوهام · فوثبتُ على الاقدام · وقلت لهُ : ما وراءك يا عصام ؟ هات ما عندك من الكلام · فقال : اتيتك بالانذار · لتزهد في تلفيق الاشعار · قبل يوم الرحيل · حيث لا ينفعك بكاءٌ وعويل · والسلام · ختام · فصحوت مذعوراً من الرقاد · واخذت انظم الانشاد :

النظم

اتاني بجنح الليل طيفٌ محذّرُ
يقول : دنا يومُ الرحيل أَتذكرُ ؟

كفاك تضيعُ الوقت في البطل يا فتى
تزوّد بفضلٍ قبل انك تُحشرُ
لديه تعالى لا تفيد قصائدٌ
ولا الشعر يفدي مذنباً يوم ينشرُ
فقصّرْتُ عن ردّ الجواب وقد بدا
بوجهي اصفرار الخوف والقلب يُذعرُ
وقمتُ وقد مست فؤادي ندامة
على خير عمرٍ بالنشائد يُخسرُ
ورحتُ الى ديوان شعري مبادراً
لاحراقهِ بالنار والوجه اصفرُ
فقال نذيري : لا تمزّق نشائداً
بل اندم عليها فالندامة تستُرُ
وما قلتَ في عهد الشباب و بعدهُ
جديرٌ بان يبقى وربكَ يغفرُ
فقلت له : بشرى لقلبي فانني
اتوبُ الى ربي وربي اكبرُ
فنثري ونظمي بعد هذا مقدّسٌ
أُسبحُ فيهِ لطف ربي واشكرُ

الحجة الدامغة

ثم انشدت النذير ما يتلو من الابيات . وقلت لهُ : اعلم يا مصلح الغايات . ان الغواني اللائي تغزّلتُ بهنَّ . والجواري اللاتي جاءَ في القصائد ذكرهنَّ . ما هنَّ الا عرائس شعر . اتخذهنَّ الوهمُ نموذجاً للفكر . كما اتخذ المصوّرُ الجمالَ . مثالاً لما يروم رسمه في غاية الكمال . فهاك الحجة الدامغة . بصدقها لامعة . واقصر الكلام . والسلام ختام

« النظم »

يبغي بنظمِ الشعرِ كلُّ مقرّظٍ
فخرًا وذكرًا في القصائدِ يخلدُ

ظبيٌ مهاةٌ في القريضِ وسيلةٌ
يختارها لما يقومُ فينشدُ

ان المصوّر حين يرسم صورةً
يبقى الجمال نموذجاً لا ينقدُ

ان الغرام مع الجمال وفنهِ
لمصوّرٍ ولشاعرٍ هيَ مسندُ

دعدٌ سعادٌ ثمَّ هندٌ عَزَّةٌ
كنموذجٍ في نظمِ شعرٍ تقصدُ

« غيره »

سعادُ ودعدٌ ثم هندٌ وعزةٌ عرائس شعر في القصائد نقصدُ
وما خطَّ في لوحٍ شبيهَ خليقةٍ رفائيلُ الا والنموذجُ يقصدُ

﴾ ختام السنة ﴿

وقلت في ختام عام ١٨٨٧ وانا في «ليفربول» من بلاد الانكليز وذلك نصف الليل

حياتي سحاب مرَّ اكثرها سدى
كذاك سيمضي ما تبقَّى بخيبةِ
قضيت نصيباً من حياتي بغبطةٍ
وشطرٌ مضى في كل ضيقٍ ومحنةِ
إلهي إلهي يا وليَّ سعادتي
اليكَ اتوبُ عن ذنوبٍ كثيرةِ
اناجيك ربي طول يومي وليلتي
بشكر وحمدٍ من فؤادي ومهجتي

ضلال الدنيا

وانشدت في ذلك في غرة عام ١٨٨٨

ومنذ على الدنيا فتحت بصيرتي رايت ضلالاً في ضلال نعيمها
تهين وتعطي ثم ترفع جاهلاً وتشقي اديباً كان يوماً حميمها

التدقيق

يعيرني خلي باني مدقق ولا يدرك الخل الحميم مقاصدي
تؤلف من فلس وفلس دراهم ومن يهمل الفلس الحقير يجاهد
اذا بذخ الانسان في المال ما اغتنى وتوفير مال كان حلو الموارد
اخوك اذا جار الزمان مهاجر ولكن حطام المرء خير مساعد
فدقق و بالغ في الحساب ولا تخف من الدهر جوراً او ملامة حاسد

باطلة الاباطيل

قلت هذه الابيات يوم نهبت اللصوص امتعة منزلي بلندرة
وذلك في الخامس من شهر حزيران لعام ١٨٨٥

اني امرؤ يجد الحياة قصيرة
ويرى النعيم من المحال بدهره

العمر ظلٌ والخلود ضلالة
والمرءُ شاةٌ والنصال بنحرهِ
يشقى الطموع ولا ينال سلامةً
ومن اكتفى نال المنى من عمرهِ

جنةُ الهيام

عشقت باذني واستهمت بخاطري
ولما رأَت عيني زهدت باجمعي
فحبيَ اوهامٌ وعشقيَ جُنةٌ
جنوني لعمري كان معلول مسمعي

« غيره »

لطمت خدوداً بالدموع تقرَّحت
ونحتُ على نفسٍ بذنبٍ تجرَّحت
فلو كان دمعي يغسل الذنب والخطا
افضتُ بحوراً من دماء تطفحت

الله

جلّ جلاله وعمّ نواله

(هو الواحد الموجود الواجب الوجود)

Ille tulit Praemium qui misquit utile dulci (1)

بينا انا اتمشى ليلاً في شارع من شوارع لندرا يقال لهُ «استراند» (*Strand*) وذلك في الثالث من شهر شباط لعام ١٨٩٠ طرقني فكرٌ في اصل خالقة الكون وخالقه العظيم · ومدبره الحكيم · وصرت اهدس في مذاهب الفلاسفة الاقدمين والمحدثين وفي ما توهمتهُ في هذا الشأن طائفةٌ من الفلاسفة الدهريين والمادّيين · وكان هذا الفكر قد طرقني مراراً عديدة وانا اتمشى وحدي ليلاً · وهدست به طويلاً · ولا سيما اني اطلت الفكرة فيه ذات ليلة مقمرة · وانا اتمشى في شارع آخر من شوارع لندرة يقال لهُ « فولهام رود » (*Fulham road*) ولما قفلتُ راجعاً الى الدار · اثبتُّ تلك الافكار · واذ كنتُ وقتئذٍ افتكر باللغة الانكليزية

---

(١) قال هوراس الشاعر اللاتيني المشهور الواضع أصول العروض للشعر اللاتيني قولاً جديرًا بان يُكتب بمحلول الذهب · ويُنصب امام عيون الكتاب من اهل الادب :

« مَنَ قرَنَ القولَ المفيدَ بالعذب رُزِقَ السعادة في ما كتب »

كتبت هذه الملاحظات بهذه اللغة في سفر اعمالي اليومية · ثم ترجمتها الى العربية · وجعلتها ديباجة لقصيدتي الالهية

***

زاحمتني الافكار · في شارع كثير الانوار · وانا اسير الهوينا ليلاً بلا سمير · واتفرّس في وجه البدر المنير · الناشر نوره الساطع في فلك الاثير · والمكلل بالملايين من الدراري المتلألية · والسائر في الآفاق العالية · حتى يظنه الناظر اليه كأنه الجمال المسفور · مع عالمٍ مهجور مع انه كان ولن يزال البدر الذي يتغزل بهِ الشعراء · وتتوق جميع الامم الى مشاهدة طلعته الغراء · فلما اطلت النظر اليه · وقد خطف نوره بصر عيني طرقني فكر اصله ومصدر خالقته وخلقة ما حوله من الملايين من الكواكب المتلألئة · التي هي عوالم عظيمة مثل كرتنا الارضية · فجعلني ذلك غريقاً في بحار الافكار · انقلب بين الحقائق والاسرار · فقلت لنفسي في جدٍ واستفهام · وعناء واهتمام : أفهل وُجد هذا العالم العجيب من تلقاء نفسه كما يزعم معاشر المادّيين والدهريين · ام ابدعته قوة حكمية واجبة الوجود « هي علة العلل » ؟ فلبثت اهدس في ذلك بين متردد وقانع · كأني انتظر من عقلي رد الجواب القاطع بدليل ساطع · ولكن كلما طال انتظاري · اشتدّ الامر تعقيداً على افكاري · فصرت حينئذٍ اردد في فكري الآراء المختلفة · التي ذهبت اليها الفلاسفة في الاعصار القديمة والحديثة · من عهد فلاسفة اليونان ·

« كهيراقليط » و « ديموقراط » وغيرهما من الدهريين الى عصر الفلاسفة الالمانيين في هذا الزمان مثل « مولسشوط » (*Moleschott*) و بوخنر (*Büchner*) وغيرهما من طائفة الماديين · فكان ديموقراط يقول : ان الساعي في طلب الحقيقة لا يدركها حتى يفقئ عينيه ويتخلص من المناظر المادية التي تلهي عقله عن التأمل في حقائق الامور

اما انا نخالفت ديموقراط في ما ادعاه واعتصمت بالقاعدة الاساسية في المواد الفلسفية الآتية :

بعلم معرفة الخلائق * نرتقي الى معرفة الحقائق

وقلت لنفسي : ان الفيلسوف الحقيقي الساعي في طلب الحقائق لا يدركها حتى ينظر اليها بعينيه ويشغل فيها حواسه الخارجة والباطنة ويتفرَّغ الى امتحان المواد وحلها · وتسييل الاجسام الجامدة وتركيبها ومقابلة بعضها ببعض والوقوف على القوى والنواميس العامة التي تُساس بها وسنن الحكمة التي تتدبر بها جميع الكائنات

فلما قرَّ قراري على هذه القاعدة · قلت : يتصور عموم الناس مع محمد ابي عبدالله الكرامي صاحب الفرقة الثالثة المسماة « بالمجسمة » ومع اصحاب الفرق الاسلامية الخارجية المسماة بالبنوية والعبدية والاسحاقية والدوشية والهيضمية والواحدية [1] ان الله جل جلاله ذو جسم ويجلس

---

(١) جاء في تاريخ اسماعيل شاهنشاه وفي كتاب « الملل والنحل » للشهرستاني ما حرفيته :

قال النبي : ستفترق امتي على ثلاث و سبعين فرقة الناجية منها واحدة والباقون هلكى قيل ومن الناجية ؟ قال : اهل السنة والجماعة

على عرش عظيم في القبة الزرقاء او في الفلك الاطلس او في فلك الاثير او في مكان يسمونه بالجنة او الفردوس . وقال لفيف الانبياء : ان الله يجلس على عرش من نور وحوله جيوش من الارواح توصف بالملائكة الكاروبيم والساروفيم ولكل منهم ستة اجنحة يسترون وجوههم بجناحين ويسترون اجسامهم بجناحين ويتطاير احدهم نحو الآخر بجناحين وهم يسبحون الله اناء الليل واطراف النهار بالتسابيح والتهاليل . واذا افتكر الناس بالله وارادوا مناجاته رفعوا عيونهم وايديهم الى القبة الزرقاء كأنهُ تعالى جالس فوق رؤوسهم . ولا حرج عليهم في ذلك . لان الانبياء والاولياء عليهم اشرف السلام كانوا قد صوروا الله تعالى لعموم الناس على الصفة المذكورة . ولا شك في ان هذه تصاوير مأنوسة تقرب من ادراك العقل البشري اكثر من غيرها . ومن المعلوم ايضاً ان كلاً من الانبياء والاولياء كان حكيماً وكلم عموم الناس على قدر عقولهم في زمانهم . وعموم الناس ليسوا بفلاسفة . اما الفيلسوف الحقيقي المدقق في احوال هذا الكون بعين الانتقاد والاستدلال وقيام البرهان يرى تصوّر الله جل جلاله على الصفة المذكورة لا ينطبق على القياس الفلسفي . لان الله تعالى في عرف الفلاسفة المدققين واللاهوتيين الحقيقيين

« موجود غير متناهي الوجود وكيان غير محدود »

ومن كان غير محدود بجوهره لا يسعه مكان محدود مثل العرش والجنة وهلم جراً بل هو مالئ الكون كله والكون كله فيه . وكما قال الفيلسوف الكبير بولس السليح الحواري :

« في الله نوجد وفيه نحيى وفيه نتحرك »

ولذلك قلت في قصيدتي الالهية الابيات الآتية :

إلهٌ بلا بَدءٍ وحدٍّ وحيزٍ
به ألبدءُ منذُ البدء كان ممثلا
إلهٌ بلا عرشٍ يُحدُّ كيانهُ
إلهٌ وحيدٌ لا شريكَ لهُ ولا

ولمن المعلوم ان اصحاب الاديان على اختلاف مذاهبهم لا يحتاجون الى ادلة فلسفية حتى يسلموا بوجود اله هو علة كل العلل ونقطة مركز كل الاديان · وانما قد افرزنا هذه النبذة واثبتناها في هذا الباب اقناعاً لبعضٍ من شبان هذا العصر الذين يطالعون شيئاً زهيداً من كتب بعض من الفلاسفة الماديين ويستقون من مواردها آراء مغلوطة فيضلون بها ويزعمون ان كمال المدنية ونهاية الظرف ومحتد المعارف قائم في جحود وجود الله جل جلاله · ولا شك في ان هؤلاء الشبان هم من زمرة الذين قال فيهم الفيلسوف باكون آفيرولام الانكليزي هذا القول المصيب :

« ان الذين يرشفون ماء الفلسفة باطراف شفاههم يبتعدون بها عن معرفة الله · والذين يتشربون حقائقها بملء افواههم يتقربون بها الى معرفة الله · ولذلك نقول :

ان وجود واجب الوجود وعلة كل العلل حقيقةٌ من الحقائق الاساسية التي لا يتصل الفيلسوف الحقيقي الى ادراكها والتسليم بها عن اقتناع علمي

الا بدرسه احوال ما يراه في الارض والسماوات وما بينهما من الخلائق

ولا ننكر ايضاً ان العقل البشري مهما افرغ من الجهد الجهيد لا يستطيع ادراك الله ادراكاً تاماً · لان العقل البشري « جزء » من المخلوقات · والله هو « الكل » وهو مبدع المخلوقات كلها « والجزء » لا يسع « الكل » هذا بصرف النظر عن باقي الملاحظات · وقد قال في هذا المعنى المعلم « غوث » (*Goethe*) « ان الانسان لا يستطيع ادراك جوهر الله ادراكاً تاماً ولو وصفه بتسعة وتسعين اسماً من الاسماء الحسنى ولكنه يستطيع ان يعرف شيئاً يستدل منه على حقيقة وجود هذا الاله الواجب الوجود »

اما الفلاسفة الماديون الذين يقولون : « لا يليق بالانسان العاقل ان يسلم بوجود ما لا يدركه » فهم في ضلال مبين · لان العقل البشري رغماً عما يدعيه من المعارف المتفننة ما اتصل بعد الى ادراك حقيقة « النور » وجوهره · ولا الى معرفة « الحياة » وكنهها · ومع هذا كله فالنور والحياة من الاشياء الموجودة · فبناء على ذلك لا يليق بالانسان العاقل ان ينكر وجود كل ما لا يدركه · لان جهله حقيقة الاشياء لا يكون دليلاً قاطعاً على عدم وجودها · ولذلك قال سليمان الحكيم قال « الجاهل » في قلبه : « ليس اله » · ولم يقل : قال « الحكيم » ليس اله · وذلك لعلمه ان الحكيم لا ينكر كل ما لا يدركه

لا ريب في ان وجود علة اولى لجميع المعلولات هي حقيقة من الحقائق التي لا يسلم بها العقل على البديهة بمجرد استماعه اياها · بل هي

من الحقائق الاستقرائية التي يستنتجها العقل من حقائق اخرى تقع تحت ادراك الحواس

اما الفلاسفة الماديون الذين يجحدون وجود الله فيزعمون ان ادلتهم على ذلك مسنودة الى حقائق طبيعية ولكنهم لا يستطيعون اثبات ادعائهم بادلة قاطعة ومن اراد الوقوف على اقوالهم المتضاربة عليه بمطالعة ما جمعه البارون « هولباخ » الجرماني *Holbach, Système de la nature* في كتابٍ وسمه باسم « نظامِ الطبيعة »

ومن جملة اقاويل الدهريين الذين يجحدون وجود الله قولهم :

« اذا افترضنا وجود الله مدبر حكيم اقتضى ان يكون هذا المدبر الحكيم خارجاً عن هذا العالم »

فهذا لا شك فيه قولٌ اوهى من نسيج خيط العنكبوت لان تصوُّرَ إلهٍ خارجاً عن العالم كتصور ملكٍ خارجاً عن ملكهِ واذا سلمنا بهذا الافتراض اقتضى لنا ان نسألهم : اين هي حدود هذا الكون حتى نتصور وجود هذا الاله والمدبر الحكيم خارجاً عنها ؟ وهل يستطيعون ان يضعوا حدّاً لهذا الكون الفسيح ؟ فهل يريدون بقولهم ان العالم كله مادة والله موجود خارجاً عن هذه المادة ؟ فان كان ذلك كذلك فليقولوا لنا : ما هي هذه المادة وما هو كنهها وكيف يكون هذا الاله الحكيم خارجاً عنها ؟ هذه الاسئلة قد افحمتهم ولكنٍ ان سلمنا بقولهم : ان المادة هي عبارة عن مجموع ذرائر لا تُحصى ولا تُحد امتنع ان يكون هذا المدبر الحكيم خارجاً عن مجموع ذرائر لا تحصى ولا تحد بل اقتضى ان يكون فيها وتكون فيه وهو

يحفظها ويدبرها ويسوسها بالشرائع التي وضعها لها وهو روح هذا الكون والقوة التي تحركه وحكمه فيه حكم الروح في الجسد وهو في كنه المادة والمادة فيه كالاسفنج في البحر ومن المعلوم ان الاسفنج يكون في الماء والماء فيه وفوقه وتحته وحوله والحويوينات التي فيهِ تحيي وتتحرك في خلال ثقوبه

***

اما الفيلسوف المادي « مولسشوط » الالماني فيعترض على ذلك بقوله : « ان القوة التي تدبر المادة ليست (بإِله) وانها ليست ممتازة عن جوهر المادة نفسها بل هي خاصية ملازمة لها ومولودة معها منذ الازل » وقد بنى على هذا الاساس الفاسد القياس الآتي فقال : ان القوة المحركة ملازمة للمادة دائمًا والحال ما كان ملازمًا للمادة بلا انفصال لا يكون ممتازًا عنها فاذًا القوة المحركة هي من خصائص المادة وليست بشيء ممتاز عنها يدبرها بمقام إِله · وفسر ذلك بقوله : مثلاً ان عنصر « الازوت » و « الكربون » و « الاكسجين » (مولد الحموضة) و « الهدروجين (مولد الماء) والكبريت والفوسفور وهلم جرًّا هي عناصر قائمة بذاتها ولها خاصيات ملازمة لها منذ الازل · واذا كانت جميع الاجسام مكونة ومركبة من هذه العناصر كان هذا الكون كله تحت تدبير تلك الخاصيات فقط وليس تحت تدبير إِلهٍ ممتاز عنها وبناء على ذلك ان الانسان يسعى في اصلاح نفسه وترقي نوعه بطريقة معقولة صادرة عن مركب حمض الفحم وروح النشادر والماء وبقية

الحموضات «الهوْمية» وبواسطتها يكمل عمله السامي في هذا الكون»

وقال دهري آخر في مقالة نشرها في مجلة طبية : ان الفكر البشري ناتج عن الفسفور . وما نسميه بالفضيلة والشجاعة والاخلاص وهلم جرًّا ناتج عن الكهربائية »

الجواب على ذلك ان مسرودات هؤلاء الفلاسفة الماديين لا اساس لها لانها مبنية على اقاويل غير مسنودة الى براهين قاطعة بل هي منقوضة بنفس القاعدة الاساسية التي يبنون عليها بناء تعاليمهم المغلوطة فمن اشهر قواعدهم المسطرة باحرف ذهبية على رايتهم «الدهرية» قولهم :

(كل قولٍ لا تثبت حقيقته بادلة قاطعة مردودٌ)

وديدبان الفلاسفة الدهريين المار ذكره يعترض على اصحاب التوحيد باقاويل يعجز عن اثباتها بادلة قاطعة ومن القواعد المقرَّرة عند الحكماء ان العاقل لا ينكر وجود ما يجهلهُ لان الجهل ليس ببرهان قاطع

واين هؤلاء الفلاسفة الماديين من الفلاسفة الحقيقيين مثل اسحق نيوتن الانكليزي والمعلم كبلر الفلكي المشهور وغيرهما من الحكماء المدققين ؟ فان هؤلاء الرياضيين كانوا اذا اوردوا حقيقةً من الحقائق المثبتة بارقام صريحة قالوا لارباب العلم : اننا نعرض هذهِ المسألة عليكم لتتروّوا في امرها ولم يتجاسروا كالفلاسفة الماديين على القول بقولٍ جازم : «اعلموا ايها الناس ان فكر الانسان صادر عن الفوسفور» او «ان القوة من خصائص المادة وهي ملازمة لها منذ الازل» وهلم جرًّا وكل ذلك بدون دليل عقلي او مادي وقوم من الفلاسفة الماديين يكتفون بقولهم : ان « العلم » ينكر

المسألة الفلانية او ان « العلم » يوجب هذا او ان « العلم » لا يعلم بهذه القضية وما اشبه ذلك مع انهم لو ادركوا كنه « العلم » حقيقةً لعرفوا ان « العلم » لا ينكر شيئًا ولا يُوجب شيئًا ولا ينهى عن شيءٍ ولا يسلم بشيءٍ بل شأنهُ ان يفحص الامور ويدقق فيها ويمتحنها ويبرهن عنها ليدركها ويُقنع العقول بحقيقتها

***

ولما قال الفيلسوف « اورستد » *Orsted* « ان هذا العالم الفسيح مع ما فيهِ من الكائنات يسوسهُ ويدبرهُ عقل حكيم ازلي تظهر حكمته من نتائج الشرائع الطبيعية التي لا تتغير اصلاً »

اعترض على قوله الفيلسوفان الماديان « بوخنر » و « مولسشوط » الالمانيان بقولهما : اذا كانت السنن الطبيعية التي يتدبر هذا الكون بها غير متغيرة فكيف تكون تحت امر مدبر حكيم ؟ لان من شأن المدبر الحكيم ان يضع القوانين عند اللزوم ثم يغيرها حسب تغيير الزمان والظروف فاذا كانت الشرائع الطبيعية لا تتغير في حد ذاتها وبها تتدبر الكائنات بطريقة غير قابلة التبديل والتغيير فاية حاجةٍ بإلهٍ حكيم يتولى امرها ؟

اما نحن فنرى هذا الاعتراض غير معقول والدليل على ذلك ان وجود سُنن ونواميس طبيعية غير قابلة التغيير لا ينفي وجود قوة ازلية حكيمة خلقت المادة وسنت لها سننًا لا تتغير لان عدم التغيير المتصفة بهِ النواميس الطبيعية هو نتيجة حكمة ازلية ودوامُ هذا الكون قائم في ارادة

هذهِ الحكمة الازلية التي تسهر على حفظ هذه النواميس ودوامها في الوجود · ثم لا يخفى على كل عاقل ان افتراض وجود سُنة وناموس يفترض اولاً وجود حكمة ازلية تسن هذه النواميس وإلاَّ فكيف يسلم العاقل بوجود شريعة بدون مشترع ؟

ولما رأى المعلم «استراوس» *Strauss* احد الفلاسفة الماديين ان مذهب اصحابه المار ذكره لا يطابق العقل السليم زاغ عنهم وذهب الى ان « القوَّة التي تدبر هذا الكون ليست بعلة خارجة عنهُ بل هي قوة عاقلة موجودة فيهِ وهي تدبر جميع الكائنات » وهذا هو ما يعتقدهُ الموحدون وجميع الذين يقرّون بوجود « اله » واجب الوجود يسمون هذه القوَّة العاقلة العظيمة والمدبرة الحكيمة باسم « اله » او يصفونها في لغاتهم باسم آخر يعادل اسم « الله »

✵ ملخص الادلة التي تثبت وجود الله ✵

ان الادلة التي تثبت وجود إلهٍ ذي حكمة واقتدار كثيرة واخصها ما يأتي :

اولاً ان الترتيب الكائن في حركة الاجرام السماوية دليلٌ واضح على ان هذا الترتيب المنظوم والمنزه عن الخلل هو صادر عن حكمة عظيمة وان هذه القوة الحكيمة العظيمة تسوسهُ وتحفظهُ من الخلل · وقد ثبت بالتجربة والامتحان ما علمهُ الفيلسوف الانكليزي اسحق نيوتن الفلكي المشهور والمعلم « كبلر » الجرماني المشهور باكتشافاتهِ الفلكية

الكثيرة (١) وما علمه هذان الجهبذان النحريران كان تعليماً معقولاً اقرَّ لهما به معظم الفلاسفة وعلماء الهيئة وهذه خلاصة تعليمهما : ان هذا الكون كله مرتب على حركة دائمة منتظمة لا يعتريها خلل ولا سكون وان الانتظام الدائم المشاهد في هذه الحركة الدائمة يستحيل دوامه من دون قوة عاقلة حكيمة مقتدرة على حفظه وهذه القوة العظيمة هي

﴿ الله جل جلاله ﴾

ثانياً كان داود النبي قد سبق نيوتن وكبلر وجميع علماء الهيئة وقال في زبوره : « والفلك يخبر باعمال يديه » اي ان الذي ينظر الى ما فوقه وتحته والى ما حواليه يرى فيها اموراً عجيبة تنطق بافصح لسان وتخبر بحكمة سامية وقدرة عظيمة . فالنظام الموجود في هذا الكون دليل صريح على وجود منظم حكيم ومهندس عظيم

---

(١) سير اسحق نيوتن — هو الذي اكتشف علة الثقل والجاذبية بمجرَّد نظره الى تفاحة سقطت امام عينيه من شجرة في بستانه . وهو صاحب الكتاب المشهور (في نظام الكون) وهو الذي اخترع نظارة فلكية جديدة وركبها بيده وما زالت محفوظة الى الآن في مكتبة « الجمعية الملوكية » بلندرة . وهو صاحب التصانيف البديعة في النور وفي انعكاس اشعته وانكسارها وانحرافها

« وكبلر » هو صاحب التآليف الكثيرة في علم الهيئة وعلم عمل النظارات الفلكية والمشهور باكتشافه العظيم الذي اثبت فيه ان الدوائر التي تدور عليها الاجرام السماوية هي بيضية الشكل وليس دوائر مستديرة . وهو الذي اشتغل نحو ١٨ سنة في الاكتشاف على القوتين الجاذبة والدافعة . واثبت بادلة رياضية صريحة ان دوران الاجرام السماوية اي الشموس والكواكب جميعها يتمُّ بواسطة هاتين « القوتين »

ثالثاً اذا دخل الانسان بيتاً من البيوت ورأى كل ما فيه من المفروشات والاواني والمصابيح والكراسي والاسرة والموائد وهلم جرًّا موضوعةً في المكان اللائق به بترتيب ونظام هل يقدر يتصوَّر ان تلك المصابيح الزجاجية والاواني البلورية بعد ما تلاطمت بالاسرة الحديدية زماناً طويلاً والاواني الخزفية بعد ما تصادمت بالانية النحاسية مدةً مديدة · والستائر الحريرية بعد ما لبثت متشبثةً بالكراسي والموائد الخشبية شطراً من الزمان انتظم كل شيء منها في مكانه من تلقاء ذاته بترتيب عجيب من دون مدبر حكيم ؟ كلا · بل يستدل من وجود ذلك الترتيب على وجود مرتبٍ حكيم في ذلك المنزل

رابعاً كان الفيلسوف شيشرون يناظر ذات يوم بعضاً من فلاسفة عصره في مسألة وجود الله · فقال له اولئك الدهريون : ان المواد المختلفة بعد ما لبثت منتشرة في الكون زماناً طويلاً اخذ بعضها يجذب بعضاً اليهِ حتى تكوَّنت منها الشموس والكواكب والاقمار من تلقاء ذاتها بدون احتياج الى مدبر حكيم ومهندس عظيم تسميه إلهاً

فقال لهم شيشرون في جوابه : ان كان هذا الكون العجيب في انتظامه قد تكوّن من ذرائر مختلفة انتظمت من تلقاء ذاتها بلا مدبر حكيم وذلك بعد ما اختلط بعضها ببعض اجيالاً عديدة كما تزعمون فلنكتب حروف الابجدية كلها على رقع مختلفة ونضعها في اناء واسع ونخلطها شهوراً واعواماً بلا انقطاع كانها ذرائر تخلطها العناصر في تيار الاثير ولننظر اذا كان على مرور الزمان يتالف من تلك الاحرف ديوان هومير الشاعر اليوناني بمجرد

اختلاط الاحرف الابجدية · فاذا لم يحصل من ذلك ما نتمنى فكيف نتصوَّر ان هذا الكون العجيب في حسن انتظامه قد تكوَّن من تلقاء نفسه من دون مهندس حكيم ومدبر عظيم ؟

خامساً ان النظام العجيب المحكم الذي نراهُ في الخلائق التي على سطح الارض من حيوان ونبات وجماد دليلٌ آخر على وجود قوة حكيمة قد وضعته بترتيب وتحفظه بطريقة لا يعتريها خلل · فالبشر على اختلاف عروقهم وهيآتهم وطوائفهم والوانهم واميالهم · والحيوان على اختلاف انواعه وصورة حياته وتركيب اعضائه ودرجات التناسب بين اجناسهِ وانواعهِ المختلفة · والنبات على اختلاف فصائله وازهاره وثماره والوانه وخواصه العطرية والطبية · والمعادن والحجارة على اختلاف انواعها والوانها · والموائع على اختلاف تركيبها ووحدة القانون الطبيعي العام الذي يسوسها دليل جلي على انها ليست العوبة الصدفة بل كلها تحت تدبير قوة حكيمة عظيمة تسوسها وتحفظها على صورتها الاصلية رغماً عما يحصل في تركيبها من التبديل الدائم في ذرائرها · وهذا التبديل الدائم الواقع في ذرائر الأجسام عند تجددها يقرّ بهِ حتى الفلاسفة الدهريون ويعلمونه في مدارسهم · وسوف نبسط الكلام فيه عند كلامنا في خلود النفس

سادساً ان القانون العجيب المشاهد في انواع الزهور يدل دلالة صريحة على ان الوانها ليست من جملة العاب الصدفة بل هي خاضعة لقانون عام قد وضعه لها مشترع حكيم ومنظم عظيم · فقد وجد علماء النبات ان كل فصيلة منه ازهرها لون تختص به دون غيره · مثلاً اننا نرى في

زهر الورد ما هو احمر واصفر فقط · ولا يوجد منه ازرق ابداً وما كان زهره احمر وازرق لا يوجد من فصيلته ما كان زهره اصفر · والزهور المنسوبة الى الفصيلة البنفسجية تكون الوانها صفراء و زرقاء ولا يوجد فيها ما كان زهره احمر ابداً · فلو لم يكن في الكون من مدبر حكيم ومنظم عظيم لكانت الوان الزهور خلطاً في خليط تتلاعب بها ايدي الصدف .

سابعاً ان تركيب الجسم الحيواني العجيب والوظائف المعينة لكل عضوٍ من اعضائه دلائل صريحة على القوَّة الحكيمة التي ركبته وجعلت لكل عضو منه وظيفةً حيوية تخدمه وتشتغل على الدوام في حفظه · وبناءً على ذلك كان الاسقف فنيلون المشهور بصاحب كتاب « تلماك » يثبت وجود قوَّة حكمية في هذا الكون بوصفه هيئة تركيب اعضاء الاذن في الانسان والحيوان · وكان غيره من الفلاسفة يثبت وجود هذهِ القوَّة الحكيمة بوصفه هيئة تركيب العين في الانسان وهلم جرًّا · وكان كل هؤلاء الفلاسفة يعنون بهذه القوَّة الحكيمة الله جل جلاله

ثامناً اذا كان هذا الكون لم يخلقه ويبدعه من العدم الى الوجود الهٌ حكيم ومهندس عظيم اقتضى ان نقول : قد خُلق هذا العالم من تلقاء نفسه · وحيث كانت المواد التي يتركب منها هذا الكون الفسيح مواد عديدة وذرائر لا تحصى ولا تحد وجب ان تكون كل ذرة قد خلقت نفسها · وعلى هذا المنوال لا يكون الخالق واحداً بل متعدداً بعدد ذرائر الكون · والفلاسفة الماديون لا يسلمون بوجود خالق واحد حكيم فكيف يقتنعون بوجود آلهة متعددة جامدة كالذرائر وغير متعقلة كالجماد ؟

لعمري انه ايسر للعقل البشري ان يسلم بوجود اله واحد واجب الوجود وخالق حكيم ومهندس عظيم من ان يقتنع بوجود خالقين كثيرين بلا عقل ولا ادراك كذرائر الجماد

تاسعاً اذا سلمنا بعدم وجود اله واجب الوجود وخالق حكيم ومهندس عظيم وذهبنا الى مذهب الماديين القائلين ان كل عنصر من العناصر ابدع نفسه بنفسه حقٌ لكل عنصر من هذه العناصر او لكل ذرة من ذرائر هذا الكون ان تكون صاحبة سلطة مطلقة وقائمة بنفسها ومستغنية عن غيرها ولا تنقاد لمن كان متساوياً لها في قوة الابداع والسلطة المطلقة ولا تتنازل الى الانضمام في هيئة من الهيئات والاشكال تحت قانون عام· واذا سلمنا على سبيل الافتراض ان هذه العناصر او الذرائر المختلفة والمناقض بعضها بعضاً في الجوهر والطبيعة تنازلت الى الخضوع لقانون عام فاي عنصر او ذرة من الذرائر تقدر ان تستبد بحق وضع هذا القانون العام الذي يسوس تركيبها ونظامها وحركتها ؟ فاذاً لمن المحال ان تخضع هذه الذرات الخالقة نفسها بنفسها والحاكمة نفسها بنفسها لذرات اخرى مثلها متساوية لها في السلطة المطلقة · وبناء على ذلك لمن المستحيل حسب الادراك البشري ان تكون الذرائر قد ابدعت نفسها ثم انتظمت في هذا النظام العجيب الذي يزيّن هذا الكون الفسيح

عاشراً لا يستطيع العقل الراجح ان يتصوّر وجود التفاوت في القوّة بين هذه الذرائر والعناصر المختلفة حتى يُقال ان العنصر الاقوى يسوس ويدبر الاضعف منهُ . لان افتراض وجود التفاوت بالقوّة بين

هذه العناصر المختلفة محال من جهة كونها قد خلقت نفسها بنفسها بقوّة متساوية في الابداع · واذا سلمنا بوجود التفاوت في قواها الطبيعية كان ذلك باعثاً على عدم النظام وعلى حصول النزاع بين القوي والضعيف منها والنزاع مجلبة للخراب · فكيف ينتظم هذا الكون بين عوامل قواها مختلفة وطبائعها متضاربة ينازع بعضها بعضاً على الدوام ؟

حادي عشر اذا كان هذا الكون العظيم هو بدعة الطبيعة نفسها وان الذرائر قد اوجدت نفسها بطريقةٍ لا يعرفها حتى الفلاسفة الماديون انفسهم فليقولوا لنا : كيف تيسر لهذه الذرائر الجامدة كالملح والفوسفور والنشادر والاكسيجن والهدروجن والازوت والكربون وغيرها من العناصر المركبة منها الاجسام الحية وغير الحية ان تجتمع وتنتظم في نظام عالم عجيب بدون ادراك وتعقل وحكمة ؟ وكيف تستطيع المادة الجامدة كالعناصر المذكورة والمضاد بعضها بعضاً كالماء والنار ان تتفق جملةً على اعطاء الحياة والعقل والادراك لمادة اخرى مثلها جامدة ثم تخلق منها الحيوان والنبات ؟ فمن لا حياة ولا عقل لهُ كيف يستطيع ان يعطي حياةً وعقلاً لغيره ؟

ثاني عشر اذا كان الانسان الذي يُحسب اكمل خليقة على هذه الارض مع كل ادراكه وعلمه وتفننه في علم الكيمياء لا يستطيع ان يدبر نفسه ويسوس جسده ويحفظه من الآفات والامراض ولا يستطيع ان يخلق دودة ولا ان يبدع ذرة من العدم فكيف تستطيع المادة الجامدة غير المتعقلة ان تبدع نفسها وتدبر أمورها وتحافظ على وجودها ؟

ثالث عشر يقول الماديون ان المادة قد اوجدت نفسها بنفسها من دون احتياج الى اله يبدعها من العدم ٠ ولكن ما اسهل هذا القول وما اصعب اثباته بادلة قاطعة ٠ وعدا ذلك دونه مشاكل كثيرة يعسر على الفلاسفة الماديين حلها ٠ اما الفلاسفة الذين يقرون بوجود اله حكيم ومدبر عظيم فيسهل عليهم اثبات مذهبهم ولا يصادفون فيه مشاكل كثيرة ولا سيما انه مذهب بسيط يقرب من ادراك جميع الناس على اختلاف طبقات عقولهم

رابع عشر اذا اخذنا بعين الاعتبار حال الهيئة الاجتماعية البشرية كما كانت عليه منذ بدء المدنية وكما هي عليه الآن مع الوسائط الضرورية لحفظ نظامها نرى ان تصور وجود إله واحد حكيم ومدبر عظيم ورب عادل قد كان منذ البدء الاساس الرصين الذي بنيت عليه الاحكام والاديان والشرائع اللازمة لسياسة البشر وحفظهم في دائرة الاتفاق و الاتحاد ولو لم يرسخ في عقل البشر منذ حداثتهم الفكر باله حكيم عادل لما انقادوا الى القوانين والشرائع المفروضة لحسن سياستهم وحفظهم وارتباط بعضهم ببعض ووقايتهم من الشرور وللقيام بالفروض واداء الحقوق واجتناب المعاصي المخلة براحة الهيئة الاجتماعية

خامس عشر ليس عموم الناس بفلاسفة يستطيعون التفرغ الى الدرس والتبحر في العلوم الالهية حتى يدركوا ما لهم وما عليهم بل اكثرهم ملتهون بالاشغال والارباح وهموم الاعمال وبهرجة الدنيا وزخرفها ٠ ولولا مخافة الله العادل ترفرف على عقولهم وقلوبهم لساقهم الطمع والحسد مع بقية

اهوائهم المفسدة الى ارتكاب ما يخل براحتهم الروحية والجسدية · ولذلك نرى القسم الاعظم من البشر الذين ينبذون عنهم مخافة الله يتقلبون في الرذائل والجرائم · وبالعكس من كان ايمانه بالله راسخًا كان العقل حليته والفضل حلّته · ولله در سليمان الحكيم الذي قال : راس الحكمة مخافة الله ولذلك ايماني بالله راسخ وعلى هذا الايمان احيي وعليه اموت · واتمنى ان يكون آخر كلام تلفظه شفتاي عند انحلال نفسي من عقالها الجسدي كلام الفيلسوف شيشرون الذي قال عندما قُتل ظلماً بامر الملكة انطونيته الرومانية :

« يا من انت علة جميع العلل ارحمني »

***

هذا ما كان من قضية الله الواجب الوجود · اما ما كان من

« عقيدة الثالوث عند طوائف النصارى »

فاقول : لقد صارت هذه العقيدة قذى في عين بعض من الناس الذين لا يفهمون معناها الحقيقي · وقد زعم كثيرون ان النصارى يتخذون الاقانيم الثلاثة بمقام ثلثة آلهة · ويتوهمون ايضاً ان النصارى باطلاقهم كلمات « الاب » و « الابن » و « الروح القدس » على الله جل جلاله يعتقدون ان الله قد اتخذ له زوجةً وخلّف ولدًا الى غير ذلك من الترهات · ففي عين الحقيقة ان عموم النصارى « موحدون » لا « مشركون » ولذلك قلت :

إلهٌ بلا عرشٍ يُحدّ كيانهُ الهٌ وحيدٌ لا شريكَ لهُ ولا

اما « الاقانيم » فليست في عقيدتهم سوى كلمات يدلون بها على صفات في طبيعة الله الواجب الوجود · واثبت قولي هـذا بقول المعلم « بلارمينوس » المسند من المعلم توما اللاهوتي والمسلم له من العلماء اللاهوتيين اباء الكنيسة اللاهوتية البابوية

فقد صرّح المعلم « بلارمينوس » عقيدة الثالوث على الوجه الآتي وقال :

يعتقد عموم النصارى ان الطبيعة الالهية او خالق هذه الكائنات « واحدٌ » في طبعه « واحدٌ » في جوهره « واحدٌ » في وجوده الواجب الوجود · وهذا الاله الواحد هو الذي تسميه النصارى من باب المجاز باسم « الاقنوم الاول » او باسم « الاب » · وهذا « الاب » من حيث كونه جوهر العلم والمعرفة بالذات فقد « عرف » نفسه وعرف ما هو عليه من الحكمة والاقتدار والعظمة والجلالة · وقد اصطلحت النصارى على تسمية « معرفة الله لنفسه » باسم « الاقنوم الثاني » او « الابن » او « الحكمة » أو « الكلمة » وذلك تقرباً من الادراك البشري ومن باب المجاز · فحصل من هذا في عرفهم « اقنومان » اي اقنوم « الاب » واقنوم « الابن » ثم ان هذا الاله الواحد في الطبع والجوهر عندما عرف نفسه وعرف ما هو عليه من الحكمة والجلالة احب نفسه · وكان حبه لنفسه من الامور الطبيعية وقد اصطلحت النصارى على تسمية « حب الله لنفسه » « بالاقنوم الثالث » او « بالروح القدس » او « بالفارقليط » · فحصل من هذا « ثلثة اقانيم »

وكانت هذه الاقانيم الثلاثة عبارة عن « الله » جل جلاله وعن « معرفته لنفسه » وعن « حبه لنفسه »

وبناءً على هذا تعتقد الطوائف الكاثوليكية ان اقنوم « الابن » (اي معرفة الله لنفسه) صادر عن الاقنوم الاول الذي هو الجوهر الالهي المسمى مجازاً « بالآب » . وان الاقنوم الثالث الذي هو عبارة عن « حب الله لنفسه » صادر عن اقنومي « الآب والابن » معاً . اي ان « حب الله لنفسه » الذي هو الروح القدس قد صدر في وقت واحد سويةً عن جوهر الله « الاب » وعن « معرفة الله لنفسه » . لان الحب لا يصدر الاّ عن معرفة . ولذلك قالت الفرقة الكاثوليكية : ان الروح القدس منبثق من الاب والابن معاً . والامر الجوهري الذي ساق علماء الطوائف النصرانية على العموم واباء الكنيسة الكاثوليكية على الخصوص الى التوغل في هذه الدقائق الفلسفية واللاهوتية هو اجتهادهم في تسهيل ادراك شيء من « سر التجسد » . ولولا ذلك لاكتفوا بقولهم : الله واحد لا شريك لهُ :

فيتضح من هذا ان الله لاينفصل انفصالاً طبيعياً مستقلاً عن معرفته لنفسه وعن حبه لنفسه ولهذا لا سبيل الى القول ان الاقانيم الثلثة هي ثلثة الهة منفصلة وان النصارى باتخاذهم ثلثة اقانيم قد اتخذوا ثلثة الهة وصاروا مشركين وعلى ذلك نظمت هذه القصيدة الالهية الآتية

﴿ النظم ﴾

يسبح من في البرّ والبحر والعلى
الهاً تجلى بالخلائق للملا
الـهٌ بلا بـدءٍ وحدٍّ وحيزٍ
به البدء منذ البدء كان مُمثلا
الـهٌ بـلا عرشٍ يُحدُّ كيانهُ
الـهٌ وحيدٌ لا شريك له ولا
إلهٌ وابٌ ثم روحٌ وحكمةٌ
بها الكونُ منذ البدء جاء مُكملا
تقومُ اقـانيمٌ لديـه ثلاثةٌ
إلـهٌ وحيدٌ لن يُجزّأ ويُفصلا
رآهُ بعين العقل كل موّحدٍ
وغاب عن الزنديق بالكنهِ واعتلا
قريبٌ الى عبدٍ اتـاهُ بتوبةٍ
بعيدٌ عن الفجار بالعفو والولا
حليمٌ كريمٌ ذو ولاء ورحمةٍ
يُجـير خشوعاً مستجيراً توسّلا
متوبٌ على من تاب عن كلّ زلّةٍ
وينقذ عبداً قد تطوّح في البلا

إلهي غدا بالحزن قلبي مقرَّحاً
وكفي الى علياك تبسط انملا
انوح بجنح الليلِ والنجم شاهدٌ
واطلبُ عفواً من إلهي مُؤمّلا
جنيتُ على نفسي بفرط خلاعتي
وذنبي علا هامي وكيلي قد امتلا
تعاظمني ذنبي وزادت مآثمي
فزاد عليها العفو منك تفضلا
عليك الهي طول عمري توكلي
فما خاب حقاً من عليك توكلا
الهي علا فودِي المشيب وفاتني
زمان شبابٍ كنت فيهِ مرفلا
رجوتك عفواً عن ذنوب كثيرةٍ
ولا ريب ربي ان تجيب وتقبلا
جُناحي جسيمٌ والخطايا عظيمةٌ
واعظم منها عفو ربي اذا اجتلا
ساحمد ربي في يسارٍ وعسرةٍ
واعقد مدحي عقد درٍ تفصلا
واقرع سني بالندامـة باكيا
قُبيلَ رحيلٍ يومه حان مقبلا

وانظم في سلك التذلل دعوتي
اخفض صوتي في الصلاة توسلا

ربُّ الجمال

قرّح جفني السهاد · فحرمني لذة الرقاد · في جنح ليل تلبدت سماؤه بالغيوم · وانقضت منها على قلبي صواعق الهموم · وازعجتني عواصف الهواجس · ولاطمتني امواج الوساوس · حتى صرتُ كفلكٍ تعبث به الامواج · في بحر عجاج · فقمتُ الى كتبي التي اعهدها الصديق المجتبى · منذ عهد الصبا · كي الوذ بها من الارق · واريح نفسي من القلق · فعثرت على ديوان شعر لاصحاب الغزل · فوجدتهُ من الكتب التي تعتزل · فقلت لنفسي : مالي وهذه الاوهام · المقتصرة على اوصاف النديم والمدام ؟ فلوعة الغرام · وجُنةُ الهيام · وسكرة المدام لا تفي بالمرام · لا ريب في انها تُرهات · وحديث خرافات · فمليكِ يا نفسي «برب الجمال» · ومصدر الكمال · وعين الجلال! · من حسنه كان الاصل المكتمل · وعن عكس ضيائه حسن البرايا منتحل · فلبت مرامي سليقة القريض حالاً · وجادت قريحتي بالمعنى ارتجالاً · وذلك بلندرة في الخامس من شهر ايار لعام ١٨٧٦

النظم

هويتِ الجمالَ تهافتاً كلُّ المللْ
وهويتُ حسناً زانهُ نعتُ الازلْ
قد زل من هوِيَ الغواني واعتدى
وهواكَ يا باري الورى يمحو الزللْ
انتَ الذي صوَّرتَ كلَّ جميلةٍ
عن حسن وجهك كل حسن قد حصلْ
قد ضلت الجهلاءُ في سُبل البها
و بوجهك الباهي نُصانُ عن الضللْ
ملَّ الفؤادُ جمال حسنٍ زائلٍ
أما الذي يهواكَ لا يشكو المللْ
يُلهي العقول جمالُ كل مليحةٍ
لا التهي عن حسن معبود المِلل
قالوا : اتهوى الحسن في مَن لا يُرى؟
من هام في مَن لا يراهُ قد هزَلْ
قد جُنَّ من يهوى حبيباً لا يُرى
يا صاحبي اقصر في الغرام عن الخبلْ
انفقتَ عمركَ في العفافِ تبتُّلاً
لا خيرَ في من عفَّ او من قد بتلْ

قلتُ : الذي شغلَ الفؤادَ جمالهُ
حسنُ البرايا عن محاسنهِ انتقلْ
سبحانهُ من خالق رفع السما
وذرى النجومَ وكان جرثومَ العللْ
لو لاحَ نور الحسن من سيمائهِ
بهر البرايا واغتشت منهُ المقلْ
ملأ الوجود بذاته الحسنى التي
ظهرت بكل خليقة منذ الازلْ
حورُ الجنانِ تزينت بجماله
خجلُ العذارى من مهابته حصلْ
استقصِ من زهر الربى عن حسنه
يخبركَ من احسانهِ لبس الحللْ
من شهدِ منهلهِ الثمارُ تعقدت
والغصن نال اللين من عطف الازل
وبلابلُ الاسحار تشدو فضلهُ
في روضةٍ او غوطةٍ او في دغلْ
ريمُ الفلا ينبي بكحل جفونه
عن جفن ربٍ كحل طرف قد نقلْ
من جيدهِ منحَ اليمامة طوقها
من ريقهِ نحلٌ قد انتحل العسل

والشمس نالت نورها من وجهه
يوماً اذا حلت بمنزلة الحمل
نجمُ السهى نالَ البهاء ضياؤُهُ
من حسن من جلت محاسنه الأُول
فعلى بديع جماله لك حجةٌ
سبحانه خلقَ الجمالَ من الازل
قد شبه الناس العيون بنرجس
وبدجنةٍ يوماً اذا الجفنُ اكتحل
قد مثلوا الفرق الاغرَّ بغرَّةٍ
والوجه بالبدر المنير اذا اكتمل
والشعرُ حاكى في السوادِ لياليًا
والطرف سيفاً من غشاه ينتشل
والنهد بالرمان جاء مشبهاً
ورضاب ثغرٍ قد تمثل بالعسل
حنو الحواجب بالقسي ونبلها
قد شُبهت والجيد بالعاج امتثل
وتشبهَ الثغرُ الاغرُّ بلؤلوء
والقد في غصن اذا الغصن اعتدل
ذي ترهاتٌ لا تقنّع عاقلاً
الا اذا ناب النهى داء الخبل

اين الجمال السرمديُّ وحسنهُ

من حسن مخلوقٍ عن الاصل انتقل

حسنٌ به ولِعَ الفؤاد حقيقةً

لا وهمُ عشاقٍ اتى ثم ارتحل

حسنُ الخليقة دون فضل تُرَّهُ

والحسن بالفضل العميم قد اكتمل

قالوا : هذيتَ فما الدليلُ ؟ اجبتهم :

هذا الدليل عن الخليقة قد حصل

دع عنك لومي عاذلي وانصت الى

ما قيلَ لي من حب ربًا ما انخذل



النجوى

عودي ذوي حيلي هوى عمري ارتحل

دهري انقضى وقتي مضى نجمي افل

انفقت جلَّ العمر في سوق الردى

وقصدت بابك حينما حان الاجل

واشتد حرصي في الحياة وطولها

واحسرتي قد غرَّني آل الامل

ميلي الى حب الملاهي غرَّني
فسهوت عن ديني وعن خير العمل
وتكاثرت فيَّ النقائص بعد ما
خيري استقلَّ وزاد في فعلي الخلل
وطمعت في وصل الغواني والغنى
وصرفت عمري في الاغاني والغزل
لم تنهني عن قبح فعلي سُنة
والخوف قد ولي وفارقني الخجل
لاتقصني ربي قصدتك تائباً
قلبي اختشى صوتي اختفى دمعي هطل

الدين والعقل

اذا كان عقل المرء ليس بكابح
له عن شرور وارتكاب جرائم
عليه بدين الله فهو لجامهُ
يصون هواهُ عن جميع المحارم



الندم

خرجت اطوف شوارع لندرة · في ليلة نجومها مسفرة · فنظرت الى الثريا الغراء · المعلقة في القبة الزرقاء · وتفرّستُ بما حولها من الكواكب الدرية التي مثل كرتنا الارضية · حاوية خلائق بريّة وبحرية فرأيتها كأنها جماهير من الخطباء · قد استووا على منابر الجرباء · وكلهم يخطبون بافصح لسان · ويعربون عن عجائب مبدع الاكوان · فتزاحمت في عقلي افكاري · واباحت الى نفسي بخفايا اسراري · وذكرتني بماضي اعمالي · المدفونة في رواميس الليالي · فصرت اعدُّ بتفصيلٍ ما جنيت على نفسي من الآثام · في سالف الايام والاعوام · فهاج حينئذٍ بلبالي واثال القريض على بالي · ونسجت هذه البردة · على منوال التوبة · ورددتها بخشوعٍ نوبةً بعد نوبة · وعذت بالله من شر الحوبة · ونظمتها على ترتيب حروف الابجدية · وذلك قبل انتصاف الليل بساعة زمنية في التاسع من شهر كانون الثاني لعام ١٨٨٦



النظم

(١) أمن بعد عزي وارتفاعي ورتبتي

(١) اسيرُ الى دار الهوانِ بذلةِ

(ب) برى وجنتي من فرط حزني وحرقتي

(ب) بديهُ بكائي كل يومٍ وليلةٍ

(ت) تذكرتُ ايام الشباب وطيشهُ

(ت) تمزَّقَ في احشايَ قلبي بحسرةٍ

(ث) ثوتْ في ضلوعي نار سقمٍ ضمرتها

(ث) ثبُتُ اقاسي حرَّ جمرٍ بحرقةٍ

(ج) جنيت على نفسي بقبح جريرتي

(ج) جهلتُ ضلالي والجهالة شيمتي

(ح) حسبت نعيمي في اكتساب مراتبٍ

(ح) حشدت حطاماً كان اصل بليتي

(خ) خلعت عذاري في مجونٍ صبابةٍ

(خ) خسرتُ مقامي باتجار الفضيحةِ

(د) دهتني دواهي الدهر غدراً بغفلةٍ

(د) دنت شمس عمري للغروب بغربةٍ

(ذ) ذوى من ثمار الخير غصنُ تورُّعي

(ذ) ذللتُ لسلطان المعاصي الدنيئةِ

(ر) ربحتُ بدينار العلوم تزندقاً

(ر) رضيتُ من الدنيا بابخس فضةٍ

(ز) زهدتُ ببرٍّ ثمَّ لذتُ بفاجرٍ

(ز) زرعتُ فساداً فاحتصدت عقوبتي

(س) سكنت قصوراً واغتبطت بنعمةٍ

(س) سعدتُ بدار لا تقاس بجنةٍ

(ش) شغفت الغواني حب طيش وجُنةٍ

(ش) شربت حميا الحب في مرّ جرعةٍ

(ص) صبوت الى صوت الاغاني من الصبا

(ص) صحبت ذوات العزف حباً بنغمةٍ

(ض) ضربت طبول اللهو في روض لذةٍ

(ض) ضمنت لنفسي طولَ عمرٍ بخيبةٍ

(ط) طُبعتُ على شرّ المعاصي بفطرتي

(ط) طمرتُ كنوز الدين في شرّ حفرةٍ

(ظ) ظمأتُ إلى وِرْدِ المعالي شراهةً

(ظ) ظفرتُ بامجادٍ وفزتُ برتبةٍ

(ع) عنيتُ بنيل الفخر في كل رتبةٍ

(ع) عمدتُ الى مسك المحال بقبضتي

(غ) غدوتُ سكوراً والكبائرُ خمرتي

(غ) غدرتُ بنفسي شرّ غدرٍ بسكرتي

(ف) فلجتُ بما تاقت اليه شبيبتي

(ف) فرطتُ على الدنيا بكل عزيمتي

(ق) قطفتُ من الايام اشهى ثمارها

(ق) قصفتُ بمزمارٍ وعودٍ كقينةٍ

(ك) كفى الآن يارحمان فالكيل طافحٌ

(ك) كثيرٌ خطائي انت اكثر رحمةٍ

(ل) لجأت الى حصن الندامة تائباً

(ل) لديك سماحٌ كالبحور الغزيرةِ

(م) مددت الى علياك كفي تضرعاً

(م) محوتَ بفضل منك آثار زلتي

(ن) نجاتي من النيران اعظم منحةٍ

(ن) نعيم اغتباطي فيك انعم جنةٍ

(ه) هويت جمالاً لا زوال لملكه

(ه) هنئت بمرأى وجه ربي وبغيتي

(و) وفيت عهودي واقتضيت فرائضي

(و) وفدتُ على حلم الإله بتوبة

(ي) يئنُّ فؤادي بالندامة عمرهُ

(ي) يناجيك قلبي في نهارٍ وليلة

الزهدُ

دع الدنيا وما فيها * ولا تتبع مباديها

فكم صدَّت وكم ردت * وكم جافت اهاليها

ولا تركن لما تُبدي * فلا تدري معانيها
ولا تطمع بسكناها * فكم دُكت مبانيها
اذا بشتْ لنا يوماً * بكت دهراً اماقيها
ولا تُحسن بها ظناً * فكم خابت امانيها
ولا زرعٌ ولا ريٌّ * ولا ماءٌ بواديها
وفي البلوى اذا اشتدت * فلا موتٌ يوازيها
ولا حسنٌ ولا مالٌ * ولا ملك يفاديها
اخو خرقٍ يخاويها * وذو عقلٍ يعاديها

﴿ يعقب التوبة ﴾

« الموت »

وقلتُ الابيات الآتية في الموت وذلك بلندرة سنة ١٨٨٦

سأل بعض التلامذة معلمهم الفيلسوف « كنفوشي » الضيني المشهور عن كنه « الموت » فاجابهم قائلاً :

« انا لا اعرف كنه الحياة التي قضيت عمري في البحث عنها · فكيف اعرف كنه « الموت » الذي لم اره بعدُ ؟

انا الموت والاحياء طوعُ اوامري

انا مستبدٌ في جميع العناصرِ

انا الموت منذ البدء طفت على الورى

بكأس حمام شقّ كل المرائر

وبي حلت الاكوان ثم تركبت

انا كنت فيها منذ خلق الذرائر

فكم باسلٍ خاض العجاجة سالمًا

وما سلمت نفسٌ تلاقي خناجري

وكم قاد كسرى من جيوش وقيصرٌ

فما عاش كسرى او مصاف القياصر

يعالج طبٌّ طول عمر بحرفةٍ

فليس على بطشي طبيبٌ بقادر

فاين ابقراطٌ واين اجتهاده

فقد صار بعد الجهد رهن المقابر

باب المراثي

وقلت ارثي صديقي القديم السيد اقليميس يوسف داود السرياني الموصلي رئيس اساقفة السريان الكاثوليك بدمشق وانا حينئذٍ بالاستانة وذلك سنة ١٨٩٠

« النظم »

على كوكبِ الشرقِ العلوم تنهدُ ويبكي على حبر الكنيسة معبدُ
على السيد الملفان يوسف عصرنا انينُ البرايا لا يكفُّ ويخمدُ
وترثي دمشقِ الشام فقد عزيزِها مع الموصل الحدباء اذ قام مشهدُ
بكتهُ علومُ الأَولينَ باسرها بدمعٍ غزير سيلهُ ليس يجمدُ
بكتهُ من اللغاتِ خمسٌ وعشرةٌ بها كان درّ الحق فينا ينضدُ
بكتهُ طروسٌ واليراعُ ونثرهُ وناحَ عليه الشعر اذ قامَ ينشدُ
عليهِ عيونُ المجد تبكي تأسفًا وقلبُ المعالي بالتحسر يكمدُ
ومجمعُ « فاتيكان » يندبُ فقد من لديه تقاليد الطوائف توجدُ

سأبكي عليه كلما ناحَ طائرٌ ... وراحَ يمامٌ في الاراكِ يغرّدُ
لقد افل النجم الذي لاحَ نورهُ ... بشرقٍ وغربٍ والمآثر تشهدُ
وخرَّ من العلياء ارفع كوكبٍ ... غداةَ هوى بدرُ العلوم الممجدُ
وغاب عن الدنيا ضياء شموسها ... وبلت سناء البدرِ في التربِ يرقد
نعم راح من قد كنت فيه تبرعاً ... اروحُ قتيلاً في الدفاع وابعد
نعم سار من سار الفؤاد لفقده ... على جمر نارٍ والحشا تتوقد
فلو كان يفدى بالنفيس فديتهُ ... ولكنَّ لا يجدي لجين وعسجد
ولو كان بالأفضال يخلد فاضلٌ ... لما ماتَ هذا الحبر بل كان يخلد
فقد شُقَّ جيب الفضلِ حزناً لفقده ... وقامتْ رجال الخافقين تعدد
فقدنا كريماً فقد غيثٍ ورحمة ... كذا كل شهمٍ في الخلائق يفقد
فقدنا اديباً قد رثاهُ تفجعاً ... من الشرق والغرب الهزار المغرّد
اضعنا ملاكاً كان في شدة العنا ... يعزي مصاباً بالبلايا وينجد
فتىً يستحق الاجر حسن فعالهُ ... وما يزرع الانسان ذلك يحصد
فتىً كان يسخو والسخاوة دابهُ ... ويعطي لوجه الله ما سمحتْ يد
فتىً كان مقداماً إلى الخير سعيهُ ... وكان سريعاً في الشدائد يعضد
تراهُ صموتاً في المجالس حشمةً ... وان قام في اوج المنابر يرعد
فكم قام بين الناس يصلح شأنهم ... وينصح ذا الاوزار ثم يهدد
يصول على الزنديق سيف يراعه ... ويفري فؤاد البطل حين يسدد
جنى من جنانِ العلم اثمار حكمةٍ ... بها الحق يحيي والضلالة تجحد
وشادَ اساس العلم فوقَ دعائم ... رصينة ركن لا تدكُّ وتفسد

لقد كان هذا الحبر بحر معارفٍ
تنزّه عن جزرٍ يعاب به المد
حوى ذلك البحر الغزير جواهراً
اتتها دهاقين البرية تنقد
فاين خضمُ العلم اين منارهُ
واين الذي فيه المعارف تحشد
مضى من قضى خير الحياة سبيله
وخلف ذكراً في البرية يحمد
وما المرء الا كالسحاب وظلهِ
وكالسيف يوماً يستسل فيغمد
انجزع مما احدثته نوائبٌ
بجسم ترابٍ والترابُ مبدد
انحمد دنيانا وقد ذهبتْ بمن
به كان صرح العلم فينا يشيد
انارَ من الدنيا سواد ظلامها
فقامت لاخذ الثار والثار اسود
فما نعرف الايام الا لئيمةً
خيار رجال الدهر بالموت تحصد
لحى الله دهراً قد بلاني بفقدهِ
وعاند في اللقيا كذا الدهر يعند

فليت المنايا اخرت فتكاتها
لكنتُ اراهُ بعدَ حينٍ واسعدُ
على ان من يرجو من الدهر نعمةً
جهولٌ فهل للدهر عهدٌ وموعد
فكان من الدنيا نصيبي وبهجتي
وكنت حماه في الملمات اقصد
حزنت عليه حزن امٍ ووالدٍ
وحزني عليهِ كل يومٍ يجدّدُ

وما حزنت امٌ على فقدِ نجلها ... كحزني على خلٍّ يُحبُ فيفقد
وحزن الذي قد عاشَ بعد خليله ... كنار الغضا لا تستكنُّ وتخمد
ومن لم يمت غماً على فقد خلهِ ... يُعذَّبُ بنار في الحشا تتوقدُ
يعز عليَّ حين الفت مقلتي ... افتش في ارض بها كان يقعدُ
ارى الدار قفرى والخليل مهاجرا ... فاسكب دمعاً والزفير يرددُ
اتاه رسول الموت يرهب فضله ... يُبلغ امرًا لا يُردُّ ويبعدُ
فاحنى وحيى ثم فاهَ بهيبةٍ ... هلمَّ لك الاكليل بالمجد يعقد
هلمَّ الى افراح سيدك الذي ... لديه جيوش العرش بالخوف سجدُ
تجرْت بفضل ثم فزت بربحه ... جزاؤك من مولاك مجدٌ مخلدٌ
هلمَّ بنا كملت برَّك كله ... وهاك ثواب الفضل عندك يحشدُ
فسار رسول الموت يرشد روحه ... الى جنة فيها تقيم وتخلد
وبات لدينا الجسم ذخرًا نجله ... جلالة كنز في القلوب يوصد

كذا حاز اهل المجد اثمن درّةٍ   وحزنًا من الاصداف قشرًا يجدّد
لجعنا بني السريان لجعة ثاكل   بحبرٍ اليه عزُّنا كان يسند
لقد عظمت فيكم وفيّ بليةٌ   لها جمرةٌ في كل قلبٍ توقد
فلوذوا بحصن الصبر دومًا كمثلما   عليه ليوم الحشر قلبيَ يكمد
لان الذي مات السرور بموته   سيحيى سعيدًا في الجنان ويخلد
سلامٌ عليه في الصباح وفي المسا   صلاةٌ عليه كلما قمت اسجد

« وقلت ايضًا في قبر الفقيد »

المّوا على قبر الحبيب وعددوا   وقولوا له : قد حل ضمنك فرقدُ
وحيوا ضريحًا قد حوى في خلاله   خليلاً له في القلب دارٌ ومعهد
وزيدوا : لقد حزت الكمال جميعه   وفيك سناء الشمس والبدر يلمحد
فكانت سويداء الفؤاد مقرّه   اغار عليه من خيالي وازيد
فصار شريكي القبر رغمًا بحبه   وقلبي بشرك الحب بالطبع يزهد
فيا عين جودي بالدموع تحسرًا   على قبر حبر بالقداسة يرقد
لاغسل بالدمع السخين مقامه   لان غليلي بالدموع يبرّد
فيا قبر خلي ما اجلك حفرةً   عفافٌ وعلم في حشاها ينضد
ويا قبر داود الذي من سميه   تعلم لبس التاج والفضل يشهد

مضى من ثوى للنشر طيك في الثرى ... وعرش المعالي دكّ والعزّ يخمد

عليك سلام الله ما لاح بارق ... ودمت بقطر الغيث تسقى وتُقصد

حقوق الوداد

وقلت ارثي عروس شعري الفقيدة (هلدا) ابنة الامير الاي « جبمن » Chapman الارلندي وقد توفاها الله في غض صباها ولها من العمر ٢٤ سنة وذلك بمدينة (برايطن) من بلاد الانكليز نهار الخميس الواقع في اليوم الرابع من تشرين اول سنة ١٨٨٨ وكانت رحمها الله فتاة بديعة الجمال حسنة الخصال سليمة الفؤاد لها عليّ حقوق وداد تخلد في الفؤاد الى يوم المعاد

يقولون « هلدا » قد اصيبت بشدةٍ

فياليتني كنت الطبيب لعلةِ

يقولون : وافاها الحمام بفجاْةٍ

فقلت حماها الربُّ من كل آفةِ

يقولون : ان الموت نومٌ وغفوةٌ

فقلت ارى في الموت اول يقظةِ

فكنت « وهلدا » في الحياة مغفلاً

فلما قضت يُقظت من نوم غفلتي

فيا ليت عشنـا والتغفل دأبنا

« وهلدا » دواماً في الحياة رفيقتي

رعى الله يوماً تمَّ فيه لقاؤنا

« وهلدا » خرودٌ بنت ستٍ وعشرةِ

فمن ذلك العهد استتب لنا الولا

وعشنا كلانا في سعادة الفةِ

مهاةٌ اصابت من فؤادي شغافهُ

وحلت كما حلَّ الغرام بمهجتي

وشبت كغصن البان قداً وقامةً

وشبَّ لها حبي الشديد بنسبةِ

فيا ليت راعى الدهر داعي صبابتي

ودام لنا بالرغد عهـد المودةِ

ولكن زماني خان عهداً وموعداً

ونغص عيشاً من مهاة عروبةِ

فداَرت بها الارزاء في غضِ عمرها

كذا الشوكُ دأْبا يستديرُ بوردةِ

غشاها ذبولٌ في اخضرار ربيعها

وفاز بهـا بالغدر ظفرِ المنية

هلالٌ دهاه الخسف قبل بدورهِ

وعهدي بخسفٍ لا يحيق بغرّة

هلالُ جمالٍ لاح في برج سعدهِ
وغاب عن الدنيا بطرفةِ لمحة

قضت نحبها في ارض بؤسٍ وغربةٍ
وما فزت منها قبل ذاك بنظرةٍ

رأيت محياها الاغر مقطباً
وقد اودع التابوت جسم عزيزتي

وعادت الى الاصداف اثمن درةٍ
فيا ليت اصداف المقابر مهجتي

سلامٌ على الوجه المزّين بالبها
سلامٌ عليه كل يوم وليلة

انوح عليها نوح طير يمامة
واقضي حياتي في نحيبٍ وحسرةٍ

وما ندب الاخوان فقد شقيقةٍ
كندبي على « هلدا » بكبد قريحة

اموت جوىً والحزن ملء حشاشتي
ومن لم يمت حزناً يعش عيش حرقة

فجودي بدمع يا سحابة مقلتي
على قبر « هلدا » واغسليه بقطرة

سانظم طول العمر فيها قصائداً
وارمي بها مرمى كثَّير عزة

على ان هذا بالجمال فريدةٌ
تفوق البرايا في كمال وعزة
دعاها الله العرش في عزّ زهوها
لتغرس بين الورد في روض جنة
جنتها يد الاقدار قبل اوانها
كجنبذ وردٍ يجتنى قبل ضحوة
فجعتُ بها واحسرتي وتلهفي
وزال نعيمي يوم زالت حبيبتي
تولَّ المهي نفس اختي وخلتي
وفسح لها في دار خلدٍ وغبطةِ

وقلت ارثي والدي يعقوب رحمة الله عليه

فلو كان تقوى الله يفدي من الفنا لعاش الذي من ربه كان محبوبا
ولكن رأى المولى الحياةَ شقيةً دعاهُ من الدنيا الى حضن يعقوبا

وقلت ارثي البطريرك انطون السمحيري السرياني

شهيدٌ لدين الله حبرٌ ومُصلحٌ
به بيعة السريان جلَّ افتخارها
وشادَ على اسِّ العبادة دينها
فضاءَ بنبراس العلوم منارها

﴿ تقوى الله ﴾

وقلت يوم شيعت جنازة صديقٍ لي بلندرة وذلك سنة ١٨٨٦

عليكِ بتقوى الله يا نفس سرمدًا
ولا تلحقي بالخلق ضرًّا تعمدا
ولا تبغضي حيًّا ولو جار واعتدى
عليك فما يحيي البغاة مخلدا
تدور على الباغي الدوائر عنوةً
ويحيي سعيدًا ذو الفضيلة امجدا
وكل حسودٍ ينخر الحقد قلبهُ
يذوب كشمعٍ في سعيرٍ توقدا
يعيس ونارُ الغيظ تحرق كبدهُ
وان ماتَ اضحي الجمر فيه مجدّدا
فجارِ اخا فضل وراعِ ذمامهُ
وسامح عدًّا ان قلاك وندّدا
لاني رأَيت الفضل خير ذخيرة
لمن رام قبل الموت ان يتزوّدا

﴿ قدرة الله تعالى في خلقه الجوهر الفرد ﴾

(وتركيبهِ وتحليلهِ)

« الجواهر الفردة » في عرف اصحاب التحليل الكيمي ذرات دقيقة وجراثيم بسيطة لا تقبل التجزي والتحليل اصلاً . ويسميها علماء الافرنج باسم « آتوم » *Atomes* ولا ندخل هنا في المسألة القائم عليها جدال طويل بين طوائف الفلاسفة في شأن تجزيء هذه الجواهر الفردة او عدم تجزئها وحلها . ولكننا نقتصر على القول ان جميع الاجسام المركبة المدركة والغير المدركة منا بحواسنا تتركب من هذه الجواهر الفردة

ولكي يستطيع القارئ ان يتصوَّر اقصى درجة الصغر التي هي عليها هذه الجواهر نقول له : قد اتصل علماء الكيمياء في تجاربهم الدقيقة الى درجةٍ خمنوا بواسطتها عدد الجواهر الفردة المكوّنة كتلة من مادة حجمها حجم رأس دبوس ابرة بنحو ثمانية سِتيليون وصورة هذا العدد الغريب رقم (٨) يتلوه واحد وعشرون صفراً هكذا
(٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) ويعبر عنهُ في الارقام الهندية « بثماني طغمات » . ولكي يتصوَّر ايضاً القاريء عظم هذا العدد العجيب نقول له : لو استطاع الانسان احصاء مليارد في كل ثانية زمانية لاقتضى لهُ مائتان وخمسون الف سنة حتى يكمل احصاء تلك الجواهر الفردة المكوّن منها رأس دبوس ابرة المليارد رقم « ١ » يتلوهُ عشرة اصفار هكذا

(١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) ويعبر عنهُ في الارقام الهندية بعشرة الاف الف الف او بعشرة ابراج

ومن اعجب العجائب ان كلاً من الجواهر الفردة جسم قائم بنفسه لا يلمس ما يجاوره من الجواهر الفردة بل يسبح في مادة غازية يقال لها «الاثير» ويدور على محوره بحركة دائمة اتباعاً لقانون الجاذبية العام كما يدور كل كوكب في فلكه على خط اهليلجي . وكما تسرع الكواكب في سيرها في نقطة الحضيض وتبطئ في نقطة الاوج كذلك هذهِ الجواهر الفردة تسرع في سيرها عند نقطة الحضيض وتبطئ عند نقطة الاوج . والمسافة الكائنة بين هذه الجواهر الفردة على قدر صغرها هي بنسبة المسافة الكائنة بين الاجرام السماوية على حسب كبرها وذلك اذا استطعنا تكبير جوهر من هذه الجواهر الفردة بكبر كرَّتنا الارضية وتكبير جوهر آخر مما يليها بكبر القمر لصارت المسافة الكائنة بين هذين الجوهرين المكبرين بكبر المسافة الكائنة بين الارض والقمر . وهذا دليل آخر من الادلة القاطعة والحجج الدامغة على ان الله تعالى جلت حكمته قد خلق كل الكائنات على قانون واحد لا يتغير

ومما يزيد العقل البشري حيرةً تكوين خلائق مختلفة الاجناس والانواع والفصائل من مادة واحدة بعينها . فان الله تعالى بحكمتهِ الازلية خلق المادة كلها ذات جوهر واحد لا يتغير . وهذهِ الجواهر الفردة التي هي اساس تركيب جميع الاجسام من حيوان ونبات وجماد وعناصر كلها جوهر واحد ومادة واحدة في حد نفسها لا اختلاف في ماهيتها وجوهرها

وطبيعتها · ولكن ما نراه في هذا الكون الفسيح من اختلاف اجناس الحيوان وانواعه والنبات وفصائله والمعادن واصنافها والعناصر وخواصها فهو حاصل فيها ليس من قبيل اختلاف جواهرها بل من قبيل الاختلاف الموجود في عدد الجواهر المركبة منها· ولذلك كان الفرق حاصلاً بينها من جراء كميتها ونسبة مقاديرها في التركيب وليس من جراء ماهيتها وطبعها · فالذهب والرصاص والفضة والنحاس وغيرها من انواع المعادن وحجارة الماس والفحم الحجري والياقوت والزمرد وغيرها من الحجارة الكريمة والورد والزنبق والبنفسج وغيرها من الزهور والتفاح والبرتقال والعنب وغيرها من الاثمار وغاز الاوكسجين « مولد الحموضة » والهيدروجين « مولد الماء » واسيد كاربونيك « حمض الفحم » والكهربائية وغيرها مما يشابهها مركبة من مادة واحدة ومن جواهر فردة واحدة في كنهها وماهيتها · واما ما نراه بينها من الاختلاف في الالوان والطعم واللمس والصلابة والرخاوة والنعومة الى غير ذلك فهو حاصل من جراء الاختلاف الكائن في عدد الجواهر الفردة التي تتركب منها · فعلى هذا المنوال ان الورق الاحمر من زهر الورد ورائحته العطرية وشوكه الحاد وورقه الاخضر وساقه الصلب وعروقه الصفراء مكوَّنة من نفس الجواهر الفردة التي هي من مادة واحدة بعينها · ولكن لما كانت مقادير الجواهر الفردة التي هى اس التركيب في الورق الاحمر من الوردة مختلفة في كميتها عن الجواهر الفردة التي هي اس التركيب في شوكها او في ورقها او في قضيبها حصل من جراء ذلك فرق ظاهر بين ورق الوردة ورائحتها وشوكها وهلم جرا

وقد تقرر ايضاً بقواعد العلم الراسخ والامتحان الكيمي ان الجواهر الفردة تتبع في تركيبها عدداً محدوداً لا يتغير ولا يزيد ولا ينقص وقد جعلت حكمة الله تعالى وقدرته السامية عدداً معلوماً من الجواهر الفردة لتركيب كل من الاجسام على كبرها وصغرها . فالجواهر الفردة التي يتركب منها زلال البيض مثلاً منحصرة في عدد محدود خاص به ولا يشترك بذلك العدد جسم آخر وقس على ذلك جميع الكائنات . ومتى انحل جسم من الاجسام بفصل ذلك العدد المحدود من الجواهر الفردة حافظ كل جوهر فرد على وجوده المطلق بدون خسارة او نقصان وصار في الحال اساً لتركيب جسم آخر كما بينا ذلك باصرح عبارة في كلامنا على سفر الجواهر الفردة وانتقالها من جسم الى جسم آخر . وليس في تركيب الاجسام وعدد جواهرها الفردة شيء من الصدفة بل كل ذلك مؤسس على قاعدة الاعداد . وقد رتب الخالق بحكمته الالهية عدداً معلوماً من الجواهر الفردة لكل جسم بلا زيادة ولا نقصان .

ومما يزيدنا ايماناً بقدرة الله وحيرةً بحكمته الالهية هو شكل هذه الجواهر الفردة . فانه تعالى خلقها جميعها بلا استثناء على اشكال هندسية لا يعتريها تغيير ولا تبديل اصلاً . وتحفظ شكلها الهندسي المختص بها في جميع تراكيبها ولا يتغير شكلها الهندسي الذي فطرت عليه سواء تجمعت في كتلةٍ من الاجسام ام خرجت منها . فان كانت على شكل كرةٍ او مكعبٍ او مخروطٍ او مستطيلٍ او شبيه بالمعين او منحرف او مضلعٍ او مسدَّسٍ او مثمنٍ او بيري او لبني او موشور او اسطواني او غير ذلك من الاشكال الهندسية

بقيت عليه ما دام خالقها الحكيم يحفظها بعنايته ويحركها بقدرته ويركب منها بحكمته ما يشاء من الانسان والحيوان والنبات والجماد والمياه والعناصر والنجوم والكواكب والشموس وغير ذلك من المخلوقات التي لا نعرفها . وفي كل حلها وتركيبها لا يفقد منها شيء البتة

فالجوهر الفرد مثلاً من حمض الفحم (اسيد كربونيك) الذي يتطاير عند الحلّ من آخر نفس الانسان او الحيوان حال النزع ينتقل حالاً الى النبات ليقيته ويحييه . وعلى هذا المنوال تتبع الجواهر الفردة القانون الذي قد سنهُ لها خالقها الحكيم ولا تتعداه وليس في الكون الفسيح باسره حركة شاذة عن القانون اصلاً

وواضع هذا القانون العام العديم التغيير هو الله الدائم جل جلاله وبه يسوس الكون ويدبره وبه يحييه ويحفظه وهو الحكيم القادر على كل شيء لا شريك له ولا نظير .

﴿ القصيدة الكيماوية ﴾

« قدرة الخلاَّق في تركيب العناصر وحلها ومفاعيلها »

رثيتُ بهذهِ القصيدة فرج الله ضاهر الحلبي اخا صديقي القديم فرنسيس ضاهر وانا يومئذٍ بمدينة منجستر وذلك سنة ١٨٧٥

الى الغاية القصوى نُساق بتقديرِ ونبلى بحِلٍ ثمَّ ببدلٍ وتغيير
تسوقُ نواميس الطبيعة جسمنا الى معمل الكيمياء من غير تأخيرِ

وتجري على كل الخلائق حكمها ونقضي عليها باختمار وتبخيرِ

تقطرُ ارواحاً تحلُّ جوامدًا كذا الكون يجري بين حل وتقطيرِ

تركب جسماً من شتات عناصر تجزئها من غير نقص وتكسيرِ

تذوبُ في قلب الجبال معادنًا كمثل رصاص او لجين وقصديرِ

تصعدُ غيماً من بحور وانهر وتنزلُ غيثاً فوق ارض لتثميرِ

تخمر بزرًا في اراضٍ خصيبةٍ وتنبت اثمارًا بقوة تخميرِ

تعصر كيموساً تجهز كتلةً وتخلق طفلاً من دماءٍ بتعصيرِ

تهذّبُ شابًا بالغرام وصده وتشغلُ كهلاً باقتصاد وتدبيرِ

تحدبُ شيخًا تحت وقر زمانهِ فيقضي حياةً بين حلم وتهذيرِ

تجود علينا بالوجود تبرُّعاً ونحن بجهل لا نبالي بتعميرِ

وتسلبُ عمرًا حين نبغي خلودهُ فتفني حياةً بين جودٍ وتقتيرِ

وتنزع روحًا من صدور بواسلٍ وتدفع اجساماً لقبرٍ وتعفيرِ

تجرُّعنا من دنها خمر علقمٍ فنشرب كاس الموتِ منها بتصبيرِ

تشك بشوك الهم وردة عمرنا وتحرم شماً من عبيرٍ وتعطيرِ

نعيش نشاوى والحياة مدامةٌ

ونصحو على باب المنون بتفكيرِ

ونبغي كمن لا يعرف الموت والقضا

ونكبو لموتٍ فاجيءٍ دون تحذيرِ

كما تبسم الازهار في الروض ساعةً

كذا العمر يمضي في ذبول وتزهيرِ

فننبتُ في ارضٍ ونحصد كالكلا
بمنجل موتٍ قاهر دون تبصيرِ
ونسعى لنيل المال طول حياتنا
ونرغب حرصاً في اقتصاد وتوفير
ونجمع اموالاً ونلهو بمكسبٍ
ولم ننجُ من موتٍ بجمع وتكثير
وما نقتني بالحِلّ من خير ثروة
ستنفقها بالبذخ ابناء تبذير
نظنُّ بان الليل سوف يريحنا
فتمضي الليالي بين حلمٍ وتعبير
ونشغلُ افكاراً بحكمٍ وحكمةٍ
ولا نُعفى من حتف بعلمٍ وتأمير
فقد مات نمرودٌ وكسرى وقيصر
وقسٌّ وسقراطٌ كذا كل نحرير
فلا الحزن يفدي المرء من قبضة الردى
ولا حسرة تاتي دفيناً بتبشير
وما قام ميتُ قد بكته محاجر
وما عاد مدفونٌ الينا بتخبير
لكل كيان آفة من خواصه
وآفة كل الناس موتٌ بتقدير

وكلٌّ ترابٌ والترابُ معادُهُ
وعمرٌ بخارٌ يضمحلُّ بتقطير
فيا داخلاً دنيا الشقاء بدمعةٍ
ستتركها رغماً بدمعٍ وتحسير
اتطمع في خلدٍ ومهدكَ صورةٌ
لنعشٍ وتابوتٍ وقبرٍ وتكويرِ
ونومكَ رمزٌ للمنونِ وشخصهُ
حذاءَ سريرٍ قد تصدى لتحذيرِ
فما العمر الاَّ اسرُ حرٍّ مقيدٍ
وما الموت الاَّ باب عتقٍ وتحريرِ
فلا ترهبنَّ الموت عند حلوله
فما باسلٌ يخشى خلوداً بتقديرِ
الا انتبهوا يا معشر الناس واعلموا
بانَّ حياة المرء اوهامُ تغريرِ
اميطوا شعار الجهل والحرص واقنعوا
وعيشوا بفضلٍ واتقاءٍ وتدبيرِ
ولا تفسدوا في الارض طول حياتكم
فما مفسدٌ يأتي الجنانَ بتقديرِ
وجاروا رضى المولى ركوعاً وسجداً
وسيروا مسيراً فاضلاً دون تقصيرِ

لقد كان موصوفاً بذا الفضل «ضاهرٌ»
وعاشَ كريماً في نقاءٍ وتطهيرِ
فافرج عنه في الجنانِ الاههُ
ونشفَ عيناً من دموعٍ وتكديرِ
وخوَّله في خير دارِ سعادةً
تفوق على الدنيا بوصفٍ وتصويرِ

« وقلت ارثي لحالي وذلك بلندرة سنة ١٨٨٨ »

﴿ النظم ﴾

رثى الناس حبرًا زينتهُ مآثرُ
أيرثي لحالي ناثرٌ ثم شاعرُ ؟
وماذا يفيد الميت ندبُ نوادبٍ
وقد صمَّ سمعٌ ثم بادت شعائرُ ؟
اذا متُّ مات الشعر عندي واهلهُ
ودكتْ ليوم النشر بعدي منابرُ
رثيتُ لحالي قبل موتي ومأتمي
وطبعي من حلّ العناصر نافرُ
وتنفرُ عني في المراثي قريحتي
نفورَ طباعٍ من فساد يخامرُ

اذا ذكر الانسان ساعة حتفهِ
تصدّعَ منه العقل والفكر حائرُ
فليس الذي يرثي انحلال كيانهِ
كمثل الذي يرثي خليلاً يغادرُ
اذا كان لا منجي من الموت بتةً
فلا تقنطي نفسي كذاك العناصرُ
اسيرُ سبيلي سير جدّي ووالدي
كما سار قبلي للقبور قياصرُ
نزلت ديارًا لا تريح نزيلها
وكل نزيل عن قريب مسافرُ
ديارُ الدنا دارُ المذلةِ والشقا
تذلُّ بها الاجسام ثمَّ السرائرُ
فكم مأتمٍ فيهِ نشدتُ مراثياً
وقمتُ خطيباً والدموع زواخرُ
غداةَ على قبري تقوم منادبٌ
وصخر قبور للخطيب منابرُ
ينوح على فقدي خيار احبتي
وينعي وفاتي كل غادٍ وسائرُ
اخلاء مهلاً لا تذوبوا توجعاً
فان زالتِ الاعراض دامت جواهرُ

تسلوا اذا جسمي توارى بحفرة
فاني لديكم بالمودةِ حاضرُ
ولوذوا بحصن الصبر دأباً كمثلما
عليكم ليوم الحشر قلبيَ صابرُ
لقد بنتُ عنكم والفراق مقدّرٌ
وكم بانَ قبلي بالمنية دابرُ
الموا على نعشي وقولوا لحفرتي
سقتكِ الفوادي حل دارك زائرُ
مضى من ثوى للحشر طيك في الثرى
وعرش معاليه الى النشر غابر
فيا قبر حقاً لست آخر حفرة
من الارض شقت فيك شقت مرائر
عليك سلام الله ما دمت مقصداً
ودامت بقطر الغيث تسقى الحفائر

يعقب الموت

« القبر »

نظمت هذه الابيات لتحفر في حجرة قبري

قضى العمر في الاسفار طالب حكمة يروم فنوناً لا تحد وتحصرُ

ومن كانت الدنيا الفسيحة كلها تضيق لديه في الحياة وتصغرُ
كفته بعيد الموت اضيق حفرة كما اكتفيا بالمثل كسرى وقيصرُ

﴿ يعقبُ القبرَ ﴾

« خلود النفس »

هذه مسئلة لا يحتاج الى الخوض في عبابها اصحاب الاديان لانهم يقرون بها من دون مناظرة ولا جدال · ولكن نستجلب اليها التفات الشبان الذين قد اغتروا باقوال بعض الفلاسفة الماديين الذين ينكرون روحية النفس وخلودها مع ما يتبع ذلك من الحقائق الجوهرية

فلقد كثر ما قاله هولاء الفلاسفة الماديون في مسئلة النفس والعقل والفكر البشري · ونحن نذكر منها ما قلَّ وجلَّ ثم نبين ضلالها · ونقول :

قال بعض الماديين : كانت الفلاسفة وعلماء اللاهوت في الاعصار الغابرة يسردون اراءهم الشخصية في حقائق غامضة لا يدركونها حق الادراك · وكانوا يزعمون ان اراءهم في كل ذلك حقائق لا تقبل الجدال · ولبث كثيرون من الذين خلفوهم ينقلون عنهم بكل ثقة وبدون تروٍ وتردد مسائل كثيرة · وكانوا يكتفون بقولهم : قال افلاطون · قال ارسطو · قال المعلم توما اللاهوتي قال فلان وفلان ما هو كذا وكذا · وعلى هذه الطريقة وصف بعض من اللاهوتيين والفلاسفة الاقدمين طبيعة النفس وعينوا اليوم والساعة والدقيقة

والواسطة التي بها تتحد بالجسد في الرحم · ووصفوها بخليقة قد حكم الله عليها بالاقامة في سجن الجسد واحتمال العذاب في وادي الاحزان والدموع منفيةً عن وطنها السماوي الى اجل مضروب · ثم بينوا الطريق الذي به تخرج النفس من الجسد والمكان المعد لاقامتها بعد انفصالها من الجسم الى غير ذلك من الاقاويل التي كانوا يكتفون بسردها دون اعتناء باثباتها · اما العلماء الماديون في هذا العصر فقد عدلوا عن هذه الطريقة المجانية واعتصموا بالامتحان والتجربة وحل الاجسام وتركيبها · وعلى اصول هذا الامتحان اقاموا ادلتهم وقالوا :

منذ القرن السابع عشر كان العلامة « بازاك » (*Balzac*) قد قال : ان الفوسفور هو العنصر المهم الذي به المخ يبرز الافكار : وقد تبين بالامتحان ان كل القوى العقلية محصول الفوسفور وليس محصول ما يسميه الناس « بالنفس » ثم ان هذا الفوسفور يكثر وجوده في المخ · والمخ يتركب من مادة دهنية تظهر فيها نقط سود · وجميع الافكار تصدر عن هذه المادة الدهنية ونقطها السوداء · وان مادة المخ بوجه العموم ليسة بحاسة · فاذا ادخلنا فيها رأس ابرة لا يحصل في المخ شعور البتة · ولكن حاسة المخ منحصرة في الاهداب المخية وفي طبقات العينين · وقد جرّب علماء التشريح ذلك وقطعوا المخ قطعة فقطعةً في الحيوان الحي ولم يشعر بالم · ووجدوا انهم اذا ازالوا مخ الحيوان بتمامه من قحف رأسه فقد حالاً حاسة البصر والسمع ولو لبثت عيناه مفتوحتين واذناه سالمتين وانفاسه مترادفة · وصار حال ذلك الحيوان الفاقد المخ حال من يكون غارقاً في سبات عميق بلا ادراك وعديم العلاقات مع ما

حوله من امور الدنيا · والعلماء الذين اجروا هذه التجارب في ازالة المخ من رؤوس الدجاج وجدوا انهم كلما ازالوا قطعة من مخ الدجاجة نقص ادراكها بنسبة القطعة المنفصلة حتى اذا رفعوا كل منها فقدت كل اشعارها وادراكها · وقالوا : ما يحدث في مخ الحيوان يحدث نفسه في مخ الانسان

وقد استنتج الفيلسوف « بوخنر » (*Büchner*) المادي من هذه التجربة الاستنتاج الآتي : اذا كان الادراك يزول بازالة المخ فذلك دليل على ان العقل هو المخ نفسه فمتى ارتفع المخ من رأس الانسان ارتفعت قوته المدركة ايضاً · وبناء على ذلك لا يوجد في الانسان روح او نفس متعلقة ممتازة عن مادة المخ · فنفس المخ هو عين ما يسميه الناس بروح او نفس

ثم قال الفيلسوف المادي « مولسشوط » (*Moleschott*) في المعنى المذكور لو لم يكن المخ هو الذي يسميه عموم الناس بالنفس لما كان شرب القهوة ينبه قواه العقلية وشرب الشاي ينعش قوة ادراكه وشرب المسكرات يزيلها ·

ثم قالت طائفة الماديين : ان الفرق بين مخ المرأة والرجل عظيم جداً فان مخ المرأة اقل وزناً من مخ الرجل بنحو ١٤٠ غراماً · وكان ارسطوطاليس الفيلسوف قد عرف هذا الفرق الكائن بين مخ الرجل وبين مخ المرأة وقد ثبتت حقيقة ذلك بالامتحان في هذا العصر · لان الطبيب « بويد » *Boyd* بعد ما وزن ١٠٨٦ مخ رجل و١٠٦١ مخ امرأة وجد ان معدل ثقل مخ الرجل لايتجاوز ١٣٦٦ غراماً ومعدل ثقل مخ المرأة لايتجاوز ١٢٣٨ غراماً · فاذا كان معدل ثقل مخ المرأة اقل من معدل ثقل مخ الرجل كان معدل قامة المرأة

ايضاً اقصر من معدل قامة الرجل · وبناء على ذلك ما كان في مخ الرجل من زيادة في قوة الادراك كان في قلب المرأة ما يقابله من زيادة في الحنو والاشتياق وعلو الجناب · فيتضح من هذا القول انه يوجد مناسبة بين كبر المخ وثقله واطوائه وبين القوة العاقلة · فالجنين لا يمتلئ قحف راسه مخاً الا في الشهر السابع من تكوينه ثم قالوا : قد اثبت المعلم تيادمان Tiedemann بالتشريح وقال : ان نمو المخ في رأس المعلم « فيسال » Vesale و « شكسبير » Shakespear الانكليزي و « هيجل » Hegel و « وغوث » Goethe اكثر من نموه في رؤوس غيرهم يثبت هذه النظرية

« هذه خلاصة ما ذهب اليه الفلاسفة الماديون »

اما الفلاسفة الذين يوجبون وجود نفس بسيطة غير مادية ممتازة بجوهرها عن جوهر العناصر فخلاصة ادلتهم هي كما يأتي :

« تحديد النفس وتعريفها »

« النفس » جوهر فرد بسيط متصف طبعاً بقوة الافكار

تحديد « انا » وتعريفه

« انا » ضمير مفرد للمتكلم : ويدل على ما يشعر به الانسان من جهة

وجوده مستقلاً بنفسه في حالة لا تقبل التبديل · ويثبت وجود النفس مستقلةً وممتازةً عن المادة · وليس هو جوهر النفس بل هو « معرفة النفس ذاتها » · ويمتاز عنها كما يمتاز العلم بالشيء عن القوة التي تدركه وتعلمه

باب الادلة

الدليل الاول على وجود النفس وخلودها مأخوذ عن « الشعور » وذلك ان جميع البشر منذ خلقوا الى الآن قد شعروا بقوةٍ تفتكر وتعقل وسموا تلك القوة باسم يختلف عن الاسماء التي سموا بها بقية اعضاء جسمهم المادية · لشعورهم بكونها مختلفة بجوهرها عن جوهر الجسم · ولما ارتقى النوع البشري الى طبقات المعارف كتب علماؤهم مقالات مستوفية المعنى في وجود النفس وشعورها وقوتها المدركة والمفتكرة وخلودها · والفلاسفة الذين اوجبوا وجود النفس البسيطة وخلودها اكثر عدداً من الذين انكروه او شكوا فيه · ولولا ضيق المجال لكنا سردنا في هذا الباب اسماء «النفس» بلغات اهل الارض المعروفة الى الآن وهي لا تقل عن (٦٠٠) لغة · وهذه التسمية العامة للنفس بجميع لغات العالم دليل مأنوس ومعقول على وجود النفس وخلودها · لانه ليس بمعقول ان نتصور اتفاق امم الارض طرّاً منذ خلقتهم على وضع اسم لشيء وهمي لا وجود له

الدليل الثاني مأخوذ عن « معرفة النفس لذاتها »

وذلك ان جميع الناس من علماء وغير علماء يدركون انفسهم ويعرفون

ذواتهم الى درجةٍ حتى يقول كلٌّ منهم انه يفتكر وان فكره ليس بقطعة من « مخ » او « نقطة من دم » او « ذرة من فسفور » وان عقله وافكاره تمتاز امتيازًا صحيحًا عن اعضاء جسمه كما يمتاز قوله « انا » عن قوله « رجلي » او « يدي » او « قلبي » · وقد سمعنا من يقول : احسُّ بالمٍ في رأسي او يدي وما سمعنا اصلاً من يقول : احسُّ بالمٍ في « انا » · فاذًا ضمير انا الذي هو عبارة عن معرفة النفس لذاتها هو شيءٌ ممتاز طبعًا عن مادة الجسم القابلة ويثبت كون النفس جوهرًا فردًا بسيطًا خاليًا

الدليل الثالث مأخوذ عن « مخ » الانسان وما فيه من الفلقات والاطواء وذلك ان « المخ » في عرف الفلاسفة الماديين هو « النفس » وهو الذي يفرز « الافكار » كما يفرز الجسم « العرَق » من مسامه · اما في عرف الفلاسفة الروحيين فهو مادةٌ تشغلها النفس بمقام مركز لها وبواسطة هذا المخ تباشر اعمالها العقلية وتحكم عليه وعلى كل ذرة من ذرائره وهو يطيعها في كل اوامرها

وكانت العلماء في الزمان القديم قد اهملوا فحص الفلقات والاطواء الموجودة في المخ · وزعموا انها من جملة العاب الطبيعة او انها اطواء عرضية لا تستحق دقة نظرهم · اما العلماء المتاخرون فقد وجدوا بعد الفحص المدقق ان « نظام » هذه الاطوآء هو « الحد الفاصل » بين مخ الانسان وبين مخ الحيوان على اختلاف انواعه . وكلما كثرت الاطواء في مخ الانسان ولا سيما في جهة الجبهة منه دلت على كثرة تأثير النفس فيه عند ابراز افكارها بواسطته وعلى شدة قوة العقل في صاحبه وقد وجد العلماء الذين تفرغوا الى تشريح المخ في الانسان والحيوان ان الاطواء تكثر في الفلقتين الجبهيتين من

مخ الانسان وحيوان « الاورنغوطنغ » و « الشمبازي » · ولا توجد في فلقتي مخ بقية القرود اصلاً ولذلك قالوا : ان الاطواء الموجودة في الفلقات الجبهية من المخ هي الحد الفاصل بين الانسان وبعض الحيوان المتعقل وبين بقية الحيوانات غير المتعقلة · ثم قالوا : ان الاطواء تظهر ايضاً في الفلقات الجبهية من مخ بعض الحيوانات الاهلية التي تألف الانسان اكثر من الاطواء التي تظهر في الفلقات الجبهية من مخ الحيوانات الوحشية · وهذا دليل آخر على ان هذه الحيوانات تكتسب افكاراً وتصورات من الانسان الذي تألفه

اما مخ الجنين فلا اطواء في فلقاته الجبهية · بل يبتدىء ظهورها في مخ الطفل بعد ولادته · وكلما كبر سناً كثرت في مخه الاطواء والثنيات · وكذلك مخ الطفل الاوربوي والزنجي مع مخ اطفال جميع الامم يكون خالياً من العلامات الفارقة التي توجد في مخ البالغين من عموم الناس

اما شكل المخ فعجيب ايضاً فانه يتالف من قسمين احدهما في الجانب الايمن من قحف الرأس وثانيهما في الجانب الايسر منه · ويعترض هذين القسمين خدنٌ يفصل بينهما وينعطف عليه غشاء من جلدة المخ · وكلٌ من هذين القسمين قائم بنفسه على نوع ما وعليه خدون وغضون · والقسمان متساويان بالحجم في اغلب الاحوال · كلٌ من هذين القسمين يقسم ايضاً الى ثلثة اقسام احدها الفلقة الجبهية التي من امام وثانيها الفلقة الصدغية وثالثها القسم القفلي الذي في قفلة الرأس من وراء · وعدا ذلك يوجد فلقة اخرى في مركز المخ ·

اما قول الفلاسفة الماديين ان المخ هو عين النفس وهو الذي يفرز

الافكار فقولٌ غير معقول لان المخ الذي لا يزيد ثقله عن ٣٥٠ درهما هو مركب من مادة نخاعية تتكوَّن من الياف بيضاء او مادة شحمية ومن مادة دهنية فسفرية ومن مادة زلالية ومن ماء وغيرها . فليقل لنا الفلاسفة الماديون : اي قسم من هذه المواد المذكورة متصفٌ بقوَّة التعقل والفكر ؟ هل هو الماء او المادة الفسفورية او الزلالية . كلاَّ لا شيء من هذهِ المواد جميعها متصف طبعاً بقوة التعقل والتفكر . والدليل على ذلك ظاهر لان هذه المواد كلها قد دخلت فردًا فردًا تحت امتحانات الكيماويين الماديين انفسهم مرارًا لا تحصى . وما احد منهم امكنه ان يجد مثقال ذرة عقل او فكر او شعور في المواد المذكورة

فان قالوا : ان قوة التعقل والتفكر ذرَّةٌ قائمة بنفسها مودعة من الطبيعة في مجموع مواد المخ المذكورة . قلنا : ان هؤلاء الفلاسفة بمجرد اقرارهم بهذا اقروا « بخلود النفس » لان جميع فلاسفة هذا العصر مع فلاسفة الاعصار الغابرة يقرون بخلود الذرائر والجواهر الفردة كلها سواء كانت بسيطة او غير بسيطة . ويثبتون بادلة قاطعة قولهم ان هذا الكون العظيم الفسيح يتركب من ذرائر لا تقبل الفساد والاضمحلال ولا ترجع الى العدم . فاذا كان ذلك كذلك كانت النفس ايضاً بناءً على قولهم ذرةٌ قائمة بنفسها لا تقبل الفساد ولا تضمحل ولا ترجع الى العدم بل تبقى خالدة الى ما شاء الله

الدليل الرابع مأخوذ من « الوحدة الشخصية » . وذلك ان كل انسان يشعر في نفسهِ بانهُ شخص واحد قائم بنفسهِ . ويفتكر بحاله . واذا سها عن شيء استعان على تذكره بنفسه . واذا اخطأَ في قضيةٍ بادر في الحال

الى تصحيحها بنفسه ومن تلقاء ذاته بسائقة ميله . واذا ملك شيئاً عدَّه من حقوقه الشخصية كأنه المالك الوحيد عليه . وفي كل هذه الاحوال يعتقد انه شخصٌ مستقل بوحدانيته لا شريك له فيها . ولا يتصوَّر ابداً ولا يشعر اصلاً بان اعماله المذكورة صادرة عن عناصر شتى كالهيدروجين والاكسجين والفسفور والنشادر والكربون والازوت وغيرها من العناصر المذكورة اعلاه . وهذا دليل آخر صريح على ان جوهر النفس مستقل في وحدانيته وممتاز عن جميع عناصر الجسم . وان لهذا الجوهر الفرد خلوداً تاماً طبيعياً وانقياداً لهذا الميل الطبيعي يطمع الانسان في الخلود والبقاء وينفر طبعاً من فكر الاضمحلال والفناء

الدليل الخامس مأخوذ من كيفية انتقال الفكر بسرعة عجيبة في وقتٍ واحد من مكان الى مكان مع وجود الجسم في مكان آخر . وذلك ان الانسان اذا كان في داره جالساً على كرسيه يستطيع في الوقت نفسه ان ينتقل بفكره الى بلادٍ بعيدة كان قد رآها من زمان مديد وان يتذكر ما رآهُ فيها وما جرى له مع اهلها . فلو كان الفكر محصول المادة الفسفورية والنشادرية والكربونية وغيرها كما زعم الماديون لكان الفكر « مادة » مثل علتهِ . ولكن يستحيل على المادة ان توجد في مكانين مختلفين في وقت واحد . فاذاً الانسان في بلدة وانتقاله بفكره الى بلدة اخرى دليلٌ صريح على ان فكره ليس بمادة وان نفسه ليست بقسمٍ من اقسام جسمهِ او مخه المادي . بل هو قوة « بسيطة » روحية مستقلة عن جسمهِ وتتصرَّف باعمالها بطريقة مستقلة عن الجسم . والقوة البسيطة لا تقبل الحل والفساد

وبناء على ذلك كانت النفس خالدة

الدليل السادس مأخوذ من تبدل الذرائر في الجسم البشري وبقاء هوية النفس . وذلك قد وجد بالامتحان المعلمان «ولسشوط» و«مار فلس» (*Marfels*) الماديان ان المواد الملوَّنة التي قذفاها بالتلقيح في دم الضفادع زال اثرها منه بعد مرور سبعة عشر يوماً . ولما كانت حركة الدم في الحيوانات الحارة الدم كالانسان وغيره اسرع من حركة دم الضفادع استنتجا من ذلك ان تجدد ذرائر الدم كلها في الانسان تتم باقل من سبعة عشر يوماً . اما صاحب كتاب «دورة الدم» فيقول : ان التجارب العديدة التي اجراها في هذا الشأن قد اثبتت له ان تجدد ذرائر الجسم كلها لا يتم في اقل من ثلاثين يوماً وغلط العلماء الذين زعموا ان دم الانسان كله يتجدد في ظرف سبع سنوات . ثم قال صاحب الكتاب المذكور ان تجدد الدم في الانسان يتم بفقدان المواد الاصلية كلها من جسمه بطريقة الافراز ودخول غيرها مكانها بواسطة التغذي اليومي . فالرجل الذي في سن الثلاثين وثقل جسمه نحو ٦٤ كيلوغراماً يفقد من جسمه في كل ٢٤ ساعة نحو كيلوغرام ونصف كيلوغرام من اللعاب . ونحو كيلوغرام وربع كيلوغرام من الصفرة . ونحو اكثر من اربعة عشر كيلوغراما من عصير المعدة . وبناء على ذلك ان الرجل المولع بتدخين التبغ يفرز من فمه في نصف نهار لعاباً يوازي ثقله ثقل ٧٥ جزءًا من ثقل جسمه وسرعة افرازات الجسم تختلف في الشاب والشيخ والطفل . فان الافراز الصائر من اجسام الشيوخ والاطفال يكون اقل كمية من الافراز الصائر من اجسام الشباب وذلك لان حركة دوران الدم في

الشيوخ والاطفال تكون اقل سرعة من سرعة دوران الدم في الشاب والرجل الذي يشتغل بالعلوم والاعمال العقلية يتعب كالرجل الذي يكدُّ بيديه ويشتغل في حفر الاراضي والمعادن وغيرها من الاعمال الشاقة · ولذلك كلا الرجلين يفقدان من جسميهما مواد اكثر من الذين يصرفون اوقاتهم في البطاله · ولذلك كان الرجل المشتغل بالعلوم والمشتغل بالاعمال الشاقة يجددان مواد جسميهما باسرع وقتاً من الذين يصرفون اوقاتهم بالبطالة · والذين يجددون ذرائر اجسامهم بسرعةٍ يعيشون عيشة جذلة بوجه بشوش وخدود موردة وبكمال الصحة والعافية ويكون عمرهم طويلاً · وبالعكس ان الذين يصرفون اثمن اوقاتهم في البطالة والخمول يبطئ تجديد الذرائر في اجسامهم ولذلك تستولي عليهم الغموم وتصفر وجوههم وتشوهها العبوسة ويقضون العمر في الامراض العصبية وبناء على ذلك اذا دامت الموازنة تامةً بين ما يفقده الجسم من الذرائر بالافراز وبين ما يكسبه من الذرائر الجديدة بالتغذية والاستنشاق دامت صحته ايضاً تامةً · ومتى وقع الخلل في ذلك اختلت في الحال صحة الجسم ايضاً · اما الموازنة التامة فتوجد بوجه العموم في اجسام الشباب والكهول · ولكنها تفقد في اجسام الشيوخ · لان القوة الهاضمة في معدة الشيوخ تكون اضعف من القوة الهاضمة التي في معدة الشباب · وانسان العين في الشيوخ يأخذ في الصغر ويفقد مائيته فيقصر بصره · ثم تفقد العظام مرونتها من جراء قلة الدم والماء فيها وعلى هذا النسق يقل تجدد الذرائر ويكثر فقدانها بالافراز والزفير · ويقع الخلل في الموازنة ويضعف الجسم الى درجة لا يستطيع معها القيام بوظائف الحياة فيحل ويفسد · وقد قال في المعنى المعلم

« اشلايدن » *Schleiden* الجرماني : « ان التصور الذي نتصوره من امر الحياة والموت على عهد شبابنا يختلف اختلافاً عظيماً عما نتصوره في هذا الشأن في زمن شيخوختنا · فمتى استولى الهرم علينا تراكمت المواد في جسمنا · وصارت اعضاؤنا اللينة المرنة جافية تقرب من حالة العظام فتعجز عن القيام بوظائفها · ويأخذ الجسم كله في الانحطاط ويجذب تراب الارض تراب الجسم اليه رويداً رويداً حتى تشعر الروح بثقل جسمها وتعجز عن حمله فتتملص منهُ وتتركهُ وشأنهُ عرضةً للفساد والاحتراق بأكسجين الهواء · اما النفس البسيطة الخالدة بعد ما تترك عقالها وتنفك من قيود اسرها تطير وتكسب حريتها الابدية »

فيتضح جلياً مما قلناه اعلاه ان الجسم المركب من العناصر لا يزال يجدد ذرائره على الدوام حتى في آخر كل شهر من حياته لا يبقى فيه ذرة من الذرائر التي كانت فيه قبل ثلاثين يوماً · فاذا افترضنا ان النفس هي المخ او قطعة اخرى من الجسم كما يزعم الماديون اقتضى بناموس تجدد الذرائر ان تتجدد النفس ايضاً وان لا يبقى في الانسان اثر من النفس التي كانت فيه قبل ثلاثين يوماً · والحال ان الانسان الذي يشعر بتجدد ذرائر جسمه وتبدلها بالتغذية والافراز وبالشهيق والزفير لا يشعر ابداً بتجدد نفسه وابتدالها بغيرها · فاذاً ليست النفس قطعة من مخ او من جسم قابل الحل والفساد · بل هي جوهر بسيط خالد قائم بذاته

الدليل السابع مأخوذ من « اشتراك الحياة » وذلك ان الحياة في الانسان والحيوان والنبات واحدة في كنهها وجوهرها · وهي حياة عامة ومشتركة

بين هذه المخلوقات · اي حياة الانسان هي نفس الحياة التي تحيي بها الاشجار والازهور وجميع الحيوانات الكبيرة والصغيرة وكل من دب ودرج على الارض وطار في الهواء وخفي عن نظرنا كالحيوانات المعروفة باسم «مكروب» *Microbe* · وقاعدة هذه الحياة هي «الارض» وواسطتها هو «الهواء» وبقانون هذا الاشتراك كانت «حياة» الانسان ليست خاصية مختصة به فضلاً عن غيره ولذلك لا يستطيع ان يستقل بها لان حياته معلقة على حركة ذرائر لا تزال في انتقال من جسمه الى جسم غيره والذرائر التي تكون علة حياة غيره ايضاً لا تزال في حركة دائمة غير محسوسة تنتقل بها من جسم الى جسم آخر · وبناء على ذلك ان جسمنا الذي يقبل كل يوم كمية وافرة من الذرائر الجديدة بواسطة الاكل والشرب والشهيق يفقد كذلك كل يوم عين تلك الكمية من الذرائر بواسطة العرق والزفير وافراز فضلات الطعام · وعلى قاعدة (اشتراك الذرائر) يقوم بناء الحياة في الانسان والحيوان والنبات وفي جميع الكائنات على العموم · ولذلك ان ذرة الاكسيجن التي نستنشقها من الهواء ونحيي بها اليوم كانت بالامس تحيي شجرةً من اشجار الغاب وذرة الاكسيجن التي كانت قبلاً تحيي شجرةً من اشجار الصنوبر في الليل قد انفرزت منها في النهار فحملها الهواء ومر بها حذاء انفسنا فتنشقناها وحيينا بها كذلك ذرة من ذرات الهدروجن او الماء الذي يقطر اليوم من عين تاكل ربما كان بالامس من الذرائر التي يتركب منها رضاب عذراء تمرح طرباً · والذرة من الكربون الذي احترق في الشمعة التي كتب

المتنبي اشعاره على نورها او في المصباح الذي كتب افلاطون مصنفاته الفلسفية على ضيائه تحترق الان في رئتي اديسون الكيماوي الاميركي المشهور · والذرة من الفسفور التي الان في مخي ربما كانت في الزمان القديم عين الذرة الفسفورية التي كانت في مخ سقراط او في مخ الحمامة التي كانت في سفينة نوح · والذرة الاخيرة من حمض الفحم « اسيد كربونيك » التي تطايرت بالامس من فم الانسان او الحيوان المائت قد احيت اليوم الوردة العطرية التي اتنعم بشميمها والاكسجين الذي يفرزهُ النبات في النهار ونحن نستنشقهُ مع الهواء هو الذي ينقل الينا جواهر الحياة وعناصرها ويشركها بنا ويحسن بشرة وجهنا بالاحمرار والجمال ويصفي دمنا ويحفظ حرارة الحياة فينا · ولذلك قالت العلماء باتفاق الرأي : ان جميع المخلوقات الحية التي على وجه الارض ما هي الا « هواء ذو اعضاء »

فبناء على هذهِ القاعدة الكلية المثبتة بالحل والتركيب اذا كانت ذرائر الحياة معروضةً للاشتراك بين الانسان وباقي المخلوقات فلم يبقَ في الانسان شيء ثابت غير هويته المعنوية البسيطة التي لا تنتقل ولا تشترك مع غيره ولا تُحلّ ولا تفسد · بل تخلد مستقلة بطبعها خلود الذرائر البسيطة

« اعتراضات الماديين والرد عليها »

قالت الفلاسفة الماديون : يستدل الفلاسفة الروحيون على وجود النفس وخلودها من بقاء « معرفة الانسان نفسه » على حالها بلا تبدُّل ولا تغير رغماً عن تبدل ذرائر الجسم وتجددها . وهذا ليس ببرهان قاطع · لان

لون العيون ولون البشرة وسيماء الوجه وشكله وهيئة الجسم كله لمن الاشياء المادية ومع هذا كله لا تتغير في الانسان طول حياته وان تغيرت كل ذرائر جسمه

الجواب : اولاً ما من احدٍ من الفلاسفة الماديين قد استطاع الى الآن ان يثبت بادلةٍ قاطعة ان بقاء لون العيون وسيماء الوجه وشكل الجسم لها علاقة مستقيمة مادية مع تغيير ذرائر الجسم . ولذلك نقول : ربما كان بقاء لون العيون وسيماء الوجه وصورة الجسم على حالها من الخاصيات المتعلقة بجوهر النفس الفرد الذي لا يتغير ويحفظ معه صورة الجسم القائم بقيامه ومن الادلة القريبة على ذلك انه متى مات الانسان وخرجت نفسه من جسده تغير شكل تركيبه وصار الى الفساد . فاذاً بقاء لون العيون وسيماء الوجه على حالها في الجسم الحي وتغيرهما في الجسم الميت دليل على ما لهما من العلاقة مع جوهر النفس وقوتها الثابتة

قالت الفلاسفة الماديون : ان حجم المخ في الانسان يأخذ بالتناقص بعد سن الخمسين من عمره ولا يزال يتناقص سنةً بعد سنةٍ حتى يصير الى درجة يستحيل قيام الحياة معها . فهذا دليل على ان المخ هو بعينه ما يسميه الفلاسفة الروحيون « بالنفس »

الجواب : ان قول الماديين ان حجم مخ الانسان يتجه الى النقصان بعد سن الخمسين من عمره قولٌ مجانيٌّ لم تثبت صحته الى الان بادلة قاطعة

وقد اختلف العلماء في مسألة « نمو المخ » وذهبوا فيها الى مذاهب شتى وما كان عرضة للجدال وتقسم الآراء لا يؤخذ قاعدةً لقيام الادلة القاطعة

فقد قال المعلم « سميرنغ » *Soemmering* : ان مخ الانسان ينمو الى السنة الثالثة من عمره · وقال المعلم « ونزل » *Wenzel* : ان المخ ينمو الى السنة السابعة من عمر الانسان · وقال المعلم « تيادمان » *Tiedemann* المادي : ان المخ ينمو في الانسان الى السن الثامن من عمره · وقال المعلم « غراسيوليت » *Gratiolet* ان المخ ينمو الى سن الشيخوخة · فاذاً اعتراض الفلاسفة الماديين المأخوذ من « نمو المخ » لا طائل تحته

قالت الفلاسفة الماديون : ان كبر العقل يكون بنسبة كبر المخ · فالمخ اذاً هو عين ما يسمى « بالنفس »

الجواب : هذا الاعتراض مردود بالتجربة · وقد ثبت فساده من صغر قحف راس نابوليون الاول وفولتر الفيلسوف ورفائيل المصور الشهير فان قحف روؤس هوؤلاء الرجال العظام بالعقل والاقتدار لا يفرق في الكبر عن قحف الروؤس المتوسطة في الكبر

قالت الفلاسفة الماديون : ان اصحاب العقول الكبيرة والمعارف الواسعة يمتازون دائماً عن غيرهم بكبر جباههم الواسعة والعالية · وكبر الجبهة دليل على كبر الفلقتين الجبهيتين من المخ · فالمخ اذاً هو العقل والنفس

الجواب : قول الماديين المذكور اعلاه مردود بالامتحان والتشريح فقد اثبت المعلم « ليلوت » *Lélut* بالفعل والتجربة ان القسم الاعظم من البُله والمغفلين تكون جباههم عالية وكبيرة

الجواب : هذا القول ايضاً مردود · وقد اثبت فساده علماء محققون مثل « ليلوت » واسكويرول *(Esquirol)* و« ليوريت » *(Leuret)* « و جيورجيت »

(Georget) و « فرُوس » *(Ferrus)* الذين بينوا بادلة قاطعة ان الجنون عارض من العوارض النفسية ولا يظهر له تأثير في المخ الا متى كان مقروناً بامراض لها علاقة باعضاء الدماغ

اما قول الماديين : ان الفسفور هو مولد الافكار فهو كذلك من الاقوال المجانية التي لم يستطيعوا اثباتها الى الآن بادلة قاطعة

عقدة الجدال بين الماديين والروحيين

يقول الماديون : ان الدماغ او المخ هو ما يسميه عامة الناس « بالنفس » وان الافكار هي خلاصة ما يفرزه الفسفور والزلال اللذين في المخ وحكم افراز المخ للافكار حكم افراز الجسم للعرق

ويقول الفلاسفة الروحيون : ان المخ هو آلة النفس وهي تظهر قواها العقلية بواسطة اعضاء المخ وهي تحكم وتامر وهو يطيعها

وخطاء الفلاسفة الماديين في هذه المسئلة قائم في جعلهم الواسطة علةً وقد وقعوا في هذا الخطاء من جراء ما يرونه من الاتصالية بين المخ واحواله وبين الاعمال العقلية التي تصدر من النفس بواسطته

اما الفرق الذي يظهر بين درجات العقول في البشر فليس يتأتى عن وجود تفاوت في جوهر النفس او عن صغرها وكبرها · لكون جوهر النفس واحداً في عموم البشر واما الفرق الذي يظهر بين العقول ناتج عن حالة الآلة التي تستخدمها النفس لاظهار قواها العقلية وهذه الآلة هي المخ فان كان تركيب المخ كاملاً خالياً من خلل كانت الاعمال العقلية الصادرة من النفس

بواسطته كاملةً ايضاً وان وجد نقص في تركيب المخ او ضعفٌ في اعضائه كانت الاعمال العقلية الصادرة من النفس بواسطته ناقصة وضعيفة ايضاً ونضرب لذلك مثلاً ونقول: ان حكم النفس والمخ حكم رجل موسيقي ماهر وآلته · فان كانت الآلة متقنة على الاصول الموسيقية استطاع معلم الموسيقى ان يظهر مهارته الكاملة في فن الموسيقى بواسطة الآلة التي يستخدمها اما اذا كان في آلته نقص او ارتخاء في الاوتار عجز عن اظهار كل مهارته في فن الموسيقى بواسطة آلةٍ مرتخية او مقطوعة اوتارها · ولا يحسب عجزه هذا ناشئاً عن ضعف عقله او عن جهله الانغام · وعلى هذا النسق اذا النفس قصرت احياناً في اظهار كل قواها العقلية بكمالها لا يحسب ذلك من صغر النفس او من ضعفها بل من ضعف آلة المخ ومما فيها من الخلل · والعلم عند باريها

النظم

« في خلود النفس »

الى الله تنحو النفس بعد انفصالها
وتجزى بخيرٍ او بشرٍ فعالها
وان قيل: بعد القبر ليس قيامةٌ
فقلنا: على الكفار كان وبالها
وان قيل: ليس النفس تدري معادها
فقلنا: ستدري حين يأتي انفصالها

لكل من الاشياء اصلٌ محققٌ

ومن ذلك الاصل الوحيد نوالها

الى الاصل عود النفس بعد جهادها

متى حلَّ من قيد الحيوة عقالها

***

اذا كان هذا الجسم ينحل كلهُ

ولا شيء يبقى في الكيان من الفكرِ

اذا كانت الارواح طيناً مركباً

من الحمض والكربون والجير كالصخرِ

او النفس كانت من ذرائر اكسيجنْ

يخالطها الفوسفور كالملح في البحر (١)

وان كان بعد الموت ينحل عنصري

ونفسي كعظمي تختفي في ثرى القبرِ

وان كان بعد القبر ليس عدالةٌ

---

(١) قال المعلم « الفرد موري »: قد وجد العلماء منذ القرن المنصرم ان عظام الحيوانات المستخرجة من القبور القديمة تتركب خاصةً من المواد الآتية :

الكربون (الفحم) والامونيا (النشادر) والكلورور والبوتاس وفوسفات الصودا والكلس والمغنيسيا والحديد وحمض الكبريت وسيليس والاكسيجن (مولد الحموضة) والهدروجن (مولد الماء) والاسيد كربونيك (حمض الفحم) والازوت . فاستنتجوا من ذلك ان جسم الانسان ايضاً يتركب من جميع المواد المذكورة .

بها النفس تجزى عن صلاحٍ وعن شرّ

فما الكون الاَّ طابةٌ صولجانها

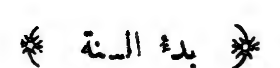
اناملُ اقدارٍ تدور ولا تدري

ولا كان في الكون العظيم مدبرٌ

يسوس بقانونٍ يدومُ مدى الدهرِ

فمن قاوم القول الصحيح تعمداً

خليٌّ من العقل الرزين بلا نكرِ



بدء السنة

« وقلت في بدء سنة ١٨٩٣ وذلك بالاستانة »

بدأتُ بحمد الله والشكر بعدهُ

وحمدُ الهي خير فرضٍ اعدهُ

و بالشكر احسان الاله وفضله

يدومانِ ما دامَ الخضم ومدهُ

بالشكران تدوم النعم

وقلت في ختام سنة ١٨٩٣ وانا بجزيرة الامراء الى جوار الاستانة

شكرتك ربي من صميم حشاشتي
وشكري على فيض المواهب مدومُ
تجدّدُ فضلاً كل عام مجدّدٍ
وفضلك من كل البحار لاعظمُ
فشكري لحمدي كل عام مرادفٌ
كما كنت تعفو كل عامٍ وتحلمُ
تقبل الهي شكر عبدٍ وحمدَهُ
لانك ربٌّ تستجيبُ وترحمُ

وصيتي الاخيرة

اموتُ وشكري لا يموت الى الدهرِ
ويحيي ذمامي في ترابي الى الحشرِ
اموتُ وفي قلبي من الشكر نسمةٌ
لمن مد كفَّ الجود نحوي مدى العمر
اذا متُّ ما مات الوفاء بمهجتي
وديدان جسمي تنشد الشكر في قبري

قد اعتاد اهل الارض وضع وصيةٍ
لاهلٍ واولاد تخلف من حرِ
وان كان يوصي المرء بالمال للورى
فاني لقد اوصيتُ بالشكر والذكرِ
فلا رحمةٌ مثل الوفاء مفيدة
ولا يرحم الرحمان نفساً بلا شكرِ
اموتُ على شكرِ الاله مؤملاً
خلوداً بدار لا تزول مدى الدهرِ

﴿ الخاتمة ﴾

فتحت بتسبيح العليّ نشائدي
ختمتُ بتمجيد الاله قصائدي
نحتُ بتنميق الكلام قوافياً
قصدت بها حمداً بكل مقاصدي
مديحاً وشكراً ثم تعظيم خالقٍ
وردت بها ورداً اجل المواردِ
فيوماً بنجد بين وادٍ وهضبةٍ
اقرظ حرّاً من خيار الاماجدِ

ويوماً اذا جئت التهامــة منشداً

تحتني الغواني رغم انف الحواسدِ

وفي البر ثم البحر قلتُ قصائداً

وجئتُ فنوناً في نسيج النشائدِ

ركبتُ سنامَ اللهو طوراً وتارةً

تصابيتُ جهلاً والغرام مراودي

ولما دهاني الدهر بالكيد والدهـا

تواريت مكراً في كمين المكائد

لجأتُ الى حصنِ القريض وقايةً

لنفسيَ من دهر يظل معاندي

فكم حارب الاخيارَ دهرٌ معاند

وما فاز الا كل حر مجاهدِ

حذوت بجهدي حذو قيسٍ وعنتر

وكان قريضي في جهادي معاضدي

اسبح ربي كل يومٍ بابجرٍ

كما سبح الخلاق اهلُ المعابدِ

كذا كل نحرير يسير سبيلنـا

فيلبس طول العمر ثوب المحامد

فاول شعري كان لهو صبابتي

واخر نظمي توبةً عن شواردي

ايضاح

لما كانت بعض القصائد مزينة بفوطغراف اصحابها فقط و بعضها مزينة بتصاوير اخرى تناسب معاني ابياتها كثر عددها وضاق المجال في حصر جميعها بين ابيات القصيدة المنسوبة اليها · ولذلك اقتضى الامر ان تتوزع التصاوير على الصحائف التالية حسب ترتيبها · وقد عني صاحب الديوان في تذييل كل تصوير ببيتين او اكثر من بيتين تناسب موضوع التصوير وتدل في الوقت نفسه على القصيدة المنسوب اليها ذلك التصوير · ثم قد سعى أيضاً في انتخاب تلك التصاوير ونقلها بآلة الفوطغراف عن تصاوير الاشخاص الذين نظم فيهم او فيهنّ القصائد وجعل قطعها بقطع الديوان نفسه · و بعض من التصاوير التي تناسب موضوع قصائده منقولة بآلة الفوطغراف عن تصاوير المصورين البارعين · وتعد من الصنائع البديعة :

(*Chef-d'oeuvre des beaux arts*)

و بعضٌ من هذه التصاوير منقول عن تصاوير بلغ ثمن الواحد منها من الف الى خمسة الاف ليرة انكليزية · وكان صاحب الديوان قد جمع بعضاً من هذه التصاوير واستنسخ بعضها عن التصاوير الاصلية اثناء اسفاره في ايتاليا وفرنسة وانكلترة واميريكا والهند واليابان والصين

وقد بلغ عدد التصاوير المخصصة لتزيين هذا الديوان نحو مائة تصوير فمن اراد ان يقتني هذا الديوان مزيناً بتصاويره اقتضى له ان يدفع علاوة

على ثمن الديوان نصف فرنك فقط ثمن كل تصوير فوتغرافي • وذلك ثمن ورق الفوطغراف وطبعه وشغله • ولا ربح من التصاوير لصاحب الديوان اصلاً من هذه التصاوير • ومن المعلوم ان تصوير فوطغرافي بقطع فوطغراف هذا الديوان يمثل مثلاً منظرة اهرام الجيزة او منظرة القاهرة لا يباع في نفس الديار المصرية باقل من فرنك • ولكن المقصود من هذا العمل هو نشر ديوان شعر مزين بتصاوير الاشخاص الذين جاء ذكرهم في القصائد من الرجال والنساء والبنات والملوك والملكات والامراء والاميرات والشرفاء والشريفات والاصدقاء والصديقات • وذلك على اسلوب جديد لم يسبق اليه الى الان سواء كان من شعراء الجاهلية او من المولدين وسواء كان في مواضيع قصصه المسلية وقصائده المتفننة او في مقالاته التاريخية والادبية والعلمية والطبية والكيماوية والفلكية والطبيعية والفلسفية واللاهوتية • وفي الحقيقة ان هذا الديوان قد حوى من كل فنٍ خبراً وجمع بين العذب والمفيد وجاء كانه دائرة معارف صغيرة

وقد تشرف صاحب هذا الديوان برفعه بيده الى اعتاب حضرة مولانا امير المؤمنين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي

﴿ عبد الحميد ﴾

خان الثاني نسخة من هذا الديوان مجلدةً بثلاث صفائح من الفضة الخالصة وقد عني في تزيين الصفيحة الاولى منها بالطغراء الغراء السلطانية مرصعة بحجارة الماس (برلنطي) وياقوت ازرق • والصفيحة الثانية مزينة باسم الحضرة السلطانية ومرصع اسم

« عبد الحميد »

بحجارة الماس (برلنطي) ثمينة . وحواشي الصحيفتين دائرًا ما دار مزينة باهلّة ونجوم وكلها مرصعة بحجارة الفيروز . وجعل الديوان في محفظة غطاؤها من المخمل الاحمر الحريري ومزين بالطغراء الغراء السلطانية وعليها اقفال من الفضة المرغلة بمحلول الذهب .

وقد عني بنقل رسم الصفائح بآلة الفوطغراف واضافتها الى بقية تصاوير الديوان

ثم قد تشرف برفع نسخة ثانية من هذا الديوان الى حضرة صاحب السمو والدولة عزيز مصر وخديوها المفخم

﴿ عباس حلمي ﴾

باشا المعظم ادام الله بقاءه بالعز والاقبال

فهرسة

ديوان شعر النحلة

صحيفة

﴿ باب المديح ﴾

﴿ باب الفخر ﴾

﴿ باب الحماسة ﴾

﴿ باب الافانين ﴾

ويوماً اذا جئت التهامة منشداً

تحتني الغواني رغم انف الحواسدِ

وفي البر ثم البحر قلتُ قصائداً

وجئتُ فنوناً في نسيج النشائدِ

ركبتُ سنامَ اللهو طوراً وتارةً

تصابيتُ جهلاً والغرام مراودي

ولما دهاني الدهر بالكيد والدها

تواريت مكراً في كمين المكائد

لجأتُ الى حصنِ القريض وقايةً

لنفسيَ من دهر يظل معاندي

فكم حارب الاخيارَ دهرٌ معاند

وما فاز الا كل حر مجاهدِ

حذوت بجهدي حذو قيسٍ وعنتر

وكان قريضي في جهادي معاضدي

اسبح ربي كل يومٍ بابحرٍ

كما سبح الخلاق اهلُ المعابدِ

كذا كل نحرير يسير سبيلنا

فيلبس طول العمر ثوب المحامد

فاول شعري كان لهو صبابتي

واخر نظمي توبةً عن شواردي

ايضاح

لما كانت بعض القصائد مزينة بفوطغراف اصحابها فقط و بعضها مزينة بتصاوير اخرى تناسب معاني ابياتها كثر عددها وضاق المجال في حصر جميعها بين ابيات القصيدة المنسوبة اليها · ولذلك اقتضى الامر ان تتوزع التصاوير على الصحائف التالية حسب ترتيبها · وقد عني صاحب الديوان في تذييل كل تصوير ببيتين او اكثر من بيتين تناسب موضوع التصوير وتدل في الوقت نفسه على القصيدة المنسوب اليها ذلك التصوير · ثم قد سعى أيضاً في انتخاب تلك التصاوير ونقلها بآلة الفوطغراف عن تصاوير الاشخاص الذين نظم فيهم او فيهنّ القصائد وجعل قطعها بقطع الديوان نفسه · و بعض من التصاوير التي تناسب موضوع قصائده منقولة بآلة الفوطغراف عن تصاوير المصورين البارعين · وتعد من الصنائع البديعة :

(*Chef-d'oeuvre des beaux arts*)

و بعضٌ من هذه التصاوير منقول عن تصاوير بلغ ثمن الواحد منها من الف الى خمسة الاف ليرة انكليزية · وكان صاحب الديوان قد جمع بعضاً من هذه التصاوير واستنسخ بعضها عن التصاوير الاصلية اثناء اسفاره في ايتاليا وفرنسة وانكلترة واميريكا والهند واليابان والصين

وقد بلغ عدد التصاوير المخصصة لتزيين هذا الديوان نحو مائة تصوير فمن اراد ان يقتني هذا الديوان مزيناً بتصاويره اقتضى له ان يدفع علاوة

على ثمن الديوان نصف فرنك فقط ثمن كل تصوير فوتغرافي · وذلك ثمن ورق الفوطغراف وطبعه وشغله · ولا ربح من التصاوير لصاحب الديوان اصلاً من هذه التصاوير · ومن المعلوم ان تصوير فوطغرافي بقطع فوطغراف هذا الديوان يمثل مثلاً منظرة اهرام الجيزة او منظرة القاهرة لا يباع في نفس الديار المصرية باقل من فرنك · ولكن المقصود من هذا العمل هو نشر ديوان شعر مزين بتصاوير الاشخاص الذين جاء ذكرهم في القصائد من الرجال والنساء والبنات والملوك والملكات والامراء والاميرات والشرفاء والشريفات والاصدقاء والصديقات · وذلك على اسلوب جديد لم يسبق اليه الى الان سواء كان من شعراء الجاهلية او من المولدين وسواء كان في مواضيع قصصه المسلية وقصائده المتفننة او في مقالاته التاريخية والادبية والعلمية والطبية والكيماوية والفلكية والطبيعية والفلسفية واللاهوتية · وفي الحقيقة ان هذا الديوان قد حوى من كل فنٍ خبرًا وجمع بين العذب والمفيد وجاء كانه دائرة معارف صغيرة

وقد تشرف صاحب هذا الديوان برفعه بيده الى اعتاب حضرة مولانا امير المؤمنين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي

﴿ عبد الحميد ﴾

خان الثاني نسخة من هذا الديوان مجلدةً بثلاث صفائح من الفضة الخالصة وقد عني في تزيين الصفيحة الاولى منها بالطغراء الغراء السلطانية مرصعة بحجارة الماس (برلنطى) وياقوت ازرق · والصفيحة الثانية مزينة باسم الحضرة السلطانية ومرصع اسم

«عبد الحميد»

بحجارة الماس (برلنطي) ثمينة . وحواشي الصحيفتين دائرًا ما دار مزينة باهلّة ونجوم وكلها مرصعة بحجارة الفيروز . وجعل الديوان في محفظة غطاؤها من المخمل الاحمر الحريري ومزين بالطغراء الغراء السلطانية وعليها اقفال من الفضة المرغلة بمحلول الذهب .

وقد عنى بنقل رسم الصفائح بألة الفوطغراف واضافتها الى بقية تصاوير الديوان

ثم قد تشرف برفع نسخة ثانية من هذا الديوان الى حضرة صاحب السمو والدولة عزيز مصر وخديوها المفخم

﴿ عباس حلمي ﴾

باشا المعظم ادام الله بقاءه بالعز والاقبال

فهرسة

ديوان شعر النحلة

صحيفة

﴿ باب المديح ﴾

﴿ باب الفخر ﴾

﴿ باب الحماسة ﴾

﴿ باب الافانين ﴾

﴿ باب الغزل ﴾

﴿ باب المقطعات ﴾

﴿ ذيل واستدراك ﴾

﴿ باب التوبة والنجوى ﴾

﴿ الله جل جلاله ﴾

﴿ باب المراثي ﴾

فهرس

التصاوير واسمائها في الاصل واسماء مصوريها البارعين من القدماء والمحدثين لذين نقلنا عن تصاويرهم بعض التصاوير التي تزين ديوان شعر النحلة

صحيفة	اسماؤها في الديوان	اسماء مصوريها	اسماء التصاوير في الاصل
٣٤٠	الاغماء	W. Frith	*Sleeping Beauty,*
٣٤٣	جآذر الحمى	K. Meadws	*The Pansy,*
٣٤٤	لطف يهودية	J. Fisher	*Mavourneen,*
٣٤٤	الغيد	F. Worns	*The Accacia,*
٣٥٣	العود احمد	J. Fisher	*Jessie*
٣٤٧	حمام الزاجل	Miss Eliza Sharpe	*The yelow Rose,*
٣٥٨	الشفرآء	W. P. Frith	*Nora Crina,*
٣٦٤	العفو	S. Newton, R. A.	*The Grecian maid,*
٣٦٦	تفاحتا بلا كبول	Eliza Sharpe	*The Tulip,*
٣٧٨	الصد والرد	Louiza Sayffarth	*The Canterbury Bell*
٣٨٣	الزيارة الليلية	J. Fisher	*Nannie*
٣٨٥	الوداع	Mrs. Sayffarth	*The Marigold*
٣٨٩	الموعد السري	W. P. Frith,	*Th Morning of life*
٤٠٢	الغفلة	E. T. Parris, 1834	*Orange Flower,*
٤٠٣	الدلال	J. Fisher	*Annie Laurie*
٤٦١	الملاك	H. Warren,	*The Peri*
	الغزَّالة	E. M. Ward,	*The Cottage maid*

صحيفة	اسماؤها في الديوان	اسماء مصوريها	اسماء التصاوير في الاصل
	الغياب	R. T. Bott,	Eveleen
	العهد الوثيق	W. P. Frith	Love's summer cloud
	هند	J. G. Middlton	Hinda
	الرقاصة	J. Woods	The Garland
	الغفوة	J. W. Wright	The Home bird
	الغنج	K. Meadwes	The Marvel of Peru,
	الرصد	Miss Corbaux	The Popy
	البطاقة	Miss Corbaux	The Myrtle
	لطف الاخذين	E. F. Parris	Heart Ease
	سوسن الوادي	E. F. Parris	Lilies of the Valley
	المغازلة	Mrs. Sayfforth	The Holy Hock



اما بقية التصاوير فهي منقولة بالفوطغراف رأساً عن الاشخاص الذين تمثلهم

﴿ جدول ﴾

(الخطاء الذي وقع في طبع هذا الديوان)

خطاء	صواب	صحيفة	سطر
نفسنى	نفسي	٦	٦
وبانبائه	وبابنائه	٨	٧
سلطشة	سلطنته	٨	١٢
منثدِ	منثدٌ	٨	٢٠
انقضت	انقضّت	١٠	٣
تنجحد	تجحد	١٠	٦
تهنية	تهنئة	١١	١
تهنية	تهنئة	١١	٨
وانتشار	وانتصار	١٣	٣
تهنيه	تهنئة	١٤	١
هل	اهل	١٥	٤
الاصحى	الاضحى	١٧	٥
واغتبظ	واغتبط	١٨	٢

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
لديار	الديار	٢٣	١١
واتى	واوتى	٢٤	٢٠
ثبتًا	ثبيتاً	٣٠	٤
الرمله	الرميلة	٣٤	١٩
فتتلو	فتتلُ	٤١	٢
تهنية	تهنئة	٤١	٣
بقنطف	بمقطف	٥٥	٩
الرب الصباوئت	رب الصباوئت	٥٦	٢
فانعم	تُنعَّم	٥٨	١٣
كل ما	مثل ما	٦٠	١
وعرقنه	وعرقتني	٦٠	١٤
ويمامةٌ	ويمامةً	٦١	١٣
هزرها	هزارها	٦٥	٣
فيا ابنت	فيا ابنة	٦٥	١٤
فاشعلت شيئًا من قضيبٍ براسه صوابه فاشعلت عودًا قد تكربت رأسه		٦٨	١٣
قبلة	قبله	٦٩	٣

خطأ	صواب	صحيفه	سطر
سرا	نسرى	٧٠	١٨
ثبتاً	ثبيتاً	٧٠	١٨
باسمى	بامرى	٧١	٢
تخطب	ترهب	٧١	٢
لصدر	لصوّر	٧١	٩
نقرُ	نقرً	٧١	١٤
مقترِ	مقتّرِ	٧٢	٦
شق	شفً	٧٤	٢
وحملى	وحملني	٧٤	٤
ويلقانى	وخلي يراني	٧٥	٩
الا بي	في حبورِ	٧٥	٩
ببهجة	وبهجة	٧٥	٩
سبعة	بضعة	٧٥	١٤
وكتمت	واضمرت	٧٥	١٦
جابي	جاءني	٧٦	٤
تنكب	اتنكب	٧٨	٩
فان	فلم	٧٩	٤
ففتح	شهيدٌ	٧٩	٤
وان يفقد فلله	الى دار السعادة	٧٩	٤

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
خاملاً ولئن يعش	خامل الذكر في الورى	٧٩	٦
الجحى	الحجى	٧٩	١٣
لمعنوية	المعنوية	٩٠	٤
فتطيب	فيطيب	٩٣	١١
اغياب	غياب	٩٧	٥
واذ	واذا	١٠٢	١٦
باليفه	بتاليفه	١٠٢	١٦
فَكأن	فكان	١٠٤	٤
كردينالاً	كردينال	١٠٤	٤
فلمار	فلما	١٠٤	٥
المحور	الحور	١٠٨	١
ترى	ارى	١٠٨	١٧
فناحت	فلامت	١٠٩	٦
به في	فيه ببعض	١١١	٣
ايفيل	ايفِلُ	١٢١	١٦
حدوثة	حدوثهُ	١٢٨	١٢
ان	لن	١٤٣	٥
المنقولة عن	بما نقله	١٤٤	١
أَعدَّ	أُعدَّ	١٤٨	١٢

خطاء	صواب	صحيفة	سطر
هي علة	التي هي علة	١٤٨	١٧
بأسي	لهيبي	١٥١	١٢
فهزَّبي	فهزَّني	١٥٢	١٥
ثمانين	اربعمائة وثمانين	١٥٨	١٥
لانخفاض	على انخفاض	١٦٣	٦
و بناۤء	و بناۤءَ	١٦٤	٢٠
لاحتفار	على احتفار	١٦٦	٣
واماتها	وامهاتها	١٧٧	٤
مليون	مليوناً	١٨٧	٩
يذهب	يذهب الى	١٨٩	١٤
غلاستون	غلادستون	١٨٩	١٥
الموجودة	مثل البرودة الموجودة	١٩٠	٤
التحليل	الحل	١٩٢	١٥
التحليل	الحل	١٩٣	١١
التحليل	الحل	١٩٣	١١
مليون	مليوناً	١٩٥	٤
المجذبة	المنجذبة	١٩٥	٨
صادَ	صار	١٩٧	٩
بتحليل	بحل	١٩٧	١٧

خطاء	صواب	صحيفة	سطر
تحليل وتحليل	حل وحل	١٩٧	١٨
تنحل	تُحل	١٩٧	٢٠
ذهب	ذهب اليه	١٩٨	١٨
من وقوع	من دون وقوع	٢٠٠	١٩
السيار	السيارة	٢٠١	١٣
بالغير	بغير	٢٠٢	١
الغير	غير	٢٠٢	١٠
الغير	غير	٢٠٢	١٢
الغير متناهي	غير المتناهي	٢٠٢	١٤
الغير	غير	٢٠٤	١
لم ينزلَ	لم ينزلْ	٢٠٥	٣
التحليل	الحل	٢١١	١٢
التحليل	الحل	٢١٦	١٩
تحليلها	حلها	٢١٦	٢٠
بالتحليل	بالحل	٢١٧	١
لتحليل	لحل	٢١٧	٩
تحليل	حل	٢١٧	١٧
لتحليل	لحل	٢١٧	١٩
التحليل	الحل	٢١٧	١٩

خطاء	صواب	صحيفة	سطر
غماق	غمامة	٢٢٢	٢
نواة مواد	نواة من مواد	٢٢٢	٦
ومنها لا	ومنها ما لا	٢٢٢	٧
لمن	لم	٢٢٦	٥
منيعاً	منيعةً	٢٢٨	٩
بخائف	بحائف	٢٢٩	٧
بتمثل	يتمثل	٢٢٩	١٨
وملكتَ	ونلتَ	٢٣٠	٥
تنبي	تروى	٢٣٠	١٢
يقمُ	يقمْ	٢٣٢	٧
فاقشع	فبدد	٢٣٣	١٨
باخلاً	درهماً	٢٣٤	١
للتمدن	بالتمدن	٢٣٦	١٤
المشار	المشار اليه	٢٣٧	١٧
الغير جيدة	غير الجيدة	٢٤٠	٦
اللذن	اللذان	٢٤١	١٥
سيغارة	سيفاره	٢٤٣	٢٠
خبيثاً هواوءها	خبيثُ هوائها	٢٥٠	١٢
يفقد	أُعدِمَ	٢٥١	٢

خطاء	صواب	صحيفة	سطر
حرما	أحرِما	٢٥١	٨
شملها	شملهما	٢٥٧	١٨
فتشتُ	فششتُ	٢٦٠	١٠
ساقتها	اذرفتها	٢٦٠	١٠
وصحةً	وصحة	٢٦٣	٨
لتنقيب	لتنقب	٢٦٥	١١
بيقنسلد	بيقنسفلد	٢٦٨	٧
الذئع	الذائع	٢٧٥	١٢
فوقهِ	فوقهُ	٢٨٦	١
الاخبار	الاخيار	٢٨٩	١٢
تفتن	تفتنُ	٢٩٤	١٥
الفراق	الفرق	٢٩٥	١٢
تمنع	تمتّع	٣٠٠	٣
انكمائمُ	الكمائمِ	٣٠٣	٦
خز	قزّ	٣١٣	١٤
جمين	جبمن	٣١٤	٤
ايدِ	ايدي	٣٢١	٢
حبي	حسبي	٣٢١	٣
التقيتك	لقيتك	٣٢٦	٨

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
في	على	٣٣٥	٤
تولى	تولَّ	٣٣٦	٣
وصفها	وصنها	٣٣٦	٤
بعيني ابتهاج	بعيني في ابتهاج	٣٣٧	٥
اكتفي	اكففي	٣٤٢	١٦
كبدرُ	كبدرِ	٣٤٣	١١
طرفكِ	طرفكَ	٣٥٠	١٠
وانتِ	وانتَ	٣٥٠	١١
مقلتيكِ	مقلتيكَ	٣٥٠	١٢
نجمةِ	نجمةً	٣٥٠	١٣

« اخطار » في صحيفة ٣٥٠ قدسها الطباعون والمصححون عن سقوط بعض مصاريع من القصيدة فوقع من جراء ذلك اضطراب في المعنى. والصواب كما يأتي:

فقلت: لقد سماكِ اهلك نجمةً فانتِ يقيناً نجمةٌ في تنقلِ

فقالت: دعاني الوالدان بنجمةٍ وما ادركا برجي ومركزَ منزلي

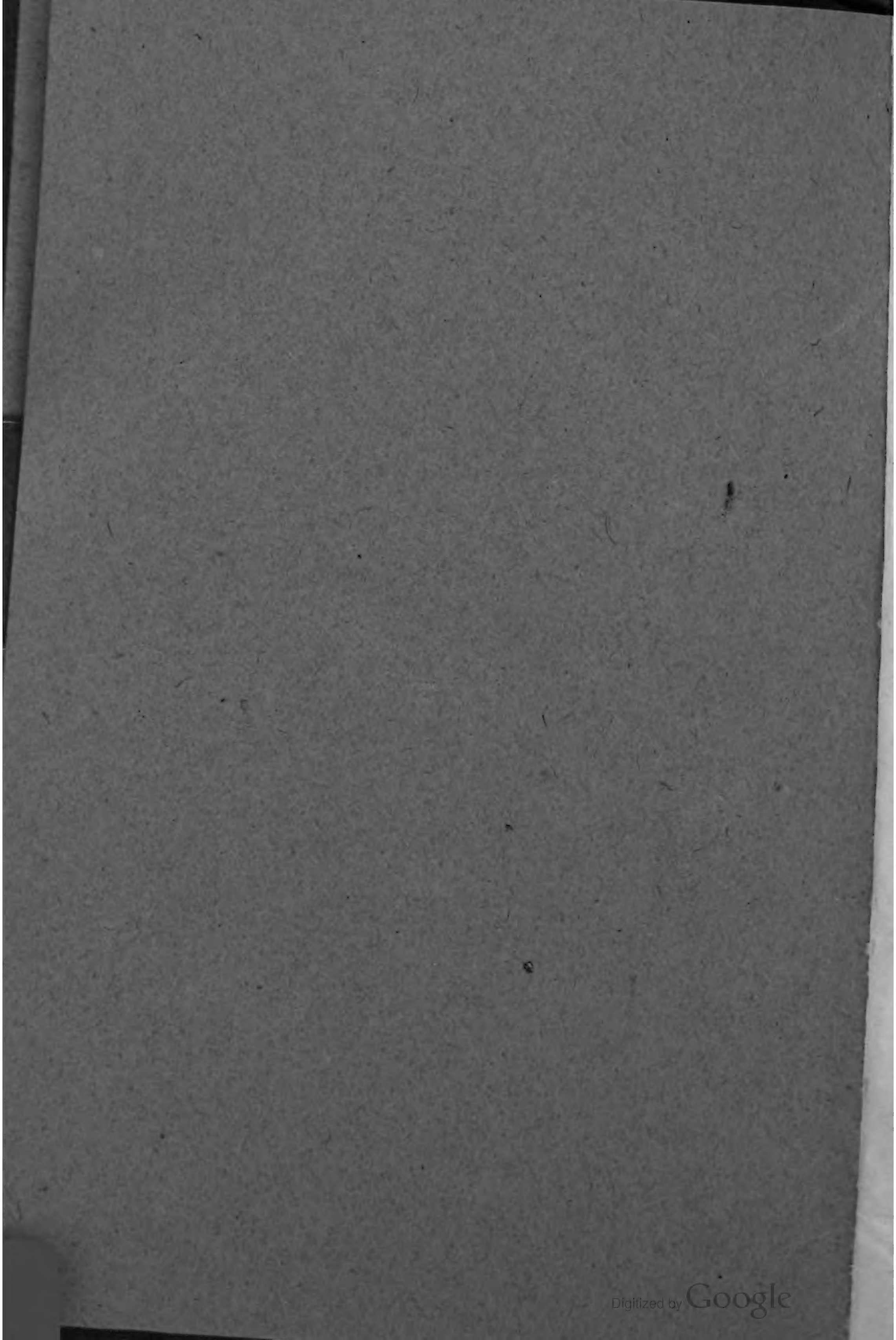
خطأ	صواب	صحيفة	سطر
ادركوا	ادركا	٣٥٠	١٤
بدركِ	بدركَ	٣٥٠	١٥
ضياء الليل والبدر حالك	ضياء البدر والليل حالك	٣٥١	١٣

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
فقطعتُ	فقطعتْ	٣٥٢	٦
ومنتهى	ومَنتنى	٣٥٢	٦
ذاتَ	ذاتِ	٣٥٢	١٠
تغرما	تفرُّما	٣٥٥	٤
فذكر	فذكرني	٣٥٧	٤
حديثُ	حديثٌ	٣٦٥	١٥
برجِ	مرجِ	٣٦٨	١٥
تذكري	تذكرِ	٣٦٩	٥
السحرِ	المسحرِ	٣٦٩	٨
نضالها	نصالها	٣٧٠	١١
طاق	طلق	٣٧١	١٣
بتقفزِ	بتقفزِ	٣٧٢	٤
لم ادري	لم ادرِ	٣٧٣	١٧
لمحتكَ	لمحتكِ	٣٧٣	١٩
حيا	حيي	٣٧٦	٩
توعجا	توهجا	٣٨٤	٢
هوك	هواك	٣٨٥	٦
لم اسمعُ	لم اسمعْ	٤٠٩	١١
تسرَّ	تسرُّ	٤١٦	١٤

خطأ	صواب	صحيفة	سطر
غنيمةً	غنيمةٌ	٤٣٢	٣
ومنة	ودمنة	٤٣٦	٧
Lengte	*Length*	٤٥٠	٣
Hugh	*High*	٤٥٠	٣
Gohn	*John*	٤٥٠	١٦
الاملاك	الافلاك	٤٥٢	١٤
في الزمان رقيت	في الزمان الغابر	٤٦٠	٧
يبقى	يبغي	٤٦٤	١٣
يقصدُ	يعضدُ	٤٦٥	٣
المجمة	المجسمة	٤٧٠	١٥
يجزا	يجزً	٤٨٩	١١
اخفض	واخفض	٤٩١	٢
تشدو	تنشدُ	٤٩٣	١٥
سار	صار	٥٠٤	٦
يعيس	يعيش	٥١٢	١١
عدا	عدوّا	٥١٢	١٤
وتحليله	وحله	٥١٣	٢
التحليل	الحل	٥١٣	٣
حجرة	صخرة	٥٢٣	١٧

خطاء	صواب	صحيفة	سطر
متعلقة	متعقلة	٥٢٦	٩
الافكار	التفكر	٥٢٧	١٣
القابلة	القابلةللتبديل	٥٢٩	٦
خالياً	ضالياً من مادة	٥٢٩	٧
انفسنا	انفنا	٥٣٦	١٧
الجانية	المجانية	٥٤٠	٥

وفي الصحيفة ٥٣٩ وبعد السطر ١٧ قد اهمل الطباع ذكر بضعة اسطر بتمامها وسها المصحح تصحيحها وهي عبارة عن اعتراض الماديين على خلود النفس وروحيتها والاعتراض مسنود الى الجنون الذي يعتري الخ . واكتفى الاثنان بذكر الجواب فقط




Dei
Sub Numine
Viget

